تقريراً لأبحاث المحقق الفقيه آية الله الشيخ محمد السند

الشعائر الحسينية

فقه العتبات والزيارة

الجزء الثالث

بقلم

السيد رياض الموسوي

الشيخ عباس اللامي

إبراهيم البغدادي

الشعائر الحسينية

فقه العتبات والزيارة

الشعائر الحسينية

فقه العتبات والزيارة

الجزء الثالث

تقريرا لمحاضرات آية الله المحقق

الشيخ مُحمَّد السند

بقلم

السيد رياض الموسوي

الشيخ عباس اللامي

إبراهيم البغدادي

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: ..... الشعائر الحسينية ـ فقه العتبات والزيارة ـ ج٣

اسم المؤلف: ..... تقريرا لمحاضرات آية الله الشيخ مُحمَّد السند

بقلم: ..... كل من:

..... السيد رياض الموسوي

..... الشيخ عباس اللامي

..... إبراهيم البغدادي

الطبعة: ..... الأولى لسنة ٢٠١٣ ميلادية

عدد الصفحات: ..... ٥١٢ صفحة

الإخراج الفني: ..... السيد عبدالله الهاشمي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

المقدمة

الحمد لله الذي جعل تعظيم شعائره من تقوى القلوب، وكتب لمن قدَّس حرماته محو الذنوب، وشاءَ أنْ يَتمّ نورُه ويعلو ذِكرُه على مرَّ الدهور، وتصرّف الخطوب، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على العنصر الأتمّ، وفخر الأُمم، النبي الخاتم، وعلى آله الميامين أولياء النعم، والكهف الحصين، وأمناء الله على الدنيا والدين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد ..

فهذا هو الجزء الثالث من كتاب الشعائر الحسينية يمثُل بين يديك أَيُّها القارئ الكريم .. بعد صدور وطباعة وانتشار الجزئين السابقين، وهما: الجزء الأوَّل بعنوان: **«الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد»**، والجزء الثاني بعنوان: **«الشعائر الحسينية فقه وغايات»**.

وقدْ انتشر الجزءان السابقان بين صفوف العلماء والمحققين والباحثين والمثقفين .. وإنَّ ما حصل من إقدام واهتمام كان تابعاً لأهمية الموضوع وركنيته في الدين .. ألا وهو الشعائر الحسينية ..

وها نحن نصدر هذا الكتاب الموسوم بالجزء الثالث، وهو أيضاً حلقة من سلسلة علوم ومعارف الشعائر الحسينية، ولا زلنا في البحث والتحقيق لسبر غور أعماق الكنوز الدفينة في طيِّات آيات القرآن الكريم، وأسرار روايات الأئمة الطاهرين عليهم السلام، حول هذا الموضوع العظيم ..

وتجد أيُّها القارئ العزيز في هذا الجزء، بين فصوله، بعض القواعد الفقهية المتعلقة بموضوع الشعائر الدينية .. مثل قاعدة «**توسعة حريم مواسم الشعائر الدينية زماناً ومكاناً**» .. وقاعدة «**تعدد طرق الحكاية والإخبار عن الواقع**»، وقاعدة «**عمارة**

مراقد الأئمة عليهم السلام»، مع قواعد فقهية أُخرى ..

ضِف إلى ذلك، البحوث الأساسية التي استُخلصت من روايات الأئمة عليهم السلام ثم جُمعت وقُرِّرت بأبعادها المختلفة، مثل بحث: **«البكاء على الحسين عليه السلام وأثره في تنوير الفكر والروح»**، وبحث: **«الحثّ على زيارة الحسين عليه السلام مع الخوف»**، وبحث: **«التكامل الإيماني والروحي عند زيارة قبر الحسين عليه السلام»**.

وفي آخر المطاف، تجد ـ عزيزي القارئ ـ فصلاً خاصَّاً، عن الأسئلة والمداخلات المختلفة حول موضوع الشعائر الحسينية .. والأجوبة على ذلك ..

هذا، وغيره ... تجده بين ثنايا وأروقة هذا الكتاب، وتحت ظل الشعائر الحسينية .. لذلك كان عنوانه **«الشعائر الحسينية: فقه العتبات والزيارة»** مع تقديم البراهين والأدلة من القرآن الكريم، وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وروايات الأئمة عليهم السلام .. ليخرج البحث متكاملاً ووافياً في حلبة الاستدلال العلمي.

والجدير بالذكر، إنَّ هذا الكتاب يُعتبر حلقة ضمن سلسلة موسوعة الشعائر الحسينية الذي يكون جزءاً ثالثاً لها، وسوف تصدر بقية السلسلة تباعاً إنْ شاء الله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يُوفِّق أُستاذنا العزيز المُحقِّق سماحة آية الله الشيخ محمد السند حفظه الله، والفُضلاء المشاركين والعاملين بتوجيهاته لإكمال ما بقى من القواعد والبحوث حول هذه الموسوعة الدينية العظيمة ..

وتكون لنا سبب قُرب بالنبي صلى الله عليه وآله وآله، وذخراً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم .. ببركة زيارة الحسين عليه السلام، وإحياء شعائره العظيمة، وبشفاعته الكبرى يوم القيامة ..

رياض الموسوي
النجف الأشرف
١٣ ج٢ ١٤٣٤ هـ

الفصل الأوَّل

إتمام المسافر
في مشاهد الأئمة عليهم السلام

بقلم
نخبة من الفضلاء

إتمام المسافر في مشاهد الأئمة عليهم السلام

تمهيد:

قد ذهب جمع من المتقدمين وبعض المتأخرين إلى عموم حكم التخيير بين القصر والتمام للمسافر في مراقد جميع المعصومين عليهم السلام ولا تختص فضيلة الإتمام للمسافر في الرباعية بخصوص الأماكن الأربعة، بل تعم مراقد المعصومين عليهم السلام أجمع، كمشهد الكاظم والجواد ومشهد الرضا ومشهد العسكريين عليهم السلام فضلا عن النجف الأشرف مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، حيث أنه مندرج في الأماكن الأربعة، بل هو الأصل للإتمام في مسجد الكوفة.

أقوال الأصحاب في التعميم:

ظاهر كلام السيد المرتضى وابن الجنيد المنع من التقصير في المواضع الأربعة، وألحقا بها في ذلك أيضاً المشاهد المشرّفة والضرائح المنوّرة، وكذلك ابن قولويه ـ أُستاذ المفيد في الفقه ـ ذهب إليه في كامل الزيارات، كما سيأتي.

قال في المختلف: «قال السيّد المرتضى في (الجمل): لا يقصر في مكّة ومسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ومسجد الكوفة ومشاهد الأئمّة القائمين مقامه»[1]، ونقل عن ابن الجنيد: «والمسجد الحرام لا تقصير فيه على أحد، لأنّ الله عزّ وجلّ جعله سواء العاكف فيه والباد»[2].

---

(١) جمل العلم والعمل: ص ٧٧ ط الآداب.
(٢) المختلف ج٣ ص١٣٥.

وعبارة عليّ بن بابويه يلوح منها التعميم لجميع المشاهد، كما استظهره المجلسي في البحار. قال في الفقه الرضوي: «إذا بلغت موضع قصدك من الحجّ والزيارة والمشاهد وغير ذلك ممّا قد بيّنته لك فقد سقط عنك السفر، ووجب عليك الإتمام»[١].

ولا يبعد أن يكون هذا المتن هو متن فقه ابن أبي عزاقر الشلمغاني أيّام استقامته قبل انحرافه، إذ هو متن رسالة ابن بابويه في الأصل، وعمّم صاحب الوسائل بجزم عدم سقوط النوافل النهارية لكلّ المشاهد المشرّفة، مع أنّ الموضوع لعدم سقوط النوافل متّحد مع موضوع إتمام الفرائض في السفر.

وقال المجلسي في ذيل عبارة الفقه الرضوي: «وظاهره الإتمام في جميع المشاهد، كما قيل وسيأتي ذكره»[٢].

وقال الوحيد البهبهاني في مصابيح الظلام ـ بعد ذكره القول بالإتمام في جميع المشاهد للمرتضى وابن الجنيد: «نعم، عبارة الفقه الرضوي ربّما يدلّ على قولهما وقياس المنصوص العلّة التي في صحيحة عليّ بن مهزيار، حيث قال: قد علمت فضل الصلاة في الحرمين في مقام التعليل للإتمام في الحرمين، والحقّ أنّه حجّة، لكن يلزم التمام في كلّ موضع للصلاة فيه فضل، كما أنّ عبارة الفقه الرضوي أيضاً ظاهرها كذلك، وهما لا يقولان به، ومع ذلك لا يفيان لاثبات ما يخالف الأخبار المتواترة والخبر المجمع

---

(١) الفقه الرضوي ص١٦٠.
(٢) البحار ج٨٦ ص٦٧.

عليه والإجماعات»[١].

وقال في الرياض: «وخلاف المرتضى والإسكافي فيها نادر، فلا يفيدهما التمسّك ببعض التعليلات والظواهر. نعم، في الرضوي ـ ثمّ ذكر عبارته ـ لكن في الخروج به عن مقتضى الأصل والعمومات المعتضدة بالشهرة العظيمة القريبة من الإجماع، بل الإجماع، مشكل، لاسيّما مع تضمّنه الحكم بوجوب التمام، لما مرّ من شذوذه ومخالفته الإجماع والأخبار المستفيضة بل المتواترة، إلاّ أن يحمل الوجوب على مطلق الثبوت»[٢].

واستشكل في المستند[٣] في استظهار ذلك من عبارة الرضوي، وتشبّث بما ذكر قبل هذه العبارة من اشتراط قصد المباح في السفر، نظير الحجّ والزيارة ونحوهما، وهو عجيب، لأنّه العبارة السابقة في التقصير، وهذه العبارة في التمام، مع أنّه ذكر في الفقه الرضوي قبل العبارتين الإتمام عند دخول منزل أخيك لأنّه مثل منزلك.

واستظهر في الجواهر[٤] التعميم في عبارة الفقه الرضوي، ولعلّ مستند المرتضى وابن الجنيد التعليلات في النصوص، واستفادة عليّة شرفيّة المكان بقوله: «وشرف قبورهم، وأنّها مساوية للمسجدين أو تزيد».

أقول: اعترف الوحيد وسيّد الرياض بدلالة صحيح ابن مهزيار على عموم الإتمام في المشاهد، إلاّ أنّهما استشكلا في العمل به بأنّه مخالف للإجماع

---

(١) مصابيح الظلام ج ٢ ص ٢١١.
(٢) رياض المسائل ج٤ ص٣٨٢.
(٣) مستند الشيعة ج٣ ص١٣٨ .
(٤) الجواهر ج١٤ ص٣٤٤.

وللأخبار المتواترة والمجمع عليه من الخبر، وبأنّه يلزم منه التمام في كلّ موضع للصلاة فيه فضل.

وفيه: أمّا الأوّل، فلا إجماع على الخلاف، لما مرّ وسيأتي من ذهاب ابن بابويه وابن قولويه، ومحتمل ابن ابن عزاقر ـ أيّام استقامته ـ وابن الجنيد والمرتضى وتمايل الكيدري في الإصباح إليه ومن المتأخّرين الميرداماد والشيخ حسين العصفوري البحراني، ثمّ إنّ القائلين بالمنع من الإتمام في الأماكن الأربعة ـ فضلاً عن غيرها ـ ليس اتّفاقهم بسيط مع الحاصرين بالأربع، بل المسألة ثلاثيّة الأقوال من عهد رواية الأئمّة عليهم السلام، كما يشير إلى ذلك صحيح ابن مهزيار وغيره، بل لو جعلنا أحد الأقوال ذهاب الشيخ إلى الإتمام عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام والنجف وكذا الكيدري في الإصباح لزاد تشعّب الأقوال.

وأمّا الثاني ـ وهي المخالفة للأخبار المتواترة ـ فإنّ قصدا عمومات التقصير في السفر، فالمخالفة بالعموم والخصوص، كما في الأماكن الأربعة، وإنّ قصدا روايات الأماكن الأربعة فسيأتي في الوجه الثالث، أنّ ألسنة الروايات متعدّدة بين ما اقتصر على ذكر مكّة والمسجد الحرام فقط، وبين ما اقتصر على ذكر المسجدين والحرمين، وثالث إضافة عند قبر الحسين عليه السلام، ورابع إضافة مسجد الكوفة إلى المسجد، وخامس ذكر الأماكن الأربعة، وسادس إضافة عنوان مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله، فأين الحصر في الأربعة؟

وأمّا الثالث ـ وهو التعميم لكلّ مكان ذي فضيلة ـ فهو انما يلزم لكل مكان أمر باكثار الصلاة فيه لتعاظم فضيلتها فيه لا ما إذا أمر بإكثار الصلاة لأجل رجحان ذات طبيعة الصلاة في نفسها من حيث هي صلاة كما هو

الحال في الصلاة في مطلق المسجد أو المسجد الجامع الذي هو من النمط الثاني، فإنّ الصلاة فيه وإن اكتسبت مزيّة ورجحانا، لكنّ الأمر بإكثار الصلاة حينئذ ليس إلا من جهة طبيعة نفس الصلاة وأنّها خير موضوع مَن شاء استكثر ومَن شاء استقلّ لا من جهة سببية المكان نفسه لرجحان الإكثار، فالمسجد أو الجامع يضيفان مزيّة على طبيعة الصلاة، نظير نظافة الثياب واستخدام الطيب ولبس العمامة والتحنّك بها، ونحو ذلك وهذه المزايا ليست سببا لرجحان إكثار الصلاة، وهذا بخلاف ما إذا كانت الأرض مقدّسة معظّمة كما سيأتي في قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾[1]، فإنّ إذنه تعالى هو أمره بتعظيم وتقديس تلك البيوت، وأمره بأن يذكر فيها، وأمره تعالى أن يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال، فيستحب إكثار الصلاة فيها بهذا الأمر بغض النظر عن الأمر بإكثار ذات الصلاة في نفسها، فلو لم يكن في البين دليل على الأمر بإكثار ذات طبيعة الصلاة لالتزمنا باستحباب الإكثار في خصوص هذه البيوت المعظمة المقدسة.

ويشهد لهذه التفرقة أن صلاة النوافل اليومية وغيرها يندب إتيانها في البيوت والمنازل إستتارا وروما للإخلاص والخلاص عن الرياء، أفضل من إتيانها في عموم المساجد ولو كان المسجد الجامع وإنما المندوب المجيء بصلاة الفريضة في عموم المساجد كشعيرة عامة، وهذا بخلاف المسجد الحرام والمسجد النبوي والمواطن الأربعة ومشاهد جميع الأئمة عليهم السلام فإنه يندب المجيء بجميع النوافل اليومية وغيرها فضلاً عن الفرائض فيها وكفى بهذا فارقاً

---

(١) سورة النور: الآية ٣٦.

بين الموضوعين. وسيأتي الإشارة إلى الروايات الدالة على ذلك في الوجوه اللاحقة.

وعنون ابن قولويه في كامل الزيارات الباب **٨٢** بقوله: «التمام عند قبر الحسين عليه السلام وجميع المشاهد»، مع أنّه لم يورد في الباب إلاّ روايات الإتمام في الأماكن الأربعة، والظاهر أنّ استظهر من التعليل فيها العموم ـ: «وهو في محلّه».

وعنون ابن قولويه الباب ٨١ من كتاب كامل الزيارات بقوله: «التقصير في الفريضة والرخصة في التطوع عنده وجميع المشاهد» وذكر في ذلك الباب روايات استحباب التطوع في الأماكن الأربعة للمسافر وفي مشاهد النبي صلى الله عليه وآله وهو عنوان خامس وموضوع فضيلة التطوع في السفر هو موضوع التخيير في الفريضة، فيظهر منه اعتماده على وجه آخر في التعميم.

وقد يستظهر من الشيخ المفيد التمايل إلى التعميم لكل مراقد الأئمة عليهم السلام وذلك لما رواه في المزار الكبير والصغير من ثواب وفضيلة صلاة الفريضة عند الحسين عليه السلام ففي باب (٥٩) من المزار الكبير الذي عنونه بقوله (باب فضل الصلاة عند مشهد الحسين عليه السلام) وقال في مقدمة هذا الباب قد كنا دعونا في ما تقدم إلى الإكثار من الصلاة في مشهد أبي عبدالله عليه السلام لفضل ذلك وعظم ثوابه ويجب أن يؤدي الفرائض بأسرها والنوافل كلها طول المقام هناك فيه وأفضل المواضع للصلوات منه عند رأس الإمام عليه السلام.

ثم روى في الباب فضيلة كل ركعة فريضة عند الحسين عليه السلام وفضيلة كل ركعة نافلة، وروى الحديث الثالث في الباب بسنده عن هارون بن مسلم عن أبي علي الحراني عن الصادق عليه السلام في من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتبت له حجة وعمرة وفي ذيل الرواية (قال قلت له:

جعلت فداك وكذلك لكل من أتى قبر إمام مفترضة طاعته قال: نعم)[١] وقد روي هذا الحديث عن هارون بن مسلم بطرق متعددة وبألفاظ مختلفة في كامل الزيارات[٢] وفي التهذيب[٣] وفي المزار الكبير للمشهدي[٤]، ورواه الشيخ المفيد أيضاً بطريق آخر في المزار الصغير[٥].

وقال في المزار الثاني (الصغير) الباب (١٨) (باب مختصر: فضل زيارة السيدين أبي الحسن علي بن محمد وأبي محمد الحسن بن علي العسكريين عليهما السلام) ثم روى الحديث الثاني بقوله وتقدم أيضا عن أبي عبدالله عليه السلام: (من زار إماما مفترض الطاعة بعد وفاته وصلى عنده أربع ركعات كتب الله له حجة وعمرة)[٦] انتهى. فحكم قدس سره باستحباب إكثار الصلاة عند العسكريين عليهما السلام بعين ما تقدم من الدليل على استحباب إكثار الصلاة عند الحسين عليه السلام، حيث قال في المزار الأول (الكبير) في الباب (٥٦) بعد ذكر زيارة الحسين والعباس عليهما السلام: (ثم ارجع إلى مشهد الحسين عليه السلام وأكثر من الصلاة فيه والزيارة والدعاء)[٧] ومن ثَمّ قال في العبارة المتقدم نقلها في صدر الباب (٥٩): (قد كنا دعونا في ما تقدم إلى الإكثار من الصلاة في مشهد أبي عبدالله عليه السلام

---

(١) كتاب المزار: الأول (الكبير): باب ٥٩ ح ٣ ص١١٦ - ١١٨. ط .قم ممدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه.
(٢) كامل الزيارات: باب ٨٣ ح ٣ ص٤٣٤.
(٣) التهذيب: ج٦ كتاب المزار باب ٢٦ ح٤ ص٧٩.
(٤) المزار الكبير: القسم الأول، الباب الأول: ح١٦ ص٣٩.
(٥) كتاب المزار: الثاني (الصغير): باب ١١ ح٣ ص١٦٠.
(٦) كتاب المزار: الثاني (الصغير): باب ١٨ ح٢ ص١٧٣.
(٧) كتاب المزار: الأول (الكبير): الباب٥٦ ص١١١.

لفضل ذلك وعظم ثوابه ويجب أن يؤدي الفرائض بأسرها والنوافل كلها طول المقام هناك فيه وأفضل المواضع للصلوات منه عند رأس الإمام عليه السلام).

وقال في الباب اللاحق لذلك الباب (٦٠) والذي عنونه بقوله: (باب فضل إتمام الصلاة في الحرمين وفي المشهدين على ساكنهما السلام) قال: الأصل في صلاة السفر التقصير، لطفا من الله جل اسمه لعباده، ورحمة لهم وتخفيفا عنهم، وجاءت آثار لا شبهة في طريقها، ولا شك في صحتها بإتمام الصلاة في الأربعة مواطن لشرفها وتعظيمها، فكان التقصير فيها على الأصل للرخصة جائزا والإتمام أفضل)[1]. فجعل قدس سره موضوع الإتمام فضيلة إكثار الصلاة في تلك البقاع وموضوع استحباب إكثار الصلاة هو شرف وعظمة البقاع، وهذا بعينه ما ذكره ونبه عليه في زيارة العسكريين عليهما السلام وما ذكره من ذيل الرواية المتقدمة أن ذلك لكل من أتى قبر إمام مفترضة طاعته. بل إن في الباب (٦٠) باستحباب إتمام الصلاة في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام مع أن النصوص التي أوردها في الكوفة ومسجدها، كما أن جعله عنوان موضوع الإتمام هو الآخر يشعر باستظهار عموم هذا العنوان لكل مشاعر المعصومين عليهم السلام لإتحاد عنوان المشهد. بل قد صرح في باب (٤٤) باب صلاة زيارة أمير المؤمنين عليه السلام بقوله (فإن أردت المقام في المشهد أو ليلتك فأقم فيه وأكثر من الزيارة والصلاة والتحميد والتسبيح والتكبير والتهليل وذكر الله تعالى بتلاوة القرآن والدعاء والاستغفار، فإذا أردت الانصراف فودع أمير المؤمنين صلوات الله عليه)[2] وبنفس العبارة

---

(١) كتاب المزار: الأول (الكبير): الباب ٦٠ ص ١١٩.
(٢) كتاب المزار: الأول (الكبير): الباب ٤٤ ص ٨١.

أفتى الشيخ في المصباح[١] في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام مع أن الشيخ يفتي صريحا بالإتمام في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ومدينة النجف الأشرف.

وقال الكيدري البيهقي في إصباح الشيعة: «ويستحبّ الإتمام في السفر في أربعة مواطن: مكّة والمدينة ومسجد الكوفة والحائر. وروي في حرم الله وحرم الرسول وحرم أمير المؤمنين عليه السلام وحرم الحسين عليه السلام، فعلى هذه الروايات يجوز الإتمام خارج المسجد بالكوفة والنجف، وعلى الأوّل لا يجوز إلاّ في نفس المسجد، وقال المرتضى...»، ثمّ نقل كلامه المزبور[٢]. ولم يعلق عليه بشيء فيظهر منه التمايل إلى التعميم.

وفي التنقيح الرائع للسيوري قوّى قول المشهور على قول الصدوق بالمنع في الأماكن الأربعة، بقوله: «والأقوى قول الأصحاب، لأنّها أماكن شريفة، فناسب كثرة الطاعات فيها، ولروايات كثيرة بذلك... ثمّ إنّ السيّد وابن الجنيد جعلا مجموع المشاهد داخلة في هذا الحكم، والفتوى على خلافه»[٣].

وظاهر كلامه يعطي توقّفه في التعميم من دون جزم بالنفي.

وقال الميرداماد: «وألحق السيّد المرتضى وابن الجنيد مشاهد الأئمّة عليهم السلام بين القصر والإتمام، والمستحبّ الأفضل هناك هو الإتمام، وظاهرهما تحتّمه، وعمّم الصدوق القصر تحتّما، والأقرب تخصيص التخيير مع استحباب الإتمام بالمساجد الثلاثة وما دار عليه سور الحضرة الحسينيّة، وما حوته قبب المشاهد

---

(١) مصباح المتهجد: الباب الرابع: ص٣٢١.
(٢) إصباح الشيعة ص٩٢ .
(٣) التنقيح الرائع: ج١ ص٢٩١.

المنوّرة دون البلدان. وقال بعض الأصحاب بذلك في البلدان، وقال في المعتبر: الحرمان كمسجديهما بخلاف الكوفة»[١]. ثمّ نقل عبارة المبسوط.

وظاهره التعميم لكلّ المشاهد المنوّرة للمعصومين عليهم السلام، لأنّه في صدر كلامه نقل كلا الخلافين في التعميم موضوعاً وفي المحمول من جهة الوجوب أو التخيير أو المنع، فاختار التخيير في الحكم والتعميم في الموضوع.

ثمّ إنّه يستفاد من كلامه قدس سره استظهار أنّ العدد (أربعة) من الروايات قيد للبلدان، وإلاّ فالمشاهد عنوانها عام غير مقيد بالأربعة، وتقريبه ما سيأتي في الوجه الثالث من ورود عنوان مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله باندراجها فيه، كاندراج بيوت أهل البيت عليهم السلام في بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله، والظاهر أنّ ابن بابويه وابن قولويه والمرتضى وابن الجنيد اعتمدوا عليه لا على التعليل فقط.

وقال في منتهى المطلب في مقام الردّ على منع الصدوق من الإتمام في الأماكن الأربعة: «ولأنّها مواضع اختصّت بزيادة شرف، فكان إتمام العبادة فيها مناسباً لتحصيل فضيلة العبادة فيها، فكان مشروعاً»[٢].

وفي المختلف قال في ردّ الصدوق: «لنا: أنّها مواطن شريفة يستحبّ فيها الإكثار من الطاعات والنوافل، فناسب استحباب إتمام الفرائض»[٣].

وقال الشيخ حسين العصفوري في كتابه سداد العباد: «شرط تحتّم القصر أن لا يكون بمكّة ولا بالمدينة ولا بالكوفة ولا الحائر الحسيني، بل الحرم له

---

(١) عيون المسائل ص٢١٠.
(٢) منتهى المطلب: ج٦ ص٣٦٥.
(٣) مختلف الشيعة: ج٣ ص١٣٢.

أجمع ومشاهد الأئمّة عليهم السلام على الأحوط، لأنّه يخيّر في هذه الأمكنة كلّها والتمام أفضل، بل كاد أن يكون متعيّناً، لا سيّما في الكوفة وحائر الحسين عليه السلام، وأخبار تحتّم القصر محمولة على التقيّة لئلاّ ينسبونا إلى التلاعب في الدين»[١].

وقال الشيخ العصفوري في كتاب الفرحة الانسيّة: «ولا بأس بالتمام في المشاهد كلّها، كما هو ظاهر المرتضى والإسكافي، ويشهد لهما خبر الفقه الرضوي، وظاهره أنّ الفضل فيه، والجمع بين القصر والتمام فيها طريق الاحتياط والسلامة من الخلل»[٢].

أقول: ذكر نمطين للاحتياط: الأول باختيار الإتمام، والثاني بالجمع بين القصر والتمام، وذلك مراعاة للقول بتعين الإتمام الذي ذهب إليه ابن الجنيد والسيد المرتضى، والقول بتعين القصر الذي ذهب إليه الصدوق وجملة من فقهاء الرواة، فما عرف من أن الإتمام أفضل والقصر أحوط، على إطلاقه ليس في محله، بل الاحتياط هو بالجمع بينهما، والإتمام أفضل.

وحكى عنه تلميذه الشيخ عبدالله الستري في كتابه الكنز، قال: «والمرتضى والإسكافي ظاهرهما تحتّم الإتمام في جميع مشاهد الأئمّة عليهم السلام وشيخنا رحمه الله خيّر فيها كلّها، وزاد مسجد براثا».

وقال في المختلف أيضاً: «وقال السيّد المرتضى: لا تقصير في مشاهد الأئمّة عليهم السلام، وهو اختيار ابن الجنيد.

قلنا: الأصل الدالّ على وجوب القصر على المسافر.

---

(١) سداد العباد ورشاد العباد: ص١٦٩.
(٢) الفرحة الإنسية ص١٧٥.

احتجّا بأنّها من المواضع المشرّفة فاستحب فيها الإتمام كالأربعة»

ونقل عن النهاية والمبسوط قولهما: «وقد رويت رواية بلفظ آخر وهو أن يتمّ الصلاة في حرم الله وفي حرم رسوله وفي حرم أمير المؤمنين عليه السلام وفي حرم الحسين عليه السلام، فعلى هذه الرواية جاز التمام خارج المسجد بالكوفة وبالنجف، وعلى الرواية الأُخرى لم يجز، إلاّ في نفس المسجد».

وقال: «قال ابن الجنيد: والمسجد الحرام لا تقصير فيه على أحد، ومكّة عندي يجري مجراه، وكذلك مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ومشاهد الأئمّة القائمين مقام الرسول عليه السلام، فأمّا ما عدا مكّة والمشاهد من الحرم فحكمها حكم غيرها من البلدان في التقصير والإتمام.

وقال الشيخ في التهذيب (لمّا روى حديث زياد القندي قال: قال أبو الحسن موسى: **أُحبّ لك ما أُحبّ لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، أتمّ الصلاة في الحرمين وعند قبر الحسين عليه السلام وبالكوفة.** وحديث أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **تمّم الصلاة في أربعة مواطن: في المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين عليه السلام**، وليس لأحد أن يقول لأجل هذا الخبر والخبر المتقدّم الذي رواه ابن منصور، أنّ الإتمام مختصّ بالمسجد الحرام ومسجد الكوفة، فإذا خرج الإنسان منهما فلا تمام، لأنّه لا يمتنع أن يكون في هذين الخبرين قد خصّا بالذكر تعظيماً لهما، ثمّ ذكر في الأخبار الأُخر ألفاظ يكون هذان المسجدان داخلين فيه، وإن كان غيرهما داخلاً فيه، وهذا غير مستبعد ولا متناف.

وقد قدّمنا من الأخبار ما يتضمّن عموم الأماكن التي من جملتها هذان المسجدان منها: حديث حمّاد بن عيسى، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: **في**

حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام وبعده حديث زياد القندي، فإنّه قال: **أتمّ الصلاة في الحرمين وبالكوفة** ولم يقل مسجد الكوفة، وما تقدّم من الأخبار في تضمّن ذكر الحرمين على الإطلاق، فهي أكثر من أن تحصى، وإذا ثبت أنّ الإتمام في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله هو المستحبّ دون المسجد على الاختصاص، وإن كان قد خصّ في هذين الخبرين، فكذلك في مسجد الكوفة، لأنّ أحداً لم يفرّق بين الموضعين، وكذا قال في الاستبصار»[1].

وقال الشريف المرتضى في جمل العلم والعمل: «ولا تقصير في مكّة ومسجد النبيّ صلى الله عليه وآله ومسجد الكوفة ومشاهد الأئمّة القائمين مقامه»[2]، وقال بنفس اللفظ في رسائله.

ومن ذلك يتحصّل ذهاب كلّ من عليّ بن بابويه والشلمغاني ـ فترة استقامته ـ وابن قولويه في كامل الزيارات، وابن الجنيد، والمرتضى، والميرداماد في رسالته[3] عيون المسائل، والشيخ حسين العصفوري البحراني ـ ابن أخ صاحب الحدائق ـ في السداد، ويستظهر من كلام الشيخ المفيد في المزار الأول والثاني، وتمايل إليه المجلسي والبروجردي في مسجد براثا، ويظهر تمايل الكيدري في إصباح الشيعة إلى قول المرتضى، وتوقف السيوري في التعميم ولم يجزم بالنفي.

بلْ قدْ مر اعتراف الوحيد وصاحب الرياض بتمامية مستند التعميم لولا خوف مخالفة الإجماع ودعوى منافاته للأخبار المتواترة، وقد تقدم منع دعوى الإجماع ووهن دعوى المنافاة للأخبار.

---

(١) مختلف الشيعة ج٣ ص١٣٥ ـ ١٣٧.
(٢) جمل العلم والعمل ص٧٨.
(٣) عيون المسائل (الرسائل الإثنى عشر) ص ٢١٠.

أقوال أخرى في التوسعة من جهات أُخرى:

١ ـ قال الشيخ المفيد في المزار الأول (الكبير) الباب (٦٠) تحت عنوان (باب فضل إتمام الصلاة في الحرمين وفي المشهدين على ساكنهما السلام) وقد مر تقريب صراحة هذا التعبير في فتواه بالإتمام في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام ومدينة النجف، ويستظهر من كلامه: أن الأصل في الإتمام في الكوفة هو حرم أمير المؤمنين عليه السلام ومشهده ومرقده، وأن المسجد تابع له، وهو الذي أشار إليه تلميذه الشيخ الطوسي في عبارة المبسوط الآتية.

٢ ـ وذهب الشيخ الطوسي في المبسوط والنهاية إلى الإتمام عند مرقد أمير المؤمنين عليه السلام. قال: «وقد روي الإتمام في حرم الله وحرم الرسول وحرم أمير المؤمنين عليه السلام، فعلى هذه الرواية يجوز الإتمام خارج المسجد بالكوفة والنجف، وعلى الرواية الأُولى لا يجوز إلاّ في نفس المسجد، ولو قصّر في هذه المواضع كلّها كان جائزاً، غير أنّ الأفضل ما قدّمناه»[1].

٣ ـ وذهب إلى ذلك الكيدري في إصباح الشيعة[2].

٤ ـ وقال في الذكرى: «فهل الإتمام مختصّ بالمساجد نفسها أو يعمّ البلدان؟ ظاهر أكثر الروايات أنّ مكّة والمدينة محلّ لذلك، فعلى هذا يتمّ في البلدين، أمّا الكوفة ففي مسجدها خاصّة قاله في المعتبر، والشيخ ظاهره الإتمام في البلدان الثلاثة» ثمّ نقل قول ابن إدريس والمختلف بالاختصاص إلى خصوص المشهد والمسجد، ثمّ قال: «وقول الشيخ هو الظاهر من

---

(١) المبسوط: ج١/ ص١٤١.
(٢) إصباح الشيعة ص٩٤.

الروايات وما فيه ذكر المسجد منها فلشرفه لا لتخصيصه»[١].

أقول: ما ذكره من عدم تخصيص البلدان بما ورد بعنوان المساجد، وأنّ ذكر المساجد من باب الأبرز شرفيّة، وإلاّ فالعنوان العامّ باق على عمومه بعد كونها مثبتين استغراقيّين، يتأتّى بعينه ـ كما ذكر ابن قولويه في كامل الزيارات والميرداماد ـ بين عنوان الأماكن الأربعة وعنوان مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله الذي ذكر خامساً في الروايات، وكذلك عنوان فضل إكثار الصلاة وزيادة الخير، فإنّه عنوان يعمّ ما ثبت من الشرع قدسيّته وشرفه وكونه روضة وبقعة من بقاع ورياض الجنّة يستحبّ فيه إكثار الصلاة.

هذا، ثمّ قال في الذكرى: «والشيخ نجيب الدين يحيى بن سعيد ـ في كتاب السفر له ـ حكم بالتخيير في البلدان الأربعة حتّى في الحائر المقدّس لورود الحديث بحرم الحسين عليه السلام، وقدّر بخمسة فراسخ وبأربعة وبفرسخ، قال: والكلّ حرم، وإن تفاوتت الفضيلة». وفي الحقيقة أنّ الشهيد ارتكز لديه كلّ من عموميّة الموضوع ـ وهو الوجه الأوّل الآتي، وعليّة شرفيّة المكان وفضيلته ـ وهو الوجه الثاني الآتي. وقدْ مرَّ أن هذين الوجهين للتعميم ذكرهما الشيخ المفيد في المزار الأول والثاني.

٥ ـ وفي مزار المفيد في بابٍ عقده للإتمام في كربلاء بعنوان «باب فضل الحائر وحرمته وحدّه» ونقل فيه عدّة روايات، ثمّ قال: «وكأنّ أقصى الحرم على الحديث الأوّل خمسة فراسخ، وأدناه من المشهد فرسخ، وأشرف الفرسخ (٢٥) ذراعاً، وأشرف (٢٥) ذراعاً (٢٠) ذراعاً، وأشرف

---

(١) الذكرى ج٤ ص٢٩١.

العشرون ذراعاً ما شرف به، وهو الجدث نفسه، وشرف الجدث الحالّ فيه صلوات الله عليه»[١].

٦ـ وفي الدروس: «ويستشفى بترتبه من حريم قبره، وحدّه خمسة فراسخ من أربع جوانبه»[٢].

٧ ـ وقال الفيض الكاشاني في معتصم الشيعة: «ثمّ ها هنا نوع اختلاف بين الأصحاب نشأ من اختلاف الروايات؛ فقيل: إنّه يجوز الإتمام في مكّة و المدينة وإن وقعت الصلاة خارج المسجدين. وقيل: بل لا يجوز إلا فيهما.

و أمّا الحرمان الآخران فقيل: إنّ الجواز فيهما مختصّ بمسجد الكوفة والحائر، و هو ما دار سور المشهد و المسجد عليه على ما قاله ابن إدريس رحمه الله. وقيل: بل يعمّ خارج المسجد والنجف، و خارج الحائر إلى خمسة فراسخ أو أربعة فراسخ أيضاً.

والمعتمد في الأوّل الأوّل، وفي الأخير الأخير ـ كما عليه الأكثر ـ لأنّه المستفاد من الأخبار المعتبرة إنْ ثبت إطلاق حرم الحسين عليه السلام على ذلك في نصّ يعتدّ به، و إلا فيختص فيه خاصّة بالحائر أخذاً بالمتيقّن»[٣].

٨ ـ وقال المجلسي بعد نقل عبارة النهاية والمبسوط في توسعة الإتمام للنجف: «وكأنّه نظر إلى أنّ حرم أمير المؤمنين عليه السلام ما صار محترماً بسببه واحترام الغريّ أكثر من غيره، ولا يخلو من وجه يومئ إليه بعض الأخبار،

---

(١) المزار الباب ٦١ ص١٤٠ .
(٢) الدروس:ج٢ ص١١.
(٣) معتصم الشيعة في أحكام الشريعة: ج١ ص١٦٤.

والأحوط في غير المسجد القصر»[١]، انتهى.

٩ ـ فقد ذهب إلى عدم سقوط النوافل اليوميّة في الأماكن الأربعة كلّ من الشهيد في الذكرى، والسبزواري في الذخيرة.

١٠ ـ وكذلك صاحب الوسائل، بل عمّم صاحب الوسائل عدم سقوطها لكلّ المشاهد المشرّفة، مع أنّ موضوع عدم سقوط النوافل متّحد مع موضوع الإتمام، حيث عنون الباب (٢٦) من أبواب صلاة المسافر: «باب استحباب تطوّع المسافر وغيره في الأماكن الأربعة وفي سائر المشاهد، ليلاً ونهاراً، وكثرة الصلاة بها وإن قصّر في الفريضة» وفتواه هذه تشير إلى وجه دلالة الروايات الواردة في هذا الباب وهو التطوع في الأماكن الخمسة.

ويتحصل أن من ذهب من الأصحاب الأعلام إلى الإتمام في مدينة النجف ومرقد أمير المؤمنين عليه السلام ما يزيد على إثني عشر قائل، وذلك بضميمة من ذهب إلى التعميم مطلقاً.

ملحق الأقوال:

ذهب الشهيد الأول إلى أفضلية قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن قبر النبي صلى الله عليه وآله على مكة المكرمة قال في الدروس: «مكّة أفضل بقاع الأرض ما عدا موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وروي في كربلاء على ساكنها السلام مرجّحات، والأقرب أنّ مواضع قبور الأئمّة عليهم السلام كذلك، أمّا البلدان التي هم بها فمكّة أفضل منها حتّى من المدينة»[٢]. وهذا نظير ما نقله السمهودي

---

(١) البحار ج٨٦ ص٨٨.
(٢) الدروس: ج١ ص٤٧٠ الدرس ١١٨.

في وفاء الوفاء من إجماع علماء المسلمين بل ضرورتهم على أفضلية تراب قبر النبي صلى الله عليه وآله على الكعبة، بل نقل عن جملة منهم أن عموم حرم المدينة المنورة أفضل من الكعبة المكرمة[١].

تقريب الأدلّة على التعميم في موضوع التخيير:

وهو ما يظهر من أدلّة الإتمام في الأماكن الأربعة أنّ الموضوع للإتمام هو قدسيّة الموضع الموجبة لتضاعف ثواب الصلاة فيه، فيستحبّ إكثار الصلاة لذلك. والتقريب بعده وجوه:

الوجه الأوّل: اصطياد العموم في الموضوع من الأدلّة:

١ ـ محسّنة إبراهيم بن شيبة، قال: «كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام أسأله عن إتمام الصلاة في الحرمين؟

فكتب إليَّ: **كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ إكثار الصلاة في الحرمين، فأكثر فيهما وأتمّ**»[٢].

وهذه المحسّنة صريحة الدلالة على أنّ موضوع الإتمام هو الموضع الذي يستحب فيه إكثار الصلاة لعظم فضيلة الثواب فيه، فعطْف عليه السلام الإتمام في الحرمين علي ذلك كالتفريع، وابتدأ عليه السلام جواب السؤال بتقديم بيان الموضوع، وهو استحباب إكثار الصلاة، تبيانا لكون هذا العنوان هو أصل الموضوع، فهذا من باب اصطياد عموم الموضوع لا التعليل للحكم كي يردّد فيه بين كونه علّة للحكم أو حكمة له لا يتعدّى منها، ومن ثمّ

---

(١) وفاء الوفاء ج١: الفصل الأول في تفضيلها على غيرها من البلاد.
(٢) وسائل الشيعة: أبواب صلاة المسافر ب٢٥ ح١٨.

استظهر ابن قولويه والمرتضى وابن الجنيد عموم الموضوع، ويلوح ذلك من المفيد في المزار.

والغريب أنّ العلّامة في المختلف مع اعتراضه عليهم بأنّ هذا قياس ولا نقول به أنّه نفسه قدس سره جعله عنوانا لموضوع إتمام الصلاة في الأماكن الأربعة رداً على الصدوق المانع من الإتمام فيها بقوله استدلالاً عليه: «لنا: أنّها مواطن شريفة يستحبّ فيها الإكثار من الطاعات والنوافل، فناسب استحباب إتمام الفرائض»[1].

فالتدافع واضح لدى العلاّمة قدس سره ومَن استشكل بذلك، فإنّهم جعلوا موضوع الإتمام ما استظهروه من الروايات وهو شرافة الموطن وكثرة ثواب الصلاة فيه. نعم، شرافة الموطن بكونه مشهداً شهده نبيّ أو وصيّ نبيّ وصلّيا فيه، وكونه روضة من رياض الجنّة في الأرض، كما ورد توصيف الأماكن الأربعة بذلك لا مطلق استحباب إكثار الصلاة لأجل طبيعة الصلاة نفسها، كما في المسجد الجامع لكلّ بلد وإن اكتسبت مزية لأجله، بل الاستحباب لقدسيّة المكان كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ١٢٥﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦﴾[3]، فالموضوع كلّ موطن شعّر تقديساً منه تعالى كروضة من رياض الجنّة.

٢ ـ وكذا صحيح عليّ بن مهزيار، قال: «كتبت إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام:

---

(١) المختلف: ج ٣ ص ١٣٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٣) سورة النور: الآية ٣٦.

إنّ الرواية قد اختلفت عن آبائكعليهم السلام في الإتمام والتقصير للصلاة في الحرمين، فمنها: أن يأمر بتتميم الصلاة ولو صلاة واحدة، ومنها: أن يأمر بتقصير الصلاة ما لم ينو مقام عشرة أيّام، ولم أزل على الإتمام فيهما إلى أن صدرنا من حجّنا في عامنا هذا، فإنّ فقهاء أصحابنا أشاروا عليَّ بالتقصير إذا كنت لا أنوي مقام عشرة، وقد ضقت بذلك حتّى أعرف رأيك.

فكتب بخطّهعليه السلام: **قد علمت ـ يرحمك الله ـ فضل الصلاة في الحرمين على غيرهما، فأنا أُحبّ لك إذا دخلتهما أن لا تقصّر، وتكثر فيهما من الصلاة.**

فقلت له بعد ذلك بسنتين مشافهة: إنّي كتبت إليك بكذا فأجبت بكذا.

فقال: **نعم**.

فقلت: أيّ شيء تعني بالحرمين؟

فقال: **مكّة والمدينة...** » الحديث[1].

وتقريب الدلالة في هذه الصحيحة من جهتين:

الأُولى: صدر جوابهعليه السلام ـ حيث قالعليه السلام: «**فضل الصلاة في الحرمين على غيرهما** » ـ بمثابة بيان الموضوع للإتمام، ولم يوردعليه السلام أيّ لفظ للتعليل، فالدلالة من باب اصطياد العموم (عموم الموضوع) من سياق الجواب، وسيأتي أنّ التخصيص بالحرمين من باب أبرز الأفراد، وإلاّ فقد ورد في الروايات ذكر الثلاثة، وذكر الأربعة، وذكر مكّة فقط، وفي لسان آخر ذكر

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب ٢٥ ح ٤. عن التهذيب ج٥ ص٤٢٩ رقم الحديث (١٤٨٧).

خمسة بضميمة مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله كما سيأتي.

الثانية: قوله عليه السلام: **«إذا دخلتهما أن لا تقصّر، وتكثر فيهما من الصلاة»**، فهذا بيان لتلازم إكثار الصلاة مع الإتمام في الموضوع، وهو كلّ موضع شريف ومقدّس ـ كما استظهر ذلك جملة من المتقدّمين ارتكازاً، كابن بابويه وابن قولويه والمرتضى وابن الجنيد والمفيد في المزار ـ يستحبّ فيه إكثار الصلاة لأجل شرافته يرجح فيه إتمام الصلاة في السفر، لأنّ الموضع ليس موضعاً تنقص فيه الصلاة، بل يستحبّ إكثارها، ويدعم ذلك ما سيأتي في المؤيّدات والشواهد من جعل ثواب كلّ ركعة فريضة عند الحسين عليه السلام بمنزلة ثواب حجّة، وثواب كلّ ركعة نافلة بمنزلة ثواب عمرة، وهذا الثواب بعينه قد قرّر في الصلاة عند بقيّة المعصومين عليهم السلام.

ثمّ إنّ في هذه الصحيحة عدّة فوائد لبحث المقام:

الفائدة الأُولى: أنّ هذه الصحيحة نصّ في تعميم الإتمام في كلّ المدينة وكلّ مكّة، وليس خصوص المسجدين، لأنّه عليه السلام مع ذكره عنوان الحرمين في جوابه الأوّل، إلاّ أنّه فسّرهما في جوابه الثاني بمكّة والمدينة دون خصوص عنوان المسجدين، ممّا يدلّ على أنّ ما ورد في ألسن الروايات من اختلاف، سواءً في العدد أو المساحة، من باب تعدّد مراتب الفضيلة لا الحصر.

الفائدة الثانية: أنّ الصحيحة حاكمة في جهة الصدور على الروايات المتعارضة في الظاهر، ونظير حكومة هذه الرواية جهتيّاً حكومة مصحّح عبدالرحمن بن الحجّاج[1] الناظر إلى الطائفتين جهتيّاً، فلا معنى لترجيح

---

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥، ح٦.

روايات القصر جهة على روايات الإتمام، مع أنّه لا معنى للتقيّة في الإتمام عند قبر الحسين عليه السلام.

الفائدة الثالثة: أنّه مع جعل موضوع الإتمام فضيلة إكثار الصلاة، إلاّ أنّه قد ورد في الحرم المكّي والمدني عدم استواء الفضيلة في كلّ مواضعهما:

كصحيحة أبي عبيدة، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في الحرم كلّه سواء؟

فقال: **يا أبا عبيدة، ما الصلاة في المسجد الحرام كلّه سواء، فكيف يكون في الحرم كلّه سواء.**

قلت: فأي بقاعه أفضل؟

قال: **ما بين الباب إلى الحجر الأسود**»[1].

ومثله موثّقة الحسن بن الجهم، قال: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن أفضل موضع في المسجد يصلّى فيه؟ قال: **الحطيم ما بين الحَجَر وباب البيت.**

قلت: والذي يلي ذلك في الفضل؟ فذكر أنّه عند مقام إبراهيم.

قلت: ثمّ الذي يليه في الفضل؟ قال: **في الحِجر.**

قلت: ثمّ الذي يلي ذلك؟ قال: **كلّ ما دنا من البيت** »[2].

وغيرها من الروايات في هذا الباب أيضاً.

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٣ ح٥.
(٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٣ ح٢.

بل قد ورد أنّ فضيلة الصلاة في المسجد الحرام تعدل ألف ضعف الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله كما في مرسلة الصدوق[١]، وفي موثقة مسعدة عشرة أضعاف[٢]، كما قد ورد أنّ الصلاة في بيت فاطمة عليها السلام أفضل من الصلاة في الروضة[٣].

وهذا يقرب أنّ درجات الفضيلة ـ مع اختلافها بعد قدسيّة المقام وشرافته ـ مندرجة في الموضوع العامّ، وأنّ التعميم لكلّ الحرم المكّي والحرم المدني قرينة على عموم الموضوع بما يشمل مراقد المعصومين عليهم السلام.

٣ ـ معتبرة أبي شبل (عبدالله بن سعيد الأسدي)، قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أزور قبر الحسين عليه السلام؟ قال: **زر الطيّب، وأتمّ الصلاة عنده.**

قلت: أُتمّ الصلاة؟ **!** قال: **أتمّ.**

قلت: بعض أصحابنا يرى التقصير؟ قال: **إنّما يفعل ذلك الضعفة**»[٤].

ولا يخفى دلالة الرواية على أنّ موضوع التمام قداسة المكان بقدسيّة المكين، وهي تومئ إلى عموم الموضوع، كما أنّها تشير إلى قيد آخر في الموضوع، وهو كلّ مكان مقدّس تشدّ إليه الرحال.

وقد عقد ابن قولويه أستاذ الشيخ المفيد في كامل الزيارات بابين في التعميم لكلّ مشاهد الأئمّة عليهم السلام وهما الباب (٨١) والباب (٨٢)، وباباً

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٢ ح٣.
(٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٢ ح٥.
(٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٩ ح١ وح٢.
(٤) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥ ح١٢.

خاصّاً وهو الباب (٨٣) لفضيلة صلاة الفريضة عند الحسين عليه السلام، وأنّها تعدل حجّة، وأنّ النافلة تعدل عمرة، والباب (٨١) عقد بعنوان (التقصير في الفريضة والرخصة في التطوّع عنده وجميع المشاهد)، والباب (٨٢) عقده بعنوان (التمام عند قبر الحسين وجميع المشاهد) وعلّق العلاّمة الأميني ـ حيث صحّح كامل الزيارات ـ على فتوى ابن قولويه في عنوان الباب (٨٢) بتعميم الإتمام لجميع المشاهد بقوله: «ليس في أخبار الباب ما يدلّ على الإتمام في غير المواطن الأربعة، فالتعبير بجميع المشاهد لا وجه له» وقد أوّل البعض كلام ابن قولويه بإرادة المواطن الأربعة من المشاهد، وهو خلاف شديد للظاهر، لأنّه في الباب السابق أورد روايات بلفظ «مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله» في قبال المسجدين والحرمين وقبر الحسين عليه السلام، وأضاف المشاهد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله.

وسنذكر في روايات الإتمام في الفريضة عدّة من الروايات الصحاح والموثّقات المشتملة على لفظ (مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله) في قبال المواطن الأربعة في الوجه الثالث الآتي.

٤ ـ وقد روي في كامل الزيارات بسنده عن أبي عليّ الحرّاني، قال: « قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لمَن زار قبر الحسين؟ قال: **مَن أتاه وزاره وصلّى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتب الله له حجّة وعمرة.**

قال: قلت: جُعلت فداك، وكذلك لكلّ مَن أتى قبر إمام مفترض الطاعة؟

قال: **وكذلك لكلّ مَن أتى قبر إمام مفترض الطاعة**»[1].

---

(١) كامل الزيارات: ب٨٣ ح٣ ص٢٦٥.

ورواه الشيخ المفيد في المزار عن أبي القاسم قال: حدثني علي بن الحسين رحمه الله، عن محمد بن يحيى العطار، عن محمد بن أحمد، قال: وحدثني محمد بن الحسين بن مت الجوهري، عن محمد بن أحمد، عن هارون بن مسلم، عن أبي علي الحراني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين صلوات الله عليه؟

قال: **من أتاه وزاره وصلى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتبت له حجة وعمرة.**

قال: قلت له: جعلت فداك، وكذلك لكل من أتى قبر إمام مفترضة طاعته؟ قال: **نعم**[1].

ورواه بطريق ثالث عن الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد بن طاهر الموسوي، عن أحمد بن محمد بن سعيد – ابن عقدة – قال: أخبرني أحمد بن يوسف قال : حدثنا هارون بن مسلم قال حدثني أبو عبد الله الحراني قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام[2]. الحديث.

ورواها بطريق موثّق الطوسي في التهذيب بسنده عن أحمد بن محمّد بن سعيد، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف، قال: حدّثنا هارون بن مسلم، عن أبي عبدالله الحرّاني ـ ولعله عيسى بن راشد ـ ومتنه كما في نسخة التهذيب ـ قال: « قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لمَن زار قبر الحسين عليه السلام؟

قال: **مَن أتاه وزاره وصلّى عنده ركعتين كُتب له حجّة مبرورة، فإن صلّى عنده أربع ركعات كُتبت له حجّة وعمرة.**

---

(١) المزار الأول (الكبير) ب٥٩ ح٣ ص١١٧-١١٨.
(٢) المزار الثاني (الصغير) ب ١١ ح٣ ص١٦٠.

قلت: جُعلت فداك، وكذلك لكلّ مَن زار إماماً مفترضة طاعته؟

قال: **وكذلك لكلّ مَن زار إماماً مفترضة طاعته**»[١].

ورواه المشهدي في المزار الكبير بالاسناد عن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة، قال: أخبرنا أحمد بن يوسف، قال: حدثنا هارون بن مسلم، قال: حدثني أبو عبد الله الحراني، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام[٢]. الحديث.

وأبو علي الحرّاني قد روى عنه ابن أبي عمير بسند صحيح في الفقيه[٣]. وقال عنه النجاشي: (أبو علي الحراني، ابن بطة عن أحمد بن محمد بن خالد عنه أبيه عن أبي علي بكتابه) وقال الشيخ: (أبو علي الحراني له كتاب رويناه بهذا الإسناد عن أحمد بن أبي عبد الله عنه) ويريد بهذا الإسناد: (عدة من أصحابنا عن أبي المفضل عن ابن بطة عن أحمد بن أبي عبد الله) فظهر من ذلك أنه صاحب كتاب رواه الأصحاب وروى عنه ابن أبي عمير الذي لا يروي إلا عن الثقات، كما روى عنه الثقة الجليل هارون بن مسلم والطرق مستفيضة إلى هارون بن مسلم. فطريق الرواية مصححة.

ثم إن هناك ملحقا لهذا الوجه الأوَّل لتبيان مزيد دلائل موضحة لعموم الموضوع.

الوجه الثاني: عموم الموضوع لعموم التعليل:

تضمنت جملة من الروايات الواردة في الإتمام في المواطن الأربعة تعليل الإتمام بأنه زيادة خير ـ أي: ثواب ـ وكذلك قد تضمنت ذلك

---

(١) التهذيب ج٦ كتاب المزار ب٢٦ ح٤ ص٧٩ .
(٢) المزار الكبير للمشهدي القسم الأول الباب الأول ح١٦ ص٣٩.
(٣) من لا يحضره الفقيه ج١ ص٤٠٨ ح١٢١٧.

التعليل الروايات الآمرة بإكثار التطوّع وهو صلاة النافلة في المواطن الأربعة وإن قصّر فى الفريضة ولم يقم:

١ ـ محسنة عمران بن حمران، قال: «قلت لأبي الحسن عليه السلام: أُقصّر في المسجد الحرام أو أُتمّ؟

قال: **إن قصّرت فلك، وإن أتممت فهو خير، وزيادة الخير خير**»[١].

٢ ـ صحيح الحسين بن المختار عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: «قلت له: إنّا إذا دخلنا مكّة والمدينة نتمّ أو نقصّر؟

قال: **إن قصّرت فذلك، وان أتممت فهو خير تزداد**»[٢].

٣ ـ التعليل بالخيريّة الوارد في جملة روايات[٣] التطوّع في الأماكن الأربعة الآتي الإشارة إلى بعضها.

٤ ـ التعليل لفضيلة الحرمين والمسجدين بأنّه قد صلّى فيهما الأنبياء وإضافة الروضة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وإلى فاطمة عليها السلام، وهذا من قبيل علّة العلّة وتعليل التعليل، أي تعليل الإتمام بفضيلة المسجدين والحرمين، ثمّ تعليل فضيلتهما بأنّ الأنبياء قد صلّوا فيهما أو إضافتهما لأهل البيت عليهم السلام.

ويدلّ على ذلك:

أ ـ مصحّحة ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام،

---

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥ ح١١.
(٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥ ح ١٦.
(٣) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٦.

قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة، ومنبري على تُرعة من تُرع الجنّة، لأنّ قبر فاطمة عليها السلام بين قبره ومنبره، وقبرها روضة من رياض الجنّة، وإليه تُرعة من تُرع الجنّة**»(١).

وفي هذا المصحّح تعليل لفضيلة المسجد النبويّ، بل لأفضل موضع منه بكونه موضع قبر فاطمة عليها السلام.

ب ـ صحيحة أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «**مسجد كوفان روضة من رياض الجنّة، صلّى فيه ألف نبيّ وسبعون نبيّاً، وميمنته رحمة، وميسرته مكر، فيه عصا موسى، وشجرة يقطين، وخاتم سليمان، ومنه فار التنّور ونجرت السفينة وهي صرّة بابل، ومجمع الأنبياء**»(٢).

وظاهر الصحيحة أنّه علّل فضيلته بأنّه روضة من رياض الجنّة و (أنّه قد صلّى فيه الأنبياء).

ج ـ وفي رواية أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام: «**نعم، المسجد مسجد الكوفة، صلّى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ**»(٣).

د ـ وفي معتبرة هارون بن خارجة عن أبي عبدالله عليه السلام تعليل فضله: «**وتدري ما فضل ذلك الموضع؟ ما من عبد صالح ولا نبيّ، إلاّ وقد صلّى في مسجد كوفان، حتّى إنّ رسول الله لمّا أسرى الله به... ثمّ ذكر عليه السلام صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد**»(٤).

---

(١) الوسائل: أبواب المزار: ب١٨ ح٥.
(٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٤٤ ح١.
(٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٤٤ ح٢.
(٤) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٤٤ ح٣.

هـ ـ وفي رواية لأبي حمزة الثمالي: «أنّ عليّ بن الحسين أتى مسجد الكوفة عمداً من المدينة فصلّى فيه ركعات، ثمّ عاد حتّى ركب راحلته وأخذ الطريق»[١].

و ـ وفي محسنة أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «قلت له: أي البقاع أفضل بعد حرم الله وحرم رسوله؟

قال: **الكوفة ـ يا أبا بكر ـ هي الزكيّة الطاهرة، فيها قبور النبيّين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث الله نبيّاً إلاّ وقد صلّى فيه**»[٢].

وفي هذه الرواية دلالة على قدسية كل الكوفة لا خصوص مسجدها ومسجد السهلة.

ز ـ ما رواه ابن طاووس في فرحة الغريّ بسند متّصل عن أبي أُسامة، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «سمعته يقول: **الكوفة روضة من رياض الجنّة، فيها قبر نوح وإبراهيم، وقبور ثلاثمائة نبيّ وسبعين نبيّاً وستّمائة وصيّ**، وقبر سيّد الأوصياء وأمير المؤمنين عليه السلام»[٣].

وفي هذه الرواية إطلاق الكوفة وشمولها لكل النجف الأشرف.

فذلكة في التعليل:

وظاهر تلك الرواية تعليل فضيلة الكوفة وشرفها وقدسيّتها بكونها روضة من رياض الجنّة، ولا يخفى أنّ التعليل في هذه الرواية ـ بل في ما

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٤٤ ح٦.
(٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٤٤ ح١٠.
(٣) الوسائل: أبواب المزار: ب٢٧ ج٦.

تقدم ـ هو في سياق بيان علّة الحكم لا علّة وجود عنوان تكويني للكوفة أو للمسجد الحرام أو للحرم النبويّ، بل في صدد بيان علّة موضوعيّة الموضوع للحكم، وقد بنى المحقّق النائيني في الفرق بين علّة الحكم وحكمته أنّ كلّ عنوان يدرك العرف وجوده وموارد تواجده، ويفهم عرفاً ويكون صالحاً لديهم كضابطة، فإنّه يكون من قبيل علّة الحكم، أي الموضوع الأصلي لذلك الحكم، وأنّ ما بيّن من عنوان أخر للموضوع فإنّه من أفراده ومصاديقه.

وهذا التقريب مطّرد في كلّ روايات هذا الوجه الثاني.

ثمّ إنّ في الرواية فائدة أُخرى، وهي تعليل كون الكوفة روضة من رياض الجنّة، أي تعليل عنوان الروضة بأنّ فيها قبر الأنبياء والأوصياء ممّا يفيد أنّ قبورهم عليهم السلام كلّها روضة من رياض الجنّة في الأرض.

ثمّ إنّ الرواية أبدت تمييزاً خاصّاً لقبر سيّد الأوصياء، كما هو الحال في روايات ذلك الباب الذي عقده صاحب الوسائل في أبواب المزار الباب (٢٧).

وممّا يشير إلى ما ذكرناه من تقريب التعليل ما استدلّ به العلاّمة الحلّي في منتهى المطلب وفي المختلف لردّ قول الصدوق المانع من الإتمام في الأماكن الأربعة، قال في المختلف: « منع الصدوق من الإتمام في هذه المواطن... وتبعه ابن البرّاج، والمشهور استحباب الإتمام. اختاره الشيخ والسيّد المرتضى وابن الجنيد وابن إدريس وابن حمزة.

قلنا: أنّها مواطن شريفة يستحبّ فيها الإكثار من الطاعات والنوافل، فناسب استحباب إتمام الفرائض»[1].

وذكر نفس العبارة في المنتهى في مقام الردّ على الصدوق.

---

(١) مختلف الشيعة: ج٣ ص١٣١-١٣٢.

وفي التنقيح الرائع للسيوري قوّى قول المشهور على قول الصدوق بالمنع في الأماكن الأربعة، بقوله: «والأقوى قول الأصحاب، لأنّها أماكن شريفة، فناسب كثرة الطاعات فيها، ولروايات كثيرة بذلك... ثمّ إنّ السيّد وابن الجنيد جعلا مجموع المشاهد داخلة في هذا الحكم، والفتوى على خلافه»[١].

وظاهر كلامه يعطي توقّفه في التعميم من دون جزم بالنفي.

وقال الشهيد الثاني في حاشية الشرائع في شرح قوله: «ولو صلّى واحدة بنيّة التمام لم يرجع... قال: المراد صلّى رباعيّة بنيّة التمام، واحترز بالنيّة عمّا لو صلاّها لشرف البقعة كأحد المواطن الأربعة»[٢].

٥ ـ ما ورد في فضل مسجد الغدير ففي صحيحة عبد الرحمان بن الحجاج قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الصلاة في مسجد غدير خم بالنهار وأنا مسافر، فقال: **«صل فيه فان فيه فضلا، وقد كان أبي عليه السلام يأمر بذلك»**[٣].

وفي صحيحة أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«إنه تستحب الصلاة في مسجد الغدير لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله أقام فيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو موضع أظهر الله عز وجل فيه الحق»**[٤]. فإن التعليل فيهما لعدم سقوط النوافل النهارية للمسافر بأن فيه فضلا إشارة إلى عموم الموضوع الذي جعل لعدم سقوط النوافل النهارية، وهو متحد مع موضوع الإتمام في الفريضة في السفر، هذا إن لم يكن عنوان الصلاة فيهما عام ظهورا للفريضة، ومثله التعليل بأن فيه ظهر الحق.

---

(١) التنقيح الرائع: ج١ ص٢٩١.
(٢) حاشية الشرائع: ص١٤٣.
(٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٦١ ح٢.
(٤) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٦١ ح٣.

الوجه الثالث: تعدّد ألسنة الموضوع للإتمام الواردة في الروايات:

بعضها اقتصر على الحرم المكّي، كصحيح معاوية بن عمّار[١].

وبعضها اقتصر على الحرمين، كموثّق مسمع عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: «كان أبي يرى لهذين الحرمين ما لا يراه لغيرهما، ويقول: إنّ الإتمام فيهما من الأمر المذخور»[٢].

مع أنّ لسانه يوهم الحصر في الاثنين دون غيرهما، ومع ذلك رفع اليد عنه بدلالة ما دلّ على غيره، ومنه نرفع اليد عن الأربع أو الثلاث بما دلّ على عموم الموضوع لكلّ موضع مقدّس بدلالة من الشرع عليه استحبّ فيه إكثار الصلاة والعبادة، كما هو مفاد الآيتين: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ (أي تعظّم) ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ (أي يتعبّد إليه) ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾، وكذا صحيح عليّ بن مهزيار[٣] المتقدم اقتصر على الاثنين.

وبعضها اقتصر على الثلاثة الحرمين وعند قبر الحسين عليه السلام أو مسجد الكوفة دون قبر الحسين عليه السلام بلفظ: «ثلاثة مواطن»، وبعضها اشتمل على الأربعة.

ويستفاد من ذلك أنّ عنوان الأربعة الوارد في الأدلّة ليس للتحديد، بل من باب أبرز المصاديق والأفراد، ومن ثمّ ورد في روايات التطوّع والنوافل في الأماكن الأربعة لسان وعنوان خامس وهو مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله[٤]

---

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥ ح٣.
(٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥ ح٢.
(٣) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥ ح٤.
(٤) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٦.

وهو عنوان آخر غير البلدان الأربعة، كما قرّب ذلك عدة من القدماء وبعض المتأخرين كالمير داماد.

وسنذكر التلازم بين موضوعي التطوع النهاري والإتمام في الصلاة كما هو مفاد مصححة أبي يحيى الحناط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صلاة النافلة بالنهار في السفر فقال: **«يا بني لو صلحت النافلة في السفر تمت الفريضة»**[1].

١ ـ صحيحة ابن أبي عمير، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: « سألته عن التطوّع عند قبر الحسين عليه السلام وبمكّة والمدينة وأنا مقصّر؟

فقال: **تطوّع عنده وأنت مقصّر ما شئت، وفي المسجد الحرام، وفي مسجد الرسول، وفي مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّه خير »**[2].

فإنّه لا يخفى دلالتها من وجهين:

الأوّل: ما مرّ من التعليل بأنّ إكثار الصلاة خير في الأرض ذات الشرافة والقدس، وهو جزء الموضوع للإتمام.

الثاني: عنوان مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّه ـ كما استظهره جملة من القدماء وعدة من المتأخرين كما مَرَّ ـ يغاير عنوان المساجد وعنوان البلدان الأربعة، بل هو ناصّ على شرافة المكان بإضافته للنبيّ صلى الله عليه وآله ويندرج فيه ما أُضيف إلى أهل بيته، كما قرّر في روايات الفريقين الواردة في أنّ من بيوته بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام.

---

(١) الوسائل: أبواب أعداد الفرائض ونوافلها: ب٢١ ح٥.
(٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٦ ح٢.

٢ ـ رواية عليّ بن أبي حمزة الظاهر روايتها عنه فترة استقامته، فتكون معتبرة، قال: «سألت العبد الصالح عليه السلام عن زيارة قبر الحسين عليه السلام، فقال: **ما أُحبّ لك تركه.**

قلت: وما ترى في الصلاة عنده وأنا مقصّر؟

قال: **صلّ في المسجد الحرام ما شئت تطوّعاً، وفي مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ما شئت تطوّعاً، وعند قبر الحسين عليه السلام، فإنّي أُحبّ ذلك.**

قال: وسألته عن الصلاة بالنهار عند قبر الحسين عليه السلام ومشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله والحرمين تطوّعاً ونحن نقصّر؟

فقال: **نعم، ما قدرت عليه»**[1].

والامتياز في دلالة هذه الرواية هو رغم أنّ جوابه عليه السلام الأوّل لم يشتمل على عنوان مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ أنّ الراوي ارتكازاً جعله عنواناً مقابلاً للحرمين وفهم واستظهر من لسان الأدلة عموم عنوان الموضوع وجوابه عليه السلام تقرير لهذا الارتكاز، ممّا يدلّ على إرادة الأرض التي فيها إضافة له صلى الله عليه وآله ممّا حصل مشهداً مهمّاً استحقّ به قدسيّة، وهذا تقريب صريح بالمغايرة بين عنوان المشاهد وعنوان الحرمين والمسجدين، كما تقدّم تقريب ذلك في صحيحة ابن أبي عمير.

٣ ـ موثّق إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: «سألت عن التطوّع عند قبر الحسين عليه السلام ومشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله والحرمين والتطوّع فيهنّ بالصلاة ونحن مقصّرون؟ قال: **نعم، تطوّع ما قدرت عليه هو خير»**[2].

---

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٦ ح١.
(٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٦ ح٤.

والتقريب فيه كما مرّ.

٤ ـ ما رواه ابن قولويه صحيحاً عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، قال: «سألت أيّوب بن نوح عن تقصير الصلاة في هذه المشاهد مكّة والمدينة والكوفة وقبر الحسين عليه السلام، والذي روي فيها، فقال: أنا أُقصّر، وكان صفوان يقصّر، وابن أبي عمير وجميع أصحابنا يقصّرون»[1].

وهذه الصحيحة وإن كانت في سيرة الرواة وما ذهب إليه فقهاء الرواة من مشروعيّة التقصير أو رجحانه أو تعيّنه حسب محتملات مفادها، إلاّ أنّ وجه الاستظهار للمطلوب منها هو تقرير الارتكاز لدى الأصحاب أنّ الأماكن الأربعة من باب مصاديق عنوان المشاهد الذي هو عنوان عامّ لا للحصر في شخص العناوين الأربعة، فيدعم بقيّة الروايات.

٥ ـ صحيحة عبد الرحمان بن الحجاج قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الصلاة في مسجد غدير خم بالنهار وأنا مسافر، فقال: «**صل فيه فان فيه فضلا، وقد كان أبي عليه السلام يأمر بذلك**»[2].

٦ ـ صحيحة أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إنه تستحب الصلاة في مسجد الغدير لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله أقام فيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو موضع أظهر الله عَزَّ وَجَلَّ فيه الحق**»[3] فإن التعليل فيهما بأن النبي صلى الله عليه وآله أقام أمير المؤمنين عليه السلام إشارة إلى عنوان مشاهد النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم)، وأن السفر لا يسقط فضيلة صلاة النافلة نهارا فيه، بل عموم طبيعة الصلاة

---

(١) كامل الزيارات ب ٨١ ح٩ ص٤٢٩.
(٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٦١ ح٢.
(٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٦١ ح٣.

ولو فريضة.

مع أن عبد الرحمن بن الحجاج وهو فقيه قد ارتكز لديه سببية السفر لسقوط النفل في النهار وعدم مشروعيتها فمن ثم استفهم عن عمومية فضيلة الصلاة في مسجد الغدير للمسافر ولو نهاراً.

٧ - الصدوق في الفقيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من أتى مسجدي مسجد قبا فصلى فيه ركعتين رجع بعمرة»**[١].

الوجه الرابع: التنصيص الخاص على تعميم الإتمام لقبول الأئمة المعصومين عليهم السلام:

١ ـ روي في كامل الزيارات في مصححة أبي عليّ الحرّاني (وهو عيسى بن راشد ظاهراً وقد تقدم الكلام في توثيق رواة الطريق) قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لمَن زار قبر الحسين عليه السلام؟

قال: **مَن أتاه وزاره وصلّى عنده ركعتين أو أربع ركعات كتب الله له حجّة وعمرة.**

قال: قلت: جُعلت فداك، وكذلك لكلّ مَن أتى قبر إمام مفترضة طاعته؟

قال: **وكذلك لكلّ مَن أتى قبر إمام مفترض طاعته»**[٢].

تعدّد ألفاظ المتن وتعدّد الطرق:

وقد تقدم جملة من الكلام في ذلك وأنه قد رواه كل من المفيد في

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٦٠ ح٣.
(٢) كامل الزيارات ب٨٣ ح٣.

المزارين والطوسي في التهذيب والمشهدي في المزار الكبير، وهذا المتن قد روي بطرق متعدّدة ومستفيضة عن هارون بن مسلم، عن أبي عليّ الحرّاني (الخزاعي)، وهي صحيحة السند.

ومضافاً لماتقدم من الطرق والمصادر فقد رواه ابن طاووس في مصباح الزائر عن الصادق عليه السلام في حديث ومتنه: **«أنّ مَن زار إماماً مفترض الطاعة بعد وفاته، وصلّى عنده أربع ركعات كتبت له حجّة وعمرة »**[1].

رواه بهذا المتن في البلد الأمين أيضاً. وهذا المتن رواه ـ قبل ابن طاووس – المفيد في موضع من المزار الثاني (الصغير) في الباب: مختصر فضل زيارة العسكريّين عليهما السلام[2]، وكذلك رواه في المقنعة تحت عنوان: «باب فضل زيارة أبي الحسن وأبي محمّد عليّ بن محمّد والحسن بن عليّ عليهما السلام: **«مَن زار إماماً مفترض الطاعة بعد وفاته وصلّى عنده أربع ركعات كتب الله له حجّة وعمرة »**[3].

والمدّعى في تقريب دلالة الرواية أنّ الترديد فيها بين الركعتين والأربع للتخيير في الفريضة بين القصر والتمام، اذ كما أنّه يستحبّ عمارة هذه المشاهد المقدّسة بالزيارة يستحبّ مؤكّداً أيضاً إقامة الفرائض والنوافل وإكثار الصلاة فيها، كما هو مفاد قوله تعالى في معلمية البيت الحرام أنه لإقامة الصلاة ولتولي ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام وهم النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٦٩ ح١٠.
(٢) المزار الثاني (الصغير) ب١٨ ح٢.
(٣) المقنعة: ج١ ص ٤٨٦.

أجمعين): ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[1].

وعلى هذا التقرير الآتي تفصيله تكون هذه الصحيحة ناصّة على التخيير في جميع مراقد المعصومين عليهم السلام، بينما احتمل المجلسي في ملاذّ الأخيار أنّ المراد بالصلاة صلاة زيارة كلّ إمام، وأنّ أقلّها ركعتان، والأربع أفضل، ويدفع هذا الاستظهار ما يدل على التقرير المتقدم من الشواهد التالية:

فقه ودلالة الرواية:

١ ـ ما في مزار المفيد، حيث أورد هذه الرواية في باب «فضل الصلاة في مشهد الحسين بن عليّ عليهما السلام» وقال: «ويجب أن تؤدّى الفرائض بأسرها والنوافل كلّها طول المقام هناك فيه، وأفضل المواضع للصلوات عند رأس الإمام عليه السلام. حدّثني أبو القاسم جعفر بن محمّد، قال: حدّثني جعفر بن محمّد بن إبراهيم، عن عبدالله بن نهيك، عن ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال لرجل: **يا فلان، ما يمنعك إذا عرضت لك حاجة أن تأتي قبر الحسين فتصلّي عنده أربع ركعات، ثمّ تسأل حاجتك؟ فإنّ الصلاة الفريضة عنده تعدل حجّة وصلاة النافلة عنده تعدل عمرة**»[2].

وهذا سند صحيح إلى ابن أبي عمير.

ولا يخفى أنّ هذه الصحيحة إلى ابن أبي عمير نصّ في إرادة الإتمام في الفريضة من «الأربع ركعات» الواردة في صحيحة الحرّاني، وأنّ الترديد

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.
(٢) المزار الأول (الكبير): ب٥٩ ح١.

بين الاثنتين والأربع، هو التخيير بين القصر والتمام.

وقد أورد صحيحة ابن أبي عمير المصرّحة بإرادة الفريضة من الأربع ركعات ابن قولويه في كامل الزيارات[١]. ورواه في التهذيب[٢] أيضاً.

٢ ـ ما في معتبرة عبدالله بن سعيد الأسدي (أبي شبل)، قال: « قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أزور قبر الحسين عليه السلام؟ قال عليه السلام: **زر الطيّب، وأتمّ الصلاة عنده**. قلت: أُتمّ الصلاة؟ قال: **أتمّ**. قلت: بعض أصحابنا يرى التقصير؟ قال: **إنّما يفعل ذلك الضعفة**»[٣].

وقد رواه كلّ من الكليني في الكافي، وابن قولويه في كامل الزيارات، والشيخ في التهذيبين.

وهذه الرواية ناصّة على أنّ شدّ الرحال والسفر إلى قبر الحسين عليه السلام لغايتين:

الأُولى: زيارته عليه السلام، **والثانية:** إقامة الفريضة عنده، وإتمامها فضل آخر، فكما أنّ إقامة الفريضة في المسجد الحرام والمسجد النبويّ لها من الفضل العظيم، فكذلك إقامة الفريضة عند الحسين عليه السلام حتّى أنّه قد روى المفيد في المزار، وابن قولويه في كامل الزيارات أنّ فضيلة كلّ ركعة من الفريضة عند الحسين عليه السلام تعدل ثواب ألف حجّة وألف عمرة، وإعتاق ألف رقبة، وكأنّما وقف في سبيل الله ألف مرّة مع نبيّ مرسل[٤].

---

(١) كامل الزيارات: ب٨٣ ح١.
(٢) التهذيب: ج٦ ص٧٣ ح١٤١.
(٣) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٥ ح١٢.
(٤) كامل الزيارات ب٨٣ ح٢. المزار الأول للمفيد ب٥٩ ح٢.

فبذلك يظهر أنّ الأمر بالزيارة لقبر المعصوم عليه السلام، والعطف عليه بالأمر بالصلاة عنده المراد منه هو إقامة الفريضة في الدرجة الأُولى، وإتمامها وإتيان النوافل والإكثار من التطوّع في الدرجة الثانية، فيكون الظاهر من مصححة الحرّاني من إتيان قبر الحسين عليه السلام وزيارته والصلاة عنده ركعتين أو أربع هو إقامة الزيارة والفريضة نظراً لِعظَم فضيلتها بإقامتها عنده مخيّراً بين التقصير (ركعتين) والإتمام (أربع).

وما يعزّز هذا الشاهد أنّ إقامة الفريضة عند الحسين عليه السلام أحد الغايات العباديّة ذات الفضيلة العظمى ـ مضافاً إلى ما تقدّم ـ ما أورده ابن قولويه في الباب الذي عقده الباب (٨٣) تحت عنوان: «إنّ الصلاة الفريضة عنده تعدل حجّة، والنافلة عمرة» فقد أورد في هذا الباب مصحّحة شعيب العقرقوفي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: «قلت له: مَن أتى قبر الحسين عليه السلام ما له من الثواب والأجر، جُعلت فداك؟ قال: **يا شعيب، ما صلّى عنده أحد الصلاة إلاّ قَبِلَها الله منه...**»[1] الحديث.

ومفادها صريح في كون أحد غايات قصد السفر والذهاب إلى قبر الحسين عليه السلام، وشدّ الرحال إليه، هو إقامة صلاة الفريضة عنده وقبولها ببركته.

٣ ـ إنّه قد نصّ في جملة من الروايات أنّ ثواب الحجّ والعمرة هو على التفصيل من أنّ ثواب الحجّة لركعة الفريضة وثواب العمرة لركعة النافلة، كما مرّ في الصحيح إلى ابن أبي عمير، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام المتقدّمة[2].

٤ ـ الشاهد الرابع: إنّ لسان ما ورد من الحثّ على إقامة الصلاة عند

---

(١) كامل الزيارات ب٨٣ ح٤.
(٢) المزار الأول (الكبير) للمفيد: ب٥٩. ح١.

قبر الحسين عليه السلام وقبر كلّ إمام مفترض الطاعة، ورد بعنوان (الصلاة عنده) وثواب إقامتها عنده، ومن الواضح أنّ التقييد بـ (عنده) في تلك الروايات المستفيضة أنّ هذه الصلاة رجحانها ليس من جهة كونها صلاة زيارة، وأنّ صلاة الزيارة مخيّرة بين الركعتين و الأربع في زيارة كلّ إمام، بل من جهة إقامة هذه الصلاة عند المعصوم، وإقامة الصلاة هذه من حيث هي هي عند المعصوم، وأبرز ذلك صلاة الفريضة والنوافل اليوميّة والنوافل ذات الأسباب.

٥ ـ الشاهد الخامس: أنّ عنوان (الأربع) في الصلاة باتَ عنواناً للإتمام في الفريضة، فالأمر بالركعتين أو بالأربع بلفظة «أو» لسان من ألسنة التخيير بين القصر والإتمام. ويبدو هذا واضحاً لَمن راجع مستفيض الروايات ومتواترها في أبواب صلاة المسافر، نظير مرفوعة محمّد بن أحمد بن يحيى، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام، قال: «**مَن صلّى في سفره أربع ركعات، فأنا إلى الله منه بريء**»[1].

وفي مرسلة الصدوق إسناد هذا القول إلى الرسول صلى الله عليه وآله[2].

كما قد أورد صاحب الوسائل في الباب (١٧) من أبواب صلاة المسافر عدّة من الأحاديث بلفظ: «**مَن صلّى ـ أو مَن يصلّي ـ في السفر أربع ركعات** » عنواناً للإتمام وغيرها من أبواب صلاة المسافر، كما قد ورد في تلك الأبواب أيضاً.

٦ ـ وقد روى الصدوق في ثواب الأعمال بسند متّصل عن أبي النمير، قال: «**قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ ولايتنا عرضت على أهل الأمصار فلم يقبلها**

---

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٢ح٨.
(٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر: ب٢٢ح٣.

قبول أهل الكوفة [شيء] ؛ وذلك أنّ قبر أمير المؤمنين عليه السلام فيه، وإنّ إلى لزقِهِ لقبراً آخر ـ يعني قبر الحسين عليه السلام ـ وما من آت أتاه يصلّي عنده ركعتين أو أربعاً، ثمّ سأل الله حاجته إلاّ قضاها له، وإنّه ليحفّه كلّ يوم ألف ملك»[1].

ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات بطريقين: أحدهما عن محمّد بن ناجيه، عن عامر بن كثير، عن أبي النمير، وهو غير طريق الصدوق إلى عامر بن كثير، عن أبي النمير، والطريق الآخر لابن قولويه بإسناد معتبر عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام.

ومفاد هذه الرواية المعتبرة (بطريقين) خصوصيّة إقامة الصلاة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وأنّه مخيّر بين القصر بركعتين أو الإتمام بالأربع، وأنّ ثوابها قضاء الحاجة. وهذه الرواية مختصّة بفضيلة إقامة الصلاة عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، والتخيير بين القصر والتمام، كما أنّها دالّة على أنّ الركعتين أو الأربع هي التخيير في الفريضة لا صلاة الزيارة النافلة.

ومتنها بطريق ابن قولويه عن الحلبي أنّ أبا عبدالله قال: **«إنّ الله عرض... وإنّ إلى جانبها قبراً لا يأتيه مكروب فيصلّي عنده أربع ركعات إلاّ رجعه الله مسروراً بقضاء الحاجة»**[2].

الوجه الخامس: عموم حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام للمشاهد المشرفة:

وتقريبه: أنّه قد ثبت نعت مراقدهم عليهم السلام بأنّها من حرم الله وحرم الرسول،

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٦٩ ح٤ وثواب الأعمال ص١١٤ ح٢٠.
(٢) كامل الزيارات ب:٦٩ ح٤.

كما ورد في الزيارات المستفيضة وغيرها، وأنّها من بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله، كما مرّت الإشارة إليه، منها ما ورد في صحيحة الحسين بن ثوير الواردة في آداب زيارة الإمام الحسين عليه السلام عن أبي عبد الله عليه السلام: **«إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فاغتسل على شاطئ الفرات والبس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافيا فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله»**[1] وحينئذ يندرج في لسان ما ورد في إتمام المسافر في حرم الله وحرم الرسول، ولا يشكل بظهورهما في القضيّة الخارجيّة، وأنّ التنزيل ليس بلحاظ مطلق الآثار، فإنّه يدفع بأنّ ظاهر أدلّة الإدراج أنّها بلحاظ حكم التعظيم والتقديس والفضيلة، فهي توسعة لعنوان الحرمين، لا سيّما مع ما مرّ في جملة من الروايات المعتبرة أنّ بيوت النبيّ وأهل بيته أعظم فضيلة من المسجدين، وأنّ أهم أسباب فضيلة المسجد الحرام هي أنّه صلّى فيه الأنبياء وفيه قبور سبعين نبيّاً أو أكثر في مواضع متعدّدة حول الكعبة.

ويعضده إطلاق الحرم على كل مراقدهم في الروايات، وقد أخذ عنوان الحرم في روايات الإتمام في المواطن الأربعة كما في الباب (٢٥) من أبواب صلاة المسافر وهو مشعر بعلية الحرمية للإتمام.

الملحق للوجه الأوَّل: لتبيين عموم الموضوع:

قال الشيخ خضر بن شلاّل (تلميذ العلاّمة بحرالعلوم) في أبواب الجنان في صدر كتابه تحت عنوان (شرف المشاهد): «والبيت الذي لا ريب أنّ مزيد شرفه عند أهل السماوات السبع والأرضين السبع كنار

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٦٢ ح١.

على علم، كمزيد شرف المدينة والنجف الأشرف وكربلاء وسائر المشاهد المشرّفة على ما عداها عندهم، سيّما ما اشتملت عليه من الروضات التي لا ريب أنّها من رياض الجنّة... (إلى أن قال ما يستفاد منه): ما يستفاد من كثير من وجوه العقل والنقل من أنّ روضة النبيّ وروضة ابن عمّه والأئمّة المعصومين أفضل من المسجد الحرام الذي قد مرّ أنّ الصلاة فيه بألف صلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قد مرّ أنّ الصلاة في مسجده بعشرة آلاف صلاة، سيّما بعد ملاحظة ما ورد عن الصادق عليه السلام أن المبيت عند عليّ يعدل[١] عبادة سبعمائة عام[٢]، وعند الحسين سبعين عاماً[٣]، وأنّ الصلاة عند عليّ مائتي ألف صلاة.

وعن مولانا الرضا عليه السلام، أنّه قال: «**جوار أمير المؤمنين يوماً خير من عبادة سبعمائة سنة، وعند الحسين خير من عبادة سبعين عاماً**»، وخصوصاً بعد ملاحظة الاعتبار وتتبّع السير والآثار، وما جاء في قبر النبيّ صلى الله عليه وآله والمدينة وقبر فاطمة وقبور الأئمّة المعصومين عليهم السلام ومشاهدهم من مزيد الفضل.

ثمّ ذكر فضائل للمدينة المنوّرة والغريّ وكربلاء، ثمّ نقل قول الشهيد في الدروس: «إنّها (أي مكّة) أفضل بقاع الأرض ما عدا موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وروي في كربلاء مرجّحات، والأقرب أنّ قبور الأئمّة كذلك، أمّا البلدان التي

---

(١) والصحيح كما في الرواية أفضل كذا عند الحسين عليه السلام.

(٢) لاحظ كتاب الذريعة للطهراني في حرف (ميم) في ترجمة مدينة العلم للصدوق حيث ذكر سندا عن أحد الأعلام لرواية متضمنة لذلك وقد تضمنت فضل المبيت عند الحسين عليه السلام أيضا أنه أفضل من سبعين عاما أيضا .

(٣) مضافا لما تقدم من كتاب الذريعة روى ذلك ابن قولويه في كامل الزيارات في بابين بطريقين أن المبيت عند الحسين عليه السلام أفضل من عبادة سبعين عاماً .

هم بها فمكّة أفضل منها حتّى من المدينة»، انتهى كلام الدروس[١].

ثمّ قال الشيخ ابن شلاّل شرحاً لكلام الدروس: «كالصريح في (تفضيل) روضة قبر النبيّ وقبور الأئمّة على الكعبة الحرام، وفي كلام الأصحاب كقريب من ذلك الذي لا يشكّ فيه ذو مسكة، كما لا يشكّ في تفضيل بلدانهم على مكّه من سائر البلدان، وإن تأمّل في تفضيلها على مكّة التي قد يوجد في الأخبار المتواترة معنى ما يدلّ على مزيد فضل المدينة والنجف الأشرف وسائر بلدان الأئمّة على مكّة أيضاً، بل على الكعبة التي قد ورد أنّها تفاخرت مع كربلاء ففخرتها».

ثمّ ذكر جملة من الروايات الدالّة على تفضيل كربلاء على مكّة ومزاياها العديدة، وذكر أنّ حريم قبر الحسين عليه السلام إلى خمسة فراسخ مستشهداً لعدّة من الروايات، ونقل عن المجلسي قدس سره في البحار عن المصباح أنّ تعدّد حرمة حريم قبر الحسين من ترتّب هذه المواضع في الفضل.

ثمّ حكاه عن التهذيب، وهو موجود في المقنعة أيضاً، ثمّ قال: «قلت: والأمر في ذلك سهل بعد ما عرفت من كون المراد منه ترتّب الفضل الذي لا ريب أنّه كلّما قرب من الجدث الشريف كان آكد في سائر المشاهد التي لا يشكّ في كون روضاتها أفضل من الكعبة الحرام التي لا يشكّ في مزيد فضلها وفضل بلادها ومواقعها على ما عدا المشاهد الشريفة التي قد يعلم من النصوص وكثير من الوجوه أنّ بلدانها أفضل من سائر البلاد، وإن كان في تفضيلها على الكعبة الحرام إشكال لا يخلو منه تفضيله على المسجد

---

(١) الدروس الشرعية ج١ ص٤٥٧ (أفضل بقاع الأرض، وما يستحب فيها).

الحرام، بل سائر المساجد وإن ورد في المدينة والنجف وكربلاء والكوفة وغيرها ما ورد من النصوص التي قد تحمل على خصوص الروضة وما قاربها بأذرع، ولعلّه هو الوجه الجامع بين النصوص التي لا تلتئم إلاّ على تقديره الذي قد يكون هو المعلوم من مذهب الأصحاب وطريقتهم خلفاً عن سلف، وإن اشتهر من أمثال عصرنا تفضيل كربلاء على الكعبة الحرام حتّى نقل في الأشعار، وقال العلاّمة الطباطبائي: وفي حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علوّ الرتبة

وقد لا يريد إلاّ ما أشرنا إليه من مزيد فضل الروضة الشريفة وما قاربها على الكعبة وسائر المساجد وغيرها، كما قد لا يريد غير ذلك معظم مَن قد أشرنا إليه، فلا تغفل وتدبّر في ما يستفاد من أنّ مثل الصحن الشريف والرواق في النجف وكربلاء وسائر المشاهد المشرّفة أفضل من سائر المساجد حتّى المسجد الأعظم، بل والكعبة الحرام، فضلاً عن خصوص الروضات المشرّفة التي لا ينبغي التأمّل في مزيد فضلها وفضل مساكنهم في أيّام حياتهم على كلّ بقعة من بقاع الأرض على اختلاف في مراتبها من الفضل الذي لا ريب أنّه لرسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ لأخيه عليه السلام، ثمّ لولديه عليهما السلام، ثمّ لسائر الأئمّة عليهم السلام، ثمّ لسائر الأنبياء عليهم السلام على اختلاف مراتبهم أيضاً»[1].

وقال المحقّق السبزواري في الذخيرة في الصلاة عند القبور: «ولا ريب أنّ الإماميّة مطبقة على مخالفة قضيّتين من هذه، إحداهما البناء، والأُخرى الصلاة في المشاهد المقدّسة... والأخبار الدالّة على تعظيم قبورهم وعمارتها وأفضليّة الصلاة عندها، وهي كثيرة».

---

(١) أبواب الجنان: ص٥٢ ـ ٥٨.

وفي العروة قال اليزدي في فصل مكان المصلي في الأمكنة المستحبّة: «مسألة ٥: يستحبّ الصلاة في مشاهد الأئمّة عليهم السلام وهي البيوت التي أمر الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه، بل هي أفضل من المساجد، بل قد ورد في الخبر أنّ الصلاة عند عليّ عليه السلام بمائتي ألف صلاة، وكذا يستحبّ في روضات الأنبياء ومقام الأولياء والصلحاء والعلماء والعباد، بل الأحياء منهم أيضاً».

آية بيوت النور:

ثمّ إنّه هناك آيتان متطابقتان مع مفاد أدلّة تعميم الموضوع للإتمام، وبعبارة أخرى هما واردتان في بيان الموضوع لحكم الإتمام:

الأُولى: وهي الكبرى الأصليّة للموضوع، قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾[1].

وتقريب دلالة الآية على تحقق قيود موضوع الإتمام في جميع مشاهد المعصومين عليهم السلام لا خصوص الأماكن الأربعة:

القيد الأوّل: كون هذه البيوت هي بيوت المعصومين الأربعة عشر وبيوت الأنبياء وبعض المساجد العظيمة المقدّسة، وأفضلها بيت النبيّ وبيوت آله.

القيد الثاني: تقديس هذه البيوت، أي تشعيرها مشاعر من قِبله تعالى، كما قرّر هذا القيد الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

القيد الثالث: رجحان إكثار الصلاة ومطلق العبادة وذكر الله فيها.

وبهذا التقرير يندرج مفاد قوله تعالى على لسان إبراهيم في سورة

---

(١) سورة النور: الآية ٣٦.

إبراهيم تحت هذا المفاد الذي هو كالقاعدة الكلّيّة في آية النور، وهو قوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[1]، وكذا قوله تعالى ـ كما سيأتي ـ: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى ﴾[2].

وأمّا القيد الأوّل[3]، فقد استفاضت روايات أهل البيت عليهم السلام في أنّ أبرز مصاديق البيوت في الآية هي بيوت النبيّ وأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين)، كما في مستفيض الزيارات كالجامعة وروايات المعارف، بل قد بسطنا تقريب دلالة آيات النور الثلاث قبلها وبعدها على إرادة النبيّ وأهل بيته، كما نبّه على ذلك في إشارات الروايات، بل ورد في روايات الفريقين[4]، كما رواه السيوطي في ذيل الآية، وأخرجه عن جمع من المحدّثين المتقدّمين عندهم أنّ سائلاً سأل النبيّ عن هذه البيوت أهي بيوت الأنبياء؟ فأجاب صلى الله عليه وآله: **نعم**، فقام أبو بكر وأشار إلى بيت عليّ وفاطمة وقال: أهذا منها؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: **هو من أفاضلها**»[5].

وقد ورد في مستفيض روايات الزيارات استحباب الاستئذان قبل دخول مشاهدهم، وأفتى بذلك جماعة كثيرة من الأعلام وقد تضمّن لفظ الإستئذان كون المشهد بيتاً من بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد ورد في بعض نصوص

---

(١) سورة إبراهيم: البية ٣٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٣) لاحظ الإمامة الإلهية ج٤.
(٤) صحيح جميل بن دراج في الكافي: ج٤ ٥٥٦.
(٥) الدر المنثور: ذيل الآية.

الإستئذان فقرة:

«وَقَفْتُ عَلى بابِ بَيْت مِنْ بُيُوتِ نَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ السَّلامُ، وَقَدْ مَنَعْتَ النّاسَ الدُّخولَ إِلَى بُيُوتِهِ إِلاَّ بِـإِذْنِ نَبِيِّكَ صلى الله عليه وآله... ».

كما في المزار الكبير لابن المشهدي[١]. و أيضا تحت عنوان: الزيارة الأُولى الجامعة لسائر المشاهد على أصحابها أفضل السلام[٢]، وفي زيارة أمير المؤمنين في يوم الغدير[٣]، وفي البلد الأمين[٤]، ومصباح الكفعمي[٥]، ومزار الشهيد[٦]. وذكر السيّد ابن طاووس في آداب السرداب[٧] نقلاً عن نسخة قديمة من أصحابنا.

وأمّا القيد الثاني: وهو تقديس البيوت وتشعيرها، وقد بسطنا الكلام في ذلك في كتابنا الإمامة الإلهيّة في التوسّل، وقرّر غير واحد من الأعلام كالشيخ الكبير، أنّه يستفاد من الآية تشعير مراقد المعصومين عليهم السلام، لاسيّما بضميمة الأحاديث المستفيضة من الفريقين كالحديث النبويّ الوارد: **«ما بين بيوتي ومنبري روضة من رياض الجنّة »**[٨].

وقد فسّر تلك البيوت ببيوته وبيت عليّ وفاطمة وسائر المعصومين عليهم السلام، فلاحظ ثمّة.

---

(١) المزار لابن المشهدي ص٥٥.
(٢) المزار لابن المشهدي: ص٥٥٥.
(٣) المزار لابن المشهدي: ص ٦٤.
(٤) ص٧٦.
(٥) ص٤٧٢ .
(٦) ص١٩.
(٧) نقلناه عن البحار ج ٩٩ ص٨٣ وص١٤٥.
(٨) الكافي: ج٤ ص٥٥٤.ومسند أحمد ج٤ حديث عبد الله بن زيد بن عاصم ص ٣٩.

أمّا القيد الثالث: وهو رجحان إكثار الصلاة، فقد وردت في ذلك روايات عظيمة الدلالة:

١ ـ معتبرة ياسر الخادم، عن الرضا عليه السلام: **«لا تشدّ الرحال إلى شيء من القبور إلاّ إلى قبورنا»**[١].

وفي هذه المعتبرة دلالة واضحة على أنّ شدّ الرحال هو لزيادة نيل الخير والفضل في العبادة، وإكثارها عند قبورهم، وأنّها بمثابة المسجدين اللذين يشدّ إليهما الرحال لقصد ذلك، فإنّه ورد في الحديث: **«لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الكوفة»**[٢].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد، مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيليا»**[٣].

٢ ـ مصحّحة جميل بن درّاج، قال: « سمعت أبا عبدالله عليه السلام **يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنّة، ومنبري على تُرعة من تُرع الجنّة، وصلاة في مسجدي تعدل عشرة آلاف صلاة في ما سواه من المساجد، إلاّ المسجد الحرام**. قال جميل: قلت له: بيوت النبيّ

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٨٤ ح١ .
(٢) مرسلة الصدوق ، الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٤٤ ح١٦.
(٣) صحيح مسلم:ج٢ ص١٠١٥ رقم الحديث المسلسل (١٣٩٧) كتاب الحج: باب المسجد الذي أسس على التقوى .

وبيت عليّ منها؟ قال: **نعم، وأفضل**»[١].

وتقريب الدلالة في هذه المصحّحة أنّها ناصّة على أفضليّة الصلاة والعبادة في بيت عليّ وبيت النبيّ وأهل بيته المعصومين على فضيلة الصلاة في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، فهي نصّ في أنّ ما ورد مستفيضاً في الحثّ على السفر إلى المسجدين وشدّ الرحال، والحثّ على إكثار العبادة والصلاة في مسجد النبيّ بعينه وارد بنحو آكد في بيوت النبيّ وعليّ وفاطمة وولدهما عليهم السلام، ومن ثمّ يقرب التطابق مع قول النبيّ في رواية الفريقين أنّ تلك البيوت هي بيوت الأنبياء، وأنّ بيت عليّ وفاطمة من أفاضل تلك البيوت.

٣ـ موثّقة يونس بن يعقوب: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة أفضل أو في الروضة؟ قال: **في بيت فاطمة**»[٢].

٤ـ مصحّحة جميل بن درّاج: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة مثل الصلاة في الروضة؟ قال: **وأفضل**»[٣].

ولا يخفى أنّ موثّقة يونس صريحة في أنّ بيوت أهل البيت عليهم السلام كبيت النبيّ صلى الله عليه وآله أعظم فضيلة من الصلاة في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذا النصّ ناصّ على أنّ الفضيلة الواردة في الصلاة وإكثارها في مسجد النبيّ هي ثابتة بعينها لبيت النبيّ وبيت عليّ وفاطمة وأهل البيت عليهم السلام.

٥ـ وروى الكليني عن الحسين بن محمّد الأشعريّ، قال: حدّثني

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٧ ح٤.
(٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٩ ح١.
(٣) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٩ ح٢.

شيخ من أصحابنا يقال له عبدالله بن رزين، قال: «كنت مجاوراً بالمدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وكان أبو جعفر عليه السلام يجيء في كلّ يوم مع الزوال إلى المسجد فينزل في الصحن ويصير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويسلّم عليه ويرجع إلى بيت فاطمة عليها السلام»[١] الحديث.

٦ ـ مصحّحة ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا المتقدّمة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة، لان قبر فاطمة عليها السلام بين قبره ومنبره، وقبرها روضة من رياض الجنة وإليه ترعة من ترع الجنة»**[٢].

٧ ـ وروى المجلسي: وجدت بخطّ الشيخ حسين بن عبدالصمد ما هذا لفظه: «ذكر الشيخ أبو الطيّب الحسين بن أحمد الفقيه: **مَن زار الرضا عليه السلام أو واحداً من الأئمّة عليهم السلام فصلّى عنده صلاة جعفر، فإنّه يكتب له بكلّ ركعة ثواب من حجّ ألف حجّة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، ووقف ألف وقفة في سبيل الله مع نبيّ مرسل، وله بكلّ خطوة ثواب مائة حجّة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، وكتب له مائة حسنة، وحطّ منه مائة سيّئة»**[٣].

٨ ـ رواية أبي عامر واعظ أهل الحجاز، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام، قال: **«قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: إنّ الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة، وعرصة من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه... فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله،**

---

(١) الكافي ج١ ص٤٩٣، باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام.
(٢) الوسائل: أبواب المزار: ب١٨ ح٥.
(٣) البحار ج٩٧ ص١٣٧ كتاب المزار ب٣ آداب الزيارة وأحكام الروضات ح٢٥.

ومودة منهم لرسوله...» الحديث[١].

ولا يخفى أنّ الرواية متعرّضة لكلا القيدين في الموضوع، كون قبورهم من رياض الجنّة مقدّسة، واستحباب شدّ الرحال إليها لعمارتها بالعبادة وكثرة الطاعة والصلاة.

٩ ـ موثّقة الحسن بن عليّ بن الفضّال التي رواها الصدوق والطوسي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: **«إنّ بخراسان لبقعة يأتي عليها زمان تصير مختلف الملائكة، فقال فلا يزال فوج ينزل من السماء وفوج يصعد إلى أن ينفخ في الصور.**

وقيل له: يا ابن رسول الله، وأيّة بقعة هذه؟

قال: **هي بأرض طوس، فهي والله روضة من رياض الجنّة، مَن زارني في تلك البقعة كان كمَن زار رسول الله، وكتب الله تبارك وتعالى له ثواب ألف حجّة مبرورة، وألف عمرة مقبولة، وكنت أنا وآبائي شفعاءه يوم القيامة»**[٢].

١٠ـ روى الصدوق في الأمالي والعيون بطريقين مختلفين حسن كالصحيح عن الصقر بن دلف، قال: « سمعت سيّدي عليّ بن محمّد بن عليّ الرضا عليهما السلام يقول: **مَن كانت له إلى الله عزّ وجلّ حاجة فليزر قبر جدّي الرضا عليه السلام بطوس، وهو على غسل، وليصلِّ عند رأسه ركعتين، وليسأل الله تعالى حاجته في قنوته، فإنّه يستجيب له ما لم يسأل مأثم وقطيعة رحم، فإنّ**

---

(١) الوسائل: أبواب المزار: ب٢٦ ح ١.

(٢) الفقيه ج٢ ص٥٨٥ والتهذيب ج٦ ص١٠٨ وأمالي الصدوق المجلس ١٥ ص٣٦ والعيون ج٢ ص٢٥٦.

موضع قبره لبقعة من بقاع الجنّة، لا يزورها مؤمن إلاّ أعتقه الله تعالى من النار وأدخله دار القرار»[١].

١١ ـ صحيح أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: «سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام يقول: **إنّ بين جَبَلَي طوس قبضة قُبضت من الجنّة، مَن دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار»** وقد رواها كلّ من الشيخ والصدوق[٢].

ولا يخفى دلالة الصحيح والموثّق الذي قبله على قدسيّة وشرافة أرض طوس المتضمّنة لقبر الإمام الثامن من أهل البيت عليهم السلام، ويثبت ذلك لأرض الكاظميّة المتضمّنة لاثنين من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وسيأتي أمر الرضا عليه السلام بالصلاة في المساجد حول قبر أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام، كما في محسّنة عليّ بن حسّان[٣].

١٢ ـ حسنة كالمصحّحة لسليمان بن حفص المروزي، قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام يقول: **مَن زار قبر ولدي عليّ عليه السلام كان له عند الله عزّ وجلّ سبعون حجّة مبرورة.** قلت: سبعون حجّة مبرورة**؟!** قال: **نعم، وسبعون ألف حجّة.** قلت: سبعون ألف حجّة**؟!** فقال: **ربّ حجّة لا تقبل. مَن زاره أو بات عنده كان كمَن زار الله في عرشه.** قلت: مَن زار الله في عرشه**؟!**

قال: **نعم، إذا كان يوم القيامة كان على عرش الله جلّ جلاله أربعة من**

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٨٨ ح٢ .والعيون: ب٦٦ ح٣٢، وأمالي الصدوق المجلس ٨٦ ص٦٨٤.

(٢) الوسائل: أبواب المزار ب٨٢ ح١٣. والتهذيب ج٦ ص١٠٩ ح(١٩٢). والفقيه ج٢ ص٣٤٩ ح(١٦٠٢) والعيون ج٢ص٢٥٦.

(٣) المزار الكبير ص٥٤٧.

الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأوّلون فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، أمّا الأربعة الآخرون فمحمّد وعليّ والحسن والحسين، ثمّ يمدّ المطمار فيقعد معنا زوّار قبور الأئمّة عليهم السلام، ألا أنّ أعلاهم درجة وأقربهم حبوة زوّار قبر عليّ عليه السلام».

ورواه الصدوق في الأمالي والعيون، ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات[1]، والشيخ في التهذيب عن الكليني بطريق آخر عن يحيى بن سليمان المازني، عن أبي الحسن موسى عليه السلام[2]، ورواه المشهدي في المزار الكبير عن الكليني[3].

ولا يخفى دلالة الرواية على عظمة زيارة قبورهم وفضيلتها على زيارة المسجد الحرام، وبالتالي زيادة فضيلة الصلاة عندها على الصلاة فيه، كما ورد في فضيلة الصلاة في بيت فاطمة عليها السلام على الصلاة في الروضة، كما أنّها دالّة على فضيلة زيارة الرضا عليه السلام نظير فضيلة زيارة الحسين عليه السلام.

وكذلك حرم العسكريّين عليهما السلام، ويعضده أنّ تربتهم عليهما السلام كانت واحدة[4]، وقد مرّ في مصحّح ابن أبي عمير أنّ قبر فاطمة روضة من رياض الجنّة[5]، وفي مصحّح جميل بن درّاج أنّ الصلاة في بيت فاطمة أفضل من الصلاة في روضة

---

(١) أمالي الصدوق المجلس ٢٥ ح١٨٦ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٩١. وكامل الزيارات ب١٠١ ح١٣ . والوسائل: أبواب المزار ب٨٦ ح١ .
(٢) التهذيب ج٦ ص٨٥ .
(٣) الوسائل أبواب المزار ب٨١ ح٢.
(٤) راجع الوسائل أبواب المزار ب١٣ ح١.
(٥) الوسائل: أبواب المزار: ب١٨ ح٥.

النبيّ[١].

١٣ ـ رواية محمّد بن سليمان الزرقان، عن عليّ بن محمّد العسكري عليهما السلام، قال: «**قال لي: يا زرقان، إنّ تربتنا كانت واحدة، فلمّا كان أيّام الطوفان افترقت التربة فصارت قبور شتّى والتربة واحدة**»[٢].

ومفاد هذه الرواية وحدة قدسيّة قبور الأئمّة مع قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وقبر عليّ عليه السلام وقبر الحسين عليه السلام.

وفي حديث الخصال المعتبر بإسناده عن عليّ عليه السلام في حديث الأربعمائة، قال: «**ألمّوا [وأتمّوا] برسول الله صلى الله عليه وآله حجّكم إذا خرجتم إلى بيت الله الحرام، فإنّ تركه جفاء، وبذلك أُمرتم، وألمّوا بالقبور التي ألزمكم الله حقّها وزيارتها، واطلبوا الرزق عندها**»[٣].

وقد استفيض في الزيارات أنّ طينتهم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض، وفي معتبرة محمّد بن مسلم حيث كان محمّد بن مسلم وجعاً، فأرسل إليه أبو جعفر عليه السلام شراباً فتشافى منه فقال عليه السلام: **يا محمّد، إنّ الشراب الذي شربته فيه من طين قبور آبائي، وهو أفضل ما استشفي به، فلا تعدلنّ به، فإنّا نسقيه صبياننا ونساءنا، فنرى فيه كلّ خير**» الحديث[٤]، فأضاف عليه السلام

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٥٩ ح٢.
(٢) الوسائل: أبواب المزار ب١٣ ح١.باب استحباب التبرك من مشهد الرضا ومشاهد الأئمة عليهم السلام والمزار للمفيد باب مختصر في فضل زيارات العسكريين ص٢٠١ ح٤ .وفي التهذيب ج٦ ص ١٠٩ ح١٠.
(٣) الوسائل: أبواب المزار ب٢ح١٠ .
(٤) كامل الزيارات ب٩١ ح٧.

الطين إلى كلّ آبائه.

١٤ـ وفي كامل الزيارات: روى ابن قولويه بإسناده عن الأصمّ، عن عبدالله بن بكير ـ في حديث طويل ـ قال: «قال أبو عبدالله عليه السلام: **يا ابن بكير، إنّ الله اختار من بقاع الأرض ستّة: البيت الحرام، والحرم، ومقابر الأنبياء، ومقابر الأوصياء، ومقاتل الشهداء، والمساجد التي يذكر فيها اسم الله...**»[1] الحديث.

ولا يخفى تقييد (المساجد) بالتي يُذكر فيها اسم الله إشارة إلى الآية الشريفة ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ وهي إشارة إلى بيوت الأنبياء، ومن أفاضلها بيوت أهل البيت عليهم السلام كما في الرواية المرويّة عند الفريقين، وبيوتهم أعم من مقاربهم.

١٥ـ مصحّحة الهروي، قال: «سمعت الرضا عليه السلام يقول: **إنّي سأُقتل بالسمّ مظلوماً وأُقبر إلى جانب هارون، ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبّتي، فمَن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة.**

والذي أكرم محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة، واصطفاه على جميع الخليقة، لا يصلّي أحد منكم عند قبري ركعتين إلاّ استحقّ المغفرة من الله عزّ وجلّ يوم يلقاه.

والذي أكرمنا بعد محمّد صلى الله عليه وآله وخصّنا بالولاية إنّ زوار قبره لأكرم الوفود على الله يوم القيامة...» الحديث[2].

وهذه المصحّحة دالّة ـ كما مرّ في جملة من الروايات ويأتي أيضاً ـ على

---

(١) كامل الزيارات ب٤٤ ح٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٤٨ باب ٢٥ ح١.

أنّ قبورهم عليهم السلام تقصد وتشدّ الرحال إليها لغايتين الأُولى زيارتهم، والثانية الصلاة عندهم، وفي بعض الروايات ثالثة: وهي البيتوتة في جوارهم وقد عد جوارهم سواء في المدة القصيرة أو الطويلة من الجهاد.

والصلاة عندهم أعمّ من الفريضة والنافلة الراتبة أو التطوّعيّة، وهي غير صلاة الزيارة، بل إقامة الصلاة عندهم بالقرب من مراقدهم ذات فضيلة يستحبّ إكثار الصلاة عند قبورهم لأجل ذلك، كما أنّها دالّة على أنّ زوّار الرضا عليه السلام لهم امتياز على زوّار قبور سائر الأئمّة عليهم السلام، فيدلّ على قدسيّة الموضع وفضيلته.

معتبرة سليمان بن حفص المروزي، قال: «سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: **إنّ ابني عليّاً مقتول بالسمّ ظلماً، ومدفون إلى جنب هارون بطوس، فمَن زاره كمَن زار رسول الله صلى الله عليه وآله**»[1].

١٦ ـ اللسان الموحّد لزيارة قبورهم في العديد من الزيارات الجامعة التي نصّ على أن يؤتى بها عند أي قبر من قبورهم عليهم السلام، وهي وإن كانت واردة في متن الزيارة وألفاظ الثناء والتحيّة والتشهّد بالإقرار والعهد لهم عليهم السلام، إلاّ أنّها مصرّحة بوحدة حكم المشهد لمراقدهم، كما في الزيارة الرجبيّة والزيارة الجامعة الكبيرة والصغيرة، والتعبير في آدابها: «إذا زرت واحداً منكم» وقوله عليه السلام فيها: «**فإذا دخلت ورأيت القبر**»، وكذا الزيارة الجامعة الأُخرى المرويّة في العيون عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، فقال: «**صلّوا في المساجد حوله** (أي حول أبيه موسى) **ويجزي في المواضع كلّها أن**

(١) الوسائل أبواب المزار ب٨٢ ح٥.

تقول:... »[١].

وكذا ذيل زيارة أمين الله، قال جابر: «قال لي الباقر عليه السلام: **ما قال هذا الكلام... عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، أو أحد من الأئمّة، إلاّ رفع دعاؤه»**[٢].

وتوحيد اللسان والطلب والحثّ لكلّ قبورهم عليهم السلام شاهد على وحدة الفضيلة والحكم لقبورهم عليهم السلام.

١٧ـ ما رواه في كامل الزيارات والتهذيب في الصحيح، عن ابن بزيع، عن بعض أصحابه، يرفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام، قال: « قلت: نكون بمكّة أو بالمدينة أو الحَيْر أو المواضع التي يرجى فيها الفضل، فربّما يخرج الرجل يتوضّأ فيجيء آخر فيصير مكانه؟ قال: **مَن سبق إلى موضع فهو أحقّ به يومه وليلته»**[٣]، ففيها تصريح أنّ الفضيلة موضوعها أعمّ من المواضع الأربعة، بل هي مواطن عديدة.

١٨ـ ما ورد في عدّة روايات فيها المعتبر من أنّ فضل زيارة قبر أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام مثل فضل زيارة قبر الحسين عليه السلام، كما في معتبرة الوشّاء، عن الرضا عليه السلام[٤].

وفي رواية الحسن بن محمّد القمّي، عن الرضا عليه السلام: **«مَن زار قبر أبي ببغداد كان كمَن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين، إلاّ أنّ لرسول**

---

(١) عيون أخبار الرضا: ب٦٨ ح١ .
(٢) مصباح المتهجد وكامل الزيارات ب١١ .
(٣) كامل الزيارات ب١٠٨ ح٦ .التهذيب ج٦ ص١١٠.
(٤) الوسائل أبواب المزار ب٨٠ ح٦ وح١.

الله صلى الله عليه وآله و لأمير المؤمنين عليه السلام فضلهما»[١].

وفي مصحّحة الحسين بن بشّار الواسطي، قال: «سألت أبي الحسن الرضا عليه السلام: ما لَمن زار قبر أبيك؟ قال: **زره**. قلت: فأيّ شيء فيه من الفضل؟ قال: **فيه من الفضل كمَن زار قبر والده** ـ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ـ. فقلت: فانّي خفت فلم يمكنّي أن أدخل داخلاً؟ فقال: **سلّم من وراء الحائر**. وفي نسخة التهذيب المطبوع حالياً: **«سلم من وراء الجسر»** وقد أشار إليه في الوسائل[٢].

١٩ ـ وفي الصحيح إلى يحيى ـ وكان فى خدمة أبي جعفر الثاني عليه السلام ـ عن على عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله في حديث، قال: « قلت له: فما لَمن صلّى عنده ركعتين؟ قال: **لم يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه»**[٣] الحديث.

٢٠ ـ عن عليّ بن إبراهيم وأحمد بن مهران جميعاً، عن محمّد بن عليّ، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن جعفر قال: «كنت عند أبي إبراهيم عليه السلام وأتاه رجل من أهل نجران اليمن من الرهبان ومعه راهبة، فاستأذن لهما الفضل بن سوار، فقال له: **إِذَا كانَ غَداً فَأْتِ بِهِمَا عِنْدَ بِئْرِ أُمِّ خَيْر**.

قال: فوافينا من الغد، فوجدنا القوم قد وافوا، فأمر بخصفة بواري، ثمّ جلس وجلسوا، فبدأت الراهبة بالمسائل، فسألت عن مسائل كثيرة، كلّ ذلك يجيبها، وسألها أبو إبراهيم عليه السلام عن أشياء لم يكن عندها فيها شيء، ثمّ أسلمت.

---

(١) الوسائل أبواب المزار ب٨٠ ح٢.
(٢) الوسائل أبواب المزار ب٨٠ ح٤، التهذيب ج٦ ص٨٢.
(٣) الوسائل أبواب المزار ب ٥٨ ح٥.

ثمّ أقبل الراهب يسأله، فكان يجيبه في كلّ ما يسأله، فقال الراهب: قد كنت قويّاً على ديني، وما خلّفت أحداً من النصارى في الأرض يبلغ مبلغي في العلم، ولقد سمعت برجل في الهند إذا شاء حجّ إلى بيت المقدس في يوم وليلة، ثمّ يرجع إلى منزله بأرض الهند، فسألت عنه بأي أرض هو؟ فقيل لي: إنّه بسُبذان، وسألت الذي أخبرني، فقال: هو علم الاسم الذي ظفر به آصف صاحب سليمان لمّا أتى بعرش سبأ، وهو الذي ذكره الله لكم في كتابكم، ولنا ـ معشر الأديان ـ في كتبنا.

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام: **فَكَمْ لله مِنِ اسْم لاَ يُرَدُّ؟**

فقال الراهب: الأسماء كثيرة، فأمّا المحتوم منها ـ الذي لا يردّ سائله ـ فسبعة.

فقال له أبو الحسن عليه السلام: **فَأَخْبِرْنِي عَمَّا تَحْفَظُ مِنْها.**

قال الراهب: لا، والله الذي أنزل التوراة على موسى، وجعل عيسى عبرة للعالمين، وفتنة لشكر أُولي الألباب، وجعل محمّداً بركة ورحمة، وجعل عليّاً عبرة وبصيرة، وجعل الأوصياء من نسله ونسل محمّد ما أدري، ولو دريت ما احتجت فيه إلى كلامك، ولا جئتك ولا سألتك.

فقال له أبو إبراهيم عليه السلام: **عُدْ إِلى حَدِيثِ الْهِنْدِيِّ.**

فقال له الراهب: سمعت بهذه الأسماء ولا أدري ما بطانتها ولا شرائحها؟ ولا أدري ما هي؟ ولا كيف هي ولا بدعائها؟ فانطلقت حتّى قدمت سُبْذان الهند، فسألت عن الرجل، فقيل لي: إنّه بنى ديراً في جبل، فصار لا يخرج ولا يرى إلاّ في كلّ سنة مرّتين، وزعمت الهند أنّ الله فجّر له

عيناً في ديره، وزعمت الهند أنّه يُزرع له من غير زرع يُلقيه، ويُحرث له من غير حرث يعمله، فانتهيت إلى بابه، فأقمت ثلاثاً لا أدقّ الباب، ولا أُعالج الباب.

فلمّا كان اليوم الرابع فتح الله الباب، وجاءت بقرة عليها حطب، تجرّ ضرعها يكاد يخرج ما في ضرعها من اللّبن، فدفعت الباب فانفتح، فتبعتها ودخلت، فوجدت الرجل قائماً ينظر إلى السماء فيبكى، وينظر إلى الأرض فيبكي، وينظر إلى الجبال فيبكي، فقلت: سبحان الله! ما أقلّ ضربك في دهرنا هذا! فقال لي: والله، ما أنا إلاّ حسنة من حسنات رجل خلّفته وراء ظهرك.

فقلت له: أُخبرت أنّ عندك اسماً من أسماء الله تبلغ به في كلّ يوم وليلة بيت المقدس، وترجع إلى بيتك؟

فقال لي: وهل تعرف بيت المقدس؟

قلت: لا أعرف إلاّ بيت المقدس الذي بالشام.

قال: **ليس بيت المقدس، ولكنّه البيت المقدّس، وهو بيت آل محمّد.**

فقلت له: أما ما سمعت به إلى يومي هذا فهو بيت المقدس.

فقال لي: تلك محاريب الأنبياء، وإنّما كان يقال لها: حظيرة المحاريب، حتّى جاءت الفترة التي كانت بين محمّد وعيسى صلّى الله عليهما، وقرب البلاء من أهل الشرك، وحلّت النقمات في دور الشياطين، فحوّلوا وبدّلوا ونقلوا تلك الأسماء، وهو قول الله تبارك وتعالى ـ البطن لآل محمّد، والظهر

مَثَلٌ: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[1].

فقلت له: إنّي قد ضربت إليك من بلد بعيد، تعرّضت إليك بحاراً وغموماً وهموماً وخوفاً، وأصبحت وأمسيت مؤيساً، ألا أكون ظفرت بحاجتي؟

فقال لي: ما أرى أُمّك حملت بك إلاّ وقد حضرها ملك كريم، ولا أعلم أنّ أباك حين أراد الوقوع بأُمّك إلاّ وقد اغتسل وجاءها على طهر، ولا أزعم إلاّ أنّه قد كان درس السفر الرابع من سهره ذلك، فختم له بخير، ارجع من حيث جئت، فانطلق حتّى تنزل مدينة محمّدﷺ ـ التي يقال لها: طيبة، وقد كان اسمها في الجاهليّة يثرب ـ ثمّ اعمد إلى موضع منها يقال له: البقيع، ثمّ سل عن دار يقال لها: دار مروان، فانزلها، وأقم ثلاثاً، ثمّ سل عن الشيخ الأسود الذي يكون على بابها يعمل البواري، وهي في بلادهم اسمها الخصف، فالْطفْ بالشيخ، وقل له: بعثني إليك نزيلك الذي كان ينزل في الزاوية في البيت الذي فيه الخشيبات الأربع، ثمّ سله عن فلان بن فلان الفلاني، وسله: أين ناديه؟ وسله: أي ساعة يمرّ فيها؟ فليريكاه أو يصفه لك، فتعرفه بالصفة، وسأصفه لك.

قلت: فإذا لقيته فأصنع ماذا؟

قال: سله عمّا كان، وعمّا هو كائن، وسله عن معالم دين مَن مضى ومَن بقي.

فقال له أبو إبراهيمعليه السلام: **قَدْ نَصَحَكَ صاحِبُكَ الَّذِي لَقِيتَ**.

---

(١) سورة النجم: الآية ٢٣.

فقال الراهب: ما اسمه جُعلت فداك؟

قال: **هُوَ مُتَمِّمُ بْنُ فَيْرُوز، وَهُوَ مِنْ أَبْناءِ الْفُرْسِ، وَهُوَ مِمَّنْ آمَنَ بِالله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَعَبَدَهُ بِالاْخْلاَصِ وَالاْيقانِ، وَفَرَّ مِنْ قَوْمِهِ لَمَّا خافَهُمْ، فَوَهَبَ لَهُ رَبُّهُ حُكْماً، وَ هَداهُ لِسَبِيلِ الرَّشادِ، وَجَعَلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَعَرَّفَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ عِبادِهِ الْمُخْلَصِينَ، وَما مِنْ سَنَة إِلاَّ وَهُوَ يَزُورُ فِيها مَكَّةَ حاجّاً، وَيَعْتَمِرُ في رَأْسِ كُلِّ شَهْر مَرَّةً، وَيَجِيءُ مِنْ مَوْضِعِهِ مِنَ الْهِنْدِ إِلى مَكَّةَ فَضْلاً مِنَ الله وَعَوْناً، وَكَذلِكَ يَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ.**

ثمّ سأله الراهب عن مسائل كثيرة، كلّ ذلك يجيبه فيها، وسأل الراهبَ عن أشياء لم يكن عند الراهب فيها شيء، فأخبره بها.

ثمّ إنّ الراهب قال: أخبرني عن ثمانية أحرف نزلت، فتبيّن في الأرض منها أربعة، وبقي في الهواء منها أربعة، على مَن نزلت تلك الأربعة التي في الهواء ومَن يفسّرها؟

قال: **ذَاكَ قائِمُنا يُنْزِلُهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيُفَسِّرُهُ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ عَلَى الصِّدِّيقِينَ وَالرُّسُلِ وَالْمُهْتَدِينَ».**

ثمّ قال الراهب: فأخبرني عن الاثنين من تلك الأربعة الأحرف التي في الأرض ما هما؟

قال: **أُخْبِرُكَ بِالأَرْبَعَةِ كُلِّها: أَمَّا أَوَّلُهُنَّ فَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ باقِياً، وَالثَّانِيَةُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله مُخْلَصاً، وَالثَّالِثَةُ نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ، وَالرَّابِعَةُ شِيعَتُنا مِنَّا، وَنَحْنُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَرَسُولُ الله مِنَ الله بِسَبَب.**

فقال الراهب: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله، وأنّ ما جاء به من عند الله حقّ، وأنّكم صفوة الله من خلقه، وأنّ شيعتكم المطهّرون

المستبدلون، ولهم عاقبة الله، والحمد لله ربّ العالمين.

فدعا أبو إبراهيم عليه السلام بجبّة خزّ، وقميص قوهيّ، وطيلسان، وخفّ، وقلنسوة، فأعطاه إيّاها، وصلّى الظهر وقال له: **اخْتَتِنْ**.

فقال: قد اختتنت في سابعي»[1].

ونقلنا هذه الرواية بطولها تبركاً وموضع الشاهد تقريره عليه السلام ما قاله الهندي من أن بيت المقدس بالدرجة الأولى هو بيت محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) وأما الذي في فلسطين فهو في الدرجة الثانية ومثل ظاهر لحقيقة خفية على كثيرين من كون بيت المقدس في الأصل بيت محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) بل إن بيت المقدس في فلسطين إنما نال القدسية في ذلك الأوان بسبب صلاة الأنبياء السابقين فيه وهذا شاهد على الكبرى المتقدمة من أن الأرض التي تحفل بالأنبياء والمرسلين والأوصياء والمصطفين تكتسب شرفا وقدسية فتصبح مقدسة وتكون من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وأشرفها وأعلاها وأقدسها بيت محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم)، وهذا هو الذي ورد في إحدى زيارات الحسين عليه السلام التي رواها السيد ابن طاووس في مصباح الزائر[2] وفيها الخطاب لعلي بن الحسين عليهما السلام: **«والله ما ضرك القوم بما نالوا منك ومن أبيك الطاهر صلوات الله عليكما ولا ثلموا منزلتكما من البيت المقدس»**.

٢١ـ ورواية محمّد بن الفضيل بن بنت داود الرقي، قال: «قال الصادق عليه السلام: **«أربع بقاع ضجّت إلى الله تعالى من الغرق أيّام الطوفان: البيت**

---

(١) الكافي ج١ ص٤٨١-٤٨٤ باب مولد أبي الحسن عليه السلام ح٥.
(٢) مصباح الزائر ص٢٣٥.

المعمور فرفعه الله، والغريّ، وكربلاء، وطوس»[١].

٢٢ـ محسّنة عليّ بن حسّان، عن الرضا عليه السلام، قال: «سئل عن إتيان قبر أبي الحسن موسى عليه السلام، فقال: **صلّوا في المساجد حوله»**. ويجزئ في المواضع كلّها أن تقول: «**السلام على أولياء الله وأصفيائه...**». هذا يجزي في الزيارات كلّها، وتكثر من الصلاة على محمّد وآله، وتسمّي واحداً واحداً بأسمائهم، وتبرأ إلى الله من أعدائهم، وتخيّر لنفسك من الدعاء ما أحببت وللمؤمنين والمؤمنات[٢].

ورواها الصدوق والكليني والشيخ، وظاهر الرواية أنّ قبورهم كما تقصد لزيارتهم عليهم السلام فهي تقصد لإتيان الصلاة عندها لتضاعف ثوابها، وتقصد للدعاء ثالثاً، ومن أجل البيتوتة عندها رابعاً كما مر، والجامع ما ذكرته الآية ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴿١٢٥﴾ ﴾.

ويدعم ذلك ما ورد في مشاهد جميع المعصومين بلسان واحد من النهي عن الصلاة متقدّماً على قبر المعصوم، بل الصلاة خلفه وعند رأسه وأنّ ثواب الصلاة يتضاعف بالقرب منه، كما في معتبرة هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام ـ في حديث طويل ـ قال: «أتاه رجل فقال له: يابن رسول الله، هل يزار والدك؟ فقال: **نعم، وتصلّي عنده.** وقال: **يصلّي خلفه، ولا يتقدّم عليه»**[٣].

---

(١) الوسائل: أبواب المزار: ب٨٣ ح٢.
(٢) الوسائل: أبواب المزار: ب٨١ ح٢.
(٣) الوسائل: أبواب مكان المصلي ب٢٧ ح٧.

فإنّها واضحة الدلالة في تضاعف ثواب الصلاة عند قبر الباقر عليه السلام، وقد يراد الحسين عليه السلام، ويدلّ على العموم أيضاً صحيح الحميري، قال: «كتبت إلى الفقيه عليه السلام أسأله عن الرجل يزور قبور الأئمّة، هل يجوز أن يسجد على القبر أم لا؟ وهل يجوز لَمن صلّى عند قبورهم أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة، ويقوم عند رأسه ورجليه؟ وهل يجوز أن يتقدّم القبر ويصلّي ويجعله خلفه أم لا؟

فأجاب وقرأت التوقيع ومنه نسخت: **أمّا السجود على القبر فلا يجوز في نافلة ولا فريضة ولا زيارة، بل يضع خدّه الأيمن على القبر، وأمّا الصلاة فإنّها خلفه يجعله الإمام، ولا يجوز أن يصلّي بين يديه، لأنّ الإمام لا يُتقدّم، ويصلّي عن يمينه وشماله»**[1].

وهذه الصحيحة دالّة بوضوح أنّ قبور الأئمّة عليهم السلام كما تقصد للزيارة تقصد لإتيان الصلاة عندها لفضيلة إتيانها عندها، سواء كانت فريضة أو تطوّعاً، وهذا المفاد مرتكز عند الفقيه الراوي الحميري، وجوابه عليه السلام يقرّر ذلك، ومنشأه ـ مضافاً إلى ما مرّ ويأتي ـ هو قدسيّة أماكن قبورهم عليهم السلام لكونها رمساً لهم وطيّبها الله تعالى بهم.

وهذا هو مفاد قوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ ﴾، فإنّها قد فسّرت ببيوت النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وهي مراقدهم، ومن ثمّ ورد كما في الروايات المتقدّمة وكما في رواية عمارة بن زيد ـ أي عامر واعظ أهل الحجاز ـ عن الصادق، عن أبيه،

---

(١) الوسائل: أبواب مكان المصلي ب٢٦ ح١.

عن جدّه عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: إنّ الله جعل قبرك وقبور ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة، وعرصة من عرصاتها، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه... فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله، ومودة منهم لرسوله...**» الحديث[١].

٢٤ ـ أفضليّة زيارة قبورهم عليهم السلام والصلاة عندها على الحجّ والعمرة الندبيّان.

١ـ مصحّح جميل بن درّاج، قال: «الصلاة في بيت فاطمة مثل الصلاة في الروضة؟ قال: **وأفضل**».

ومثله موثّق يونس بن يعقوب[٢]، ومفاده واضح في أنّ ثواب في بيت فاطمة عليها السلام لا من جهة كونها من مسجد الرسول صلى الله عليه وآله، بل ورد إنّه ليس من المسجد وإنّما أدخله الأمويون فيه، كما ذكر ذلك الصدوق أنّه روي أنّها عليها السلام دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو اُميّة في المسجد صارت في المسجد[٣].

٢ - وفي مصحح ابن أبي عمير عن أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة، لأن قبر فاطمة عليها السلام بين قبره ومنبره، وقبرها روضة من رياض الجنة وإليه ترعة من ترع الجنة**»[٤].

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٢٦ ح١.
(٢) الوسائل: أبواب أحكام المساجد: ب٥٩ ح١ وح٢.
(٣) الوسائل: أبواب المزار ب١٨ ح٤.
(٤) الوسائل: أبواب المزار ب١٨ ح٥.

وفي هذا المصحّح دلالة من وجهين:

أوّلاً: إن قبرها روضة من رياض الجنّة، أي إنّ قبورهم عليهم السلام روضة من رياض الجنّة، فيعظم عندها ثواب الصلاة.

ثانياً: إنّ استحباب وفضيلة الصلاة في الروضة في المسجد النبويّ إنما هو لمكان قبرها عليها السلام.

٣ـ موثّق الحسن بن الجهم، قال: «قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: أيّهما أفضل رجل يأتي مكّة ولا يأتي المدينة، أو رجل يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يبلغ مكّة؟

قال: فقال لي: **أيّ شيء تقولون أنتم؟**

فقلت: نحن نقول في الحسين عليه السلام، فكيف في النبيّ صلى الله عليه وآله؟

فقال: **أما لئن قلت ذلك لقد شهد أبو عبدالله عليه السلام عيداً بالمدينة فدخل على النبيّ صلى الله عليه وآله فسلّم عليه، ثمّ قال لمَن حضره: لقد فضلنا أهل البلدان كلّهم ـ مكّة فما دونها ـ لسلامنا على رسول الله صلى الله عليه وآله**»[1].

٤ ـ موثّق آخر للحسن بن الجهم، قال: «سألت أبا الحسن عليه السلام: أيّهما أفضل المقام بمكّة أو بالمدينة؟

فقال: **أيّ تقول أنت؟**

قال: فقلت: وما قولي مع قولك؟

قال: **إنّ قولك يردّك إلى قولي.**

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب١٠ ح١.

قال: فقلت له: أمّا أنا فأزعم أنّ المقام بالمدينة أفضل من المقام بمكّة.

فقال: **أمّا لئن قلت ذلك لقد قال أبو عبدالله عليه السلام ذلك يوم فطر، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّم عليه في المسجد، ثمّ قال: لقد فضلنا الناس اليوم بسلامنا على رسول الله صلى الله عليه وآله»**[١].

٥ ـ ما رواه الصدوق مرسلاً في الفقيه، قال: «**لمّا دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة قال: اللّهمّ حبّب إلينا المدينة كما حبّبت إلينا مكّة أو أشدّ، وبارك في صاعها ومدّها، وانقل حماها ووباءها إلى الجحفة**»[٢].

٦ ـ ما تقدّم من مصحّحة سليمان بن حفص المروزي، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام، أنّ ثواب زيارة ابنه عليّ عليه السلام تعدل سبعون ألف حجّة، وقال عليه السلام: **وربّ حجّة لا تقبل**»[٣].

وبهذا البيان واللسان يتبيّن أنّ ما ورد مستفيضاً من ثواب زيارة كلّ واحد من المعصومين عليهم السلام من أنّها تعدل آلاف الحجج دالّة وناظرة إلى التفضيل.

٧ ـ ما تقدّم من جملة من الروايات وغيرها ممّا لم نذكره الدالّة على أنّ الصلاة ركعة عند قبر أحد المعصومين عليهم السلام تعدل حجّة في الفريضة أو عمرة في النافلة، بل في بعض الصلوات تعدل آلاف الحجج وآلاف العمر.

والآية الثانية:

وهي تمثيل موردٍ لكبرى الموضوع، قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٩ ح٢.
(٢) الوسائل: أبواب المزار: ب٩ ح٥.
(٣) الوسائل: أبواب المزار: ب٨٦ ح١. عن العيون والأمالي وكامل الزيارات.

﴿ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[١].

وقد بُحث في آيات الأحكام تقريب دلالة الآية الشريفة على جعل حجر وصخرة مقام إبراهيم قبلة وإماماً وأماماً في صلاة الطواف، كما قد أشرنا في بحث التوسّل في الإمامة الإلهيّة إلى جملة من نكات وفوائد مفاد هذه الآية الكريمة، وأنّ أمره تعالى للاتّخاذ تشعير منه تعالى نظير تشعير المسجد الحرام، فليس هو عنوان المسجديّة فقط، بل هو تشعير لمشعر إلهي، كما أنّ متعلّق الاتّخاذ لأن يكون مصلّى ـ أي محلاً للصلاة وبقيّة العبادات ـ وهو عنوان آخر قريب لعنوان المسجديّة والمشعر الإلهي، كما أنّ التعبير بـ « المقام » يراد به التعظيم والتقديس، وهو عنوان آخر لتشعير المشعر.

مضافاً إلى دلالة الآية على تقديسه وتعظيمه نظير مفاد الآية السابقة ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ أي تقدّس وتعظّم، ونظيره فى الآية الثانية التعبير بـ «المقام» فإن هذا اللفظ للتعظيم والتفخيم ونظير قوله تعالى: ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ... ﴾ عنوان (المصلّى).

ثمّ إضافة المقام إلى إبراهيم نموذج وعنوان لكلّ مشهد وبيت ومقام ومكان يضاف إلى الأنبياء والأوصياء، لا سيّما من يعلو النبيّ إبراهيم في الفضيلة، كما قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾[٣].

فمقامات النبيّ ومشاهده أحرى بالتعظيم والتفخيم وباتّخاذها محلاً

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٥.

لعبادة الله والصلاة من مقام إبراهيم، ومن ثمّ ورد في روايات المقام كما تقدم في الوجه الثالث، الحثّ على الصلاة وإكثارها في جميع مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله وبيوته، وأنّ من بيوته صلى الله عليه وآله بيت عليّ وفاطمة وسائر المعصومين عليهم السلام، وقد أشير إلى ذلك كله في الروايات العديدة الدالة على عدم سقوط التطوع في السفر نهارا في مشاهد النبي صلى الله عليه وآله.

وممّا يشير إلى عموم مفاد هذه الآية موضوعاً وحكماً ما في مفاد الرواية الواردة في صلاة أمير المؤمنين عليه السلام بالإتمام في بقعة مسجد براثا، ونصب الصخرة التي وضعت مريم النبيّ عيسى عليها من عاتقها، ثمّ صلّى إلى الصخرة وجعل منها حرماً وأتمّ هناك الصلاة أربعة أيّام.

ما ورد من إتمام أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة في مسجد براثا أربعة أيّام:

روى الشيخ في أماليه بسنده عن حميد بن قيس قال: « سمعت أبا الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام يقول: **إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا رجع من وقعة الخوارج اجتاز بالزوراء** (وذكر مرور أمير المؤمنين عليه السلام بمسجد براثا).

فلمّا أتى يَمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له، فقال له: يا راهب، أنزل هاهنا؟

فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك.

قال: ولِمَ؟

قال: لأنّه لا ينزلها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ بجيشه، يقاتل في سبيل الله عزّ وجلّ، هكذا نجد في كتبنا.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فأنا وصيّ سيّد الأنبياء، وسيّد الأوصياء.

فقال له الراهب: فأنت إذن أصلع قريش ووصي محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ذلك، فنزل الراهب إليه، فقال: خذ عليَّ شرائع الإسلام، إنّي وجدت في الإنجيل نعتك، وأنّك تنزل أرض براثا بيت مريم، وأرض عيسى عليه السلام.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قف ولا تخبرنا بشيء.

ثمّ أتى موضعاً فقال: الكزوا هذه، فلكَزه برجله عليه السلام، فانبعقت عين خرّارة، فقال: هذه عين مريم التي نبعت لها.

ثمّ قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً، فكشف، فإذا بصخرة بيضاء، [فقال عليه السلام: على هذه وضعت مريم عيسى من عاتقها، وصلّت هاهنا، فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة وصلّى إليها، وأقام هناك أربعة أيّام يتمّ الصلاة، وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة، ثمّ قال: أرض براثا هذا بيت مريم عليها السلام، هذا الموضع المقدّس صلّى فيه الأنبياء]»[1].

ودلالتها واضحة في أنّ الإتمام لكون الموضع مقدّسا وذلك لصلاة الأنبياء عليهم السلام فيه.

فقوله عليه السلام: «**فنصب أمير المؤمنين الصخرة وصلّى إليها وأقام هناك أربعة أيّام يتمّ الصلاة، وجعل الحرم في خيمة من الموضع على دعوة، ثمّ قال:**

---

(١) الأمالي: ص٢٠٠ ح٣٤٠/ ٤٢.

أرض براثا بيت مريم هذا الموضع المقدّس صلّى فيه الأنبياء» مفاده متطابق مع مفاد الآية الآمر باتّخاذ مقام الأنبياء والمصطفين مكاناً للصلاة وعبادة الله تعالى.

فكما تجعل صخرة مقام إبرهيم أماماً في الصلاة جعلعليه السلام صخرة مريم والنبيّ عيسى أماماً لاتجاه القبلة في صلاته.

كما أنّ ذكرهعليه السلام أنّه صلّى فيه الأنبياء تبيان لكون الموضع كبيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ووجه ثالث أنّه جعل الموضع بمثابة الحرم، وهذه الوجوه بمثابة الموضوع لإتمامهعليه السلام للصلاة، وقد تقدّم أنّ المجلسي والسيّد البروجردي احتملا إلحاق مسجد براثا بالأماكن الأربعة.

وروى الصدوق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال: « صلّى بنا عليّعليه السلام ببراثا بعد رجوعه من قتال الشراة ونحن زهاء عن مائة ألف رجل... [قال الراهب:] أنّه لا يصلّي في هذا الموضع بهذا الجمع إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ، وقد جئت أُسلم، فأسلم وخرج معنا إلى الكوفة، فقال له عليّعليه السلام: **فمَن صلّى هاهنا؟**

قال: صلّى عيسى بن مريم وأُمّه.

فقال له عليّعليه السلام: **فأُخبرك مَن صلّى هاهنا؟**

قال: نعم.

قال: **والخليلعليه السلام»**[1].

وقال السيّد البروجردي في أبواب صلاة المسافر، الباب **٢٢** من

---

(١) الفقيه: ج١ ص ٢٣٢ ح٦٩٨. التهذيب ج٣ ص٢٦٤ باب فضل المساجد ح٦٧.

كتاب جامع أحاديث الشيعة بعد إشارته إلى هذه الرواية: (**وأقام عليّ عليه السلام هناك** (أي في أرض براثا بيت مريم عليها السلام) **أربعة أيّام يتمّ الصلاة**) «إنّما أشرنا إلى هذه الرواية، لأنّه يمكن أن يستفاد منها جواز الإتمام للمسافر في هذا المكان كالأماكن الأربعة)[١].

وقال المجلسي في البحار في ذيلها: «ثمّ اعلم أنّه يستفاد من هذا الخبر أنّ هذا الموضع أيضاً من المواضع التي يجوز للمسافر إتمام الصلاة فيها، ولم يقل به أحد»[٢].

ما ورد في فضل النوافل ولو النهارية للمسافر في مسجد الغدير:

ففي صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج التي رواها كل من الكليني والصدوق والشيخ في التهذيب قال: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الصلاة في مسجد غدير خم بالنهار وأنا مسافر، فقال: «**صل فيه فان فيه فضلا، وقد كان أبي عليه السلام يأمر بذلك**»[٣].

وفي صحيحة أبان عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**إنه تستحب الصلاة في مسجد الغدير لان النبي صلى الله عليه وآله أقام فيه أمير المؤمنين عليه السلام، وهو موضع أظهر الله عز وجل فيه الحق**»[٤] ورواها المحمدون الثلاثة في كتبهم.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة: أبواب صلاة المسافر ب٢٢ ح٣٨.
(٢) البحار: ج١٠٢ أو ٩٩ ص٢٨.
(٣) الوسائل: أبواب المزار ب٢١ ح١ وأبواب أحكام المساجد ب٦١ ح٢.
(٤) الوسائل: أبواب أحكام المساجد ب٦١ ح٣.

وفي هاتين الصحيحتين إشارة واضحة إلى الموضوع المتقدم المشترك لعدم سقوط النوافل النهارية والإتمام في الفريضة وهي فضيلة المكان النابعة من قدسيته الحاصلية من كونه مشهداً للنبي والمعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين).

مؤيّدان أخريان للتعميم:

١ ـ ما مرّ من رواية أمالي الشيخ بسنده عن حميد بن قيس من صلاة أمير المؤمنين عليه السلام تماماً أربعة أيّام في مسجد براثا في سفره عند رجوعه من قتال أهل النهروان، وأنّه ذكر عليه السلام في سياق بيان ذلك أنّه صلّى فيه الأنبياء، وصلّت فيه مريم، وجعل حرماً، وأنّ الصخرة فيه مقام ومشهد لوضع مريم عيسى عليها من عاتقها، وتقدّم دلالتها من وجوه.

٢ـ ما تقدم من ذهاب جماعة من الأصحاب إلى تعميم عدم سقوط النوافل النهارية للمسافر في جميع مشاهد المعصومين عليهم السلام وقد تقدم سرد قائمة بأقوال من ذهب إلى ذلك، كما تقدم الإشارة إلى العديد من الروايات الصحيحة المعتبرة في ذلك والتي عقد لها ابن قولويه وصاحب الوسائل باب مستقلاً، مع أن موضوع الحكم في النوافل للمسافر مع موضوع الفريضة واحد كما هو مفاد مصححة أبي يحيى الحناط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن صلاة النافلة بالنهار في السفر فقال: **«يا بني لو صلحت النافلة في السفر تمت الفريضة»**[1].

٣ـ ما استظهره جماعة من الأصحاب بتعميم صيام قضاء الحاجة ثلاثة أيّام

---

(١) الوسائل: أبواب أعداد الفرائض ونوافلها: ب٢١ ح٥.

الأربعاء والخميس والجمعة الوارد عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله لمشاهد المعصومين عليهم السلام.

قال في المقنعة: «وصوم ثلاثة أيّام للحاجة أربعاء وخميس وجمعة متواليات عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله، أو في مشهد من مشاهد الأئمّة عليهم السلام»(١).

وقال في إيضاح الفوائد: «ذهب قوم إلى تحريم صوم النفل إلاّ ثلاثة أيّام للحاجة الأربعاء والخميس والجمعة عند قبر النبيّ صلى الله عليه وآله أو مشهد من مشاهد الأئمّة عليهم السلام»(٢).

وقال ابن فهد في المهذّب: « إلاّ ثلاثة أيّام الحاجة بالمدينة، وألحق المفيد المشاهد والصدوقان وابن إدريس الاعتكاف في مواطنه الأربعة»(٣).

تنبيهات مسألة عموم التخيير وأفضليّة الإتمام في مشاهد الأئمّة عليهم السلام:

الأوّل: في حدود الإتمام في مراقد المعصومين، فقد تقدّم في كلام المحقّق الميرداماد أنّه ما دارت عليه سور المشاهد، وهو ظاهر تعبير عليّ بن بابويه في الفقه الرضوي، وابن قولويه في كامل الزيارات، والمرتضى في الجمل، وابن الجنيد وغيرهم ممّن عبّر بالمشاهد المشرّفة. ويدعم ما ذهبوا إليه صدق عنوان (عند القبر) الوارد في الأدلّة المتقدّمة، وكذا عنوان الصلاة في بيوتهم عليهم السلام التي هي عبارة عن حرمهم بل وعنوان مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله الوارد في الوجه الثالث بعد إضافة مشاهدهم إلى مشاهد النبيّ صلى الله عليه وآله، كما هو

---

(١) المقنعة: ٣٥٠.
(٢) إيضاح الفوائد: ج١ ص٢٤٣ .
(٣) المهذب البارع ج٢ ص٥٣.

الحال في بيوتهم أنّها بيوت النبيّ صلى الله عليه وآله.

ويدعمه أيضاً ما ورد في محسّنة عليّ بن حسّان عن الرضا عليه السلام ـ المتقدّمة ـ الواردة في إتيان قبر أبي الحسن موسى عليه السلام، قوله عليه السلام: «**صلّوا في المساجد حوله**»[1].

هذا مضافاً إلى معاضدة ذلك بإشارات في الأدلّة شاملة للأوسع من المشاهد للبلد الذي هو فيه، وإن لم تصل إلى الدلالة التامّة، نظير صحيح أبي هاشم الجعفري: **إنّ بين جَبَلَي طوس قبضة قُبضت من الجنّة**»[2].

ومثلها موثّقة ابن فضّال[3] وهو نظير تعدد مراتب الفضيلة الوارد في الأماكن الأربعة، فتعدّدت الألسن في كل واحد منها تارة بعنوان المسجد، وأُخرى بعنوان البلد، وثالثة بعنوان الحرم ورابعة بغير ذلك.

الثاني: توسعة محلّ التخيير وأفضليّة الإتمام في المواطن الأربعة لكلّ البلدان الأربعة لا خصوص المساجد ولا خصوص الحائر القريب من قبر الحسين عليه السلام، فقد تقدّم ذهاب جماعة كثيرة من الأصحاب إليه، لا سيّما المتقدّمين، بل ذهاب الشيخ والكيدري وأكثر المتقدمين إلى الإتمام في كلّ النجف والكوفة، فضلاً عن العدّة التي ذهبت إلى الإتمام في جميع المشاهد.

وقد تقدّمت الإشارة إلى وجه ذلك، وهي ورود الروايات المعتبرة بألسن متعدّدة، فمنها صحيح حمّاد، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «**من مخزون**

---

(١) الوسائل: أبواب المزار ب٨١ ح٢.
(٢) الوسائل: أبواب المزار: ح٨٢ ح١٣. التهذيب ج٦ ص١٠٩ ح١٩٢.
(٣) التهذيب ج٦ ص١٠٨. والفقيه ج٢ ص٥٨٥.

علم الله الإتمام في أربعة مواطن: حرم الله، وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام، وحرم الحسين بن عليّ عليه السلام»[١].

وقد رواه كلّ من الصدوق وابن قولويه والشيخ، وهو بلفظ وعنوان الحرم لا خصوص عنوان المدينة ولا عنوان المسجد.

وفي رواية زياد القندي، قال: «قال أبو الحسن عليه السلام: **يا زياد، أُحبّ لك ما أُحبّ لنفسي، وأكره لك ما أكره لنفسي، أتمّ الصلاة في الحرمين والكوفة وعند قبر الحسين عليه السلام»**[٢]، فقد ورد عنوان الكوفة كما ورد في العديد من الروايات عنوان مكّة والمدينة، والمصحّح إلى عبدالحميد خادم إسماعيل بن جعفر، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: **«تمّم الصلاة في أربعة مواطن: في المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين عليه السلام»**[٣].

فذكر عنوان الحرام فيه خاصّة مضافاً إلى الحسين عليه السلام دون الثلاثة، مع أنّ عنوان الحرمين ورد في عدّة صحاح مضافاً إلى مكّة والمدينة.

ومثله مصحّح حذيفة بن منصور[٤] وموثّق أبي بصير[٥].

ومرسل الشيخ في المصباح قال بعد روايته عن حذيفة بن منصور المزبور: «وفي خبر آخر: **في حرم الله، وحرم رسوله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام، وحرم**

---

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر ب٢٥ ح١.
(٢) الوسائل: أبواب صلاة المسافر ب٢٥ ح١٣.
(٣) الوسائل: أبواب صلاة المسافر ب٢٥ ح١٤.
(٤) الوسائل: أبواب صلاة المسافر ب٢٥ ح٢٣.
(٥) الوسائل: أبواب صلاة المسافر ب٢٥ ح٢٥.

الحسين عليه السلام»[1].

فمع:

١ ـ عموم لسان الدليل لا موجب لحمله على اللسان الخاصّ بعد كونهما مثبتين، وبنحو الاستغراق موضوعاً.

٢ ـ مضافاً إلى ما تقدّم من تفاوت الفضل في لسان الأدلّة في نفس المسجد الحرام والحرم المكّي ومكّة مع وجود الفضل في كلّ ذلك، وكذلك في المسجد النبويّ والروضة وبيت فاطمة عليها السلام وبيوت النبيّ صلى الله عليه وآله والمدينة والحرم المدني، فكذلك الحال في مسجد الكوفة والكوفة ومرقد وحرم أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ مع ورود جملة من الروايات الصحيحة الواردة في زيارته عليه السلام أنّ أصل حرم الأمير عليه السلام هو مرقده عليه السلام، واستوجه المجلسي استظهار الشيخ في النهاية والمبسوط أنّ الأصل في حرمة الكوفة ومسجدها مرقده عليه السلام.

٤ ـ فذكر المساجد من باب الأبرز شرفيّة في نقاط تلك البلدان، كما تقدّم في كلام الذكرى، وهذا وجه التخصيص بعنوان المساجد في بعض الروايات.

وأمّا حرم الحسين عليه السلام فقد تقدّم أنّ المفيد في المزار حمل الحائر على نفس معنى الحرم، وأنّ التحديد بخمسة فراسخ وفرسخ وبالأذرع محمول على تفاوت درجات القدسيّة والفضل، ووافقه يحيى بن سعيد في كتاب السفر، وأنّه قدّر بخمسة فراسخ وأربعة فراسخ وبفرسخ، وقال: «والكلّ حرم وإن تفاوتت الفضيلة».

---

(١) الوسائل: أبواب صلاة المسافر ب٢٥ ح٢٤.

الفصل الثاني

الحسين عليه السلام نبراس الإصلاح العالمي

بقلم

السيد علي جلال الشرفات

الحسين عليه السلام نبراس الإصلاح العالمي

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

صلى الله عليك يا أبا عبد الله، صلى الله عليك يا ابن رسول الله، صلى الله عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك، عليكم مني جميعاً سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار، وبقي الحسين نبراساً للبشرية.

الشرعية الدولية:

نرى في الظرف الحالي ـ من كل الزوايا ـ تعطشاً ملحوظاً في الساحة البشرية أو الساحة الدولية تجاه الحسين عليه السلام. هناك نداءات للضمير البشري في الشعوب الفقيرة، شعوب العالم الثاني أو الثالث، تجاه طغمة الدول العظمى، فالسائد في العرف البشري الدولي، أن هناك شرعيةً دولية، وشرعيةً من نخب المجتمعات عبر هياكل الأنظمة، لا يمكن التمرُّد عليها؛ لأنَّ ذلك يهزُّ السلم العالمي والتعايش المدني، ويهزُّ الرقي والتطور البشري، باعتبار أن البشرية وصلت إلى مكاسب وثروة علمية مزدهرة، لا يمكن التفريط بها في ظل هذا الازدهار البشري والثروة العلمية والثورة التقنية والصناعية والمعلوماتية.. وغيرها، إلا أن الشعوب الفقيرة ترزح وتئن تحت

وطأة الطغام البشري، قراصنة الأموال في الدول العظمى، وهذا ـ في الواقع ـ ليس مخصوصاً بالشعوب الفقيرة، بل إن الشعوب الغنية أيضاً ترزح وتئن تحت هذا الكابوس.

في إحصائية نقلتها الأمم المتحدة عبر الإذاعات قبل ثلاث سنين، ـ ويمكن مراجعة المصادر الموثوقة في هذه الإحصائية ـ جاء أن ثروة ألمانيا تقارب ٩٠٪، يمتلكها ٤٪ من الشعب الألماني فقط، ونفس النسبة بتراوح يسير في الشعب الأمريكي، فبين ٤٪ و٨,٣٪ من الشعب الأمريكي يمتلك أيضاً ٩١٪ أو ٨٩٪ من الثروة المالية. فليس الأمر حسب طبقية الشعوب، إنما هناك عبء يقض كاهل البشرية بأكملها، حتى الشعوب الغربية الأمريكية، التي كلما أرادت أن تصحو، يُسارَع بإعطائها إبراً منومة مخدرة، مع أن هناك بشارة في المسير البشري، أن هذه الشعوب رغم الترسانة الإعلامية اليهودية المكبِّلة لها، كما في إحصائية قبل أشهر، أن أكثر الشعوب الأوروبية ـ مثلاً ـ ترفض النهج الإسرائيلي الصهيوني، رغم كل ما قام به في سنين وعقود، بأساليب فتاكة، ثقافية وإعلامية ؛ لأجل غسيل العقل الأوروبي، لكن قلب الإنسان الأوروبي لا زال ينبض بالفطرة.

المدارس والمناهج الإسلامية:

في ظل هذه الشرعية الدولية الموجودة، هناك هتافات إسلامية، وغير إسلامية، لتغيير الوضع الدولي الحالي، بالنسبة إلى الأمة الإسلامية، من عدة شرائح ومذاهب:

١ـ المدرسة المخالفة لأهل البيت عليهم السلام التي ربما تطرح أسلوب الخوارج، وبصريح العبارة: (نموذج القاعدة)، وهذا نموذج في التاريخ الإسلامي

على شاكلة الخوارج، يريد أن يهدم هذا الكيان الفاسد، لكن بنهج الخوارج.

٢ـ نداء آخر من الأُمَّة الإسلامية، من نخب الأنظمة والشعوب الإسلامية، يدعو للمهادنة، كما هو أسلوب جملة من الصحابة والتابعين الذين هادنوا السقيفة أو هادنوا السلطة الأموية ونحوها، وأمثلته ونماذجه موجودة في التاريخ، نظير مبايعة كثير من الصحابة وإقرارهم للوضع الموجود.

٣ـ نماذج أُخرى، كثورة المذهب الزيدي، بغض النظر عن شخص زيد بن علي بن الحسين ـ رضوان الله تعالى عليه ـ المقصود المذهب الزيدي، هذا نموذج آخر، يلتقي في نقاط مشتركة مع مذهب الخوارج، لكنه يختلف عنه في نقاط أُخرى.

٤ـ شريحة الأمويين، الذين استغلوا الوضع السائد، وانقضوا عليه، وتسلقوا للوصول إلى القمة، وربما يسمون بالقاسطين، الناكثين، المارقين.

وهناك نماذج ومناهج أخرى عاشها العقل الإسلامي في غابر التاريخ.

٥ـ النموذج الحسيني، والذي يبقى نموذجاً متميزاً، لا يمكن أن يؤخذ عليه مأخذ من ناحية التفريط في المكاسب البشرية، ولا من ناحية التفريط في الإنجازات التي تزدهر بها أي ديانة أو أي مجتمع أو أي عرف بشري، فهو في حين لم يفرط بالمكاسب، لم يهادن على المفاسد، واستخدم أسلوب التغيير بشكل راقٍ، محافظ على كل الحرمات والإنجازات التي يحترمها البشر وتحترمها الديانات. وربما أحتاج إلى مؤونة كثيرة في التعرض لها في طيات الكلام، حول المفارقة بين النهج الحسيني ونهج الخوارج، بين النهج الحسيني والنهج الزيدي، بين النهج الحسيني والنهج السلطوي، نهج الطرف الآخر.

هناك نداءات إسلامية تحيي الجماعة الدولية والسنة البشرية، تقول بأن منهج الصلاح والإصلاح هو أن نكون مع سنة البشر وجماعة البشر، وأن الخارج عن جماعة البشر مارق. الأمة الإسلامية الآن انفتحت على البشر، والبشر قد انفتحوا على الأمة الإسلامية، يبقى النهج الحسيني فريداً جداً من نوعه، كأصول، كمنظومةٍ قانونيةٍ، وكمنظومة تغيير، أرشدت إلى عدم الإقرار بالوضع الفاسد، ومحاولة الإصلاح من دون فساد، كان ذلك من باب النموذج الفهرسي أذكره ؛ لكي أصل إلى المصب الأصلي للبحث.

نهج الحسين عليه السلام ونهج الخوارج:

إن التمايز واضح بين نهج الحسين عليه السلام ونهج الخوارج. نهج الخوارج، الذي ينتهجه (تنظيم القاعدة) بكل حذافيره ؛ لأنَّ هذا التنظيم ابتعد عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، من أصولٍ وفكرٍ وقوانين، وعمل بنهج الخوارج في مقابل ذلك، المذهب الذي ضحَّى بمبادئ كثيرة، مقابل الوصول إلى شعارٍ وهتك حرمات كثيرة، وفرط في حرمات كثيرة، زعزع العيش المدني، والسلم الاجتماعي، والأموال والفروج والدماء والأعراض، والأفكار، حتى الأفكار الصحيحة رفضها رفضاً مطلقاً، وفلاحظوا ذلك في تاريخ الخوارج، صحيح أنهم طلاب حق، أو شعارهم حق، لكنها كلمة حق يريدون بها باطلاً من حيث لا يشعرون.

التغيير الذي يريده الكيان البشري المتعطش، والحاجة البشرية هي إلى نموذج الإمام الحسين عليه السلام هي الآن على قدمٍ وساق، وفي أشد ما يمكن، والكثير من رمز مراحل حركة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، هي على شاكلة نهج الحسين عليه السلام، لكن مع تكليله بالظفر والنصر، لاسيما وأن الإمام الحسين

كان مقدراً أن يكون مهدي آل محمد، إلا أنه بدا لله عَزَّ وَجَلَّ.

فانظر في نموذج الخوارج الذين قالوا كلمة حق: «الوضع الفاسد يجب أن يغير»، لكنه لا يجب أن يغير بكل قيمه، بحيث تنسف مقدرات المجتمع، تبركنها وتزلزلها، أهذا هو الهدف وهو الوصول إلى الحق؟ الحق هو بناء هذه المقدرات، والحفاظ على هذه الحرمات، فالدم الإنساني محترم ما لم يأتِ موجب لإراقته، وليس من منطق الحسين عليه السلام نسف المدنيين الأبرياء بحجة الوصول إلى هدف معين.

منهج الإمام الحسين عليه السلام ومنهج الطرف الآخر (المهادنة):

في حين أن الإمام الحسين عليه السلام لا ينتهج نهج الطرف الآخر، أهل سنة الوضع الدولي السائد، والشرعية الدولية في النظام السائد: مع الجماعة ما دامت الجماعة، ولون الجماعة في أي اتجاه لتتلون بلونه. أيضاً الحسين عليه السلام افترق عن عبد الله بن عمر، فعبد الله بن عمر بايع يزيد وبايع رجل الحجاج[1]، واختط ابن عمر نموذجاً لمدرسة أهل الطرف الآخر.

نهج الحسين عليه السلام يختلف، فهو نهج يقول بعدم التفريط في المكاسب البشرية، والمقدرات البشرية، والحرمات البشرية، لكن هذا لا يعني الإقرار بالفساد، وكذلك عدم الإقرار بالفساد، ورفض الفساد، لا يعني التفريط بالمقدرات المنجزة. نهج الحسين نهج دقيق وصعب جداً، نهج مصلح، ولكنه إصلاح بمعادلة وموازين صعبة، بحيث أنه رغم تطور الفكر البشري، القانوني، الثوري، وحتى النظم والأعراف، لكن ـ وإلى الآن ـ لم يسجل لنا النهج

---

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير ج٤ ص١٢٤ الفتوح ج٢ ص ٤٨٦.

البشري نهجاً كنهجه عليه السلام.

النهج الذي نهجه سيد الشهداء نهج إعجازي، فسيد الشهداء في يوم عاشوراء لم يبدأ بالقتال، ولم يسد ـ أصلاً ـ باب الحوار مع الطرف الآخر. ولو بقوا مع سيد الشهداء أشهراً وسنين، لما أغلق باب الحوار معهم، ولما استخدم لغة العنف. التقى الحسين عليه السلام مع الحر بن يزيد الرياحي، وكان يستطيع أن يستأصل جيشه بضربة قاضية ويتجه للكوفة، لكنه لم يفعل، كما لم يفعل أصحابه، كمسلم بن عقيل، وغيره. يستطيع الكثير أن يتجاوز المبادئ والمقررات الشرعية، وينتهز الفرص مقابل الدوس على المبادئ، للوصول إلى القدرة، رفض الحسين عليه السلام ذلك؛ لأن هؤلاء الذين في المدرسة الحسينية، رواد وطلاب مبدأ، وليسوا طلاب قدرة، وهذا المبدأ صعب جداً.

لم يرفض الحسين عليه السلام لغة الحوار، لم يرفض لغة التسالم والسلم، لكنه لم يقر معهما على الوضع الفاسد، وعلى هذا الخواء العفن في روح وجسم الأمة الإسلامية. كذلك الوضع الدولي السائد، من عدم التفريط بالسلم الدولي، عدم التفريط بالتعايش الدولي، عدم التفريط بالحرمات الدولية والأعراف الدولية الموجودة، يجب ألا يجعلنا ذلك نهادن الإباحية الجنسية الصريحة، أو نقول بأن الربا الذي يمارسه بنك مؤسسة النقد الدولي صحيح! بل فيه إضعاف، وقصم لظهور الشعوب الفقيرة، وهذا التوزيع غير العادل في قوانين التجارة، وفي قوانين البنك، والاقتصاد، والملاحة، مما لا يمكن الرضا به، وكله يصب في حلقوم الإقطاع الدولي.

فعدم التسليم بهذا، في ذات الوقت، لا يعني أن نفجر الأبرياء، أن نهز السلم والأمن الاجتماعي لشعوب دول كثيرة، فكما نقتدي بنهج الحسين عليه السلام،

لا نفرط ولا نرفض هذه المنجزات البشرية، لا نقر على الوضع الفاسد العفن، نتلقى حوار الشعوب بالترحاب والإكرام، لكننا لا نتلقى مجاري الأوساخ، بل يجب أن نعالجها لهم، لا أن نتلقاها. الإباحة الجنسية، التبذل، تفكك الأسرة، سقوط الأخلاق، سقوط الجانب الروحي إلى الجانب المادي الجاف، الذي يحطم الروح، لا نقبل بذلك كله، ولا نيأس، كما الحسين عليه السلام أبي الضيم، الذي أُجريت معه مساومات كثيرة، مساومات تجاه عرضه وماله وحياته وفلذات كبده، لكن الحسين لم يقبل أن يتراجع أمام النظام الخاطئ والفساد الذي كان موجوداً، ورفض أن يكون من وعاظ السلاطين.

يجب علينا أن نرفض أن نكون من وعاظ السلاطين، فإن كنا من الذين يقرون ويقررون هذه السلطة، الإقطاع الدولي، نكون حينئذٍ وعاظاً للسلاطين. بل نرفضهم، ولو خاطرونا بمقدرات كثيرة، ولكننا في حين لا نستخدم لغة العنف ابتداءاً، لغة الحوار موجودة دائماً، وهنا نصل إلى محط البحث في نهج الإمام الحسين عليه السلام.

ظروف الأنبياء وظروف صلى الله عليه وآله الخاتم وآله:

لا نعلم في مسيرة الأنبياء، عن أي نبي من الأنبياء، أنه سنَّ وبنى وأسَّس مثل هذا الباب في الديانة ـ مثل الأمور التي ضخها الإمام الحسين عليه السلام في الوعي البشري ـ حتى أنبياء أولي العزم. ولهذا قلنا أننا نستطيع أن نعبر ببرهان قانوني على فوقية الخمسة أصحاب الكساء، في النهج الذي ضخوه في الوعي البشري الدياني على من قبلهم من الأنبياء والرسل، ففي نموذج النبي إبراهيم ـ مثلاً ـ في أهل زمانه خطأ واضح مقابل دعوة النبي إبراهيم إلى صواب واضح، لم يكن في الأمر صعوبة كبيرة، عُبدت الأوثان

والكواكب، ولم تكن هناك عدالة اجتماعية، لكن وإن واجه النبي إبراهيم صعوبات في الفكر فهي أمر سهل، أن يبين النبي إبراهيم للبشرية طريق الصواب بين طرق الخطأ والضلال والتعاسة. كذلك النبي نوح، وكذلك النبي موسى، في دعوته لفرعون وقومه. الأمر فيه شيء من التعقيد عند النبي عيسى، في الخطوة التي تقدم بها مقابل الدجل الديني في السياسة عند علماء اليهود، والأمر أكثر تعقيداً في ما واجهه خاتم الأنبياء، ومن ثم فالدور الذي قام به خاتم الأنبياءﷺ في ظل ظروف معقدة في التطور البشري، لم يقم به نبي من الأنبياء قط ؛ لأنه واجه شرعية تتوشح بها قريش، فتسلحت بأنها على لون الملة الإبراهيمية الحنيفية، وخاطبت سيد الأنبياء بأنه صبّأ فتية قريش ومرقهم عن الديانة الإبراهيمية الحنيفية، وكان لديهم تسلح بالشرعية مثل بيت الله الحرام، والكعبة ونحوها، وتسلح بكونهم أهل جوار بيت الله، ومن نسل إبراهيم الخليل. كانوا يتلبسون بألبسة من الشرعية، التي قد تُغفل الطرف الآخر، في ظل هذا التعقيد، لكن ومع ذلك، اختط خاتم الأنبياءﷺ هذا النهج، نهج صراط السماء.

و سيد الشهداءعليه السلام من بعد أبيه وأخيه، واجه ما هو أكثر تعقيداً؛ لأنه كان في ظل شرعية تدّعي الشرعية الإسلامية، وأنها شرعية خاتم الأديان، وأبرز ما بناه سيد الشهداء مما لم يبنه الأنبياء السابقين ـ بالطبع غير جده سيد الأنبياء وأبيه سيد الأوصياء وأخيه سيد الأسباط ـ فأبرز شيء بناه سيد الشهداء هو إثارة الوعي في التحسس والإحساس حول الشرعية. فما المقصود بالشرعية؟

نقول: هذا شرعي أو غير شرعي، الخروج عن الشرعية السائدة هو

أمر لا شرعي، أو أن هذه الشرعية متلونة بالشرعية، فيجب القضاء عليها بأسلوب سلمي إلى أن يبين مقدار الزيف ومقدار الصحة فيها.

تحسس الشرعية:

أبرز الأمور التي سنها سيد الشهداء للقانون الدولي وللوعي البشري الإنساني، الذي تتعطش إليه البشرية الآن، هو إثارة الإحساس البشري والتساؤل البشري حول الشرعية، وهو أبرز ما تتعطش له البشرية أيضاً بالنسبة لمدرسة سيد الشهداء ونهجه عليه السلام، أنه يجب على الشعوب إثارة السؤال حول شرعية هذه الشرعية الدولية المزعومة، أن تبدأ البشرية بالنقاش وإثارة السؤال حول شرعية هذا النظام الدولي المطروح وهذه القوانين المطروحة التي لا تسمح للشعوب الفقيرة، ولا تسمح للشعوب الغربية المكبلة بهذا النظام الإقطاعي الرأسمالي السوقي أيضاً، بأن يفتحوا أعينهم، أو يوقظوا أسماعهم، بالالتفات إلى كيفية استطاعتهم للتغير، فهم مكبلون، وأي منادٍ بالتغيير لهذا النظام السائد، يقال بخروجه عن الشرعية الدولية، وتحوله إلى نهج لا شرعي. وهي المشكلة في الإقطاع الدولي الآن، الذي استطاع أن يُيئس حركة التغيير البشري، سيما بريادة المسلمين، والخطوة التي نجح فيها مع الأسف، أنه قدم نموذجاً إصلاحياً إسلامياً، كنموذج الخوارج، ليقولوا: «انظروا إلى المسلمين، يريدون التغيير، ولكن بنموذج الخوارج الذي يفرط بكل الحرمات وبكل المكاسب»، ومن ثم تتشوه صورة الإسلام لدى شعوب العالم وشعوب الغرب، ويتزعزع أمامهم القول بأن الحل كامن في دين الإسلام، وفي ما يطرحه نظام الإسلام، وربما هذه من أقوى الضربات القاضية، ولكن هيهات لهذا الإسلام العملاق، ولصاحب

الزمان، أن ينكسر.

فإذنْ، كان الحجر الأساس في مدرسة الحسين عليه السلام هو إثارة الوعي البشري حول الشرعية، والتساؤل حولها عما إذا كانت صحيحة أم مزيفة. إذا أردنا أن نغوص في هذا الملف وهذا البند، فقد تميزت مدرسة أهل البيت في هذا النهج بشكل مركز جداً، هو التساؤل حول الشرعية، وهذا تحدٍ قانوني، فلسفي، تحدٍ بلحاظ علوم الاجتماع، تحدٍ علمي، تاريخي، أدياني، تحدٍ إداري ـ بحسب علوم الإدارة ـ وتحدٍ بحسب علوم مختلفة: أنك لن تجد مذهباً كمذهب أهل البيت، أكثر تحسساً حول الشرعية، في تساؤله عن مصدرها وعن وجهة مسارها.. لن تجد في المسيحية، ولا في القانون البشري الجديد، ولا في الأمم المتحدة، فحتى بنود الأمم المتحدة في مجالاتها المختلفة، لا تثير في الوعي البشري التساؤل حول الشرعية، بقدر مذهب أهل البيت عليهم السلام، لذا فإن بصمات مدرسة ومذهب أهل البيت فريدة جداً ؛ لأنه دين السماء، وهو دين الأنبياء الصحيح.

شرعية علاقتك مع الله:

يثير هذا المذهب التساؤل حول الشرعية حتى في علاقتك مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ، كما يقول الصادق من آل محمد في كتاب الكافي، بأنه حتى تسليمنا لله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا الذي تطرحه الحداثوية الجديدة ـ هم يطرحون هذه المدارس، ظناً منهم أنهم يدركون العقل الإسلامي ـ حتى في علاقتك مع الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أن أول الامور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شئ إلا به، العقل الذي جعله الله زينة لخلقه ونورا لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون، وأنه المدبر لهم، وأنهم

المدبرون، وأنه الباقي وهم الفانون، واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه، من سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليلة ونهاره، وبأن له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح، وأن الظلمة في الجهل، وأن النور في العلم، فهذا ما دلهم، عليه العقل»[1]، ليس عقلك مغلقاً، وليس فكرك أصمَّاً، ولا وجدانك، بل يجب أن تحكم بين عقلك وصميم قلبك، وهذا غير مطروح في اليهودية والمسيحية - المحرفتين طبعاً؛ لأن ما بعث به الخاتم هو ما بعث به جميع الأنبياء، فهو دين واحد وإن اختلفت الشرائع، بكون التفاصيل الجزئية مختلفة لكن الأسس واحدة - والشرعية الدولية المتهجة والمذاهب الإسلامية الأخرى والبوذية والسيخية وغيرها، فتش فيها، ولن تجد ديانة يحملها رواد كأئمة أهل البيت عليهم السلام مُنادين بفتح الفكر والعقل حتى في علاقتك مع ربك، فضلاً عن علاقتك مع نبيك.

شرعية علاقتك مع نبيك:

لا يعني الاتباع والخضوع للنبي صلى الله عليه وآله عدم السماح بالمساءلة، فالمساءلة شيء والرفض الأعمى والعناد والتكبر شيء آخر، والتساؤل شيء والإباء والرفض النزوي شيء آخر. كلامنا في التساؤل، حتّى في العلاقة مع سيد الأنبياء، بل مع الأنبياء جميعاً، ليس هناك غلق للفكر البشري، فبحث

---

(١) تكملة الحديث الشريف «قيل له: فهل يكتفي العباد بالعقل دون غيره؟ قال: إن العاقل لدلالة عقله الذي جعله الله قوامه وزينته وهدايته، علم أن الله هو الحق، وأنه هو ربه، وعلم أن لخالقه محبة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية، فلم يجد عقله يدله على ذلك وعلم أنه لا يوصل إليه إلا بالعلم وطلبه، وأنه لا ينتفع بعقله، إن لم يصب ذلك بعلمه، فوجب على العاقل طلب العلم والأدب الذي لا قوام له إلا به». الكافي ج ١ ص ٢٩.

الشرعية مطروح، (من أين؟ وكيف؟ وإلى أين؟)، وحتى في علاقتنا مع أئمتناعليهم السلام، بالنظر إلى سيرة أتباع أهل البيت، لا نراهم عمياويين في اتباعهم لأئمة أهل البيتعليهم السلام.

رصد شعبي عجيب أولاً لسيد الأنبياء، سيد الأنبياء الذي أوجد فلسفة تسع زوجات، وهؤلاء التسع زوجات في الواقع، هي عيون خبرية لشعوب وقبائل مختلفة، حول الوضع الداخلي لسيد الأنبياء، من مصر، ومن شمال الجزيرة، ومن وسط الجزيرة، ومن جنوب الجزيرة، فهؤلاء النساء في الحقيقة قنوات خبرية ترصد سيد الأنبياء، في حركته حتى الداخلية، البيتية، وفي صدق مصداقية نبوته وسؤدده على الأنبياء في ممارساته وسلوكه الخفي ؛ لأن الإنسان ـ غالباً ـ مثل الرؤساء أو عظماء التاريخ، سلوكهم في الظاهر شيء، وسلوكهم في البيت مع الأسرة شيء آخر، والكثير منهم عبر الإعلام شيء، وفي الواقع الخارجي شيء آخر.

له تسع زوجاتصلى الله عليه وآله! وفي الواقع، لا يستطيع الإنسان التوفيق بين الاثنتين والثلاث والأربع، فكيف بالتسع مع سيد الأنبياء وكيف لم يختل تدبيره الإداري معهن؟! إنَّ عهده ـ عليه وآله الصلاة والسلام ـ إعجاز حتى في الإدارة والتدبير.

مع هذه المسؤوليات الضخمة الجبارة التي كانت على كاهل سيد الأنبياء، من إقامة دين جديد، ودعوة الأمم المختلفة إلى ديانة الإسلام، وتدبير الدولة الإسلامية، وتربية المجتمع ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[١]، ومن جهة تسع زوجات، كيف الوفاق بينهن!! هو إعجاز في الإدارة والتدبير، بحيث لم يشهد المسلمون شكاية ولا مشكلة داخلية أسرية. هو كله مراقبة وضعها الله عَزَّ وَجَلَّ ليقيم الحجة على البشر، عبر شهودهم تدبير سيد الكائنات وإدارته وقيادته وخلقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

شرعية علاقتك مع إمامك:

و كذلك كان شيعة أهل البيت مع أئمتهم، فلم يكن إمام من الأئمة، يقفز على البينات أو الإثباتات العلمية، أو التجسم العلمي. مدرسة أهل البيت في علاقتها مع أئمتها، هي علاقة العقل المفتوح، بالبرهان وعدم التعامي عن البينات. ولم يكن النواب الخاصُّون للحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في الغيبة الصغرى، يتسلمون هذا المنصب عبثاً، بل كان فقهاء الشيعة وعلماؤهم والشيعة ترقبهم، وترصدهم، في كل خطوة يخطونها، وقد وثقهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فلا بد ـ قطعاً ـ أن سند الوثاقة ومستنداتها باقية معهم.

شرعية علاقتك مع مرجعيتك:

تؤهل المرجعية الشيعية وفقهاء الشيعة تحت شرائط معينة للمرجعية والفقاهة، ولابدَّ من توافر الشرائط لهم استمراراً لبقائهم، فبتعبير أحد المحققين الفقهاء في الحوزة العلمية في قم: «ربما قل نظيره في مجموعة بشرية اجتماعية، أن ترصد وتراقب قيادتها، كرصد الطائفة الشيعية لمراجعها، ومن قبل لأئمتها».

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.
(٢) سورة القلم: الآية ٤.

كل فئات المجتمع ترصده، وتراقبه، تلتحم معه، وتباشره، في السراء وفي الضراء وفي سلوكه الداخلي أو الخارجي، ثم يؤهل لقيادة الطائفة الشيعية، نيابةً عن المعصوم.

أي فئة من المجتمعات البشرية تمارس هذا الترشيح والمراقبة والدراسة والامتحان كما في الشيعة، حتى أن الإعلام لا ينجز ذلك، وهم أشد تحسساً فلديهم قضية المرجعية، بلْ لابدَّ أن يكون إمام الجماعة ـ كما في شرائط مدرسة أهل البيت ـ عادلاً، ورجل الدين كذلك، فهو إن كان منكباً على باب السلطان فهو طالب دنيا، أما إن كان معرضاً عن باب السلطان الذي هو يأتي إليه، فهو طالب آخرة، ومن هذا القبيل.

قل نظير تحسس الشرعية في المذاهب غير مذهب أهل البيت عليهم السلام، لذلك فالمذاهب الأخرى تشطب على حجية العقل، مثل مذهب السلفية (الوهابية) أو حتى المذاهب الأخرى، العقل أيضاً يُحاسَب في المذهب الشيعي، بالقلب والوجدان. مراقبة مصدر الشرعية على مصدر آخر ؛ لأن قوى الإنسان المختلفة في التفكير أو في تحديد الرؤية، تراقب بعضها البعض برؤية مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإلا فالعقل الظني أو النظري التجريدي الحدسي التخميني لا يجعل الإنسان يسلّم زمام قيادته لأحد، فإن كانت له تجربة ـ مثلاً ـ يستخلص منها نظرية ظنية، لا يستطيع أن يؤسس عليها رؤية، وهو نوع من التثبّت في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فلابد من الإثبات، ولا يمكن البناء على نظريات حدسية من دون تثبّت، ولذلك بحث الحجية وعدم الحجية، وبعبارة أُخرى نستطيع أن نصل إلى نفس بحث الإمامة والقيادة.

الحساسية حول الإمامة:

يقال: كثيراً ما تثيرون ـ أنتم أتباع مذهب أهل البيت ـ حساسية حول الإمامة. وفي الواقع إن إثارة الحساسية حول الإمامة هي حول الشرعية، فإذا خمد في وعي الشيعة هذا التحسس تحت عناوين وشعارات مغفِّلة، اعلموا أن وعينا قد خمد، والبحث في الإمامة موقع رامز للبحث حول الشرعية.

لا تجعلك مدرسة أهل البيت عليهم السلام متعامياً تمشي لا تدري من أين جئت وإلى أين تذهب؟ فالتساؤل المطروح دائماً هو: من أين؟ وإلى أين؟ وكيف؟، هذا هو الذي نريده في هذا البحث، إذا أردنا أن نكون شيعة للحسين، كيف نوصل وكيف نربي المجتمع الدولي والشعوب الدولية برسالة الحسين عليه السلام، إن لا نكون نحن في خطواتنا ـ والعياذ بالله ـ أعداءاً لسيد الشهداء في حركته؟ هو منقذ البشرية بحركته من براثن الشرعية المزيفة، نتساءل هنا: هل نحن دعاة لهذه المدرسة؟ أم أننا ـ والعياذ بالله ـ نوجد خمود هذه المدرسة؟ هذا ما سنواصل الحديث فيه إن شاء الله، مع تكملة البحث والتحسس حول الشرعية.

التحسس حول شرعية البديل:

من الأمور التي سنها سيد الشهداء أيضاً لجميع البشرية من أتباع الديانات، التحسس حول الشرعية في البديل. ربما هناك خط إصلاحي، أو جماعة إصلاحية بشرية تُشخِّص الداء في النظام البشري أو النظام الاجتماعي، لكنها تغفل عن تشخيص الدواء والعلاج، فتخوض في معالجة الداء وتُنكب وتبلي الجسم البشري بداءٍ هو أكثر عيّاً، فيستفحل داء البشرية أكثر

مما هو عليه.

إذاً فتشخيص الفساد في النظام البشري، وتشخيص المرض والإحساس بضرورة التغيير، هو بمفرده ليس كافياً ؛ لأنَّ الإنسان يشرع له أن ينتهج خط الإصلاح الصحيح، كي يكون إصلاحاً، لا إفساداً أكثر مما هو عليه الفساد القائم، وهذا أمر يغفل عنه الكثير من الإصلاحيين ـ مع الأسف ـ.

تميز سيد الشهداء عليه السلام عن بقية الإصلاحيين في تاريخ البشرية، وعمن أتى بعده حتى يومنا هذا، هو في هذا البُعد من التحسس في الشرعية. التحسس في الشرعية لا يعني فقط التحسس من شرعية النظام القائم، بل إن هناك تحسساً لأمر ربما لا يقل خطورة، وربما يزيد خطورة عن التحسس والتساؤل عن شرعية النظام الذي يعيش فيه البشر، فالتحسس وإدراك أهمية وخطورة البديل في منطق سيد الشهداء ومنطق أهل البيت عليهم السلام، يفوق تشخيص نفس الداء أهميةً، وقد عاشت البشرية الكثير من دعاة الإصلاح، لكنها بليت بفساد أكبر من سابقه.

مثال على عدم التحسس حول البديل:

عاشت البشرية في القرن الأخير دعوات الإصلاح كالشيوعية والاشتراكية، شخصت الداء إجمالاً، فأخبرت بوجود مرض سرطاني في الرأسمالية، في نظام السوق، إلا أنها لم تشخص الدواء والعلاج. قد تشخص أنت وجود الداء ووجود العدو ووجود ما يجب تغييره في أي بند من بنود النظام البشري الحاكم على البشر أو الحاكم على المجتمع، سواء في أشخاصه التنفيذيين أو في نظامه التشريعي أو في برنامجه القضائي أو أي برنامج آخر، قد يشخص الإنسان إجمالاً وجود الفساد، لكن من الأهمية بمكان، التفكير في رفقاء

الإصلاح، فمن ترافق أنت في نهجك الإصلاحي؟ وأي برنامج تتبنى وتتخذ بديلاً في الإصلاح؟

أدركت الشيوعية أن هناك إقطاعاً مدمراً للمجتمع يوجب رزح عموم المجتمع تحت سطوة الإقطاعيين وقراصنة المال، لكنهم أرادوا أن يعالجوا الداء بما هو أدهى، وهذا الذي حدث، فعاشت البشرية عقوداً من السنين، وربما قرابة القرن، ثم تبين لها أن هذا العلاج مفسد أكثر من فساد الرأسمالية.

مرَّ بنا أنَّ الخوارج، وحتى النماذج الأخرى المطالبة بالتغيير، قد لاحظوا بقعة فساد في النظام الاجتماعي، واستهدفوا إصلاحها بكل حماس، لكن بنحو جعلهم يفرطون ببيت البشرية، كما أن الإنسان الذي يرى جانباً من الحائط يوشك أن ينقض، ويريد أن يتداركه، لكنه بهوجائية معينة يهدم بقية الجدار ! فيكون إفساده هذا أكثر من إصلاحه، فهو وإن سماه إصلاحاً لكنه في الواقع إفساد، وأعمى بذلك العين بدل أن يكحلها.

فإذاً، التحسس حول شرعية نفس بنود الإصلاح، ورسمية وشرعية الإصلاح البديل أمر مهم جداً، وهذا ما أثاره سيد الشهداء في مدرسته ونهجه بشكل مؤكد ومغلظ وبتحسس كبير، ومن ثم كان أعضاء البطولة في حركة سيد الشهداء متقيدين بالمبادئ، لا يتهاونون ولا يفرطون في مبدأ من مبادئهم ؛ لأن هذا البرنامج الإصلاحي لديهم أهم من مجرد قلع الفساد، فأنت إن قلعت الفساد ووضعت مرضاً أدهى بدلاً عنه، أنكبت بذلك البشرية وأنكبت النظام الاجتماعي. لذا نرى مبدأه هذا عليه السلام في كل حركاته وسكناته وخطواته، وهذا نهج أبيه سيد الأوصياء وجده من قبل

سيد الأنبياء.

التحسس في الشرعية وفي البنود البديلة أمر هام جداً، وأهمية التفكير في الدواء تفوق أهمية التفكير في الداء، كثير منا يفكر في الداء، عندما يستهوينا الإصلاح وتغيير ذلك الداء وذلك الفساد، ونتغافل أو نتناسى ونعيش سبات لذة الإصلاح والتغيير السريع دون أن نشرع البديل الصالح، المعالج للكل.

قلما نرى مدرسة بشرية إصلاحية أو خطاً إصلاحياً بشرياً في دول عديدة تأتي بالبديل الصالح، أو تفكر أو تولي أهمية عظيمة للبديل، تفوق تشخيص الداء، بينما كان هذا نهج سيد الشهداء، وفي الواقع هو نهج مدرسة أهل البيت وأتباع مدرسة أهل البيت، فهذا التحسس فائق الوجود عندهم، وقد طالعتنا الأحداث الأخيرة بذلك الأمر حتى عند شيعة العراق.

موقف المرجعية الدينية وشيعة العراق:

قدمت مرجعية العراق (عموم المراجع) وشيعته خلال مخاض، نماذج عدة نيرة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، عندما بدأ العدوان الأمريكي على العراق من **جانب**، وكان الطاغية صدام من الجانب الآخر، فأصبحوا في موقف بين المطرقة والسندان.

هناك صيحات من فئات إسلامية عديدة، صاحت بالمرجعية الشيعية، ونادت شيعة العراق، مُسائلة عن موقفهم تجاه هذا العدوان، هذا الاحتلال. وربما نحن أيضاً لم نشخص الرؤية التي شخصتها المرجعية الشيعية بذلك الوعي، عندما تختلط الأوراق يصعب إبصار الطريق، ـ ذكرنا أن عظمة سيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدي شباب أهل الجنة كانت لأنهم واجهوا

تعقيداً في النظام الاجتماعي البشري، ليس نظير الحياة البدائية البشرية في زمن النبي إبراهيم ونوح وموسى وعيسى ـ على نبينا وعلى آله وعليهم السلام ـ، هنا تعقيد، وإلى يومنا يزداد التعقيد أكثر فأكثر، وهذه عظمة الإصلاح الذي سيقوم به مهدي آل محمد ـ صلوات الله عليه ـ ـ. تختلط الأوراق فيصعب عليك تشخيص الدواء فضلاً عن تشخيص الداء، أين الداء؟ وأين الدواء؟ أين الدواء الشرعي ذا الصلاحية القانونية الطبية للإصلاح؟

هتف الكثير بالطعن في موقف شيعة العراق، لكنه كان موقفاً ذكياً بين سبعين يتصارعان. كان شيعة العراق في جملة من مواقفهم، يدافعون عن حرمات وطنهم، لكن بنحو لا يصب في مصلحة النظام الديكتاتوري، وهذا تشخيص دقيق، كثير من المنظرين الإسلاميين نادوا «هيا بكم، انضووا تحت راية النظام الجائر! حتى ندفع السبع الأكبر أمريكا ـ على الأقل ـ!» ربما استهوت هذه المقولة بعضاً منا أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، فمن أجل عدم التضحية بالعراق، لننضوِ تحت راية النظام الجائر، لكن الموقف الحكيم للمرجعية والشيعة في العراق كان أبصر وأنفذ من هذا التحليل، لأن المعركة الضروس لم تكن قد حسمت بعد بين السبعين، والدخول فيها سيودي بهم ضحية لسبع أو سبع آخر، لذا فالموقف النموذجي والمثالي، كان أن تواجه بطريقتك السبع الآخر بعد أن تحسم المعركة بين السبعين، حين يتفرد لك الميدان.

هجوم على الشيعة:

أطالع لكم بعض الكلمات التي أطلقها البعض ندد فيها بموقف الشيعة في أيران ولبنان، فضلاً عن استهدافه الأول للمرجعية الشيعية والشيعة في العراق، لاحظ الكلمات في تحليله، كنموذج على أننا إذا لم نشخص الدواء، فالداء ليس أهمية تشخيصه بذي أهمية حاسمة.

شخصنا داء العدو الأمريكي الذي يهاجم العراق، والذي أغراه بهذا الطريق هو نفسه النظام الطاغية، في هذه المحنة والفتنة والدوامة، الكثير رأى في نفسه ذا بصيرة سياسية وبصيرة قانونية وبصيرة واعية بالمنطقة، وشخَّص حينئذٍ الوقوف أمام العدوان الأمريكي، هذا أمر مسلَّم به بالطبع، إنما القول عندما أقف أنا هذا الموقف، أليس له تداعيات أخرى؟ ألا يصب في مجرى آخر؟ وما شرعية هذا الموقف؟

لاحظوا بعض التعبيرات التي أقرأها لكم من مقالة نشرت في أماكن كثيرة، يقول مخاطباً الشيعة: «هل كان الحسين مستعداً للاستعانة بالروم لتحرير بلاد الإسلام من ظلم يزيد؟!» ذهب بنا إلى نفس نهج الحسين عليه السلام فقال: هل يضع الحسين عليه السلام يده مع الروم لقلع نظام يزيد؟ في الواقع، هذا أحد التساؤلات أو الطعون التي يريدون إثارتها حول علي عليه السلام أو حول الحسين عليه السلام، فكيف يذهب أمير المؤمنين أو سيد الشهداء إلى إصلاح الوضع الداخلي والحال أن الحدود الإسلامية مهددة.

أحد الأمور التي يسجلونها كمأخذ أو كتساؤل حول أمير المؤمنين وحول سيد الشهداء، عن عكوف علي عليه السلام على الإصلاح الداخلي، ولم يتوجه إلى التوسع في الدولة الإسلامية، وإن كان كل تخطيط الفتوحات من أمير المؤمنين عليه السلام في ملفات تاريخية وُقف عليها أخيراً، إلا أن الكلام تركز على نهج أمير المؤمنين في إصلاح الداخل، فلم يعبأ بذريعة التهديد الموجود عند الثغور والحدود الإسلامية، واتخذ لها موازنةً أخرى، تحت هذه الذريعة، حتى أن البعض ممن حول أمير المؤمنين أشاروا عليه بإبقاء معاوية، وبعد ذلك يتخذ تدبير آخر، مثل هذه الإدارة ومثل هذا التدبير، يراه أمير المؤمنين موجباً

نهجاً عفناً في سنة هذه الأمة الإسلامية ؛ لأن أفعالهم سنة عليهم السلام، فإذا سنّ مثل هذه السنة، ستكون سنة إلى يوم القيامة للتفريط بالمبادئ، ولعدم التشدد بمبدئية المبادئ، ولتبرير الغاية نمط الوسيلة.

الإصلاح الداخلي أولاً:

فعكف من ثمَّ على الإصلاح الداخلي، كما هو الحال في نهج الحسين عليه السلام؛ لأنَّه بالخروج كان سيدافع عن هيكل قشري لا جسم، أما الفتوحات فكانت فتوحات إزالة الكفر، بلا بديل، فلا يبقى من الإسلام شيء إلا رسمه. هل البديل هو ما انتهجه الخلفاء الأوائل من التفرقة في العطاء بين العربي وبين غير العربي[1]، ومنع غير العرب من التزوج بالعرب، كانت هذه سنن الخلفاء المتقدمين، ما هو البديل؟

منع الخليفة الثاني غير العرب من الدخول للمدينة المنورة؟!و التفرقة في الضمان الاجتماعي والكفالة الاجتماعية بين القرشي وغير القرشي وبين المهاجر وغير المهاجر؟! كانت الطبقية على قدمٍ وساق، وهي الطبقية ذاتها التي كانت في الجاهلية، عادت مرة أخرى تحت راية التشهد بالشهادتين، وهي خاوية من بنود الشهادتين وبرنامجها. لم يفكروا في البديل: (لماذا ندعو الأمم؟ وللدخول في ماذا؟ وما هو البديل؟)، بل نظروا إلى القشر فقط! ليست الخطوة التي تخطوها هي المهمة فقط، إنما المهم ما يترتب على هذه الخطوة، وإن كانت خطوة إصلاحية، فما الذي يترتب عليها؟ ولدى أهل البيت تحسس شديد من ذلك. لذا نجيب هذا المهاجم بهذا الجواب.

---

(١) راجع من حياة الخليفة عمر بن الخطاب ص ١٨٠ - ١٨٢.

المشكلة في النخبة المثقفة الاسلامية:

مشكلة الأمة الإسلامية ليست مشكلة فساد الحكم فحسب، إنما المشكلة في وجود البديل عنهم. هي إحدى المشاكل المهمة بالطبع، وليس هذا تبريراً لبقاء الفساد في إدارة الحكم، لكننا إن كنا نريد أن نستبدل بما هو أدهى، فهي مشكلة.

وليست هذه دعوة لدعم اليأس عن الإصلاح، وإنما يجب أن يكون تفكيرنا منصباً في بديل، بدرجات فائقة عميقة علمية، أكثر من تفكيرنا في الداء فقط. فمثل هذا القائل الذي يتصدر، تنظيم إسلامي عريق، من تنشئة الشيعة طبعاً.

الإشعاعات الإصلاحية هي دوماً من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لكن لننظر إلى البديل، هذا يقود تياراً إصلاحياً وله تداعياته على الدول الأخرى، له هذا التفكير، الذي يربط مصير السلطة بمصير الإسلام، ومصير البلاد بمصير السلطة. أحقَّ هذا التعبير الذي يعبر به، ولسنا في محل نبز بالألقاب، فنحن بعيدون عن هذا، لكن أي سنة هذه؟ هل هي السنة النبوية أم سنة السلطان أم سنة الخلافة؟ وأي جماعة؟ فالمجتمع الدولي الآن جماعة! إن الجماعة هم من كانوا مع الحق، وإن قلوا، وليست الجماعة هي الكثرة، وإلا فالعرف الدولي السائد الآن هو الكثرة الكاثرة، وأكثر من المسلمين.

ليست السنة هي الجماعة والإجماع، إنما السنة سنة الحق، سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وبعبارة أخرى، البرنامج الصحيح البديل، لا التعارف الموجود والرضا بالوضع السائد، ومعنى هذا، إن قلنا (سنة الجماعة)، فيعني ذلك الإقرار بالوضع السائد!

فالمشكلة عندهم إلى الآن، أنهم يخلطون في وعيهم وتفكيرهم السياسي بين مصير الدين والأمة ومصير السلطان، ويعتقدون أن مصير الأمة ونجاتها حلقة في عنق السلطان. هذا خطأ، إلى الآن، مع أن هذه حركات تحررية تنادي بالإصلاح.

كيف نكون مبشرين لنهج سيد الشهداء:

ملخص الحديث، هو أننا إذا أردنا أن نكون دعاةً مبشرين لنهج سيد الشهداء، ولمدرسة أهل البيت ـ طبعاً نهج سيد الشهداء عليه السلام ونهج أهل البيت عليهم السلام فيه عطاء عظيم للبشرية، لكن من الذي يوصل هذا العطاء وهذه الثروة التي صارت البشرية في أمس الحاجة لها، ومن الذي يوصل هذه المحاسن؟ ـ.

عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر والأمم المتحدة:

عهد أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر في نهج البلاغة. ذكره الأمين العام للأمم المتحدة[1] قبل ثلاث سنين، وأمام مجلس الأمم المتحدة العام والجمعية العامة، حيث قال: «أنا أقترح أن يكون عهد علي ابن أبي طالب لمالك الأشتر أحد مصادر التشريع الدولي، لأن فيه فقرة هزتني إلى الأعماق: **«[الناس] ـ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»**، يجب أن تضع كل منظمة حقوقية هذا الشعار كخطة عمل لها»، ما الذي ربط (كوفي عنان) بعلي ابن أبي طالب عليه السلام؟ ليس الدين ولا العرق ولا اللون ما الذي ربطه بعلي، إنما ربطه بأمير المؤمنين إعجاز تشريع أهل البيت عليهم السلام، ولم نصل

(١) كوفي عنان، وهو مسيحي وغير عربي.

نحن إليه.

ومن باب الشيء بالشيء يذكر أقول: إن أهل البيت عليهم السلام لا يقتصرون على جهد الشيعة ولا على جهد المسلمين في نشر نورهم، فلهم أساليبهم الخاصة، لكن كلامنا هذا هو حول مسؤوليتنا نحن تجاه هذا المنهج العظيم، وهذه المدرسة العظيمة. وبعد مضي سنة، يصر الأمين العام للأمم المتحدة على التصويت في الأروقة الحقوقية للأمم المتحدة على هذا العهد بعد مدارسة في لجان الامم المتحدة الحقوقية والقانونية. وقد صوتت أكثرية الدول على أن يكون عهد أمير المؤمنين هو أحد مصادر التشريع الدولي، وتم التصويت بعد ذلك على جملة من العهود في نهج البلاغة، لتكون كمصدر في التشريع الدولي.

الفاتيكان والصحيفة السجادية:

إحدى المؤسسات الدينية في قم المقدسة منذ ثلاثين سنة. أرسلت إلى بابا الفاتيكان آنذاك، الصحيفة السجادية باللغة الإيطالية، فيأتي الجواب من قبل مكتب الفاتيكان، ويعترف فيها البابا بقوله: «إن الزخ الروحي والمعنوي والعرفاني الذي عند إمامكم السجاد، هو أكثر مما نجده عند نبينا النبي عيسى».

الفاتيكان والإمام الحسين عليه السلام:

مكتبة الفاتيكان، بأجنحتها المتعددة، هناك جناحٌ خاص حول الإمام الحسين عليه السلام، وفيه كل الكتب التي كتبت حول سيد الشهداء بكل اللغات.

وهناك قول لمدير المكتبة حول ذلك: «إننا رأينا في الحسين عنصراً تبشيرياً

عجيباً وجذاباً، غير موجود لدينا في طريقة التبشير، فحاولنا دراسة شخصية الحسين، والدراسات قائمة عليها».

انتشار الثقافة المهدوية:

الثقافة المهدوية أيضاً آخذة في الانتشار والتشبع في العالم، وأستحضر الآن ما يذكره الخبير الأمني الاستراتيجي (فرانسوا توال) الذي ألف كتاباً باسم (الجغرافيا السياسية للشيعة (Shia Geo – Political)، لم يتجاوز السنة تقريباً، وهو من الخبراء الكبار في الأمن الاستراتيجي الفرنسي. يتحدث عن الشيعة ويقول:

إنَّ مرادهم من الغيبة هي خفاء الإمام المهدي في كيفية حركته السياسية، لأن الخفاء أكبر عامل قوة يؤمن حيوية النشاط وحيوية الحركة وحيوية التدبير.

هذا الخبير الأمني يفهم معنى شفرة الغيبة في علم الأمن، ويقول عن العدالة المهدوية التي ينادي بها الشيعة: أنا أهيب بالساسة العالميين والمراقبين الدوليين، بأن هذه النظرية وهذه العقيدة مرشحة أن تنتشر بين شعوب العالم بين ليلة وضحاها وتعتنقها المجتمعات المختلفة، وبأشد مما انتشرت الشيوعية والاشتراكية؛ لأن هذه النظرية متكاملة، لا تضع ميزاً للعرق ولا القومية...، وهي أنشودة الأمل البشري الآن، فمن اللازم على هؤلاء المراقبين والساسة أن يتعرفوا على هذه النظرية وهذه العقيدة بعمق، وأن يتعاملوا معها بحذر ؛ لأنها مرشحة لذلك.

ويقول فيما يقول: إننا لا يمكن أن نواجه مذهب التشيع عبر الفلسفات الغربية وعبر الإنتاج الحداثوي ـ الهيرمونطيقي ـ الغربي، لأن هذا المذهب يجمع بين ثوابت الدين وبين استيعاب كل متغير وإعتماد الوحي في فهم

والعقل، ونبذ ما هو طالح فيه ورسم وإقامة ما هو صالح، ومن ثم فإن عمق فكر المذهب الشيعي ليس على النحو الذي نتصور أن نهاجمه من خلال فلسفة أو فكر معين؛ لأن فيه قابلية استيعاب كبيرة للمتغيرات، فهو يجمع بين هذه الثوابت الدينية وبين تحكيم العقل في قراءة كل المستجدات والمتغيرات، لنبذ كل ما هو سيء منها وإقامة ما هو صالح.

فمذهب أهل البيت عليهم السلام آخذ في الانتشار، وإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ حتَّم أن هذا المنهج الصائب هو الذي يسود البشرية، تمهيداً للحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، لكن الكلام في ماهي مسؤوليتنا ودورنا في هذا الموقع.

علينا تجسيد أخلاق أهل البيت عليهم السلام في عاشوراء:

إذا كان الموسم عاشوراء، فلابدَّ أن نجسد البطولة في الأخلاق؛ لأنَّ أعضاء ملحمة كربلاء، كانت لهم بطولة في الأخلاق، قبل أن تكون لهم بطولة في الفروسية والشجاعة. هل نقيم نحن مراسم عاشوراء بهذه النموذجية؟ يجب أن نكون قدوة «دعاة للناس بغير ألستتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية»[1]؛ لأنَّ هذا الدين، دين عملاق وقيم وعظيم، فمن الذي يحمله للبشرية؟

نحن نعيش الآن في عصر الإغراءات الشديدة، وإن كنا نريد أن نكون بمستوى المسؤولية، وبمستوى العصر، بمستوى هذه الحقبة البشرية، بمستوى هذه الرسالة العظيمة في هذه الحقبة، التي هي أصعب الحقب، الموطئة للإصلاح الشامل، إن كنا نريد أن نكون فائزين، علينا خلق إرادة قوية

---

(١) الكافي ج ٢ ص٧٨.

لدينا، مقابل الإغراء الشديد، نحتاج إلى رياضة روحية شديدة، وإلا كان المصيد هو الانزلاق أمام الإغراء، وبدل أن نكون دعاة إلى أهل البيت عليهم السلام، نسبب النفور عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام. والحال أنَّهم عليهم السلام خاطبونا، أن نتدارس فكرهم ونستنير ببصائرهم، ونتحمل هذا الفكر بخلقِنا من أنفسنا نماذج أمثولية ؛ لنجذب الناس بدل أن نبعدهم عن مذهب أهل البيت عليهم السلام.

فالمفروض في موسم عاشوراء أن نعيش حالة مثالية روحية فائقة جداً، بجانب تعايشنا حالة الحزن والبكاء ومُدارسة المدرسة الحسينية، لكننا لابد أن نتشدد في الجهات الأخلاقية أيضاً؛ لكي يكون انجذاب الآخرين إلى المرسم الحسيني وإلى المهرجان الحسيني كبير، ولا يكون رعاة ضيوف الاستقبال منفرين، وإن شاء الله هذا هو المأمول من الجميع، أن نجسِّم أخلاقيات كربلاء، وأخلاقيات سيد الشهداء، الذي يتشدد في الصغيرة والكبيرة من المبادئ. هذا مسلم ابن عقيل، وهذا أبو الفضل العباس، وهذا علي الأكبر، نماذج قمم روحية في الأخلاق في كل خطواتهم، وحتى في حالة اضطراب الوضع العسكري والروحي والنفسي، لا يفقدون الأخلاقيات.

لاحظ شدة المحنة، وشدة الزلزال والبركان، عندما كان مسلم بن عقيل مهدداً في نفسه وفي مسيرة سيد الشهداء، لكنه لم يتناسَ المبدأ، فـ «**الإسلام قيد الفتك**»[1]! ولم يبرر لنفسه بأنه: الآن في بركان، وفي هذه الحالة يدوس على المبادئ! هذا يحتاج إلى تنمية عظيمة، لكي نكون كنموذج سفير الحسين عليه السلام، سفير هذه المدرسة. آتني بدعاة إصلاحيين كهكذا نماذج، يعيش الزلزال ولا يفقد توازنه ومبادئه وأخلاقياته! والنماذج كثيرة في كربلاء؛

(١) مقتل الحسين عليه السلام ص ٣٣.

ليخاطبوا الوجدان البشري، فأنتم أيها الإصلاحيون إذا فُتتم بالإصلاح والتغيير، لا تفقدوا الأخلاقيات، لا تفقدوا الشعارات ولا تفقدوا المبادئ.

إذا أردنا أن نلبس السواد ـ إنْ شاء الله نوصل ركبنا بركب سيد الشهداء ـ يجب حين ذاك أن نعيش هذه الأخلاقيات في ظل هذا الجو، لكي نكون دعاةً للمدرسة الحسينية، بدل أن نكون معوقين.

ولا نجسد هكذا أخلاق سيد الشهداء، ولا ندعو بسلوكنا القاصر إلى نهج سيد الشهداء، ومجيئنا إلى المراسم الدينية الحسينية لإقامتها وإقامة العزاء لجذب الناس لا لتنفيرهم وو تعكير صفو صورة سيد الشهداء، فيجب على ذلك أن نكون بقدر المسؤولية.

الفصل الثالث

الحسين عليه السلام حاضر و مستقبل

لا ماضٍ فقط

بقلم

إبراهيم البغدادي

الحسين عليه السلام حاضر ومستقبل لا ماض فقط

البكاء على سيد الشهداء عليه السلام:

هناك شعار للبكاء ذكره القرآن الكريم ويؤكد عليه الإمام زين العابدين عليه السلام فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: بكى علي بن الحسين على أبيه الحسين بن علي عليهما السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما اشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك[1].

وفي رواية أُخرى: أشرف مولى لعلي بن الحسين عليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين أما آن لحزنك أن ينقضي، فرفع رأسه إليه وقال: ويلك - أو ثكلتك أمك - والله لقد شكى يعقوب إلى ربه أقل مما رأيت حتى قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾[2]، إنه فقد أبناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي[3].

ونلاحظ هنا أن الإمام زين العابدين عليه السلام واجه نفس الموقف الذي واجهه النبي يعقوب عليه السلام في إنكار ونكير أبنائه عليه في البكاء والحزن الطويل

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢١٢ الباب ٣٥.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٤.
(٣) المصدر السابق.

على يوسف عليه السلام، وهذا الجواب الذي صدر من يعقوب عليه السلام أصبح شعاراً للبكاء، لأن القرآن الكريم يقص من أفعال وأقوال الأنبياء وغيرهم من الأوصياء ما يكون عبرة نعتبر بها، فعندما اعترض أبناء يعقوب حينما أبيضت عيناه من الحزن ﴿قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[1] أجابهم عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2] وهنا نلاحظ أن جواب يعقوب عليه السلام كان في جملتين:

الجملة الأولى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ﴾ فهو يريد أن يوضح لهم أني لست أشكوا بثي وحزني من الله بل إلى الله، والفرق واضح بينهما، فإنه لو كان حقيقة بكاءه ومنطلقه أشكوا من الله فالشكاية هنا على الله - والعياذ بالله - وهذا نوع من السخط على الله عَزَّ وَجَلَّ وقدره، ولكن الشكاية هنا هي شكاية إلى الله يعني نوع من التوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لعرض هذه المحنة وهذه البلية والإستمداد والمدد والفرج من الله عَزَّ وَجَلَّ، وبالتالي يكون البكاء الذي عنوانه هو الشكاية إلى الله وليس إلى المخلوقين هو نوع من الدعاء، ونوع من التوجه ونوع من السؤال، ونوع من ذكر الله فـ ﴿أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ﴾ هو نوع من ذكر الله لأنه توجه إليه سبحانه وتعالى وهذا نظير ما ورد في دعاء الندبة «**وإليك أستعدي فعندك العدوى..**»[3] يعني طلب المقاضاة وبالتالي فإن هذا البكاء سوف يكون خطاب وحوار مع الله واستغاثة وتوجه إليه تعالى، فعندما

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٦.

(٣) دعاء الندبة، مفاتيح الجنان: ٥٣٧ ط. دار التعارف التاسعة.

يبكي الباكي فإنه يتوجه بألم وحزن يبثه إلى الله ينفس عن آلامه وحسرته عبد الباري تعالى، وأنه يا ربي ويا إلهي أن هذا الصفي من أصفيائك وأوليائك هكذا ظلم، وهذا بعينه مفاد الدعاء **«اللَّهُمَّ ألعن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد..»**[١]. ومفاد **«اللَّهُمَّ رب الحسين أشف صدر الحسين»**[٢].

البكاء نوع من الإصرار على مشروع التغيير والإصلاح الشامل:

هذا البكاء هو نوع من الطلب الملح والتوجه به إلى الساحة الربوبية لينتقم من بناء وكيان ونظام الظالمين ومن مسيرة اللا عدالة، وفي نفس الوقت هو طلب من الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينجز مسيرة العدالة على يد من أعدهم الله لأن يكونوا هم ذوي كفاءة وقدرة إلهية لقنوات العدل الذي يعجز عنه كل البشرية وهذه قضية مصيرية للأمة في الأرض على يد خلفاء الله في أرضه وأوليائه وأصفيائه.

فالبكاء يحمل نوع من هم المسؤولية الكبيرة إتجاه الدين الإلهي بل هو إقامة الدين من التوحيد والعدل في الأرض على يد أصفياء الله وأوليائه من النبي وعترته صلوات الله عليهم.

ولا يخفى أن طلب الانتقام هنا ليس هو بمعنى التشفي النفساني النابع من تراكم أحقاد، بل هو نسخ وإزالة أعراف الظالمين في البشر واستبدالها بأعراف الصالحين أو بالملة الحنيفية المتمثل بمنهاج النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وهذا ما تربينا عليه الشريعة والدين، وبالتالي هو إزالة البراثن والمفاسد التي

---

(١) زيارة عاشوراء.
(٢) كامل الزيارات: ٤١٤.

عشعشت في عادات وأعراف وسلوكيات المجتمع والبشر وإزالة الظلم عن الناس، ولكن ليس كشعار فضفاض، وإنما عبر أسس ونسيج برنامجي إلهي وهو النقمة والانتقام من الظالمين الذين هم عامل أساسي لبقاء كيان ونظام الظلم والفساد في الأرض.

روي أنه لما قتل عبيدالله أبن زياد سجد علي بن الحسين عليه السلام شكراً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من عدوي، وجزى الله المختار[1].

ففرح الإمام زين العابدين عليه السلام من انتقام المختار ليس هو للتشفي النفسي الشخصي وإنما هو من أعراف بني أمية التي تفشت في العراق قد دكدكت وأزيلت بانتقام المختار، لأن عناصر وأتباع بني أمية بتواجدهم في المجتمع كانوا يربون ويفشون فيه النهج الأموي الذي هو نهج فساد وإنحاط أخلاقي، والعراق الذي هو بلد النبيين والصديقين كيف يكون مآله بلد فجور الامويين وفسوقهم ومجونهم؟!

ولكن عندما تقطع هذه الجذور الخبيثة منه فهذا هو معنى الانتقام وهذا يعني إزالة عروق الفساد التي أصبحت متكثرة ومتفشية في أعراف ونسيج المجتمع.

البكاء عبادة:

فالبكاء عبادة من العبادات التي نتقرب بها إلى الله، وهذا نظير الصلاة حيث نتوجه فيها وبها إلى الله، وكذلك الصوم حيث يتوجه به إلى الله، وكذلك الحج والزكاة والزيارة فكذلك البكاء، ولذلك نرى القرآن الكريم

---

(١) بحار الأنوار ج٤٥: ٣٨٥.

يمدح البكاء إلا ما ندر، وعكس ذلك نرى الفرح والبطر إلا ويذمه القرآن إلا ما ندر، فالبكاء الذي يمتدحه القرآن هو كالصلاة التي يتوجه بها العبد إلى الله ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، فإن الإنسان عندما يبكي فهو يتوجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وهو شكوى إلى الله من الظلامة وتفشي الظلم ومن العدوان الذي اعتدي به على خلفاء الله وحججه وأوليائه الذين هم نور وطهارة وأمل في إسعاد البشرية، فيخفت القلب والروح في التوجه والشكاية إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فمثلاً الطفل أو الضعيف عندما يبكي فإنه يتوجه ببكائه إلى قوي ويكون بكائه بمثابة نداء واستغاثة ودعاء واستنصار لمن يوجه البكاء له فبكائه ليس يأساً ولكن طلب وإلحاح لإنجاز ما يريده.

فنفس البكاء هذا هو شكاية، ونحن البشر ضعفاء إتجاه القدرة الإلهية لا أتجاه المخلوقين الآخرين، ولذلك نرى أن يعقوب عليه السلام لم يقل لأولاده أشكو بثي وحزني إليكم أنتم أيها الظالمون ليوسف وإنما إلى الله سبحانه وتعالى.

ومن خلال كل هذا يتضح أن الشكاية هي عبارة عن التماس ونوع تذمر من الظالمين ولكن هو بالتوجه إلى الحضرة الإلهية، وهو نوع من الإعتراض على الظالمين لكن في معرض طلب المقاضاة الإلهية ليكون تعالى هو الحكم، وبالتالي سوف يكون هذا البكاء منطوي على أمل وطلب الإصلاح ورجاء للمستقبل الواعد.

الجملة الثانية: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فسرت هذه الآية في الروايات بعدم اليأس وفي نفس السورة تفسير لها وذلك عندما جاء البشير بقميص يوسف حيث قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ

فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[١]، يعني رجاء الأمل والفرج والانتظار للغوث من الباري تعالى، فبكائه لم يكن أياس وليس حبط آمال وهمم بل هو تطلع إلى المشروع وطلب إنجازه من الله، وهذا هو عنفوان النشاط والحيوية والحركة والعمل وذلك بسبب الاعتقاد بمفاد ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ أي الاعتقاد والعلم بأن الله تعالى منه الفرج وحل كل عقدة وشدة لان الله تعالى لايعجز عن شيء وهو قادر على كل شيء، فأنتم تقولون أن يوسف انتهى وانقضى عمره واندرس أما أنا فلا زلت أنتظر الأمل والفرج من الله وهذا التوجه والإلحاح في الدعاء بأسلوب البكاء وبلغة الشكاية إلى الله تعالى كي يرفع هذه المحنة والبلية ويكشف هذه الغمة وبالتالي سوف يمدد بالشيء الموعود بالإنجاز ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٢].

ومن خلال هذا كله يتضح أن البكاء عبارة عن استدعاء من الله أن ينجز ذلك المشروع الإلهي وبالتالي فهو إصرار على إصلاح وبناء ما تهدم وبناء ما لم يبنى فهو عنفوان الإصرار والثبات على الهدف والاستقامة.

فقه الشعائر الدينية:

فقد يستدل في ذلك الموضوع بلفظة أو معنى آخر لم يرد عنوان الشعائر فيه أصلاً ولم يرد في الآية أو الرواية مرادفه اللفظي، نعم المعنى لم يرد بتفاصيله وبخصوصياته، ولكن أجزاء منه وردت كثيراً في العناوين الأخرى. كما في مثال لفظ موضوع الشعائر ففي تعالى: ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ

(١) سورة يوسف: الآية ٩٦.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٧.

اللّهِ﴾[1]، تضمن بعض وجزء مشترك مع معنى الشعيرة والشعائر وإنما نذكر هذه الأمثلة لكي يتبين كيفية أن المعاني تفتق وتحلل، وإذا كان الباحث لايخوض في بطن المعنى ويفككه ويفصله فمن الأفضل له أن لا يخوض في الأستدلال ولا يدعي التحقيق العلمي أصلاً.

فمثلاً إن الشعيرة أو الشعائر معناها العلامة، وهذا المعنى نفسه يشترك مع لفظ ومعنى الأسم والوجه والجهة والآية كما بيّنا ذلك سابقاً.

إذنْ الشعيرة على شؤون الذات الإلهية، أي هي مضافة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا معناه العلامات إلى الله وكل المفسرين والفقهاء قالوا المضافة إلى دين الله أي شعائر دين الله، فلابدَّ من الخوض في التحليل أما قفل سطح الألفاظ فهذا ليس إستدلال ولا إجتهاد بل يكون هذا شبيه بالحفظ لألفاظ محفوظة.

٢ ـ في القاموس: أشعره الأمر: أعلمه، أشعرها: جعل لها شعيرة، وشعار الحج: مناسكه وعلاماته، المشعر: موضعها أو معالمها التي ندب الله إليها. أبن فاري: الإشعار: الإعلام من طريق الحس، المشاعر: المعالم وهي المواضع ـ الحسية ـ التي أشعرت بالعلامات.

القرطبي نقلاً عن بعض اللغويين: كل شيء لله فيه أمراً شعر به وأعلم يقال له: شعار، الشعار العلامة، أشعرت: أعلمت.

الآن السلفية يقولون المواليد التي نحتفل بها كمولد النبي صلى الله عليه وآله بدعة، فلنفهم ما هو معنى البدعة أو الخدعة، وما هو معنى السلعة والدين، وما شابه ذلك. الشعيرة هي العلامة على دين الله، والعلامة تطلب دلالة على

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٥.

ذي العلامة، وذي العلامة مضافة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

فشعائر الله علامات على دين الله فأي منهما المجعول دين الله أم العلامات، وهنا تساءل آخر شعيرة الله تعني شعيرة دين الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي علامة على دين الله، والدين من جعل الله أي تشريع الله عَزَّ وَجَلَّ ولا ريب في أن دين الله هو الذي شرعه الباري تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا﴾[١].

إذن إضافة الشعائر إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لأن ذي الشعيرة وهو الدين مضاف إلى الباري تعالى، ومنه فرض الفرائض وشرع الشرائع: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢]، ثم نأتي إلى العلامة أو العلائم الدالة على دين الله، من أين أتت عظمة هذه العلامة كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب﴾[٣]، يعني يعظم العلامة، وهذا التعظيم لأجل عظمة الدين،فالدين معظم عند الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون﴾[٤]، ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[٥]، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ مَرَدَّ لَهُ مِنَ الله﴾[٦].

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٣ .
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨ .
(٣) سورة الحج: الآية ٣٢ .
(٤) سورة الروم: الآية ٣٠ .
(٥) سورة يوسف: الآية ٤٠ .
(٦) سورة الروم: الآية ٤٣ .

فالباري عَزَّ وَجَلَّ يشيد بالدين، فإذا أشدت أنت بالدين فأنت حينئذ تشيد بالعلامة على الدين، إذن منشأ تعظيم العلامة هو لتعظيم ذي العلامة، وحينئذ يأتي التسؤل: هل هذه العلامة لا بد أن تكون مجعولة من قبل الشرع، لأن الدين مجعول من قبل الشرع، فالمعاني هي التي تدلَّ عليها الشعيرة أو العلامة، فالدين مجعول من قبل الله تعالى وتعظيم الشعيرة أو العلامة هو بسبب تعظيم ذي العلامة. والدلالة والدال يجوز أن يكون بوضع من العرف، فإن عالم الدلالات يتحقق بالتواضع التوافقي فيما بين العرف العقلائي علقة جعلية بين الدال والمدلول.

وقد تكون هذه الرابطة أو هذه الدلالة مجعولة من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ كما جعل البدنة من شعائر الله: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ (١) أي علامات للحج.

شعيرة الأذان:

أيضاً جعل الله (عَزَّ وَجَلَّ) الأذان شعيرة للصلاة، فإن شعيرة الصلاة علامة دالة على الدين، أي فصل من الدين للباري تعالى، فالأذان هنا أصبح علامة للصلاة، وفي نفس الوقت هو نداء للصلاة.

إذن الأذان شعيرة على الصلاة، وهذه الشعيرة وضعها الله عَزَّ وَجَلَّ وشرعها، ولكن ليس من الضروري أن تكون العلامة دلالتها على الدين من وضع الشارع، فقد تكون هناك علامات هي من وضع العرف وبالتالي تكون هذه العلامات من الشعائر، مثل القبب، فإن كل مذاهب الفقه

(١) سورة الحج: الآية ٣٦.

الإسلامي ليس لها أي مستند للقبب لا من الآيات ولا من الروايات، ولكن الآن القبة صارت علامة على المساجد، وهذه العلامة ـ القبب ـ أتخذها المسلمون وجعلوها دلالة على المسجدية، وبالتالي أصبحت شعيرة دينية لأنَّ المسجد من دين الله.

وهذا الباب الأحتفال بميلاد النبيﷺ هل يلزم أن يكون بالأمر الخاص بالأحتفال من الشارع أو يكفي أن الشارع قد عظم المعنى.

فإذا عظم المعنى فإن هذا يدل على التعظيم تلك العلامة الدالة على ذلك المعنى، لأن تعظيم العلامة ليس لأجل العلامة وإنما تعظيم العلامة نابع من تعظيم ذي العلامة قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوب﴾[1]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ الله﴾، فإن كل هذا تعظيم للدين وذلك بأعتبار أن الشعائر علامات ومعاني على الدين، فإن كل هذا تعظيم للدين، وذلك بأعتبار أن الشعائر علامات ومعاني على الدين.

أسرار زيارة الأربعين:

إن زيارة الأربعين هي عبارة عن مهرجان إلهي تعبوي يتم فيه نوع من دخول البشر في النور، وبالتالي يدربون على التضحية في سبيل القيم والمبادىء ومن ثم على رفعة معدن الذات والطينة الإنسانية، فبدل أن تكون خسيسة، دنيئة، دنية، أسيرة للشهوات أو للغرائز أو للدنيا أو لحب البقاء، وبدل أن تكون ذليلة ورهينة السفاسف سوف تتصاعد وتحلق إلى

(١) سورة الحج: الآية ٣٢.

المعالي، وتبني شخصية الإنسان في هذا المعسكر، وتتشبع فيها القيم والمعالي والفضائل والعزة.

ولذلك نرى كل المراقبين الدوليين المترصدين - ومن مصادر عديدة - يقرون بأن هذه الزيارة الملايييني هي أكبر معهد ومعسكر تدريب للنفس البشرية بشكل عظيم، حيث يدربها على التضحية والفداء والعطاء. بحيث أي دولة كبرى لو أرادت أن تعبئ شعبها ولو لشرائح قليلة منه استعداداً لحرب - مثلاً - أو حرب طوارئ التي تطرأ على البلد فلا تستطيع أن تجند إلا القلة القليلة وبالترغيب والترهيب، بينما في زيارة الحسين عليه السلام نجد الملايين من البشر، بل زحف بشري ملايييني وطوعي من نفس البلد ومن خارجه، فما هذه القدرة في التعبئة؟!

زيارة الأربعين والمراقبة الدولية:

إنَّ كل المراقبين الدوليين على وجل وخوف من هذا المهرجان العبادي الروحي العملاق، لأن هذه الوقود والقدرة في التعبئة المليونية والسنوية لا يمتلكها أكبر نظام على وجه الأرض، ولا أي دولة عظمى ولا الوسطى ولا الدول الأخرى، بل حتى الدول الإسلامية بل وبصراحة حتى النظم الشيعية لا تمتلك هذه القدرة وبشكل لا ملل ولا كلل، وإنما الذي يمتلك هذه القدرة والوميض والمحرك هو الإمام الحسين عليه السلام وبشكل طوعي ليس فيه أي ترغيب أو ترهيب، بل فيه المخاطر والتضحية بالنفس والمال للزائرين المشاة بسبب الإرهاب الحاقد الأعمى البغيض.

فقد ذكر عدة من الأخوة من ذوي الرصد والمتابعة أن بعض الدوائر

الغربية تجري دراسة خاصة سنوية عبر إذاعاتها ومواقعها وعبر الانترنت حول ما يفعله الخطباء والرواديد من تأثير في نفوس الشباب.

زيارة الأربعين والنظام البائد:

وقد كان النظام البائد - كما جاءت الأنباء والمصادر بذلك - يستعرض فيلما وثائقيا عن هذه الظاهرة الحسينية على أعضاء القيادة القطرية قبل سقوط النظام العفلقي بأشهر، وأخذ يستنطقهم ويستدرجهم لأخذ آرائهم في كيفية قمع هذا البركان الحسيني، فتخوف كل أعضاء قيادته ولم يجيبوا بشيء لا نفياً ولا إثباتاً خوفاً من غطرسة طاغيتهم، وبعد ذلك أجابهم أن هذا الزلزال الحسيني لم يهدأ أبداً ولكني في السنة القادمة سوف أفعل ما أفعل، وأخذ يتهدد ويتوعد بقطع الأيدي والأرجل والأذان ـ ولكن ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

فالذي كان يقرف العفالقة وطاغيتهم العفن خوفا ووجلاً ومن وراء نظامهم دوائر دولية كثيرة هي المخططة لهذه الأمور هو أن هذه القدرة التعبوية الحسينية رغم إرهابهم لم يستطيعوا أن يوقفوا التدريب على الشجاعة والجرأة الموجودة في معسكر الحسين عليه السلام فالعراق هو قلب الشرق الأوسط وهو مفرق جغرافي إلى قارة آسيا وأفريقيا فبالتالي هو مفرق الحضارات والأديان ومفصل لكل شيء، وهو قلب نابض والحسين رابط في هذا القلب وكل هذه القدرات التعبوية موجودة عنده عليه السلام.

---

(١) سورة الصف: الآية ٨.

المشروع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني:

ومن خلال ما سبق فإنَّ الحسين عليه السلام هو الناصر لولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو الذي يعد العدة له عجل الله تعالى فرجه الشريف لأنَّ هذا التدريب الروحي وهذه التربية الروحية وهذا البناء الروحي الإنساني لأجيال المؤمنين يتم بيد الحسين عليه السلام فهو الذي يوطىء للظهور ولنصرة ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ومن هنا نستطيع أن نقول أن المهدي ينصر بالحسين عليه السلام، وهذه نقطة مهمة.

والنقطة الأخرى أن المشروع المهدوي لا تقوم له قائمة بدون الحسين عليه السلام، وبعبارة أخرى أن ولاء المؤمنين للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف متشعب عن ولائهم واستماتتهم ومودتهم بجده الحسين عليه السلام وليس العكس، وهذه النقطة تبين موقع الإعتقاد بالإمام الحسين عليه السلام وكيف هو متقدم على موقع الاعتقاد بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويشير الى مراتبهم عليه السلام ما في الزيارة «لعن الله أمة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتبكم الله فيها»، فإعتقاد المؤمن أولاً بالله وبالنبي صلى الله عليه وآله هو الذي يدعوهم لنصرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، فكذلك اعتقاد المؤمن بأمير المؤمنين أولاً هو الذي يدعوهم لنصرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ثانياً. وهنا كذلك فاعتقاد المؤمن بالإمام الحسين هو الذي يكسبهم الولاء للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فواضح أن المشرووع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني، وبعبارة أخرى أيها المهدويون ىا عشاق المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويا عشاق الظهور والفرج بابكم الأوسع لنصرة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ولإقامة المشروع المهدوي هو مشروع الحسين عليه السلام والشعائر الدينية وهذا أمر عظيم جداً يجب الالتفات إليه، ومن ثم فزيارة الأربعين هي بنفسها وبحجمها الملايين هي تربية على الإعداد للظهور وللمشروع المهدوي.

المراقبة الدولية لزيارة الأربعين:

هناك مصادر موثقة وموجودة ولكن بما أن البحث بحث معرفي فسوف نعرض عن ذكر التسميات حتى لا يأخذ البحث مسارات أخرى.

هناك مراقبون دوليون يراقبون الظاهرة المسيرية الملايينية التي يخرج لها شعب بأكمله ومن جميع المحافظات، بحيث تفرغ أغلب هذه المحافظات عن بكرة أبيها، فلو نلاحظ أي تجمع بشري الآن وفي أي مدينة حتى من البلدان المتحضرة صناعيا وتقنياً كالغرب وغيره أنهم كم يحتاجون لأجل تجمع بشري ما من ناحية البعد الأمني إلى مؤونة لحراسة هذا التجمع، وكيف يتم تدبير الرعاية الصحية، الرعاية المرورية، رعاية التموين الغذائي، الرعاية الأمنية من داخل التجمع ومن خارجه، الرعاية في جدولة البرامج، الرعاية الإدارية في تنسيق هذه البرامج بين بعضها البعض، الرعاية البلدية وغير ذلك، وبعبارة أخرى مرافق الدولة بوزاراتها الخدمية وغير الخدمية وحتى السيادية لا تستيطع أن تنظم مثل هذه الظاهرة الملايينية إذا كانت في بقعة ومنطقة واحدة فكيف إذا كانت منتشرة على جميع الطرق من المدن المختلفة التي تؤدي نهايتها إلى كربلاء الحسين عليه السلام ولعدة أيام أو أسابيع.

فنظم هذه الأمور في علم الإدارة، العلوم الإستراتيجية، العلوم البلدية، علوم إدارة المدن لو تمت هذه العلوم في نظم هذا المجموع ورعايته فلا تستطيع السيطرة عليه بل هو خارج عن قدرة الدولة تماماً، فمثلاً الحج قد يصل عدد الحجيج فيه إلى ثلاثة ملايين ولأيام معدودة وفي داخل بقعة جغرافية محدودة وهي مكة المكرمة والمشاعر، وفي كل هذا التطور الحاصل فيها من الأبنية والمرافق والمرور تقع فيها الضحايا والشكاوى وغير ذلك،

فكيف بالانتشار البشري الذي يمر عبر طرق بين المدن والصحراء وبمسافات تقدر بمئات الكيلومترات، فكيف يمكن لدولة أن تنظمه، والحال أنه ليست الدولة هي التي تنظمه وإنما هو ينظم تلقائياً من المؤمنين.

أحد الرموز ذكر أن مسؤول القوات المسلحة للشرق الأوسط للإدارة الأمريكية راقب هذه الظاهرة والمظاهرة الحسينية عبر الأقمار الاصطناعية لمدة أسبوعين أو أكثر وبث مباشر فأنبهر وقال: أنا اعترف أنتم - الشيعة - أكثر تحضراً بالمقايسة مع الأحداث التي تقع في نيويورك أو باريس.

وهذا واقع وليس فيه أي تعجب، لأنه راقب الحدث مباشر فلم ير أي فتنة أو قتال أو عراك أو اصطدام أو إرباك، حسب ما يقول، في حين سمعنا وربما البعض منا شاهد ذلك أن الكهرباء أنطفأت لدقائق قليلة في الدول المتحضرة في الآليات التقنية المعدنية والصناعية كالغرب فأختل الوضع الأمني حيث حصل سطو وسرقات، بينما هنا في زيارة الأربعين لم يحدث أي شيء من هذا القبيل، وهذا ليس بصدفة بل هو إعجاز ولكن لا الإعجاز بمعنى أن نرى يد من الملكوت وإنما نفس برامج قيم وتعاليم أهل البيت عليهم السلام لحقايق القرآن هي إعجاز، فإن نور تربية أهل البيت عليهم السلام إعجاز، معارف وآداب أهل البيت عليهم السلام إعجاز.

زيارة الأربعين والمدينة الفاضلة:

إنَّ معسكر الأربعين هو عبارة عن تجسيد المجتمع والمدينة الفاضلة أمام مرأى البشر، وهذا التجسيد يتجدد في كل عام من قبل المؤمنين، وأحد تفسيرات المدينة الفاضلة التي فسرت من قبل الحكماء وأصحاب العلوم الاجتماعية هي التي لا تحتاج إلى رئيس وموجه، فكأنما البشر فيها قد وصلوا إلى

مرحلة البلوغ العقلي والروحي والإداري والعلمي، فإن نسيجهم الطبيعي هو الذي يدبر نفسه بنفسه، وهذا في الحقيقة هو غلبة العقل والنور على الغرائز، لأن الغرائز الهابطة الأرضية كما يصفها القرآن الكريم ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1] منشأها هو الحرص والطمع وهذا ما بينه الكتاب الكريم ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

فإذا كان العقل والنور والقلب يطغى فسوف تكون هناك جنة وأمان، ولهذا السبب نرى أكثر الحكام الجبابرة والأنظمة الحاقدة على مذهب أهل البيت يتخوفون من هذه الظاهرة الحسينية وهذا ما أشارت إليه التقارير الدولية التي تراقب هذا الحدث بخفية وغير خفية.

فلا يمكن أن ننظر إلى زيارة الأربعين كطقوس عبادية محضة بقدر ما هو عبادة بناء مجتمع وبناء رؤية ثاقبة، ومرآة ناصعة للبشرية.

فلو نلاحظ مفهوم التكامل ومفهوم التضامن وكل المفاهيم الأخلاقية وليس على الصعيد الفردي والأسري بل على الصعيد المجتمعي تتجسد في زيارة الأربعين، كحل الأزمة الاقتصادية، وحل الأزمة الأمنية، وحل الأزمة العنصرية والتمييز العنصري وغير ذلك من الأمراض الكثيرة التي تعاني وتقض من مضجع البشرية كل هذه الأزمات حلولها في مدرسة ومنهاج الحسين عليه السلام فتعالوا واشهدوا هذا المجتمع الفاضل والمجتمع النوري، والذين يعيشون أيام مسيرة الأربعين يعيشون في الواقع حالة الصفاء الروحي والنوري

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

ويتمنى كل فرد منهم أن يعيش هذه الحالة طول عمره.

ولهذا نرى المؤمن إذا دخل في معسكر هذه الأجواء للشعائر الحسينية يعيش حياة هذا المجتمع النوري الفاضل ولكن إذا رجع إلى مدينته أو بيته وتناسى الحسين عليه السلام فبقدر ما نبتعد عن الحسين عليه السلام نبتعد عن هذا النور وعن هذه الجنة والجنان والمثالية، وبقدر ما نعيش ونقبل على الحسين عليه السلام نعيش هذه الجنان الحسينية كما روى عنهم عليهم السلام: من أقبل علينا أقبلنا عليه ومن أدبر عنا أدبرنا عنه.

فبقدر ما يقبل المؤمنون على مدرسة أهل البيت عليهم السلام يعيشون الصفاء والنور والثمار، وفي نفس الوقت يجسدون حاضرة متمدنة لم تشهدها إلى الآن البشرية، فهناك تحدي بين قيادة سيد الشهداء وتأثير سيد الشهداء وتربية سيد الشهداء للبشرية وبين كل الحضارات والأنظمة والمدارس البشرية وكل المصلحين البشريين بما فيهم المسلمين والمؤمنين.

فلا يوجد أي مصلح غير الحسين عليه السلام يمكنه أن يربي ويصهر النفوس على مسار ذهبي ولو كان عالماً مؤمناً.

الحسين عليه السلام أسوة قدماً:

ففي حديث عظيم لأمير المؤمنين عليه السلام وهو يصف ولده الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله أسوة[1] أنت قدماً[2].

يعني أنت منذ القدم أسوة وقدوة حتى للأنبياء والرسل، وهذه منقبة

---

(١) الأسوة: القدوة، وما يأتسي به في الاستقامة أمام الشدائد والبلايا، أي ثبت قديماً أنك أسوة الانبياء والخلق يقتدون بك، أو يأتسى بذكر مصيبتك كل ممتحن مبتلى بالصعاب.
(٢) كامل الزيارات: ١٤٩، الباب / ٢٣ ح:٣.

ومعجزة لسيد الشهداءعليه السلام كما أنه برهان عصري نشهده الآن، فباب الحسينعليه السلام وسفينته أوسع وأكبر، وما نشاهده الآن في المجتمعات البشرية المضرم فيها التكالب والتطاحن والحروب والعداوات والتي تأن من الظلم الاقتصادي بسبب الأزمة المالية الراهنة الآن، ومن الظلم والتمييز الهمجي، وكل الأنظمة التي حكمت وجاءت بالاشتراكية والرأسمالية والشيوعية والديمقراطية إلى الآن لم تقدم أي حلول لهذه الأزمات، وفي ظل هذا نرى هناك بيعة وانقياد بشري طوعي سلمي سلس وسنوي لسيد الشهداءعليه السلام والقريب والبعيد والعالم وغير العالم تأثر في هذه المدرسة وفي هذه الدولة التي رقعتها النفوس والبشر وليس الجغرافية، هذه الدولة قائمة ومبنية على يد سيد الشهداءعليه السلام فكم هي قدرة قيادة الإمام الحسينعليه السلام للمجتمعات.

وقول أمير المؤمنينعليه السلام يا أبا عبد الله أسوة أنت قدماً يعني أن الحسينعليه السلام تأثيره ليس فيما بعد واقعة عاشوراء بل قبل، حيث علم به الأنبياء والأوصياء، فماذا صنع بهم الحسين لكي يكون لهم أسوة؟!

حيث أن الله عَزَّ وَجَلَّ كان يوحي ويقص على الأنبياء ما يجري على سيد الشهداءعليه السلام في واقعة عاشوراء لكي يعضهم ويربيهم على الصبر[1] وعندما يستعرض لهم واقعة عاشوراء كان يأخذهم البكاء، وهذا نوع من الآلية والبرنامج التربوي من الله عَزَّ وَجَلَّ لأنبيائه كي يكامل بهم إلى المعالي، ومن هنا كانت مواقف سيد الشهداء في الطف التي هي بالقياس للأنبياء مستقبل.

---

(١) راجع بحار الأنوار ج٤٤: ٢٢٢، الباب (٣٠) إخبار الله تعالى أنبيائه ونبيناصلى الله عليه وآله بشهادته.

الحسين يربي الأنبياء:

وبذلك أصبح سيد الشهداء عليه السلام بهذا التقدير من الله عَزَّ وَجَلَّ منذ القدم إماماً للأنبياء والرسل لما سيقوم به، وليس يقتصر ذلك على جانب الصبر والتحمل في الدين وجانب الإخلاص والخلوص وغير ذلك من الكمالات العظيمة، ولكن أيضا أحد الجوانب الأخرى وهو أن بكاء الأنبياء على سيد الشهداء عليه السلام نفسه هو برنامج تربوي روحي، فكما يبكون خوفاً من الله فبكائهم حزناً على الحسين يكامل ذلك البكاء، لأن البكاء يوجب رقة الروح، ويوجب تواضع الإنسان، ويوجب كبح هيجان الغرائز بل له فوائد للعقل لأن العقل يعمى بالشهوة، هذا بالنسبة إلى الأنبياء.

وأما بالنسبة إلى الأئمة عليهم السلام فقد تطالعنا الروايات المستفيضة أن سيد العابدين عليه السلام قضى أربعين سنة من عمره في البكاء على أبيه الحسين عليه السلام حتى عد أحد البكائين الخمسة.

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة (آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين) وأما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة وما وضع بين يديه طعام إلا بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة[1].

فقد صنع الإمام الحسين عليه السلام لأبنه السجاد عليه السلام جواً تربوياً وقلب حياته

(١) البحار ج٤٦: ١٠٨.

إلى رياضة ذكر الله تعالى عبر توجهه بالبكاء على أبيه إلى الله تعالى وهي أسلوب للشكاية من الظلم بتوجيه الشكاية إليه تعالى.

بل لنترفع أكثر، هناك روايات ومن مصادر الفريقين قد أحصاها الشيخ الأميني[١] في خمسة عشر مجلس أقامه النبي صلى الله عليه وآله بكاءاً على سيد الشهداء عليه السلام وكذلك السيد شرف الدين[٢]، فقد أقام النبي صلى الله عليه وآله يوم ولادته وقبلها ويوم السابع من مولده وبعده في بيت فاطمة وفي حجرته وعلى منبره وفي بعض أسفاره وتارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو وعلي وفاطمة، وكان النبي صلى الله عليه وآله يجهش في البكاء، فبكائه صلى الله عليه وآله تعالي روحي، وان كان سيد الأنبياء أعظم شأناً من سيد الشهداء ولكن نور الحسين يؤثر على نفس النبي صلى الله عليه وآله كما أن نور النبي صلى الله عليه وآله أعظم من نور الحسين ولكن نور الحسين عليه السلام يؤثر على بدن النبي صلى الله عليه وآله ويؤثر على النفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله يعني **«حسين مني وأنا من حسين»** ولا يخفى أن بدن النبي صلى الله عليه وآله وروحه ونفسه أعظم من بدن وروح الحسين عليه السلام لكن نور الحسين عليه السلام إذا قيس إلى النفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله حسب بيانات أهل البيت عليهم السلام هو قبل مقام النفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله صدوراَ في عالم الخلقة لأنه أول ما خلق الله نور النبي ثم نور علي ثم نور فاطمة ثم نور الحسن ثم نور الحسين ثم الأئمة التسعة المعصومين عليهم السلام[٣].

وهذا شبيه ما ذكرناه في مقامات فاطمة الزهراء عليها السلام بالنسبة لتسمية النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام بأم أبيها، فكيف تكون السيدة الزهراء عليها السلام أماً لأبيها

---

(١) سيرتنا وسنتنا للعلامة الأميني صاحب كتاب الغدير.
(٢) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة.
(٣) بحار الأنوار ج٥٣: ١٤٢.

المصطفى وهو أبوها وسيدها، فإن نورها شيء والنفس النازلة للنبي صلى الله عليه وآله شيء آخر.

وهكذا الأمر في القرآن والعترة، ففي بعض الروايات أن القرآن هو الثقل الأكبر، وفي بعضها أن العترة هم الثقل الأكبر، وهذا ليس تناقضاً في الروايات وإنما كل طبقة صفتها هكذا، فهناك طبقات في العترة إذا قيست مع الطبقات النازلة من القرآن فإن العترة هي الثقل الأكبر، والطبقات العليا في القرآن إذا قيست مع الطبقات النازلة في العترة فالقرآن هو الثقل الأكبر، وإن كان من حيث المجموع سيد الأنبياء هو سيد الأنبياء، ولذلك ورد في الروايات **«يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا فاطمة لما خلقتكما»**[١].

وهذا ليس معناه تفضيل فاطمة على النبي وعلي أو تفضيل علي على النبي عليه السلام - والعياذ بالله - وإنما المقصود هو ما بيناه سابقاً، وهذا نظير **«علي مني وأنا من علي»**[٢] و **«حسين مني وأنا من حسين»**[٣] وورد **«حسن مني وانا من حسن»**.

إذن تداعيات نهضة الحسين عليه السلام أورثت للنبي صلى الله عليه وآله حالات روحية خاصة، وإلى الآن يقيم النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة وذريتهما الرثاء لسيد الشهداء عليه السلام بل يزورونه هم وجميع الأنبياء، فإن أرواح النبيين عليهم السلام تستأذن

---

(١) مجمع النورين للمرندي: ١٤.
(٢) روضة الواعظين: ١١.
(٣) كامل الزيارات: ١١٦ ح١٢٧.

الله في زيارته فيأذن لهم كما ورد ذلك في الروايات[١].

وهكذا صنع سيد الشهداء عليه السلام مع باقي الأئمة عليهم السلام حتى قال الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: **«فلأندبنك صباحاً ومساءا ولابكين عليك بدل الدموع دما»** فلم يزل سيد الشهداء أسوة قدماً من الزمن الأول وإلى الآن كما ورد في قول أمير المؤمنين له، وإذا كان هذا صنع الحسين عليه السلام بالمعصومين الأربعة عشر فكيف صنعه بالأنبياء السابقين، فحقاً كان سلوة وأسوة لهم في الصبر والتحمل والزهد في الدنيا وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام يا أبا عبدالله أسوة أنت قدماً.

الحسين هو الذي يحكم العراق والبلدان:

الحسين حاكم القلوب:

فالحسين عليه السلام الذي قد أستشهد قبل أربعة عشر قرناً لا زال مسيطراً على النظم البشرية وعلى المجتمع البشري أقوى من سيطرة أي نظام في العالم، وهذا ما نشاهده الآن في زيارة الأربعين، حيث يخرج زمام الأمر من يد الدولة ويكون بيد الحسين عليه السلام وهذا ما قاله بعض المسؤولين من أن الحسين عليه السلام هو الذي يحكم العراق خلال زيارة الأربعين.

ولو أطلق الفضاء للشعوب الأخرى حتى الغربية إذا أطلق سراحهم عن سيطرة أنظمتهم لرأيناهم ينجذبون وينقادون للحسين وما تمليه مبادىء الحسين وقيم الحسين والجو التربوي لسيد الشهداء لعاشت البشرية في الجنان لأنَّه عليه السلام يحكم القلوب إلى الصفاء، وليست البشرية وحدها تنقاد له عليه السلام

---

(١) التهذيب ج٦: ٤٩، الوسائل ج ١٠: ٣٦٥، نور العين: ١٠٠.

بل حتى الملائكة فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: ليس من ملك في السماوات والأرض إلا وهم يسألون الله عَزَّ وَجَلَّ أن يأذن لهم في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج[١].

المشي إلى العبادة عبادة:

وهذه قاعدة فقهية وهي أن المشي إلى العبادة عبادة[٢]، فهناك نصوص خاصة تدل على أن السير إلى سيد الشهداء كالسير إلى زيارة أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة وله في كل خطوة حجة وعمرة وهذه بعض النصوص:

عن بشير الدهان عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث له قال: فقال: يا بشير إن الرجل منكم ليغتسل على شاطىء الفرات ثم يأتي قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائة حجة مقبولة، ومعها مائة عمرة مبرورة، ومائة غزوة مع نبي مرسل إلى أعداء الله وأعداء الرسول[٣].

وأيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل منه[٤].

حرمة مناسبة وموسم الأربعين:

وهناك قاعدة شرعية أخرى وهي أن حريم أي مناسبة شرعية لا يقتصر تبجليها وتعظيمها بيوم تلك المناسبة بل ما قبلها وما بعدها أيضاً لهما

---

(١) كامل الزيارات: ٢٢٣.

(٢) قد أشار إليها الشيخ الأستاذ في بحث الحج على العروة الوثقى ولكن قرر الآن بعض الأخوة الأعزاء هذه القاعدة بشكل أوسع من السابق. راجع الفصل الرابع.

(٣) الكافي ج٤: ٥٨١، كامل الزيارات.

(٤) وسائل الشيعة ج١١: ٧٨

نفس حرمة ذلك اليوم، وهذا شبيه بحرمة الموقع الجغرافي المقدس مثل الكعبة جعل لها المسجد الحرام حرمة لها ومكة حرمة للمسجد والحرم المكي حرمة لمكة والمواقيت حرمة للحرم المكي.

وهكذا حرم المدينة المنورة جعل لها النبي صلى الله عليه وآله حرم فهي تحيط بالمسجد النبوي.

وهكذا مرقد أمير المؤمنين عليه السلام حيث ذكر الشيخ الطوسي قدس سره[1] أن الصلاة عند أمير المؤمنين عليه السلام من ناحية القصر والتمام كالمساجد الأربعة التي يتخير فيها المسافر بين القصر والتمام، وعلل ذلك إن تمام الصلاة في مسجد الكوفة لأنها حرم أمير المؤمنين عليه السلام والقبر هو موضع الحرم ومركزه.

فعن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: من مخزون علم الله الإتمام في أربع مواطن: حرم الله وحرم رسوله وحرم أمير المؤمنين وحرم الحسين ابن علي عليهما السلام[2].

وأصل حرم أمير المؤمنين عليه السلام مرقده وفي شعاعه مسجد الكوفة.

وبذلك أفتى الشيخ الطوسي بل السيد المرتضى وابن الجنيد والشيخ حسين العصفوري بالتخيير في النجف الاشرف وكل المشاهد المشرفة للمعصومين عليهم السلام.

والحاصل أن المكان الجغرافي المقدس يؤخذ ماحواليه حريما له ويتسع هذا الحريم، فكل ميقات جغرافي أو ميقات زماني له حريم والأمثلة

---

(١) المبسوط ج١: ١٤١.
(٢) التهذيب ج٥: ٤٧٥/ ١٤٩٤.

في ذلك كثيرة لا يسع المجال لعرضها الآن.

ومن خلال كل هذا يتضح أن ما قبل يوم الأربعين وما بعده هو من حريم يوم الأربعين ويعتبر الأربعين موسما كما هو الحال في موسم الحج، وهذا أمر له دلائل كثيرة لشرعيتها.

العلمانية الجديدة وزيارة الحسين عليه السلام:

إنَّ البعض من مدعي العلمانية الجديدة يستنكر قضية السير الى الامام الحسين عليه السلام لأنه يسبب تعطيل وتجميد حياة الكثير من الناس والمواطنين حسب أدعائه، وهذا البعض يرى أن الحضارة والتمدن.

سر التركيز على زيارة الحسين عليه السلام:

هناك إثارة يثيرها البعض وهو أنه لماذا هذا التخزين الكثير والتعبئة النفسية، وشحذ الأنفس بنحو الدوام والتكرار لمصاب سيد الشهداء عليه السلام سنوياً ويومياً **«السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة»**[1] بل في كل ساعة وآن، وقد أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن زيارة الحسين عليه السلام فقيل له: هل في ذلك وقت أفضل من وقت؟

فقال: زوروه صلى الله عليه في كل وقت وفي كل حين، فإن زيارته عليه السلام خير موضوع فمن أكثر منها استكثر من الخير، ومن قلل قلل له[2].

فما هو السر في هذا التركيز والتكرار هل هي تعبئة أحقاد أم هي تعبئة

---

(١) البحار ج٩٧: ٢٨٧.
(٢) الوسائل ج١٤: ٤٧٣.

إنفعال وإنفجار؟!

هناك أسرار كثيرة للإجابة على هذه الإثارة ومن الطبيعي هذه الأسرار لا نستطيع الإحاطة بها بقدر ما استطعنا أن نفهمها من بيانات القرآن وبيانات مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

السر الأوَّل: إن مشروع أهل البيت عليهم السلام من أضخم المشاريع الإلهية، وهذا المشروع يحتاج إلى وقود وطاقة ضخمة، ومرَّ بنا أن هذه الطاقة الضخمة هو الإمام الحسين عليه السلام.

إذنْ: هذا التركيز ليس عبطاً بل له غاية كونه مشروعا يهيمن على كافة أرجاء الأرض ويستمر إلى يوم القيامة فلابدَّ أن يؤمن الجهد والطاقة لهذا المشروع اللامتناهي.

السر الثاني: وهو أن الإنسان يحتاج إلى دوام الذكر، ومر بنا سابقاً أن البكاء يكبح الشهوات ويكبح الغرائز ويكبح القوى النازلة للإنسان وفي نفس الوقت ينير القلب ويقوي العقل، فالإنسان دائماً يحتاج إلى توازن وترويض ومسك زمام للغرائز النازلة، ومن هنا فالبكاء على سيد الشهداء عليه السلام من أقوى الأبواب للوصول إلى هذه الغاية وهو الدوام والسيطرة على الغرائز بشكل متوازن كما ذكرنا، والخلاص من ميول النفس الدائم جذبها للإنسان، فلابد من دوام المثير لها إلى الصعود عن التلوث في نقع الرجاسة وهذا المثير هو سيد الشهداء عليه السلام.

فهو عليه السلام ثورة على النفس في إنحطاطها في براثن الشهوات والغرائز وطيران إلى سماء العلو في الفضائل والسمو إلى النور والصفاء والطهارة القدسية عند الساحة الربوبية وتصوير أوضاع عصره عليه السلام وكيف تبرثن

وتسربل كثير من نجوم ووجوه عصر ذوي الأسماء اللامعة من الصحابة وأولادهم في الدنيا وحب البقاء في الملاذ والوداعة ولو على حساب الدين، فثار من حظيظ السقوط لدى معاصريه وأهل عصره إلى أوج العهد النبوي وإحياء ذكر الآخرة وسرعة الإندفاع في طلاق الدنيا والدنية وكالشهاب الثاقب في الصعود إلى المعالي الروحية والتحرر من أسر الأطماع النفسية والحرص الغريزي وحبس الشهوات والهوى إلى رحاب الخلاص في الخلوص من حب النفس واللذات.

الفرق بين المعسكرين:

إن المشهد النفسي والروحي في واقعة كربلاء المتمثلة في شخصيات المعسكرين، عندما تتمثل للإنسان كشريط مسجل مرئي (فيلم) نشاهده في الخاطرة، وشدة الامتحان النفسي في الجانبين لا سيما مع المراهنة بين الهوى والميول النفسية مع أصل الدين الذي يمثله الحسين عليه السلام من وجود النبي صلى الله عليه وآله الذي هو أصل الدين الذي أرتد الناس عنه بقتل الحسين عليه السلام شحن مجمع الرذائل النفسية في المتمثل في معسكر بني أمية وشحن مجمع الفضائل في معسكر أهل البيت عليهم السلام.

وبعبارة أخرى حضيض النفس في المعسكر الآخر، وأوج النفس في معسكر سيد الشهداء، فدوام ذكر هذا المشهد بتفاصيله وبأمثلته الكبيرة التي تتعرض إلى جهات عديدة في النفس البشرية تعطي للإنسان عبرة عن الوقوع في المستنقعات الكثيرة لدى النفس.

السر الثالث: طاعة أولي الأمر أوالمعصية: وهو أن الله عَزَّ وَجَلَّ قرن طاعة رسوله صلى الله عليه وآله بطاعته في عشرات الآيات ﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ﴾[١] كما أنه في آية من الآيات قرن الله تعالى بطاعته وبطاعة النبي قرن طاعة أولي الأمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٢] وكما بينا في بحوث سابقة أن (الأمر) هو الذي يتنزل في ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلآئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾[٣].

وكما في قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾[٥].

وهذا - الأمر - نفسه هو الروح الأمري الذي ذكره تعالى في سورة الشورى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٦].

فعالم الأمر يعني عالم الإبداع وعالم الملكوت فأولي الامر ليس معناه دائرة صغيرة والتي هي الشؤون العامة السياسية، بل العالم الملكوتي يشمل الأرض وما عليها وبقية عوالم الخلقة، وليس محبوسا ومقتصرا على الشأن السياسي بل يشمل ساحات وميادين وبيئات أخرى كثيرة.

ومن خلال هذا يتضح أن الله تعالى أمر بطاعتهم المطلقة والمقترنة

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٢.
(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٣) سورة القدر: الآية ٤.
(٤) سورة النحل: الآية ٢.
(٥) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٥.
(٦) سورة الشورى: الآية ٥٢.

بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله، وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله مقترنة بطاعته سبحانه وتعالى، وهذا يعني أن هناك رديف تبعي لطاعة الله بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله، ورديف تبعي لطاعة الرسول بطاعة أولي الأمر، وهذه طاعة عظيمة الشأن وهي تستدعي إنقياد تام من الإنسان لأصحاب ولاية الطاعة، بل جعل الله تعالى مودة وقربة النبي صلى الله عليه وآله أجر رسالته ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1].

فهذه معادلات وحلقات واضحة في أن الروح الأمري ينزل على من هم أصحاب القرآن في الكتاب المكنون أو في اللوح المحفوظ وهم المطهرون ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2] وهم أصحاب الكتاب الذي هو الأمر الذي يتنزل ليلة القدر والذي ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[3].

فهؤلاء المطهرون الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله سوف ينقاد الإنسان إلى طاعتهم وولايتهم عندما يتعرف على المزيد من فضائلهم ومصائبهم بشكل رتيب راتب، وكلما قلت معرفة الإنسان بفضائل أهل البيت عليهم السلام وبمدى مقاماتهم في المحن والابتلاءات كلما صار انقياده إليهم أقل وبالتالي سوف يعصي الله في عدم الطاعة بالانقياد المطلق.

طاعة أولي الأمر طاعة الدين:

فـ(أطيعوا الله) أي أطيعوا الله في كل الدين، وكذلك إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله في كل الدين أعم من القضاء والتشريع وأعم من السلطة التنفيذية، بل في

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.
(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

كل الدين بما للدين من سعة التي تعم الدنيا والآخرة.

وبما أن طاعة أولي الأمر مقرونة بطاعة رسول اللهﷺ فأيضاً كذلك أولي الأمر طاعتهم هي طاعة الدين بما للدين من سعة، ومن هنا فلا ينقاد الإنسان إلى مثل هذه الطاعة الشديدة والمهمة إلا إذا عرف المزيد من فضائلهم، ولا ينجذب إليهم إلا بالمزيد من معرفة محنهم ومصائبهم، فكثرة ذكر سيد الشهداءعليه السلام ومصائبه ومحنه وفضائله ومقاماته توجب جذب الإنسان إليه وبالتالي سوف يطيع الله تعالى ورسولهﷺ وأمير المؤمنينعليه السلام والأئمة من ذريتهعليهم السلام والذي هو الانقياد للدين كله.

وبقدر ما تنقص معرفة الإنسان بالحسينعليه السلام وبأهل بيته بقدر ما ينقص انقياده اتجاههمعليهم السلام.

عن عبد العزيز القراطيسي قال: دخلت على أبي عبداللهعليه السلام فذكرت له شيئاً من أمر الشيعة ومن أقاويلهم، فقال: يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم له عشر مراقي وترتقى منه مرقات بعد مرقات، فلا يقولن صاحب الواحدة لصاحب الثانية لست على شيء، ولا يقولن صاحب الثانية لصاحب الثالثة لست على شيء حتى أنتهى إلى العاشرة قال: وكان سلمان في العاشرة، وأبو ذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة، يا عبد العزيز لا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، إذا رأيت الذي هو دونك فقدرت أن ترفعه إلى درجتك رفعاً رفيقاً فافعل، ولا تحملن عليه ما لا يطيقه فتكسره فإنه من كسر مؤمناً فعليه جبره، لأنك إذا ذهبت تحمل الفصيل حمل البازل فسخته[1].

---

(١) الخصال للصدوق: ٤٤٨.

فإن سلمان رضوان الله عليه انقياده لأمير المؤمنين عليه السلام أشد من أبي ذر رضوان الله عليه.

إذن هذا المقام الكبير إنما يصل الإنسان إليه بسبب كثرة وشدة ذكره لهم صلوات الله عليهم، وهذا لا يحصل إلا بـ **«السلام عليك يا صاحب المصيبة الراتبة»** يعني الرتيبة كل ساعة وكل آن وكل يوم وليس كل موسم مثلما نقول الراتبة يعني الراتبة والدئيبة والدؤب.

السر الرابع: زائر الحسين يعيش هم المستضعفين:

إنَّ الإنسان تكون خواطره دائما وقلبه تحوم حول اهتمامات المعيشة أو حول اهتمامات ذاته من أن هذا آذاني أو يبغضني أو هذا يحبني، والمهم أنها تدور حول الأنا التي نسميها بالأنانية أو فرعونية الذات أو النفس، وإذا ترك الإنسان هكذا فسوف يعيش هموم نفسه ليل ونهار، ولكن إذا تعلق الإنسان وانجذب في سيد الشهداء عليه السلام أكثر وعاش هم الحسين لا هم نفسه وكان هذا الإنجذاب بحب وبشفافية فسوف يعيش هم الحسين عليه السلام وليس هم نفسه من أنه كيف ظلم، ومتى ينتقم الله تعالى له، ومتى ينجز الله وعده على يد الحسين عليه السلام أو ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ويقيما دولة العدل وهكذا.

إذن هناك فرق بين هذين الهمين اللذان هما هم نفسه وهم الحسين عليه السلام فإذا عاش هم الحسين عليه السلام فبالتالي سوف يعيش هم الدين، وهم علو كلمة الإسلام، علو كلمة الإيمان، علو كلمة الحق والعدل، علو نور أهل بيت النبوة، فأين هذا الهم بالقياس إلى هم الإنسان المتقوقع والمتقزم في دائرة نفسه.

فإن كثرة ذكر سيد الشهداء عليه السلام يرقي الإنسان من حضيض أنانية النفس

إلى أوج أهداف الدين النورانية، ومن أقصر الطرق لطيران الإنسان في همه من حضيض نفسه إلى أوج نور الإيمان والولاية هو انجذابه للحسين عليه السلام وبالتالي سوف يورث الخلوص والإخلاص العظيم الموجود في الإنسان ويحرره من هذه التعلقات النفسانية التي في ذاته، وهذا السر نراه في مشاية زيارة الأربعين، فإنهم - لا أقل في زيارة الأربعين - يخرجون من كونهم بشراً إلى ملائكة خلقاً وأدباً وإيثاراً وتسامحاً. لأنهم يعيشون هم الحسين عليه السلام بدل أن يعيشوا همهم وهذا مما يقلب ويصهر جوهر ذاتهم إلى الفضاء الرحم النوري والأخروي الإلهي بتوسط الحسين عليه السلام فلا تحدث أي حادثة في طريق الحسين عليه السلام لأن الحادثة إنما تقع متى ما كانت النفوس ضيقة وحريصة وذات أطماع، أما إذا كانت تلك النفوس عالية الهمة فلا يحدث بينهما أي اصطكاك أو عراك.

ومن هنا سوف يكون الحسين عليه السلام قبلة وكعبة القلوب وليس قبلة الأبدان، فإن طافت القلوب بهذه المصيبة الراتبة وطافت حول كعبة روح الحسين فهي قد وصلت إلى الله عَزَّ وَجَلَّ كما روي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام **«من زار قبر أبي عبدالله عليه السلام بشط الفرات كان كمن زار الله فوق عرشه»**[1].

لأن الحسين عليه السلام هو متفاني في الله عَزَّ وَجَلَّ وذائب فيه، فمن يذوب في من ذاب في الله عَزَّ وَجَلَّ فسوف يذوب في الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن يفد على الحسين عليه السلام فهو يفد على الله عَزَّ وَجَلَّ لأن سيد الشهداء سوف يوصله إلى الساحة الإلهية، وبالتالي سوف يعيش هم الدين وهم المظلومين وهم المستضعفين

(١) كامل الزيارات: ٢٧٨.

وهم المحرومين.

السر الخامس: كتاب أسمه الحسين:

إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قدَّر أنْ يكون الحسين عليه السلام مصدراً وملجأ ومركزاً ليس لإصلاح المؤمنين فقط بل لعموم البشر ومن ثم قدر أن علمه يبقى على مدى الأيام يرفرف على كل المظلومين والمستضعفين كما صرحت بطلة كربلاء عليها السلام بذلك وهي تخاطب سيد الساجدين عليه السلام... **«وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد اثره إلا علواً..»**[1].

وهذا معناه أن الباري لكي يستصلح البشرية في مرحلة الإصلاح والاستصلاح في طريق الكمال لابدَّ أن تمر في مدرسة الحسين، ولابدَّ أن تتعرف كل البشرية على سيد الشهداء عليه السلام لتعلم أن هناك حل بين جذبات وغرائز النفس الخسيسة النازلة وبين إمكانية التغلب على كل هذه التعلقات في أي ظروف وفي أي بيئات إلى الطيران نحو نور الكمال ونور الصلاح والإصلاح والفضائل، وهذا مثل إلهي عظيم أراد الله أن تبقى شجرة زيتونة مباركة كنور لجميع البشرية، ولذلك لابد أن يبقى ذكر الحسين عليه السلام يعبأ ويشحذ بصورة أكثر وأكثر حتى يصل شعاعه إلى كل البشرية، فلا يخمد ولا يطفأ ولا يحجب.

فهذه التعبئة وهذا الشحذ الكبير حتّى من المؤمنين التي نظرتهم ضيقة

---

(١) كامل الزيارات: ٢٢.

وأفقهم ضيق وإن كانوا ينجذبون في واقعهم إلى الحسين عليه السلام ولكن في بعض الأحيان تخالجهم هذه الأمور الضيقة، وهو لا يدري أن هذا العَلم قد قدر الله له أن يرفرف على كل البشرية كما في راية الحسين عليه السلام، وراية ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لأنَّها راية نبراس تستضيء به نفوس البشر ودول البشر كلها لاستصلاحهم، فليس في التقدير الإلهي أنَّ الحسين يستصلح مقتصراً على فئات قليلة في بلدان الشرق الأوسط بل قدر الله تعالى أن يكون الحسين عليه السلام مصلح لكل البشر حتى قبل ولده الموعود المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف فإنه من الطبيعي أن الله لا يخمد هذا العلم بل كل يوم يزداد اتساعاً وتعبئة ليصل صداه وتصل هذه النعمة العظيمة لكل العالم كمأدبة نورية تستضيء بها البشرية بأجمعها، إذ أنه إلى الآن لم تصل إلى كل البشرية، فنحن إلى الآن لم نقم بحق ما تستحقه هذه الشجرة النورية بكل أغصانها من إعلام ومن إحياء ومن فضائل مجلجلة ومن روح نورية جذابة، فالمفروض أن يشاركنا كل البشر في التنعم بها، وإلا فنكون نحن سبب من أسباب حرمانهم.

ولهذا فإن البشرية إذا أرادت أن تتكامل وتسعد فلابدَّ لها أن تقرأ كتاب أسمه الحسين عليه السلام، ولابد أن تتعلم في صف أسمه الحسين عليه السلام ولابدَّ أن تمر بمرحلة من مراحل فكرها وعقلها وروحها بمرحلة أسمها الحسين عليه السلام حتى تصل إلى الحسن ثم فاطمة ثم علي ثم رسول الله صلى الله عليه وآله الذين هم رأس الخيمة لمشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أرواحكم في الأرواح:

فإن كل روح لها علاجات، وكل بدن له علاجات وقد قدر الله عَزَّ وَجَلَّ أن تكون حقيقة الحسين عليه السلام بما فيها من جمال وكمال وفضائل هي من

العلاجات التي **«أرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وأجسادكم في الأجساد»**[١].

وهذا يعني أن كل نفس لابد أن تتغذى بهذا المنبع الروحي، وإلا فلن يكون للنفس توازن، وبصيرة ونور وتكامل، وهذا شبيه ماهو موجود في علم الرياضيات حيث أنه لا يمكن أن يتخطى أي مرحلة من المراحل التي قبل ذلك لأن كل مرحلة قوام في علم الرياضيات، والنفس في علم الفطرة هكذا، فلابد لهذه الأنوار الخمسة التي أكد عليها القرآن في سورة النور أن تضيء لكل فطرة روحية، ولابد أن تتلقاه وإلا فلا يمكن أن تتوازن ولن تسعد ولن تتكامل ولن تصل إلى الفضائل فإن مصباح الهدى وسفينة النجاة ليس لمجتمع خاص بل لكل البشرية ولكل الأجيال، وهذا ما صرح به النبي صلى الله عليه وآله **«إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»**[٢]، ومعنى هذا أن الله أعظم الحسين عليه السلام أن يقتصر ويكون لقرن أو قرنين من الزمن، أو لمنطقة الشرق الأوسط بل قدر سبحانه وتعالى أن يكون هذا عطاء منه لكل البشر **«فلا يزداد أثره إلا علواً»**.

الحسين هو القرآن المتجسد في واقعة كربلاء:

إنَّ استعراض واقعة عاشوراء عبارة عن استعراض مشهد مرئي أمام الإنسان، حيث يرى فيها إمتحانات وتجارب وأمثلة كبيرة، وكيف أن النفوس سقطت بأسباب مختلفة وبسبب فتن وقوى نفسانية مختلفة، وفي

---

(١) بحار الأنوار ج٩٩: ١٠٧ دعاء الندبة - والزيارة الجامعة.
(٢) مدينة المعاجز ج٤: ٥١.

المقابل كيف نجحت نفوس أخرى وصعدت واعتلت.

إنَّ هذا المشهد النفسي والروحي الذي فيه العشرات بلْ مئات النماذج هي مدرسة تربوية للإنسان بشكل عميق جداً، ولذلك فإن الإنسان يحتاج دائماً إلى هذا القرآن المتجسد في واقعة كربلاء، حتى يتلوه ويحفظه ويذكر به نفسه لأنه فيه آيات كثيرة، فكل واقعة آية، وكل حدث في كربلاء آية، وهذا ليس صدفة إذ قد جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الإمام قرآنا ناطقا بل هو قرآن عيني، وبالتالي فكل ما يدور حوله هو آيات وسور وإذا أردنا أن نلمس بشكل مرئي محسوس للآيات القرآنية وللسور، والبنود التي فيها هي في واقعة الطف، التي بدأ مشوارها من المدينة إلى مكة ثم إلى كربلاء ثم إلى الشام ثم إلى كربلاء ثم المدينة.

وهذه المسيرة هي عبارة عن صفحات عديدة من القرآن أو من الآيات والسور، وإذا تدبرنا فيها ملياً ومرة بعد أُخرى فسوف نجد فيها كنوزا وخزائنا لا تنفذ، والكثير منا لاحظ هذا الأمر أن كل إنسان إذا تدبر في واقعة عاشوراء كل سنة فسوف يكتشف ويقف فيها على عبر وأسرار لم يلتفت ويتفطن إليها من قبل كما هو الحال في القرآن الكريم.

فإنَّ القنوات الفضائية في العالم كلها احتشدت في أوَّل أربعين بعد سقوط النظام البعثي، حيث كان في انطباعهم أن هذه المسيرة وهذا التجمع الملايييني هو حدث سياسي مرتبط بخصوص تشكيل النظام الجديد وليس له أي مساس عقائدي، كما يفعلون في المهرجانات البشرية السياسية العادية، وما نقلوه وسجلوه في خلال ثلاثة أيام من مشهد الأربعين أصبحوا في ذهول وإعجاز وإعظام وإكبار لقضية عاشوراء وشخصية الحسين عليه السلام، حتى أن بعض

الأخوة رصد الكثير من الفضائيات الدولية وخصص بعض المراسلين للحكاية عن واقعة عاشوراء أو الأربعين الشيء المذهل ولقطات مثيرة في نشر حقائق واقعة الحسين، وهذا كله يفرح قلوبنا بصدق الوعد الإلهي ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

الشعب يريد الحسين:

ولو أردنا أن نسرد جملة من الوقائع التي نقلها بعض الأخوان وبوسائط قليلة عن أحداث أو نخب في البشر متأثرة بسيد الشهداء لضاق بنا المجال، ولكن الحسين عليه السلام نور وبركان يسري تحت السطح، وسوف يأتي ذلك اليوم الذي تصل فيه البشرية إلى مستوى الوعي وبدل أن تقول الشعب يريد إسقاط النظام الجائر والظالم سوف يهتف ويقول الشعب يريد الحسين والشعب يريد المهدي.

لأنَّ كل البشرية سوف تعلم أن أساس العدل متجسد كله في الحسين، والسعادة متمثلة بالحسين عليه السلام فإنهم أيقنوا أن الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية والحرية الجنسية وشعار العدالة حسب النظم والتقنيات البشرية والمساواة كلها آلت إلى السقوط وفشلت كل أنظمتها، فإذا وصل الوعي البشري إلى أن الحرية والعدالة المأمولة المطموح لها هي برنامج خزنه الله في حاسوب إلهي وهو الحسين عليه السلام. فإن العدالة الحسينية

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢ ـ ٣٣.

لا توجد في كتاب ولا في رسالة أو أطروحة الجامعات ولا توجد في مراكز الدراسات ولا المختبرات ولا في أطروحة عقول البشر، بل نظام العدالة موجود فقط في علوم الحسين عليه السلام.

الإمام الحسين والرجعة:

وهناك نقطة مهمة قد غفل عنها الكثير، وهي كما نحن نطالب ومأمورون بالفرج لظهور الإمام المهدي كذلك نحن مطالبون في أن نطلب وندعو من الله بظهور الإمام الحسين عليه السلام نفسه ليرجع بعد أبنه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ليقيم الله العدل في الأرض على يديه عليه السلام، وهذا في الحقيقة نوع ومرحلة من الرجعة.

فالرجعة عبارة عن أن الشعوب والطبيعة البشرية إذا وصلت إلى ذلك الوعي فسوف تطلب وتريد وتطمح إلى ذلك العدل الذي برمجه الله تعالى في الحسين عليه السلام وهذا البرنامج غير موجود وغير محتفظ في عقل آخر، ولا في روح أخرى، ولا في أي قائد آخر، فإن العدل الذي يظهر على يد سيد الشهداء عليه السلام أعظم من العدل الذي يظهر على يد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حسب ما صرحت بذلك روايات أهل البيت عليهم السلام.

فعن رفاعة بن موسى قال: إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذة بالقذة ثم قال أبو عبدالله عليه السلام: **«ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأمول وبنين**

وجعلناكم أكثر نقيرا»[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أول من يرجع لجاركم الحسين عليه السلام فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر[٢].

وأيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام سأل عن الرجعة أحق هي؟ قال: نعم فقيل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم عليه السلام، فقلت: معه الناس كلهم؟ قال: لا بل كما ذكره الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[٣] قوم بعد قوم[٤].

فإن عقيدة الرجعة هي فهم أعمق لمعرفة الحسين عليه السلام فـ «**من زاره عارفاً بحقه**»[٥] أحد درجات معرفة الحسين عليه السلام هو الحسين المستقبل وليس الحسين الماضي فقط.

برنامج المعصوم أمل البشرية:

إنَّ البشرية الآن بدون انقيادها للمعصوم عاجزة أن تبدي أي برنامج أقتصادي عادل تنظيراً فضلا عن التطبيق والتنفيذ والاجراء العملي، وعاجزة عن أن تبدي نظام بنك مركزي عادل، أو نظام زراعي عادل بحيث لا يظلم فيه بيئة عن بيئة لأنهم إذا أرادوا أن ينموا بيئة ففي مقابل ذلك يدمرون بيئة أخرى، فنظام البيئات المحيط بالإنسان الطبيعية كثيرة فضلا

---

(١) تفسير العياشي ج٢: ٢٨٢.
(٢) مختصر بصائر الدرجات: ٢٨.
(٣) سورة النبأ: الآ ١٨.
(٤) المصدر السابق: ٤٨، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: ٣٣٨.
(٥) كامل الزيارات: ٢٦٢ ـ ٢٧٨.

عن نظام النقد العادل، نظام حقوقي عادل، نظام سياسي عادل، بتمام معنى العدالة، نظام أمني عادل، نظام كمركي عادل، نظام إعلامي عادل، كل هذه الأنظمة ولو تنظيراً قد عجزت البشرية عنه تماماً إلى حد هذا اليوم وهذا القرن.

ومن باب المثال الأزمة المالية في أوروبا الآن ما يقارب ثمان سنوات عاجزة البشرية عن حلها ولو تنظيراً فضلاً عن التطبيق، وهذا دليل واضح معجز على التحدي في الآية الكريمة من أن العدالة لم ولن ولاتتحقق إلا على يد قريبي النبي صلى الله عليه وآله من أهل بيته عليهم السلام المطهرين: ﴿مَّا أَفَاء الله عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

واللام هنا ـ أي في الآية الكريمة - هي لام ملكية الإدارة والولاية في التصرف وليست الملكية الشخصية بل ملكية الإدارة لتصرف على الطبقات المحرومة «**كي لا يكون دولة بين الأغنياء**».

فالعدالة لا تتم في كل أرجاء الأرض إلا بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ولذلك هذا البرنامج - برنامج العدالة - مودع في الإمام المهدي عليه السلام ومودع بشكل أعظم في الإمام لحسين عليه السلام فإذا وعت البشرية كما يقول البروفسور الألماني (يوخن روبكا)[2] إلى ما تطمح وترغب وتتطلع إليه هو هذا الرجل المهدي وآبائه عليهم السلام.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) رئيس جامعة قسم الاقتصاد في جامعة مالبورن الاسترالية.

الإمامة في ذرية الحسين عليه السلام:

عن محمد ابن مسلم قال: سمعت أبا جعفر، وجعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام يقولان:

إنَّ الله تعالى عوض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره[١].

إن شدة المحنة التي ابتلي بها الإمام الحسين عليه السلام في الطف جعل الله عَزَّ وَجَلَّ الأئمة من ذريته، فنور تسعة من المعصومين لا سيما المهدي عجل الله فرجه وسهل مخرجه جعلهم الله من نسل الحسين عليه السلام جزاءاً لما ابتلى به عليه السلام في واقعة الطف كما في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث حيث قال: «.. **وخلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه من قبل أن يخلق الله تعالى سماء مبنية وأرضاً مدحية..**»[٢]، وهذا يبين أن حمل نور تسعة من الأطهار يتطلب وصوله عليه السلام إلى مقام خاص، وهذا المقام الخاص ضريبته هو الشهادة التي فيها محن عظيمة وليست أي شهادة، وهذا مقام خاص لسيد الشهداء حتى أصبح أبو الأئمة لعظم وشأن خطورة مقام الإمامة.

إذن مقام الإمامة يتطلب براءة من كل الطغاة والجبابرة وطريق الإنحراف، لأن حمل الإمامة لها أرضية وهو نوع القطيعة من الظالمين والمنافقين والرجوع إلى الفطرة الإلهية العظيمة.

---

(١) الأمالي للطوسي: ٣١٧، بحار الأنوار ج٤٤: ٢٢٤.
(٢) مصباح الشريعة: ٦٤.

قبة السماء الحسينية والتربة الروحية:

ولم يجعل الله عَزَّ وَجَلَّ الذرية الطاهرة من صلبهعليه السلام فحسب بل جعل استجابة الدعاء تحت قبته، وليس المراد من هذه القبة القبة الطينية بل قبة السماء من عند قبره حتى شعاع منتهى البصر في الأفق وتلاقي السماء والأرض، بل بمعنى أنه عند الاقتراب من سيد الشهداء لا يكون هناك حاجب من الجبت والطاغوت أو من جبابرة الخلق بل هناك شفافية خاصة عنده بالاتصال بالساحة الربوبية، فطريق الحسين هو طريق حصد الطغاة والجبابرة. فإن الجبت - كما في اللغة - هو نوع من الجدران الكثيفة، وهذه الجدران أو السدودات التي تكون عقبة وحاجب عن الوفود على الله تعالى كلها تحصد في طريق الحسينعليه السلام من خلال استجابة الدعاء تحت قبتهعليه السلام ومن ثم فإن تلك البركات السماوية سوف تنزل بعد كسر هذه الموانع الفرعونية وموانع الشرك بالله.

وهذا ليس فقط في استجابة الدعاء بل حتى الشفاء في تربته، ولا نقصد بهذه التربة الجغرافية فحسب بل حتى التربية المعنوية والروحية والتي هي بمعنى الاقتراب من سيد الشهداءعليه السلام فاستجابة الدعاء تحت قبتهعليه السلام يعني قبول مطلق العبادات، والشفاء في تربتهعليه السلام يعني نزول البركات وكل ذلك جاء عن طريق سيد الشهداء:

ومن كل ما تقدم يتضح أن العقائد وقبول الأعمال مشروطة بإمامته وولايته حيث أن من أصول العقيدة هي الإمامة والذرية من صلبه وكذلك قبول الأعمال، وأما الدعاء الذي تحت قبته فهذا ينبي عن أن أعمالنا مشروطة بولايتهعليه السلام.

لماذا لم يخرج الحسين بمفرده:

هناك إثارة تطرح بين الحين والآخر، وهي أنه لماذا خرج الإمام الحسين عليه السلام بمعية عياله من الأطفال والنساء ولم يخرج بمفرده وهو يعلم بأن الشهادة لا محال منها.

إنَّ فلسفة وسر ذلك أكثر من وجه كما ذكر أكثر من واحد، وقد أجاب عن ذلك الإمام الحسين عليه السلام نفسه عندما سأله محمد بن الحنفية فأجاب عليه السلام: **«إنَّ الله قد شاء أن يراهن سبايا»**(١).

ولكن أحد الأسباب المهمة هو أن سيد الشهداء عليه السلام يجسد للبشرية عبرة وقدوة وأسوة، فإن كل إنسان له تعلقات عديدة في حياته الدنيوية من قبيل التعلق بالزوجية والتعلق بالأولاد والتعلق بالأخوان والتعلق بالأصحاب وبالأحبة وبالعشيرة، كما في قوله تعالى ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾(٢).

فكل هذه التعلقات كانت موجودة في واقعة الطف ومع هذا يقدم الحسين على الشهادة ولا تعيقه أبداً بل جندها وعبدها ووظفها وفداها لطريق الدين.

فأخذ عيالاته وكل حرمه عليه السلام في عرصة كربلاء وعرصة المواجهة،

---

(١) اللهوف: ٦٤، البحار: ج٤٤: ٣٦٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ٢٤.

واضح أن كل هذه الأمور لا تقف جبل أو عقبة أمام استبسال سيد الشهداء عليه السلام بل وظفها في سبيل الله، وهذا غير أنه يستشهد بنفسه فقط، فهناك فرق كبير بين أن تستشهد بنفسك وبين أن تأتي بكل شؤون نفسك الأخرى وما لديك وتفديه وتخاطر به إلى آخر لحظة من حياتك.

وليس ما لديك من مال وبنين بل بما لديك من مريدين ومحبين وأولياء، وهذا يعني أنك تفدي وجودك المعنوي الذين يحملون أسمك في المجتمع تفديهم في سبيل الله وهذا ه الموقع السياسي والموقع الاجتماعي كل هذا وذاك لم يكن عائقاً لفداء سيد الشهداء إلى الله تعالى.

وبسبب كل ذلك أصبح الحسين عليه السلام مدرسة وجامعة وكتاب جامع في صفحات الشباب وصفحات الأولياء والمريدين والتابعين، يعني صفحات تتصفح في كل صفحة ففيها دروس وعبر لشريحة من شرائح المجتمع، ولذا نرى جميع شرائح المجتمع ينجذب لسيد الشهداء عليه السلام شاء أم أبى.

الحور العين من نور الحسين عليه السلام:

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**... وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه الجنان والحور العين، والحسين والله أفضل من الجنان والحور العين...**»[1].

فهناك تناسب في عالم الخلقة والتكوين، فحور العين مما تزين بالجمال وهذا يعني أن رشحة من رشحات جمال نور الحسين خلقت منه الحور العين بل كل جمال عالم خلقة الآخرة، وهذا الجمال خزنه الله في الحسين وكما في بعض الروايات أن الحسن والحسين قرطي العرش.

---

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام الشاذان بن جبرئيل القمي: ١١٣.

وفي بيان لسيد الأنبياء يضيف أن الحسن والحسين أكرم الناس نسباً حيث روى الأعمشي أن النبي صلى الله عليه وآله أتى باب المسجد فقال: يا بلال هلم عليّ بالناس فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة فاجتمع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد فقام على قدميه فقال: يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس جداً وجدة، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن جدهما محمد وجدتهما خديجة بنت خويلد، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس أباً وأماً، فقالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن أباهما علي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وأمهما فاطمة بنت رسول الله.

يا معاشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عماً وعمة، قالوا بلى يارسول الله، قال: الحسن والحسين فإن عمهما جعفر بن أبي طالب الطيار في الجنة مع الملائكة، وعمتهما أم هاني بنت أبي طالب، يا معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الحسن والحسين فإن خالهما القاسم بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أشار بيده هكذا يحشرنا الله، ثم قال: اللهم إنك تعلم أن الحسن في الجنة والحسين في الجنة وجدهما في الجنة وجدتهما في الجنة وأباهما في الجنة وأمهما في الجنة وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، اللهم إنك تعلم أن من يحبهما في الجنة ومن يبغضهما في النار[1].

فإنَّ كل الذي يحيط بالحسين جمال ونور، وهذا مثل نواة الزهرة، وهذا الجمال والنور أودعه الله في الحسن والحسين عليهما السلام.

---

(١) آمالي الصدوق: ٣٥٦ (المجلس السابع والستون).

وهذا الجمال في الحسين عليه السلام هو الذي يبين لنا السبب في انجذاب أهل بيته وأصحابه إليه فوق الميل العقلي المعتاد أي درجة الربيون وهكذا كل جيل بشري سبق زمانه واقعة الطف أم تأخر من الأجيال اللاحقة وهو الذي يفسر هذه القدرة المعنوية على جذب الملايين من البشر في الأربعين وغيرها من المواسم على بذل الغالي والنفيس لأجل الحسين عليه السلام في سبيل الله، والذي يفسر جذب الشهداء للاستشهاد في سبيل الله عندما يهتف بهم لبيك ياحسين.

فالحسين يجعل الموت والقتل ـ الذي له مرارة وخوف ـ له حلاوة ولذة.

أصحاب الحسين عليه السلام سادة الشهداء:

وليس الأمر يقتصر عليه عليه السلام وإنما أصحابه لهم منزلة وأنجذاب فضلاً عنه عليه السلام فقد ورد نعتهم بسادة الشهداء كما في الزيارة الواردة عن المعصوم **«أنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة»**[1] فما هو سرّ ذلك؟!

إنَّ محنة الاستضعاف في ملحمة الطف كانت محنة شديدة، لأن احتمال الظفر والنصر كان ضئيل جداً، ولم تكن المحنة في أنفسهم فقط بل محنوا في أولادهم ونسائهم وممتلكاتهم، فكان الجميع يعلم أن نسائهم سوف تسبى وتسجن كبقية حريم الحسين عليه السلام وكذلك أولادهم وشملهم سوف يشتت، ودورهم سوف تصادر وتحرق وهذا كل ما يملكونه سوف ينسف تماماً. فهم عاشوا أيام عديدة لهذا الامتحان وأما الباقين فهم منكفؤون على أنفسهم، فمن لم يكونوا أعداء وشاركوا في معسكر بني أمية وعمر ابن

---

(١) كامل الزيارات: ٣٦، الباب: ٧٩، الكافي ج٤: ٥٧٤.

سعد وعبيد الله بن زياد فهم لا أقل متخاذلين ومنكبين على أنفسهم، وكان بعض هؤلاء من الصحابة والتابعين ومن الأسماء اللامعة. بينما أصحاب الحسين عليه السلام عاشوا هم طلاق الدنيا وليس في لحظة من اللحظات وإنما لعدة أيام، فتارة الإنسان يستشهد فجأة فهو يرى الحدث لحظات ثم يقتل، أما هنا فالأمر مختلف تماماً فهم عاشوا الشهادة لأيام وأسابيع لأن قائدهم بشرهم ونبأهم بكل ما يجري عليهم وعلى عيالاتهم وتراهم يجيبون إمامهم بقولهم: **«والله لا نخليك، حتى يعلم الله إنا قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، والله لو علمت أني أقتل، ثم أحيى، ثم أحرق حياً ثم أذر ويفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك»**[1].

والآخر يقول: **«والله لا نفارقك، ولكن أنفسنا لك الفداء، نقيك بنحورنا وجباهنا وأيدينا، فإذا قتلنا كنا قد وفينا وقضينا ما علينا»**[2]. بل كان لديهم إندفاع ونشاط وحيوية، ولم يصبهم أي زلزال أو اضطراب أو تملل نفسي وهذا هو العلو في همة النفس ونجابتها.

بلْ حتّى نسائهم كانت لهن هذه الامتحانات التي بدأت قبل محرم إلى ما بعد عاشوراء التضحية والفداء، فإن دعم هذه النسوة يزيد في الهمة والقوة للرجال.

إذنْ سؤدد شهداء الطف سببه هذا الامتحان الطويل وفي كل ميادين النفس ولم تكن لهم شهادة بأبدانهم ودمائهم فقط بل شهادات علو نفساني وفي ميادين كثيرة من فضائل النفس، فليس جهادهم كباقي الجهاد كما في

---

(١) ابن كثير ج٨: ١٧٧، وابن طاووس في اللهوف: ٣٦.
(٢) المصدر السابق.

شهداء بدر فقد وعدهم الله بالنصر الدنيوي ولكن في شهداء الطف عاشوا شدة الاستضعاف أي الذي يعبر عنه بالقتل التدريجي ونراهم يتمنون القتل ألف مرة ليس فداءاً لسيدهم الحسين عليه السلام فحسب بل لما دونه لأهل بيته كما يقول زهير بن القين **«والله لو وددت أني قتلت ثم نشرت، ثم قتلت، حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك»**[١].

زوار الحسين عليه السلام ينشغلون بجماله عن الحور العين:

إنَّ أساس العلاقة التي بين أولاد الحسين مع الحسين، وأخوة الحسين مع الحسين، وأصحاب الحسين مع الحسين هي الحب، وهذا ليس قصة تكليف، ولا قصة استجابة عقلية، فإن كل أحداث عاشوراء لا نستطيع تفسيرها بأنها دعوة عقلية لطاعة سيد الشهداء عليه السلام لأن هذه الطاقة لا تتولد من العقل ولا من القلب ولا من التكليف **«ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك»** لأن بعض الأفعال التي تصدر ممن يحيط بالحسين عليه السلام لا تفسر خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة التي هي دعوة العقل، بل لا تفسر إلا **«وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»**[٢].

وهذا هو الحب، فإن الحب له هذه الطاقة وهذه الحركة، أما حركة قوة التكليف فأقل من ذلك بكثير، ولذلك يقولون الطف حركة حب وليست حركة عقلية بل فوق قوة حركة التكليف والعقل، ولذلك نرى أن

---

(١) الإرشاد للمفيد: ٢٣١، تاريخ الطبري.
(٢) بحار الأنوار، ج٦٤: ١٨٦؛.

زوار الحسين عليه السلام يوم القيامة ينشغلون بالنظر إلى جمال وجه سيد الشهداء ويتركون أزواجهم من الحور العين حتى تجزع تلك الحور من الأنتظار.

فعن زرارة، عن أحدهما عليه السلام أنه قال: يا زرارة مافي الأرض مؤمنة إلا وقد وجب عليها أن تسعد فاطمة عليها السلام في زيارة الحسين عليه السلام، ثم قال: يازرارة انه إذا كان يوم القيامة جلس الحسين عليه السلام في ظل العرش، وجمع الله زواره وشيعته ليبصروا من الكرامة والنضرة والبهجة والسرور إلى أمر لايعلم صفته إلا الله، فيأتيهم رسل أزواجهم من الحور العين من الجنة فيقولون: إنا رسل أزواجكم إليكم؛ يقلن: إنا قد أشتقناكم وأبطأتم عنا، فيحملهم ماهم فيه من السرور والكرامة على أن يقولوا لرسلهم: سوف نجيئكم إن شاء الله[1].

وهذا يعني أن التعلق بالحسين عليه السلام فوق قدرة التكليف العادي وفوق قوة قدرة العقل ولذلك من أعظم صفات سيد الأنبياء أنه (حبيب الله) وهذا لم يناله أحد من أولي العزم وغيرهم.

وبعبارة أخرى في بعض الخطوات جهنم ليست لها أي قدرة داعوية، وكذلك الجنة بأكملها ليست لها قدرة داعوية باعثية محركية للإنسان أن يخطوها، ولكن الذي خطى كل هذا هو من يحيط بسيد الشهداء عليه السلام لأن عالم النور أعظم تأثيراً في النفوس جذبا وتحريكا من عالم الجنان وعالم النيران. ولذلك يترك زوار الحسين عليه السلام الحور العين لأنهم يرون نور الحسين عليه السلام أبهى من الجنة فكيف يتركوه «**ما عبدتك طمعاً في جنتك بل**

---

(١) نوادر علي بن أسباط: ١٢٣ المطبوع ضمن الاصول الستة عشر، بحار الانوار ١٠١: ٧٥، مستدرك الوسائل ١٠: ٢٢٨ ـ ٢٢٩

وجدتك» وكرر وجدتك وجدتك، **«فما الذي فقد من وجدك وما الذي وجد من فقدك»**، ففي قوله عليه السلام **«فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي...»** فما الذي جذبهم إلى الحسين عليه السلام وهم تيقنوا أنهم سيقتلون ويقطعون؟!

إنَّ الذي جذبهم هو نور الحسين عليه السلام والتي هي أكثر قدرة جاذبية من الجنة، وأكثر قدرة محركية من فوق النيران. ولذلك فإن كل طبقة من طبقات المجتمع وكل شريحة من شرائحه وكل سن وعمر من أعمار الإنسان يجد نسخة كمال له متناسبة ومتناغمة في كتاب كربلاء، وكتاب الحسين، وكتاب الطف، وهذا إنجذاب عام لسيد الشهداء عليه السلام.

نعم لتسيس الشعائر، لا لتسييس الشعائر:

هناك إثارتان متقابلتان:

الأولى: لماذا تسيس الشعائر الحسينية وتأخذ صبغة السياسة وبالتالي سوف تفقد روحيتها وصفائها ونورها وخلوصها.

الثانية: لماذا تجعلون الشعائر الحسينية جوفاء وليس لها أي مؤدى ينعكس على واقعنا السياسي.

الجواب الأوَّل:

في البحوث السابقة كنا نذكر جواب وسطي لهاتين الإثارتين وهو: أن المعصوم عدل القرآن فهو القرآن الناطق، ومن هنا فإن المعصوم حاله حال القرآن وحال الوحي وحال الشريعة إن عزلت الشعائر عن الواقع التطبيقي فهو كعزل القرآن عن الواقع البيئي الحياتي، فإذا لم يكن للشعائر

الحسينية أي أداء لواقعنا المعاشي وعزلت تماماً - كما في القول الأوَّل - فسوف تكون الحياة معزولة عن الدين وكأنما الدين شيء والدنيا شيء آخر.

ونفس هذا الجواب أيضاً نقوله على الاعتراض الثاني وهو أنَّ إخلاء الشعائر الحسينية عن مضمونها الأصلي وتصبح بحث عن الشجون، وهذا أيضاً عزل للوحي عن الواقع المعاشي ولكن بصورة شعار وهو أن نعالج الشؤون المعاصرة ونغفل حينئذٍ عن رؤى وأنوار الوحي التي نستمدها من القرآن الناطق والقرآن المجسم الذي هو سيد الشهداء عليه السلام.

إذنْ الطريقة الوسط هي الطريقة المألوفة والمعهودة منذ القديم أنه يستمد من الوحي بشكل مفاد عام، قالب عميق، كبروي، وأيضاً ينقح الموضوع كصغرى وكواقع تطبيقي ليستمد الحلول مع رعاية ودراسة الواقع الموضوعي من الوحي.

إذنْ هو نوع من المواكبة ولكن لمنهل ونمير العين الوحيانية لسيرة المعصوم ومن ثم تطبق على واقع علاجنا.

الجواب الثاني:

وهناك جواب آخر أعمق وأوسع من الجواب السابق، فنقول نعم لتسييس الشعائر وفي نفس الوقت لا لتسييس الشعائر، بمعنى أن نجعل الشعائر أو القرآن أو الوحي المجندة والمسيسة إلى سياسيات لأشخاص أو فئات فتكون قالب بيد اتجاهات، فإنه مهما تكون الفئات البشرية المعاصرة ليست هي بأفق المعصوم أو بأفق الوحي فسوف تكون لها خصائصها الشخصانية المحدودة التي تتناولها أو تتجاذبها النزعات الذاتية والنفسانية، والتي ليست لها سعة بسعة الخلوص عن الذاتيات وعن الأنانيات

والعرقيات والقوميات والفئويات إلى رحاب خلوص وخلاص إلى رحاب النظرة التوحيدية الخلوصية الإخلاصية الواسعة الأفق بحسب آفاق الخلقة الإلهية جمعاء. فإن لون الحسين عليه السلام لونه التوحيد، والشعائر لونها لون الدين كله ولجميع البشر والفئات.

أمَّا إذا أريد أن تجير الشعائر الحسينية إلى سياسات ضيقة وقزمة بقامة الفئات والجماعات والأشخاص ومن ثم توظيفها لآفاقهم ومآربهم المحدودة بحدودهم وأغراضهم المؤقتة بنزعاتهم الذاتية فسوف تلوث الشعائر الحسينية بتلوث الأنانية الفئوية، لأن هذا نوع من البرثنة لها - الشعائر - في حضيض ذاتيات وانانيات وفئويات ضيقة، فإن الشعائر الحسينية وسيعة بوسع الدين، ووسيعة بوسع البشرية وبوسع كل الفئات والجماعات، فإذا كانت هذه الشعائر المقدسة تتخذ لأجل جعلها سلاح يتخذه بعض الفئات لتمرير أهداف ونظرات محدودة لهم فلا لتسييس الشعائر الحسينية بسياسات جزئية وضيقة.

نعم الدين يعالج الكلي والجزئي، الوسيع والضيق ولكن حصره في الأفق الضيق فهذا غير صحيح إطلاقاً، فإذا كان التسييس بهذا المعنى فنقول لا لتسييس هذه الشعائر المقدسة.

التسييس الإلهي:

ولكن من جهة أخرى نقول نعم لتسييس الشعائر إذا كانت بسياسات إلهية واسعة الأفق بسعة المبادىء، وبشفافية خالصة من كدورة العصبيات وتمصلح الفئات، بسياسة يكون مركزها المعصوم وبرنامج مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبرنامج الثقلين، فإن المشروع الكبير الذي لدى الثقلين أضخم من

مشروع الفئات أو مشروع القومية الخاصة والفئة الخاصة، فإن مشروع أهل البيت عليهم السلام يمتلك برمجة للفئات وبرمجة للقوميات بل لكل الجماعات ولكن في ضمن المشروع الكبير والضخم لسعادة كل المؤمنين وكل المسلمين وكل البشرية بل لكل الموجودات التي تنفتح على مشروع الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وينفتح على مشروع وأنوار أهل البيت عليهم السلام في أصقاع الأرض. فبهذا المعنى نقول نعم لهذا التسييس الذي يسعى لإرساء العدالة والعقل والتعقل والرقي العقلي والروحي والمعنوي في سائر الأرجاء ضمن شعار أهل البيت عليهم السلام كشعار المشروع المهدوي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً أي توحيدا ونبوة وولاية وعدلا. أما في ظل سياسات ضيقة ومحدودة فلا لهذا التسييس.

الانجذاب الروحي لسيد الشهداء عليه السلام:

هناك مشاهدة محسوسة عيانية للجميع وهي بمثابة برهان معنوي وفكري وروحي بحسب منطق العلوم البشرية الإنسانية، وبحسب منطق العقل، وبحسب منطق الدين والوحي، وهي أنه يلاحظ في فضاء الجو الروحي لشعائر سيد الشهداء عليه السلام والتعلق به هناك جاذبية روحية خاصة إلى الحسين وأهل بيته وأصحابه المستشهدين معه.

وهذه الجاذبية الروحية ليسى لدى المؤمنين فقط بل لعامة البشر فضلاً عن المسلمين. لأنهم منبع روحي كلما تجدد في الخاطر البشري ولكل شرائح المجتمع فسوف يستمد منه حرارة ووهج وتوجيه وإثارة وجاذبية روحية لا تنفذ.

وبعبارة أخرى لو قايسنا قدوية جاذبية سيد الشهداء عليه السلام للوهج الروحي والمعنوي عند المؤمنين بلْ حتّى المسلمين الذين يلتزمون ـ على أقل

تقدير - عدم البغض والنصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام وينظرون إلى الحسين عليه السلام بموضوعية وحيادية فإن انجذابهم لا يقاس بأنجذاب المسيحيين للنبي صلى الله عليه وآله، فإن ما يقومون به من البكاء على النبي عيسى ابن مريم عليهما السلام يوم قتله حتى يسيلون الدماء عليه عليه السلام لا نجد عندهم هذا الارتباط والانشداد الروحي بين محبي الحسين عليه السلام ومن كل فئات البشر بالحسين عليه السلام[1].

إنَّ هذا الانشداد الشديد لو قايسناه مع أنجذاب أي ملة بقدوتهم فلم نجد ولانجد هذا العنفوان الروحي وهذا الجيشان الروحي الشفاف القوي المؤثر حتى في خلق المنجذب لسيد الشهداء عليه السلام بحيث يبدله ويغيره ويصهره من حيث يشعر أو لا يشعر.

واللطيف أن كل طبقات المجتمع وشرائحه يجدون لون خاص لهم في مدرسة سيد الشهداء عليه السلام تجعلهم ينجذبون إليه عليه السلام وهذا ليس صدفة عقلاً، فما هذه الدرجة الجمالية أو الكم الفضائلي أو الكم والمخزون الروحي الهائل الموجود في روح ونور سيد الشهداء بحيث لا ينضب هذا المعين.

فلو كان شيء معدود فمجموعه ينضب، ولكن هو عين ومنهل النمير غير المحدود في سعة مادته فلا ينزف، وهذا شبيه القرآن الكريم الذي يبين أحد مظاهر الملكوت في الجنة الأبدية من أنه عين لا تنزف، وهذا غير معقول من جهة العلوم الروحية والعلوم العقلية أن البشرية بأفكارها

---

(١) فهناك تقارير لـ (BBC) تصرح أن هناك تنامي في الشعائر الحسينية بعد سقوط النظام ليس في العراق فحسب بل في كل بلدان العالم بما في ذلك الدول الأوروبية وغيرها وأعتبروا هذا التنامي بالظاهرة الخطيرة، لأنها ضد الظلم والباطل حيث يقول المراسل أروا دايمون (Arwa damon) مراسم عاشوراء، رمز الوقوف ضد الظلم والباطل.

وخواطرها وقلوبها كالفراش تحوم حول شمعة الحسين عليه السلام وهذه الشمعة لا تنطفىء في القلوب والروح وفي أنجذاب الروح لها.

وهذا يدل على عصمة سيد الشهداء عليه السلام، بل أعظم من قضية العصمة فإنها تدل على مرتبته عليه السلام في الاصطفاء الإلهي ففي الجذب الروحي يغاير مرتبة النبي عيسى عليه السلام وغير مرتبة باقي الأنبياء مع اتباعهم، فلم نجد هكذا إنجذاب لأتباع موسى أو عيسى أو إبراهيم أو يحيى أو داود عليهم السلام لهؤلاء الأنبياء وغيرهم، بحيث يذوبون ويتهاوتون لأنبيائهم كما نجد ذلك في أتباع الحسين عليه السلام ومن عامة المسلمين والبشر عدا النواصب في انجذابهم إلى الحسين عليه السلام بلا كلل أو ملل، فإن الكلل والملل لا يرفعه الشعر أو الخيال بل تغذيه الحقائق وتغذيه الحقيقة الروحية الحارة في عالم الروح وفي عالم الكمالات.

إن لقتل الحسين حرارة:

فلا نجد أي عزوف عن الحسين عليه السلام بل تجدد لا يبلى، وهذا - كما مرَّ - شبيه القرآن الكريم فإن الحسين عليه السلام عدل القرآن، فكما أن القرآن لا يبلى لأنه يانع أكثر فأكثر فهكذا قضية الحسين عليه السلام فإنها تزداد اشتعالاً ونوراً في الأجيال القادمة، وهذا ما صرح به النبي صلى الله عليه وآله: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً[1].

إنَّ هذه الحرارة لا توجد عند قلوب المؤمنين الصالحين فحسب بل حتى عند غير الصالحين، وهذا برهان واضح على علو روحي ومخزون لديه عليه السلام ترتوي منه هذه القلوب، وهذا ليس تعبيراً عاطفياً أو تعبيراً نثرياً

(١) مستدرك الوسائل: ج١١: ٣١٨.

أو شعرياً بل بمعنى فلسفي، عقلي، منطقي، بحسب العلوم الروحية، بأعتبار أن هناك نوع من ارتباط الأرواح تطلع وترائي بين الروح والروح، ونوع من الاتصال، وهذه المصطلحات باتت واضحة لدى البشر في العلوم الروحية في شرق الأرض وغربها، وليس قولنا هذا من قبيل اصطلاحات وسفسطات وهلوسات باطنية بل هذه الأمور أصبحت من الأمور العلمية الواضحة لدى البشر.

وهذا الأرتواء الذي في النفوس لا ينقطع وبلا فتور جيلاً بعد جيل، ولا نجد من يضخ هذا العطاء الروحي حتى المسيح ابن مريم أو بقية الأنبياء عليهم السلام في البشر عدا سيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء وذريتهم الطاهرة، نعم سيد الشهداء له مكانته الخاصة **«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله»** كما يقول الإمام الحسن عليه السلام بل كل الأئمة عليهم السلام فلا يوم بمعنى أن عالم الحسين عليه السلام عالم خاص، فلا يمكن أن يكون هذا الإنشداد والإنجذاب من فراغ روحي وإلا فكيف يصير عطاء من هذا النموذج الروحي الذي يتمثل مثاله حذاء الأرواح، لأنه كعبة القلوب وكعبة الأرواح التي تطوف حولها تلك الأرواح دائماً، وأصبح مركزية للأرواح والأفكار والقلوب فهو عليه السلام ممد الأرواح وممد النفوس بهذه الفضائل الجمالية حيث يتشلها من براثن واقعها إلى سمو ما هو يتحلى به من جمال ومن فضائل ومن نور وصفاء، فلا يطفأ روحياً ولا معنوياً، وهذا مما يدل على موقعية سيد الشهداء عليه السلام وفضيلته ومقامه بالقياس مع بقية البشر.

زيارة النساء للأربعين

مشاركة المرأةُ لزيارةِ الأربعين:

١ـ قد أتفق علماء الإمامية، على عدم إشتراط وجود المَحَرَمْ في حج المرأة ندباً كان الحج، فضلاً عن ما كان واجباً خلافاً للعامة، حيث إشترطوا ذلك، وقد جاءت الروايات الصحيحة بنفي إشتراط المَحَرَمْ وقد، أورد صاحب الوسائل في مجلد -١١- أبواب وجوب الحج الباب -٥٨- هذه الروايات مثل:

ـ صحيحة صفوان الجمّال: وهو فقيهٌ حملدار قال: قلت: لأبي عبدالله عليه السلام قد عرفّتني بعملي، تأتني المرأة أعرفها بإسلامها وحبها إياكم، وولايتها لكم، ليس لها مَحَرم، قال: إذا جاءت المرأة المسلمة فإحملها، فإنّ المؤمن من محرم المؤمنة ثم تلى هذه الاية ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾.

ـ وفي صحيح معاوية بن عمار سألتُ أبا عبدالله عليه السلام، **«عن المراة تحج بغير ولي؟ قال: لابأس وإن كان لها زوج، أو أخ، أو أبن أخ، فأبوا أن يحجّوا بها، وليس لهم سعة، فلا ينبغي أنْ تقعد ولاينبغي لهم أنْ يمنعوها»**.

وغيرها من الروايات الكثيرة في هذا الباب، وقد عنوّن فقهاء علماء الإمامية هذه المسالة في شرائط وجوب الحج، هذا مع أن الإكتظاظ بين الرجال والنساء في الطواف، وفي رمي الجمرات مشهود إلى يومنا هذا، فضلاً عن النوم في عراءِ الصحراء في مزدلفة ليلاً.

٢ ـ إعلم إنّ عموم قوله تعالى:ـ وقرن في بيوتكن ولا تبرجّن تبرّج الجاهلية الأولى ـ مخصص بقوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ والاية شاملة للحج الواجب والمستحب وللحج الندبي، وكذا يخصص بقوله تعالى ـ وأذّن في الناس بالحج رجالاً ـ (أي راجلين على الأرجل) وعلى كل ضامرٍ (أي الدابة) يأتين من كل فج عميق .

وكذا قوله تعالى ـ ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلوة فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ـ وهذه الآية كما تندب إلى حج بيت الله الحرام لكل الناس رجالاً ونساءاً، كذلك تندبهم إلى زيارة ذرية إبراهيم عليه السلام من إسماعيل عليه السلام وهم محمد وآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، لتهوي القلوب إليهم، لا إليه إلى بيت الله الحرام، أي الغاية من السفر إلى الحج وبيت الله الحرام لا تتحقق إلاّ بزيارةِ محمد وآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، هوياً لقلوب الناس إليهم كما وردت بذلك الروايات عن أهل البيت عليهم السلام، في شرح ظاهر مفاد الآية، فشد الرحال والسفر من الرجال والنساء كما أُمروا به إلى بيت الله الحرام، سواء فرضاً أو ندباً، فكذلك أُمروا بزيارةِ محمد وآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وهذه الآيات الواردة في الحج والزيارة ليس تخصيصاً لآية ـ قرن في بيوتكن ـ فحسب، بل آية غير شاملة لسفر العبادة أصلاً من رأس كي نحتاج إلى مخصص لها، وذلك لأنها في الخروج للتبرج والتهتك ومجالسة الرجال في أنديتهم ونحو ذلك مما يفقد المرأة الحشمة والعفاف والستر كما هو المشهود في زماننا في الوسط الجامعي غالباً، حيث أنقلب الجو فيه بدل أن يكون طلباً للعلم، أصبح مثار إستعراض مفاتن الألبسة المتهتكة بين الجنسين .

وأما الخروج بحجابٍ وحشمةٍ وبغرضٍ عبادي أو راجح، فغير مشمول للآية .

٣ـ ومما يؤكِّد ماتقدم قوله تعالى في شأن مريم، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا . . . ﴾ .

فحملتهُ فانتبذت به مكاناً قصياً، (أي قاصياً بعيداً) فأجاها ....، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ ومريم مثلٌ ضربها الله لعفافِ المرأة وعفتها، ومع ذلك أنتبذت وخرجت عن قومها إلى مكان شرقي ثم عاودت الخروج إلى مكان قاصي عن بيت المقدِس، وهو كربلاء لتضع حملها فيه، ثم تحوّلت إلى الكوفة ذات ربوة وقرار معين، ثم عادت إلى محفل قومها وقامت بخطابهم بالإشارة، وكل هذه الخطوات والسعي خارج خدرها قامت به مريم في عفةٍ وعفافٍ وحشمةٍ وإحتجاب، مما يؤصّل إنّ سعي المرأة خارج المنزل بنشاطٍ بهدفٍ راجحٍ مع حفظ ورعاية الحشمة والعفاف ليس منظوراً من آية القرار في البيوت، وكذا قوله تعالى في شأنها وهي الصديقّة التي أحصنت فرجها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ﴾، فتواجد في بيت المقدس وركوعها مع الراكعين، و خطاب زكريا لها كل ذلك في جو العفة والحشمة، ضربه الله مثلاً للذين آمنوا . وكذلك خديجة الكبرى كانت تدير أكبر تجارة ثراء في قريش، ولاسيما في

الجو الجاهلي لقريش، ولكن ذلك لم يتنافى مع كمال الحشمة والعفاف، فإنّ قريش تألبت على عداوتها لما تزوجت النبيﷺ، ومع ذلك لم يجدوا خرماً في وقارها وجلالها يستطيعوا الطعن عليها .

وكذلك خروج الصديقة الكبرى سيدة كل النساء وكل الأمة، متكرراً للخطبةِ في المسجد النبوي، ومواجهة أصحاب السقيفة، وخروج أمير المؤمنينعليه السلام معها عشرات الليالي على بيوت المهاجرين والأنصار، لإقامة الحجة عليهم لنصرة الحق، وكذلك خروجها كل أسبوع لزيارة قبر سيد الشهداء عمها الحمزةعليه السلام، وقبور الشهداء، بل فعلها هذا، سنةٌ وحجةٌ تقتدي بها المؤمنات.

وكذلك خروجها بعد إنتهاء غزوة أُحد مع عمتها صفية، لمداواة جراح النبيﷺ، وكذلك كانت النساء يخرجن مع النبيﷺ في غزواتهِ لمداواة الجرحى .

وكذلك خروج الحسينعليه السلام مع العقيلة وعيالاته، فلم يكن ذلك إستثنائياً طارئاً كما قد يتوّهم، بل هو نهجٌ ومنهاجٌ مغايرٌ لخروج التبرّج، بل هو سعيٌ عباديٌ للطاعة يراعى فيه الحشمةِ والعفةِ والحجاب .

٤ ـ إنّه قد وردت النصوص المستفيضةُ الحاثةُ للنساء على زيارة الحسينعليه السلام ففي:

١ ـ صحيحة إبي داود المسترق عن أم سعيد الأحمسيّة ـ وهي حسنة الحال ـ قالت: قال لي أبو عبداللهعليه السلام: يا أم سعيد تزورين قبر الحسينعليه السلام؟ قالتْ: قلتُ: نعم. قال: يا أم سعيد زوريه فإن زيارة الحسينعليه السلام، واجبةٌ على الرجالِ والنساء .

وروى أبن قولويه هذا الحديث من عدة طرق بأسانيد كثيرة.

قال الشيخ حسين آل عصفور في سداد العباد: وتجب زيارة الحسين عليه السلام، على الرجالِ والنساءِ من القادرين على ذلك، للتعبير في جملةٍ من المعتبرة وغيرها بأنهُ فريضةٌ واجبةٌ على الرجالِ والنساءِ، ومن لم يقدر على ذلك فليجهّز غيرهُ، والمشهورُ بين أصحابنا الإستحباب المؤكد، ومنهم من جمع بالواجب الكفائي كمحدّث الوسائل.

٢ ـ وفي محسّنة محمد بن مسلم التي رواها في كامل الزيارات ـ ب ٤٨ ـ عن زيارة الحسين عليه السلام ـ عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: قلتُ له: إذا خرجنا إلى أبيك أفَلَسَنا في حج قال: بلى قلت: فيلزمنا مايلزم الحاج قال ماذا؟: قلتُ من الأشياء التي يلزم الحاج قال يلزمك حسن الصحبة لمن يصحبك، ويلزمك قلة الكلام إلاّ بخير، ويلزمك كثرة ذكر الله، ويلزمك نظافة الثياب، ويلزمك الغُسل قبل أن تأتي الحائر، ويلزمك الخشوع وكثرة الصلاة، والصلاة على محمد وآل محمد، ويلزمك التوقي لأخذ ماليس لك، ويلزمك أن تغضَ بصرك، ويلزمك أن تعود إلى أهل الحاجة من أخوانك إذا رأيت منقطعاً والمواساة، ويلزمك التقية التي قُوام دينك بها، والورع عما نهيت عنه، والخصومة، وكثرة الأيمان، والجدال الذي فيه الإيمان، فإذا فعلت ذلك تم حجّك وعمرتك، وأستوجبت من الذي طلبت ماعنده بنفقتك وإغترابك عن أهلك، ورغبتك فيما رغبت أن تنصرف بالمغفرةِ والرحمةِ والرضوان.

٣ ـ وروى الصدوق في الفقيه: كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء كل غداةِ سبتٍ، فتأتي قبر حمزة فتترحّم عليه وتستغفر له[1].

---

(١) الفقيه ج١ـ ص١٨٠ ـ ح ٥٣٧؛ وراه الطوسي في التهذيب ـ ج ١ ـ ص ١٢١ ـ

ورواه الخزّاز القمي المعاصر للصدوق في كفاية الاثر ـ ص ١٩٧ ـ بطريقٍ آخر بسندٍ متصلٍ إلى محمود بن لبيد وهو صحابي قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، كانت فاطمة تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزة وتبكي هناك، فأمهلتها حتى سكتت فأتيتها، وسلّمت عليها وقلت: ياسيدة النسوان قد والله قطّعتِ أنياط قلبي من بكائكِ فقالت: يا أبا عمر يحقُ لي البكاء، ولقد أصبتَ بخير الآباء رسول الله صلى الله عليه وآله، واشوقاه إلى رسول الله، ثم أنشأت عليها السلام تقول:

إذا مات يوماً ميت قَلَّ ذكـرُه وذكـر أبي مـات والله أكثـر

قلت: ياسيدتي، يأتي سائلكِ عن مسألةٍ تُلجلّجُ في صدري.

قالت: سل قلتُ: هل نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته، على علي بالإمامة؟

قالت: واعجباً أنسيتم يوم غدير خم.

الحديث لا يخفى إنَّ في الحديث دلالاتٌ عديدةٌ على قيامها بالإرشاد والهداية للعباد للإيمان، وغير ذلك من السنن.

ح١٥٢٣ـ مسنداً عن يونس عن الصادق عليه السلام وسندهُ وطريقهُ محسّن .

الفصل الرابع

قاعدة في توسعة حريم مواسم الشعائر الدينية

زماناً ومكاناً

بقلم
الشيخ عباس اللامي

قاعدة في توسعة حريم مواسم الشعائر الدينية زماناً ومكاناً

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد واله الطاهرين واللعن الدائم على اعدائهم اجمعين إلى قيام يوم الدين... وبعد

قد تكرر إبداء التساؤل عن وجه توسعة زيارة الأربعين قبل يوم الأربعين من أيام صفر لاسيما منذ بداية اليوم الحادي من صفر مع أن الزيارة في ظاهر الروايات والأدلة واردة في خصوص يوم الأربعين وكذلك الحال بالنسبة إلى الزيارة الشعبانية فإن هناك الغفير من المؤمنين يأتون بها قبل النصف من شعبان ولكن بعنوان زيارة النصف من شعبان فكيف يوجه ذلك .. وكذلك يطرح تساؤل آخر وبكثرة الأمر عن وجه توسعة هذه الزيارات المليونية من جهة المكان فإن الحجم الغفير من الزوار يصل في زيارته إلى مشارف وضواحي كربلاء المقدسة فيزور عند تلك المشارف ويرجع لشدة الزحام أو لخوف الازدحام وبعضهم قد يقترب من الاحياء القريبة من الحرم الشريف فيزور حيث يشاهد القبة الشريفة فيرجع والبعض الثالث يكتفي بالزيارة من الشوارع المحيطة بالحرم الشـريف ثم يرجع فهل تتسع الزيارة مكاناً إلى هذه المدايات الجغرافية بحيث يصدق أنه زار سيد الشهداء في الأربعين أو في النصف من شعبان أم أنه لابدَّ من دخوله الحرم الشريف. ولمعرفة حقيقة الحال والحكم في مورد السؤال لابدَّ من تقديم مقدمة.

قد ثبت لجملة من المناسبات الشرعية موسم زماني غير مضيق بيوم المناسبة الشرعية والميقات الزماني لها فقط ويعبر عن التوسعة في توقيت المناسبة الشرعية بالحريم الزماني سواء السابق على توقيته الشرعي بقليل بحسب الحاجة أو متأخر عنه بل قد تقرر ذلك نصا وفتوى في الميقات المكاني والبقاع المكانية الشريفة حيث رسم لها اوسع من المحدود المكاني بها ولنأخذ في تعداد امثلة التوسعة الزمانية كحريم للمناسبة الزمانية ثم تقرير الضابطة الكلية في التوسعة الزمانية الدينية كحريم لميقات المناسبة الزمانية.

وإليك جملة من الوجوه التي يمكن أن يستدل بها في المقام.

الوجه الأول:ـ «الاستقراء المتصيد من الابواب الفقهية لتوسعة الشارع للميقات الزماني للمناسبات الشرعية».

الحريم الزماني

وفيه أبواب:

الأوَّل: باب الحج:

أولاً: الوقوف بعرفة:ـ فأنه قد توسع الشارع في الوقوف بعرفة إلى الوقوف ليلا لمن لم يدرك نهار عرفه بل أفتى جملة الفقهاء باجزاء الوقوف الظاهري مع العامة. مع أنه قد يكون في الواقع يوم الثامن من ذي الحجة من باب التوسع الزماني ومن ثم اكتفى جملة من الفقهاء بالوقوف مع العامة حتى مع القطع بالخلاف.

واستدلوا على ذلك بوجوه منها رواية عن الصادق عليه السلام **«الفطر يوم يفطر الناس والاضحى يوم يضحي الناس»**[1]. وغيرها من الروايات وقرّبوا ذلك بأن العبادة الشعائرية والشعيرية قوامُها بالعمل الجماعي كشعائر وشعار وتظاهر معلن، فلذا يتسع حريمها بحسب سعة ذلك الإظهار والإبراز.

ثانياً: الوقوف بمزدلفة، فأن الشارع وسّع الوقوف ليلا. لمن اضطر إلى ذلك ولم يقدر على الوقوف بين الطلوعين، متقدما على الميقات الزماني، كما وسع الوقوف متأخراً الى زوال يوم العيد لمن فاته الوقوف بين الطلوعين.

ثالثاً: ورد أن من أراد أن يدرك عمرة رجب، يمكنه أن نشئ الاحرام في أواخر رجب وإن أتى بالأعمال في شعبان[2][3]وبذلك يدرك عمرة

---

(١) الوسائل/ ابواب ما يمسك عنه الصائم، ٥٧، ح٧.

(٢) الوسائل/ ١٢ من المواقيت/ ح١ صحيحة معاوية بن عمار:ـ قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام ليس ينبغي أن يُحرم دون الوقت الذي وقّته رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ أن يخاف فوت الشهر في العمرة.

(٣) نفس المصدر/ ج٢: سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الرجل يجيء معتمراً ينوي عمرة رجب،

رجب، وفي ذلك توسعة من ناحية الميقات المكاني والميقات الزماني[١].

رابعاً: في اعمال منى يوم العيد، فقد وسع الشارع الاتيان بها في ليلة العيد مسبقاً، للضعفة والعجزة من الحجيج، كما وسع لمن لم يدركها إلى أيام التشريق الأربع لاحقاً.

خامساً: في اعمال مكة يوم العيد. فأنه قد سوّغ الشارع المجئ بها قبل يوم التاسع، ولو بأيام، لذوي الاعذار،كما سوّغ لمن يقدر عليها يوم العيد أن يأتي بها أيام التشريق بل إلى آخر ذي الحجة.

الثاني: في باب الصلاة:

اولاً: في صلاة الليل، فأنه قد سوّغ الشارع المجئ بها قبل منتصف الليل، لذوي العذر، عن المجئ بها في وقتها.

ثانياً: في نوافل الظهرين، فقد سوغ الشارع المجئ بها قبيل الزوال، لمن يعجز عن الأتيان بها في وقتها.

ثالثاً: في نافلة الفجر، مع أن الوقت المقرر لها هو بعد الفجر الكاذب، إلا انه وسع الشارع المجئ بها بعد صلاة الليل.

رابعاً: في خطبتي صلاة الجمعة، فأنهما كبدل عن ركعتين بعد الزوال،

فيدخل عليه الهلال قبل أن يبلغ العقيق فيحرم قبل الوقت، ويجعلها لرجب، أم يؤخر الأحرام الى العقيق ويجعلها لشعبان، قال يحرم قبل الوقت لرجب، فإن لرجب فضلاً وهو الذي نوى.

(١) التهذيب ج٥/ باب المواقيت / ص٥١ / ح٦/ الوسائل ابواب المواقيت/ باب جواز الاحرام قبل الميقات/ باب / ١٣ / ح٢.

إلاّ أن الشارع سوّغ المجئ بهما قبل الزوال.

خامساً: قد ورد أنه من ادرك ركعة من الوقت، أو من آخر الوقت، فقد ادرك الوقت، كما ورد اجزاء من صلى قبل الوقت فأدرك الوقت ودخل عليه قبل أن يسلّم لمن صلى قبل الوقت غفلة.

الثالث: موارد متفرقة:

اولاً: أن يوم عاشوراء يوم عظيم، لذا جعل أهل البيت عليهم السلام له حريماً زمانياً متقدماً عليه بتسعة أيام، فقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أن حزنه عليه السلام كان يبدأ من أوّل يوم من محرم فلا يرى باسماً قط، فإذا كان يوم العاشر، كان يوم مصيبته عليه السلام[1] فقد روى الصدوق في أماليه بسنده عن إبراهيم بن أبي محمود عن الرضا عليه السلام أنه قال: كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام. فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام[2].

وروى في البحار عن بعض مؤلفات المتأخرين أنه قال حكى دعبل الخزاعي دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام في مثل هذه الأيام فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله فلما رآني مقبلاً قال لي مرحباً بك يا دعبل مرحباً بناصرنا بيده ولسانه ثم أنه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه ثم قال لي يا دعبل أحبُّ أن تنشدني

---

(١) بحار الانوار ج ٤٤ ص٢٨٣.
(٢) أمالي الصدوق، المجلس رقم ٢٧، الرقم ٢.

شعراً فإن هذه الأيام أيام حزنٍ كانت علينا أهل البيت وأيام سرور كانت على أعدائنا. خصوصاً بني أمية[١] الحديث.

وفي هذه الرواية وإن كانت مرسلة تصريح بأن المناسبة وإن كانت يوماً واحداً إلاّ أن ما يحتف بها من أيام ما قبلها وما بعدها تلك الأيام تتنسب إلى تلك المناسبة وذلك اليوم بحسب العرف والاعراف المختلفة بل هذه الروايات نص بالخصوص على ما نحن فيه صغروياً وإن هذه التوسعة في الارتكاز العرفي قبل أن تكون تناسباً شرعياً وهذا وجه مستقل برأسه وهو استقراء الاستعمال العرفي لعنوان الأيام المضافة إلى مناسبة ما، وكانوا يعدون هذه الأيام أيام الحزن[٢].

ثانياً: في ليلة القدر، فإن يومها بمنزلتها[٣] بل ورد أن ليلة التاسع عشر والواحد والعشرين حريم زماني متقدم لليلة الثالث والعشرين[٤] بل ورد أن شهر رمضان من اوله، حريم لليلة القدر[٥] بل ورد ايضاً أن حريم ليلة القدر يبدأ من ليلة النصف من شعبان[٦] كما أن ليلة القدر حريم لولاية آل مُحَمَّد عليهم السلام، بإعتبارها ظرف زماني شريف لتنزل روح القدس عليهم عليهم السلام.

ثالثاً: في غسل يوم الجمعة فأنه سوغ الشارع المجئ به في يوم الخميس

---

(١) البحار، مجلد ٤٥، ص٢٥٧.
(٢) بحار الانوار ج٤٥ ص٢٥٦.
(٣) الامالي للصدوق ص٧٥١.
(٤) نور الثقلين ج٥ ص٦٢٥.
(٥) الوسائل ج٧ الباب/١٨ من ابواب أحكام شهر رمضان ح١ ص٢١٩ / تحرير الأحكام ج١ ص٥١٦.
(٦) الحدائق الناظرة/ ج١٣ ص٤٤٨/ روح المعاني للالوسي ج٢٥ ص١١٣.

لمن يعجز عن الماء يوم الجمعة أو يخاف العوز[١].

رابعاً: قد جعل الشارع حريم لليلة الجمعة، يمتد قبلها، من بعد زوال ظهر يوم الخميس[٢]، كما جعل لأعمال يوم الجمعة حريماً متأخراً وهو ليلة السبت، بل يظهر من الشارع أن كل يوم ذو فضيلة وحرمة، تبدأ حرمته قبله فتكون الليلة السابقة حريماً له، كليلة عرفه وليالي العيدين وليلة الجمعة وليلة النصف من شعبان كما تقدم وليلة المبعث الشريف مع أن المبعث الشريف في فجر يومها وغيرها من الليالي التي شرفت كحريم سابق لأيامها الشريفة.

خامساً: ورد في فضائل يوم الغدير أنه مستمر إلى ثلاثة أيام[٣] وكذلك ما ورد في اليوم التاسع من ربيع الأول[٤].

---

(١) الوسائل: كتاب الطهارة ابواب الاغسال المسنونة/ ٩ باب استحباب تقديم الغسل يوم الخميس لمن خاف قلة الماء يوم الجمعة.
(٢) بحار الانوار ج ٨٦ ص ٣٦١.
(٣) اقبال الاعمال ج ٢ ص ٢٦١.
(٤) المختصر ص ٦٥.

موارد توسعة الحريم المكاني

وقد مرّ بعض منها:

أولاً: أن الكعبة كأول بيت وضع للناس، لها عظمة وحرمة وشرافة، لذا جعل المسجد الحرام حريم لها، وجُعلت مكة المكرمة حريماً للمسجد الحرام، وجعل الحرم المكي حريماً لمكة المكرمة، وجعلت المواقيت حريماً للحرم المكي، وقد ورد بكل ذلك النصوص.

ثانياً: في مرقد الرسول صلى الله عليه وآله، فقد ذكر السمهودي في مقدمة كتابه، إجماع أهل الجمهور على أن قبره صلّى الله عليه وآله أعظم حرمة من مكة المكرمة، بل نقل عنهم، أنه اعظم من العرش، لذت جعلت الروضة المباركة بين القبر والمنبر حريماً للقبر الشريف، وجعل المسجد النبوي حريماً للروضة المباركة، وجعلت المدينة المنورة حريماً للمسجد النبوي، وجعل الحرم المدني بين الجبلين حريماً للمدينة المنورة، وبعض الروايات عند الفريقين، تبين أن ما بين الحرم المكي والحرم المدني،ملحق في بعض الآثار بهما كما في الرواية **«من مات بين الحرمين، بعثه الله في الآمنين يوم القيامة»**[1] وكذلك في الرواية **«من مات بين الحرمين لم ينشر له ديوان»**[2].

ثالثاً: في كل مراقد أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ قبورهم بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فلها الحرمة والعظمة بنص القرآن الكريم والسنة

---

(١) البحار/ ج٤٧ ص٣٤١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٢٢٩ .

الشريفة، وقد ذكر كاشف الغطاء قدس سره في كتابه كشف الغطاء: ٥٤/ عند قراءة الفاتحة بعد الطعام ورجحان الشعائر الحسينية، أن مراقدهم عليهم السلام مشاعر شعّرها الله عَزَّ وَجَلَّ، ويتبعها في الحرمة، ما حولها من البقاع الشريفة، لذا قد ورد أن الكوفة حرمت لأجل أمير المؤمنين عليه السلام، ومن ثم ذهب الشيخ الطوسي في المبسوط، إلى أن حكم التخيير الصلاة بين القصر والتمام للمسافر في مسجد الكوفة بتبع التخيير في مرقد أمير المؤمنين عليه السلام[١] وما يؤيد ذلك ما رواه محمد بن الحسن عن أبيه عن أحمد بن داود عن أحمد بن جعفر المؤدب عن يعقوب بن يزيد عن الحسين بن بشار الواسطي قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام ما لمن زار قبر ابيك قال: زره قلت: فأي شيء فيه من الفضل قال فيه من الفضل كفضل من زار قبر والده يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت فأني خفت فلم يمكنني أن ادخل داخلاً، قال سلم من وراء الحاير (الجسر، الجدار خ ل)[٢]، وفيه دلالة على التوسعة المكانية.

رابعاً: ورد في حرم سيد الشهداء عليه السلام، أن الحَيْر حريم للقبر الشريف، وحرمت مدينة كربلاء كحريم للقبر الشريف[٣] بل ورد أن لمرقد الحسين عليه السلام حريم بمقدار فرسخ من كل جانب من القبر الشريف[٤] وهذا يطابق ما ورد مستفيضا، من استجابة الدعاء تحت قبته[٥] فإنه ليس المراد من ذلك

---

(١) النهاية للشيخ الطوسي/ ص٢٨٥.
(٢) الوسائل/ ابواب المزار وما يناسبه/ الباب ٨٠ ح ٤.
(٣) كامل الزيارات / ص٢٦٨ / الوسائل ابواب المزار ١٤/ ٥١٠.
(٤) التهذيب ٦/ ٧٠، كامل الزيارات ص٤٥٦، مصباح المتهجد ٦٧٤-٦٧٥، البحار ١٠١ ص١١١.
(٥) الوسائل/ الباب ٧٦ من المزار، الأمالي ص٣١٧ المجلس ١١/ ح ٩١.

القبة الطينية فوق المرقد الشريف، بلْ قبة السماء، فالواقف عند القبر الشريف يكون امتداد القبة بمقدار امتداد نظره في الأفق حيث يتماس خط السماء بالارض، وهذا المقدار يساوي الفرسخ تقريباً وهو حوالي خمسة كيلومترات ومن ثم ذهب جملة ممن تقدم، الى التخيير بين القصر والتمام في تمام مدينة كربلاء[١].

والروايات الواردة فيه كالتالي:

١ – مرفوعة منصور بن عباس عن أبي عبدالله عليه السلام قال حرم الحسين عليه السلام خمسُ فراسخ من أربع جوانبه.

أي فتكون حوالي شعاع سبعة وعشرين كليومتر من كل جانب من جوانب القبر ومثلها مرسلة الصدوق في الفقيه[٢].

٢ – وما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن إسماعيل البصري عمن رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حرم الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من أربع جوانب القبر[٣].

٣– وما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن أحمد بن داود بن الحسن بن محمد عن حميد بن زياد عن سنان بن محمد عن أبي الطاهر (يعني الورقاء) عن الحجال عن غير واحد من أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: التربة من قبر الحسين بن علي عليه السلام على عشرة أميال[٤].

---

(١) الشيخ الطوسي في المبسوط/ السيد المرتضى/ وبن الجنيد.
(٢) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧، ح٨.
(٣) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧، ح٢.
(٤) التهذيب، ج٦، ٧٢/ ١٣٦.

٤ – ما رواه في كامل الزيارات بسنده عن محمد بن جعفر عن محمد بن الحسين عن رجلٍ عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: طينُ قبر الحسين عليه السلام فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل[١].

٥ – وما رواه في التهذيب بسنده عن سليمان بن عمر بسراج، عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام: قال يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام عن عند القبر على سبعين ذراعاً[٢] ورواه ابن قولويه في المزار إلاّ أنه قال على سبعين باعاً في سبعين باعٍ[٣].

٦ – وما رواه بسنده عن أبي القاسم جعفر بن محمد عن محمد بن جعفر الرزاز عن محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب عن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أن لموضع قبر الحسين عليه السلام حرمة معروفة من عرفها واستجار بها أُجير، قلت: فصف لي موضعها، قال: امسح من موضع قبره اليوم خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناصية رأسه وموضع قبره من يوم دفنه روضة من رياض الجنة، ومنه معراج يُعرج فيه بأعمال زواره إلى السماء، وما من ملك في السماء ولا في الأرض إلاّ وهم يسألون الله (أن يأذن لهم) في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج[٤].

ورواه الكليني والصدوق أيضاً.

---

(١) كامل الزيارات، ٢٧٥.

(٢) التهذيب، ٦: ٧٤/ ١٤٤ ورواه الكافي ٤: ٥٨٨/ ٥.

(٣) الباع: مسافة ما بين الكفين أن ابسطهما وهو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن (لسان العرب).

(٤) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧/ ح ٤.

٧- وفي معتبرة عبد الله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعاً مكسّراً روضة من رياض الجنة[١] ورواه في كامل الزيارات/ ٢٢٥. وهذا التفاوت في تحديد المكان مضافاً إلى امكان حمله على تفاوت الفضل فإنه يشير أيضاً إلى التوسيع في حريم وحرمة المكان والميقات المكاني.

خامساً: ورد أن الله تعالى يدفع البلاء عن مدينة بغداد، بقبر الإمام موسى بن جعفر عليه السلام[٢] وورد أيضاً حرمة مدينة سامراء بقبر العسكريين عليهما السلام[٣]، وأن مدينة طوس حرم لمرقد الرضا[٤] بلْ ورد أن مابين الجبلين المحيطين بطوس، جعل حريماً لمرقد الرضا عليه السلام[٥] وقد ذهب السيد المرتضى وابن الجنيد وظاهر علي بن بابويه وبعض المتقدمين إلى التخيير في الصلاة بين القصر والتمام للمسافر في كل المراقد المطهرة لأهل البيت عليهم السلام[٦].

سادساً: ما ورد من تنزيل زيارة المعصومين عليهم السلام من على سطح المنزل بمنزلة الزيارة عن قرب لمن عجز عن السفر لمانع[٧].

سابعاً: ما ورد في غسل الاحرام في مسجد الشجرة، فقد سوّغ الشارع

---

(١) الوسائل، أبواب المزار، باب ٦٧، ح٦.
(٢) البحار ج ٥٧/ ص٢٢٠/ دار احياء التراث.
(٣) البحار ج ٩٩ ص٥٩.
(٤) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٨.
(٥) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٠٩.
(٦) جُمل العلم والعمل (رسائل الشريف المرتضى) ج٣ ص ٤٧.
(٧) كامل الزيارات/ باب ٩٦ ح٧.

الغسل في المدينة المنورة لمن يعجز عنه في مسجد الشجرة[١].

ثامناً: ورد أنه إذا ضاقت مزدلفة بالحجيج، يسوغ لهم أن يصعدوا إلى الجبل[٢] وكذلك في منى إلى وادي محسَّر[٣].

تاسعاً: ما ورد في باب عدم وجوب استلام الحجر وتقبيله وعدم تأكد استحباب المزاحمة عليه واجزاء الإشارة والايماء، وتشير الى ذلك روايات:

منها: ما رواه الكليني عن عدة من اصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن سيف التمار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام اتيت الحجر الاسود فوجدت عليه زحاماً فلم الق إلاّ رجلاً من أصحابنا فسألته، فقال: لابد من استلامه فقال: إن وجدته خاليا وإلاّ فسلم «فاستلم» من بعيد[٤].

منها: وعنهم عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن محمد بن عبيد «عبد» الله قال:ـ سئل الرضا عليه السلام عن الحجر الأسود وهل يقاتل عليه الناس إذا كثروا. قال:ـ إذا كان كذلك فأوم إليه إيماء بيدك[٥].

منها: محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي

---

(١) ما رواه الحلبي:/ سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الذي يغتسل في المدينة للاحرام أيجُزيه عن الغسل في الميقات. قال عليه السلام: نعم / حوالي اللئالئ ج٣ ـ باب الحج ح٢٨.
(٢) الوسائل كتاب الحج/ ابواب احرام الحج والوقوف بعرفة/ باب ١١ ح٣.
(٣) نفس المصدر ح٤
(٤) الوسائل الباب ١٦ من ابواب الطواف/ ح٤.
(٥) نفس المصدر / ح٥.

عمير عن أبي ايوب الخزاز عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:- ليس على النساء جهر بالتلبية ولا استلام الحجر ولا دخول البيت ولا سعي بين الصفا والمروة يعني الهرولة[١]، أي يكفيهن الإيماء من بعد للحجر الأسود.

الوجه الثاني: السيرة العقلائية الممضاة:

تقرر في السيرة العقلائية على أنه هناك حريم في البقاع المملوكة فللدار حريم، وللبئر حريم، وللطريق حريم من جانبيه، وللمدينة حريم من ضواحيها، وضابطة مقدار الحريم أن يكون بحسب الحاجة التابعة له، فليس يتحدد بقدر يقف عليه ثابت لا يزيد ولا ينقص، بل هو يتسع وينقص بمقدار ما تستدعيه الحاجة.

وهذه السيرة العقلائية ليست خاصة بتوسعة الحريم المكاني.

بلْ هي جارية أيضاً بتوسعة الحريم الزماني، فنراهم يقولون (عام الفيل) و (عام الحزن) و (عام الفتح)، مع أن الحدث المناسبة حدثت في أيام قلائل، ولم تمتد لكل العام، كما في وفاة أبي طالب وخديجة عليهما السلام في عام الحزن.وكذلك يقال أن النبي صلى الله عليه وآله ولد في شهر ربيع الأول، أو أن أمير المؤمنين ولد في شهر رجب مع أن الولادة حدثت في ساعة واحدة كما روي الصفار بسنده عن حفص الابيض التمار قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام أيام صلب المعّلي ابن الخنيس[٢] والحال أن المعلى صلب في يوم واحد وروى الحميري عن جعفر عن أبيه عليهما السلام أن علياً عليه السلام كان يأمر مناديه بالكوفة أيام

(١) الوسائل الباب ١٨ من ابواب الطواف/ ح١.
(٢) بصائر الدرجات ص٤٢٣.

عيد الأضحى[١] والحال أن الأضحى يوم واحد.

وفي رواية أخرى عن علي بن رافع اخذنا منها موضع الحاجة وهو **«وأنا احب أن تُعرنيه أتجمل به في أيام عيد الأضحى»**[٢] مع أن عيد الأضحى يوم واحد ولكن عبُر عنه بايام وهذا يدل على أن الشارع جعل لتلك الازمنة حريماً زمانياً عبّر عنها بالايام كما هو كذلك عند العقلاء.

وهذا مما يبرز لنا وجه التوسعة عند العقلاء، فهو لأجل طبيعة التوسعة في الظرفية والاسناد الزماني

وكذلك الحال في التوسع في الظرف المكاني، فيقال أن النبي صلى الله عليه وآله ولد في مكة وكل ذلك نوع من التقريب في التحقيق، والتحقيق في التقريب، من جهة تحقق الاسناد وتوسع الظرف وكأن هذا هو المنشأ للارتكاز العقلائي.

وهذه السيرة العقلائية هي سيرة متشرعية أيضا، كما اتضح من الامثلة أعلاه.

الوجه الثالث:

قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ الله إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٣] حيث يمكن أن يستنبط منها عرفاً، سواء بحسب الارتكاز العقلائي أو المتشرعي، أن التذكير الوارد في الآية المباركة، ليس لخصوص اليوم الذي فيه المشهد الإلهي العظيم، بل يشمل الأيام المحتفة به أيضا، فيكون مفاد الآية الكريمة، الاحتفاء والاحتفال بالميقات الزماني الشعيري بما يشمل حريم ذلك الميقات الزماني، من قبل الميقات ومن بعده.

---

(١) الكافي ٨/ ١٩٦/ ج ٢٤٤.
(٢) تهذيب الأحكام للطوسي، ج١٠/ ١٥٤، باب من الزيادة.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٥.

الوجه الرابع: قاعدة تعدد مراتب المستحبات:

تُبين هذه القاعدة أن طبيعة المستحبات من حيث الأجزاء و الشرائط و القيود والتي منها الزمان والمكان طبيعة ذات مراتب وتعدد في المطلوب في أساس جعلها وتشريعها ومن ثم لا يرتكب الفقهاء عملية التقييد بين المطلق والمقيد ولا عملية التخصيص بين العام والخاص بل يحملون المقيد والخاص على تعدد مراتب الفضل وأن الشرائط والقيود هي شرائط وقيود كمال وليست شرائط وقيود صحة فمن ثم يكون مقتضى الظهور الأولي في باب المندوبات هو على تعدد المطلوب إلّا أن تقوم قرينة على خلاف ذلك، وهذا يوسع الزيارة المندوبة زمانا ومكانا، وإن كان الأقرب فالاقرب زماناً ومكانا هو الأفضل فالافضل في مراتب الفضل والكمال.

الوجه الخامس: (قاعدة الميسور لا يسقط بالمعسور):

هذه القاعدة أو قاعدة ما لا يدرك كله لا يترك جلّه. تنطبق على المراتب الزمانية والمكانية للعمل المقيّد بالزمان والمكان، فيكون الأقرب فالأقرب هو الميسور المقدم.

زبد المخاض: المحصلة من الوجوه:

ويتحصل من هذه الوجوه. هو أن كل موضع زماني أو مكاني، جُعل في الشريعة ميقاتاً لشعيرة دينية له حريم يحيط به، يسبقه ويتأخر عنه.

وإن ما عليه المتشرعة في زماننا من التوسع زماناً ومكاناً بحسب الحاجة في زيارة الأربعين لسيد الشهداء عليه السلام أو زيارة عاشوراء أو زيارة أمير المؤمنين عليه السلام أو زيارة الجوادين عليهما السلام أو زيارة العسكريين عليهما السلام أو غيرها من

مواسم الزيارات العظيمة التي يكون فيها الزحام شديد هذا التوسع مطابق لقاعدة فقهية شرعية. متصيدة من الأبواب الفقهية ومعتضدة بوجوه أخرى مفادها **«أن لكل ميقات زماني أو مكاني لشعيرة دينية عبادية حريم يحيط به يتوسع وبحسب ظرفية وقابلية الحاجة إلى الحدود التي تتصل بذلك الميقات»**.

الفصل الخامس

قاعدة: المشي إلى العبادة عبادة

بقلم
الشيخ عباس اللامي

قاعدة: المشي إلى العبادة عبادة

إنّ فضيلة المشي كعبادة قد وردت فيها طوائف من الروايات الآتية وهو مسألة قد تداولها الفقهاء بحثاً وتنقيباً وتحقيقاً لاسيما في كتاب الحج بل إن في طوائف تلك الروايات ما يدل على أن المشي له خصوصية ذاتية عبادية بغض النظر عن ما هو غاية للمشي من العبادة الأخرى وبغض النظر عن كونه موجباً لزيادة ثواب تلك الغاية العبادية فهذه حيثيات ثلاث:

الأولى: كون المشي عبادة في حدّ نفسه.

الثانية: اتصافه بالمقدمية للعبادة.

الثالثة: زيادة كمال وثواب الغاية العبادية التي يتوسط المشي مقدمة لها.

الرابعة: ورود الأمر الخاص بخصوص المشي للحج لبيت الحرام والأمر خاص بالمشي إلى زيارة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام كزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وزيارة الإمام الحسين عليه السلام وسائر المراقد المطهرة.

الخامسة: ولا يخفى أن المشي في مقابل الركوب يوجب مشقة للنفس كما يشير إليه قوله تعالى ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[1].

---

(١) سورة النحل: الآية ٥ ـ ٨.

وما يوجب مشقة النفس يضعضع من النفس ويهونها لدى ذاتها في مقابل الرفاه والنعيم والاستغناء وهو ما يوجب طغيانها واستكبارها كما يشير إليه قوله تعالى ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾[١].

وقوله تعالى في وصف أصحاب الشمال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾[٢]. وقد ورد في قوله تعالى ﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[٣] في صحيحة أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في ذيل الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم على أطراف اصابع رجليه فانزل الله سبحانه وتعالى ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[٤].

وفي معتبرة أخرى عن أبي جعفر وأبي عبيدالله كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا صلى قام على أصابع رجليه حتى تورمتا فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[٥].

وفي رواية الاحتجاج أنه كان إذا قام إلى الصلاة... ولقد قام صلّى الله عليه وآله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾[٦] وروى الطبرسي في مجمع البيان قال روي

---

(١) سورة العلق: الآية ٦ ـ ٧.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٤٥.
(٣) سورة طه: الآية ١ ـ ٢.
(٤) الكافي: مجلد ٢، ص٩٥، الوسائل، الباب ٣ من أبواب القيام، ح٢.
(٥) تفسير القمي في ذيل الآية.
(٦) الاحتاج، في مستدرك الوسائل أبواب القيام الباب، ٢، ح٢.

عن أبي عبدالله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله كان يرفع أحد رجليه في الصلاة ليزيد تعبه فانزل الله تعالى ﴿ طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ فوضعها[١] وفي موثق ابن بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما عظُم أو بعد ما ثقُل كان يصلي وهو قائم ورفع احدى رجليه حتى انزل الله تعالى ﴿ طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ فوضعها[٢].

وفعله صلى الله عليه وآله ذلك وإن نُهي عنه إلاّ أن وجه الحكمة فيه هو الاجتهاد وحمازة العمل. فإن ثقل العبادة والخضوع يكسر جموح النفس ويضعضعها ويُذهب أنفتها ويطأطأ شموخها إلى خضوع العبودية لله تعالى وقد ورد استحباب لبس الخشن والثقيل من الألبسة في الصلاة وهو يؤدي نفس هذا المؤدّى ومنه يتضح كبرى عامة في العبادات أن الجهد والاجتهاد والجد فيها اخضع خشوعاً في عبادية العبادة وهذه قاعدة عامة أخرى كبرى اوسع من القاعدة التي نحن فيها وهي صغرى تطبيقية لها وقد أفتى الأصحاب بها كما وردت النصوص والدلائل من الآيات والروايات بها.

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾[٣] منطبق بعمومه على المشي للطاعة وفي صحيح هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما عبدُ الله بشيء أفضل من المشي[٤].

---

(١) الطبرسي في مجمع البيان، ذيل الآية [طه ۝ مَا أَنْزَلْنَا....].
(٢) أبواب الوسائل، الباب ٣، ح ٤.
(٣) سورة الإسراء: الآية ١٩.
(٤) الوسائل، أبواب وجوب الحج، باب ٣٢، ح ٢.

أدلة القاعدة:

وقد وردت طوائف من لروايات دالة على مفاد القاعدة:

الطائفة الأولى: ما ورد أن مطلق المشي عبادة:

١ـ صحيحة عبد الله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **ما عبد الله بشيء أشد من المشي ولا أفضل**[١].

٢ـ رواية الزبيدي: عن فضل بن عمرو، عن محمد بن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن أبي عبد الله عليه السلام ما عبد الله بشيء فضل من المشي[٢].

٣ـ صحيحة هشام بن سالم قال دخلنا على أبي عبدالله عليه السلام أنا وعتبة بن مصعب وبضعة عشر رجلاً من أصحابنا فقلنا جعلنا فداك أيهما أفضل المشي أو الركوب فقال **ما عبد الله بشيء أفضل من المشي**، فقلنا أيما أفضل نركب إلى مكة فنعجّل فنقيم بها إلى أن يقدم الماشي أو نمشي فقال الركوب أفضل[٣].

وذيل الحديث وإنْ كان في خصوص المشي إلى الحج إلاّ أن صدره واضح هو في عموم قضية المشي كقضية كلية لا تختص بالمشي إلى الحج فمن ثم كان الصدرُ قضية عامة في عموم المشي وبعبارة أخرى أن السؤال في الذيل حول حكم المشي إلى الحج ناشيٌ من الإثارة الحاصل فتقريب عموم الصدر تام بل الصدر وكذلك الروايتين السابقتين دال على رجحان

---

(١) الوسائل، أبواب وجوب الحج، ب٣٢، ح١.
(٢) نفس المصدر، ح٤.
(٣) نفس المصدر، ح٤.

عبادية المشي بغض النظر عن كون غايته عبادية.

وأما في ذيل صحيحة هشام من ترجيحه الركوب على المشي بعد ما ذكر في صدر الحديث من رجحان المشي على الركوب فهو لأجل نص الرواية أن المشي أفضل إلاّ أن جهات أخرى مزاحمة قد تغلب فضيلته كاعمار مكة بالمؤمنين أو المجيء بمزيد من الطوائف ونحو ذلك من الأعمال البالغة الرجحان في مكة وإلاّ فقد روي كما سيأتي أن الحسن عليه السلام حجَّ عشرين مرة ماشياً من المدينة وكذلك السجاد عليه السلام فلابدَّ من ملاحظات الجهات المختلفة.

وتقريب دلالة هذه الطائفة على عبادية المشي الذاتية فضلاً عن ما إذا مقدمة لعبادة أو لطاعة الله هو أن المشي تواضع والتواضع هو الحالة الأقرب لعبودية العبد شعوره بالفقر والحاجة والضعة إلى الباري تعالى كما أن في المشي مشقة تكسر جموح وطغيان النفس فكما أن حالة الإنسان التي وصفت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى ۝ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ فكذلك العكس أن الإنسان ليتّضع أن رآه افتقر ومن ثم كان الفقر شعار الصالحين وهذا بنفسه إشارة إلى تقريب وجه عقلي مستقل في عبادية المشي الذاتية.

الطائفة الثانية: ما ورد في المشي إلى الحج وهي على ألسن:

اللسان الأوَّل: وهو دال على فضيلة المشي إلى الحج على الركوب كما في:

١ـ معتبرة أبي الربيع الشامي عن أبي عبدالله عليه السلام قال ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت والمشي إلى بيته[1].

٢ـ معتبرة أبي اسامة عن أبي عبد الله عليه السلام: قال خرج الحسن بن علي عليه السلام

(١) الوسائل، أبو أب وجوب الحج، باب ٣٢، ح٧.

إلى مكة سنة ماشياً فورمت قدماه فقال بعض مواليه لو ركبت لسكن عنك هذا الورم فقال كلا، إذا أتينا هذا المنزل فإنه يستقبلك اسود ومعه دهن فاشتري منه ولا تماسكه الحديث[١].

٣ـ صحيح الحلبي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن فضل المشي فقال: أن الحسن بن علي عليه السلام قاسم ربه ثلاث مرات حتى نعلاً ونعلاً وثوباً وثوباً وديناراً وديناراً وحج عشرين حجة ماشياً على قدميه[٢].

٤ـ رواية أبي المنكدر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال ابن عباس ما ندمت على شي صنعته ندمي علي أن لم احج ماشياً لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من حج بيت الله ماشياً كتب له سبعة آلاف حسنة من حسنات الحرم قبل يا رسول الله وما حسنات الحرم قال حسنة ألف ألف حسنة وقال فضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وكان الحسين بن علي عليهما السلام يمشي إلى الحج ودابته تقاد وراءه[٣].

٥ـ روى المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن الحسن بن علي كان أعبد الناس وازهدهم وافضلهم في زمانه وكان إذا حج حج ماشياً ورمى ماشياً وربما مشى حافياً[٤].

٦ـ روى المفيد في الارشاد بسند متصل عن إبراهيم بن علي قال حج علي بن الحسين عليه السلام ماشياً فسار عشرين يوماً من المدينة إلى مكة[٥].

---

(١) نفس المصدر، ح٨.
(٢) نفس المصدر، ح٣.
(٣) نفس المصدر، ح٩.
(٤) الوسائل، أبواب وجوب الحج، باب ٣٢، ح١٠.
(٥) نفس المصدر، ح١١.

٧ـ ما رواه في علل الشرائع قال أمير المؤمنين عليه السلام حج آدم سبعين حجة ماشياً وروي أنه عليه السلام أتى البيت ألف آتية وسبعمائة حجة وثلثمائة عمرة.

صحيح حماد بن عيسى عمن اخبره عن العبد الصالح في حديث قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من طائفٍ يطوف بهذا البيت حين تزول الشمس حاسراً عن رأسه حافياً يقارب بين خطاه ويغض بصره ويستلم الحجر في كل طوائف من غير أن يؤذي أحداً ولا يقطع ذكر الله عن لسانه إلاّ كتب له عَزَّ وَجَلَّ له بكل خطوة سبعين ألف حسنة ومحى عنه سبعين ألف سيئة ورفع له سبعين ألف درجة واعتق عنه سبعين ألف رقبة ثمن كل رقبة عشرة آلاف درهم. وشفّع في سبعين من أهل بيته وقضيت له سبعون ألف حاجة إن شاء فعاجلة وإن شاء فآجلة[1].

اللسان الثاني: ما ظاهره إلى الركوب للحج أفضل من المشي:

١ـ صحيح رفاعة وابن بكير جميعاً عن أبي عبدالله أنه سئل عن الحج ماشياً أفضل أو راكباً فقال بل راكباً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله حج راكباً. وطريق هذه الرواية مستفيض عن رفاعة[2].

٢ـ صحيح سيف التمار قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام أنه بلغنا وكنا تلك السنة مشاة، عنك انك تقول في الركوب؟ فقال عليه السلام أن الناس يحجون مشاة ويركبون فقلت ليس عن هذا اسئلك فقال عن أي شيء تسألني فقلت أي شيء أحب إليك نمشي أو نركب؟ فقال تركبون احب الي فإن ذلك اقوى

---

(١) الكافي، مجلد ٤، ص٤١٢.
(٢) أبواب وجوب الحج، باب ٣٣، ح٤.

على الدعاء والعبادة[١].

وصريح هذه الرواية أن أفضلية الركوب على المشي إنما هي بلحاظ جهات طارئة أخرى كالتحفظ على القدرة لأجل الدعاء والعبادة في الحج لا للرجحان الذاتي للركوب على المشي ولعل وجه ركوب رسول الله صلى الله عليه وآله هو لأجل أن لا يشق على أمته فيضعفوا عن أداء مناسكهم وعن جملة من العبادات الراجحة في الحج أو أن الركوب فيه جهة تأسى برسول الله صلّى الله عليه وآله وإن كان ما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله ليس بداعي جعل السنة منه في ذلك بل من باب ترك المشي الراجح لئلا تقع أمة في المشقة أو التفريط فيما هو ارجح من العبادات الأخرى.

٣ـ موثق عبد الله بن بكير قال قلت لأبي عبدالله عليه السلام إنا نريد الخروج إلى مكة فقال لا تمشوا واركبوا فقلت أصلحك أنه بلغنا أن الحسن بن علي عليه السلام حجة عشرين حجة ماشياً فقال أن الحسن بن علي عليه السلام كان يمشي وتساق معه محامله ورحاله[٢].

ومثله رواية سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام.

والوجه في مفاد هذا التعليل في هذه الرواية ما سيأتي في معتبرة أبي بصير عن الصادق عليه السلام أنه سأله عن المشي أفضل أو الركوب فقال إذا كان الرجل موسراً فمشى ليكون أفضل لنفقته فالركوب أفضل[٣].

ورواه الصدوق في العلل بسندٍ آخر.

---

(١) نفس المصدر، باب ٣٣، ح٥.
(٢) الوسائل، أبواب الحج، باب ٣٣، ح٦.
(٣) نفس المصدر، ح١٠.

وفي الرواية تصريحٌ بأن أفضلية الركوب لا لرجحانه الذاتي على المشي بل المشي الراجح ذاتاً على الركوب وإنما يرجح ويفضل الركوب لجهاتٍ طارئة أخرى لئلا يكون المشي لتقليل النفقة وفيما كان الركوب زيادة انفاق للمال في سبيل الله.

وبذلك يظهر ما في تعليل الرواية السابقة من أن حج الإمام الحسن عليه السلام ماشياً لم يكن التقليل للنفقة بل كان مع بذل كامل لنفقة الركوب ومن ثم استظهر صاحب الوسائل في تفسير الرواية السابقة أن تسوق الرحال والمحامل معه عليه السلام الذي أوجب بقاء المشي على رجحانه وأوجب معالجة الجهات الطارئة المزاحمة هو لاحتمال الاحتياج إليها عند العجز عن المشي أو ليطمئن الخاطر وتطيب النفس بذلك فلا تعاني من المشقة وتعززها بها عن الذل والمهانة الشديدة في المشي نظير ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من وثق بماءٍ لم يظمأ ولكونها وسيلة آمنٍ لو واجهه قطاع الطريق والاعداء.

وما يدلُّ على صحة هذا التفسير للسان الثاني وأن المشي في ذاته أفضل من الركوب لولا الجهات الطارئة ما يأتي في اللسان الثالث من الروايات الواردة في لزوم الوفاء بنذر المشي.

اللسان الثالث: في نذر المشي إنه يلزم الوفاء بع إلا أن يتعب فيركب، وفي بعض إنحلاله إذا كان مجهداً له.

منها: صحيحة رفاعة بن موسى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل نذر أن يمشي إلى بيت الله قال: فليمش، قلت فإنه تعب قال فإذا تعب ركب[1].

(١) الوسائل: الباب ٣٤/ح١.

ومنها: عن الحلبي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام رجل نذر أن يمشي إلى بيت الله وعجز عن المشي قال: فليركب وليسق بدنه، فإن ذلك يجزي عنه إذا عرف الله منه الجهد[١].

ومنها: صحيحة ذريح المحاربي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل حلف ليحجّن ماشياً فعجز عن ذلك فلم يطقه، قال فليركب وليست الهدي[٢].

ومنها: رواية أبي بصير، فقال: من جعل لله على نفسه شيئاً فبلغ فيه مجهوده فلا شيء عليه، وكان الله أعذر لعبد[٣].

ومنها: أحمد بن محمد بن عيسى في (نوادره) عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال: مسألته عن رجل جعل عليه شيئاً إلى بيت الله فلم يستطع، قال: يحج راكباً[٤].

وعلى أي تقدير كلّ هذه الألسن ليس فيها ما يدلّ على المرجوحية الذاتية بل دالّة على رجحانية ذات المشي كعبادة.

وخصوص اللسان الثانية يوهُمْ خلاف ذلك ولكنه غير تام كما مرّ لأن أفضلية الركوب لجهات عارضة مزاحمة، لا تنافي رجحان المشي الذاتي عبادة.

إنْ قلتَ: إنّ مفادها مرجوحيّته لكونه تركاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فتعارض

---

(١) الوسائل: الباب ٣٤ / ح٣.
(٢) نفس المصدر / ح٢.
(٣) الوسائل الباب / ٣٤ من أبواب وجوب الحج / ح٧.
(٤) نفس المصدر / ح٩.

اللسان الأول.

قلتُ: الظاهر عدم المنافاة وذلك إذا أتى بالركوب تأسّياً بالنبيﷺ فقد أدرك الفضل ولكن فعلهﷺ من الركوب كما مرّ، لعلّه لأجل عدم إيقاع الأمة في مشقة المشي لا أن المشي في نفسه أرجح نظير ما ورد من الاستقاء في ماء زمزم في صحيح الحلبي[1] أنه قالﷺ «**لولا أن أشقّ على أمتي لاستقيت منها ذنوباً أو ذنوبين**» فإنه صريح في كون الاستقاء، فعلاً راجحاً ولكنه لم يفعلهﷺ لأجل عدم ايقاع الأمة في المشقة.

وقد روى البرقي بسنده عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال ابن عباس ما ندمت على شيء صنعت ندمي على اني لم أحجّ ماشياً لأني سمعت رسول اللهﷺ يقول من حجّ بيت الله ماشياً كتب له سبعة آلاف حسنة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله ما حسنات الحرم قال:ـ حسنة ألف ألف حسنة وقال «**فضل المشاة في الحج كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم وكان الحسين بن عليعليه السلام يمشي إلى الحج ودابته تقاد وراءه**»، ومفادها صريح في تفصيلة لهﷺ، المشي على الركوب وإنهﷺ قد أمر بالمشي.

إنْ قلتَ: ما الفرق بين فعلهﷺ إنشاءً للتشريع وبين قولهﷺ فكليهما بمفاد واحد فلو كانت هناك مشقة لما أمر بهﷺ.

قُلْتُ: مفادهما وإن كان واحداً إلاّ أنّ في فعلهﷺ خصيصة زائدة على الأمرِ اللفظِي وهي عنوان التأسي بهﷺ لقوله تعالى ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فإنّ هذا العنوان يضيف إلى الفعل ملاكاً زائداً على المَلاك

---

(١) الوسائل: ابواب أقسام الحج/ باب ٢ ح٤.

الذاتي الذي فيه بلْ لو كان الفعل من المباحات العاديات وطرأ عليه عنوان التأسي لكان يحدث فيه ملاكاً أيضاً.

إن قلتَ: فعلى ذلك يشمل التأسي الأفعال العادية التي كان يأتي بها لا في مقام التشريع وتبليغ الأحكام الإلهية بل ينتهي الأمر حينئذٍ إلى أن كل أفعاله صلى الله عليه وآله لها مدى تشريع.

قلتُ: إنه مع الاشتراك في عموم التأسّي هناك فارق بين الافعال العادية والأفعال التي يأتي بها صلى الله عليه وآله بقصد الانشاء وبقصد تبليغ أحكام الله فإنّ العاديات لا إنشاء في إتيانها كمالا رجحان في ماهيّتها بما هي هي بخلاف الافعال من النمط الثاني كما أنّ العاديات لا يراد بها كلّ فعل يشترك فيها صلى الله عليه وآله مع نوع البشر بل ما تميز به صلى الله عليه وآله ممّا يدخل في المكرمات ونحوها.

ثم إن مدرك القول بانحلال أو جواز حلّ النذر إذا قيس متعلّق النذر إلى فعل آخر هو ما ورد[1] في اليمين من أن الحالف إذا رأى مخالفتها خيراً من الوفاء بها جاز له أن يدعها ويأتي بالذي هو خير هذا إذا لم تحمل هذه الروايات على شرطية عدم مرجوحية المتعلّق ولو بلحاظ حال المزاحمة بينما الكلام في أفضلية الفعل المغاير وإن لم يكن مزاحمة في البين.

ثمّ إنه لا إشكال في دلالة الروايات المشار إليها في اليمين على ذلك مضافاً الى دلالة الروايات الورادة في خصوص النذر. بل الروايات الواردة في خصوص المسألة مثل صحيح أبي عبيد الحذاء، قال سأل أبا جعفر عليه السلام عن الرجل نذر أن يمشي الى مكة حافياً، قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج حافياً

(١) ١٨ كتاب الإيمان.

فنظر الى امرأة تمشي بين الأبل، فقال من هذه؟ فقال أخت عقبة بن عامر، نذرت أن تمشي الى مكة حافية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«يا عقبة إنطلق الى أختك فمرها فلتركب فإن الله غنى عن مشيها وحففيها قال فركبت»**[1]

وقد تعرض اليزدي في العروة الوثقى الى صور ثلاث في النذر[2].

الأولى: إذا نذر الحجّ ماشياً أو نذر الزيارة ماشياً نذراً مطلقاً عن التقييد بسنة معينة فخالف نذره فحجّ أو زار راكباً حكم المشهور بوجوب الإعادة وعدم الكفّارة لإمكان الامتثال.

نعم عن المحقق في المعتبر والعلامة في المختلف والتذكرة والتحرير والمنتهى والإرشاد وظاهر إيمان القواعد احتمال صحة وقوع الحج عن المنذور وحصول الحنث بترك المشي، وكذا حكموا بسقوط القضاء وحصول فيه الحنث في الصورة الثانية وهي ما إذا كان التقييد بسنة معينة حيث ذكر في المختلف (أن يجري فيه ما ذكر في المطلق لأنه لما نوى بحجّه المنذور وقع عنه وإنما اخلّ بالمشي قبله وبين أفعاله فلم يبقى محل للمشي المنذور ليُقضي إلاّ أن يطوف أو يسعى راكباً فيمكن بطلانهما فيبطل الحجّ والزيارة حينئذٍ إنّ تناول النذر للمشي فيهما) وفي كشف اللثام أنه قوي إلاّ أن يجعل المشي شرطاً في عقد النذر كما فصل في المختلف وتقريب ما ذكره أنّ نذر الحج

---

(١) الوسائل/ باب ٣٤/ أبواب وجوب الحج/ ج٤.

(٢) مسألة ٣١: إذا نذر المشي فخالف نذره فحج راكباً فإن كان المنذور الحج ماشياً من غير تقييد بسنة معيّنة وجب عليه الإعادة ولا كفارة إلاّ إذا تركها أيضاً وإن كان المنذور الحج ماشياً في سنة معينة فخالف وأتى به راكباً وجب عليه القضاء والكفارة، وإذا كان المنذور المشي في حج معيّن وجبت الكفارة دون القضاء لفوات محل النذر، والحجّ صحيح في جميع الصور.

ماشياً أو الزيارة ماشياً هو النذر لكل من المشي والحجّ والزيارة وحيث السعي والمشي ليس من شرائط صحة الحج والزيارة وإنما هو من المندوبات في نفسه التي طرفيها قبل الحجّ نظير السعي لزيارة الحسين عليه السلام فإن الثواب على السعي نفسه بذلك القصد مضافاً للثواب وللزيارة والنذر لا يغير ماهية المنذور في نفسه ولا يتصرف فيه وإنما يتعلق به على ما هو عليه، ومقتضى ذلك وقوع الحج مصداقاً للحج المنذور أو الزيارة المنذور نظير ما إذا نذر صيام ثلاثة أيام ولم يصم الثالث فإن اليومين يقعان مصداقاً للصوم المنذور، ويجب عليه قضاء يوم واحد فقط ومن ثم حكم الشيخ الطوسي والمفيد في المحكي عنهما في مسألة مالو مشى بعضاً أنه يصحّ ما أتى به ماشياً مصداقاً للنذر ولكن يجب عليه بعد اتيان المشي في المواضع التي ركب فيها مضافاً إلى ظاهر الروايات الواردة في نذر مشي الحج نذراً مطلقاً أنه مع عجزه عن المشي لا يسقط وجوب الحج النذري عنه الدال على التفكيك بينهما في مقام التحقق.

نعم في المقام في الصورة الأولى حيث أن النذر مطلقاً فبإمكانه أداء المشي ولو في ضمن الحجّ غير النذري.

وأما صحّة الحج والزيارة في هذه الصور فلما عرفت من أن المشي ليس من شرائط صحة الحج أو الزيارة ولا النذر يسبّب شرطية للحج أو الزيارة.

وما استدلّ به على بطلان الحج المأتي به أمور:

أولاً: أن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده وقد تقرّر في محلّه عدم الاقتضاء بل لا يقتضي عدم الأمر بضدّه أيضاً وإنما يقتضي عدم تعيّن تنجيز

ضدّه.

ثانياً: إنَّ البطلان من جهة أن ما قصد لم يقع وهو الحجّ النذري وما وقع هو حجّ النافلة ففيه:

أ ـ إنّا نبني وفاقاً للفاضلين على صحّته مصداقاً للحج المنذور والزيارة المنذورة في الصورتين فما قصد قد وقع.

ب ـ أنّ قصد الأمر النذري لا ملزم له لأن عبادية الحج الفاضلة وكذا الزيارة، إنما هو بالأمر الندبي المتعلق بهما في نفسه في رتبة سابقة على الأمر النذري والأمر النذري توصّلي في نفسه ومن ثمة لو بنينا على عدم صحة ما أتى به عن النذر لكان ما أتى به صحيحاً ندباً.

جـ ـ أن إتيان الحج أو الزيارة ـ ولاسيما في الصورة الثالثة وهو فيما لو نذر المشي في حجّ معيّن أو زيارة معينة، بأن يكون الحج المعين ظرفاً للمنذور لا جزء المنذور ـ علّة لتفويت متعلق النذر وعلّة المعصية وإن لم نلتزم بحرمتها الشرعية إلاّ أن إيجادها قبيح عقلاً فلا تصحّ عبادةً لأن العبادة يشترط فيها أن يكون صدورها حسناً عقلاً.

وفيه: أنّ الكبرى المزبورة وإن كانت متينة إلاّ أنها لا صغرى لها في المقام حيث أنه بالترك قبل أعمال الحج يكون قد حنث في نذره بإرادته متعمداً لا بأعمال الحجّ والزيارة كما في تركه للمشي قبل الميقات وبعد الميقات بعد ما أحرم في الميقات.

نعم يظهر من الشيخين فيما تقدّم حكايته من قولهما فيما لو ركب بعضاً ومشى بعضاً أن نذر المشي استغراقي لا مجموعي وحينئذٍ لا يسقط

بقاءً الخطاب النذري بالمشي أثناء الأعمال وهذا إنما يتأتى في خصوص الصورة الأولى وهي النذر المطلق وأما الصورتين الآخرتين فيتحقق حنث النذر بمجرد ترك المشي إلى الميقات.

وبعبارة أخرى: أنَّ الوفاء بالنذر وعدم حنثه ارتباطي مجموعي لأنَّه تعهد وحداني غاية الأمر أن متعلّق النذر إذا كان أفعالاً متعددة مستقلة عن بعضها البعض في نفسها بحسب مشروعيّتها في نفسها السابق على طرو النذر عليها تكون صحّتها بنحو منفك عن بعضها البعض دون مقام الوفاء بالنذر هذا مع أن الصورة الأولى وهي النذر المطلق لا وجه للمعصية بناءً على قول الشيخين بعد إمكان الامتثال فيما يُعد تبعيضاً فقولهما في مقام الامتثال وصحّة الأفعال في نفسها لا في مقام الوفاء بالنذر ولك أن تقول إنّ هناك ثلاث جهات:

الأولى: صحّة الافعال في نفسها.

الثانية: الوفاء بالنذر وهو مجموعي.

الثالثة: سقوط قضاء النذر وهو ليس بمجموعي أي أنّ سقوط قضاء نذر الحج أو نذرالزيارة أو نذر الصوم غير معلق على الوفاء بالنذر بل القضاء معلّق على ترك الصوم النذري والزيارة النذرية والحج النذري وهو لا يصدق مع اتيان الصوم والحج والزيارة ولو منفرداً عن بقية الأفعال التي ضمها إليها في نذر الصوم أو نذر الحج أو نذر الزيارة فمن ثم تبين انفكاك موضوع القضاء عن عدم الوفاء وقد اتضح مما مر ما ينفع في تنقيح الحال في الصورتين الباقيتين.

الصورة الثانية: إذا نذر الحج أو الزيارة في سنة معينة فخالف وأتى

بهما راكباً فلا يجب قضاءهما كما عرفت للصحة وإن تحقق حنث النذر ووجبت الكفارة.

الصورة الثالثة: إذا نذر الحج أو الزيارة ماشياً مع الاطلاق من دون تقيد في سنة معينة فيجب عليه إعادة المشي ولو في حج اجاري أو زيارة اجاري أو غيرهما بعد فرض تحقق الحج النذري بناءً على عدم تبعض المشي وقد تقدمت الإشارة إلى قولي المفيد والطوسي وجماعة بتبعيض المشي في مقام الامتثال مقام الوجوب كافعال مستقلة متعددة لا في مقام الوفاء في النذر أي أن كل خطوة في السعي إلى الحج صحتها كعبادة غير مرتبطة بالخطوات اللاحقة كما تفيده الروايات الواردة في فضيلة المشي وهو متين إلاّ أن منصرف التعبير في صيغة النذر هو إلى المشي المتواصل بقرينة زيادة المشقة فمن ثم يكون المنذور حصة خاصة لا مطلق المشي. وقد اتضح بذلك الجهات المتعددة في نذر المشي لحج بيت الله الحرام واجباً أو مستحباً وكذا في نذر المشي للزيارة.

وقد يقرب بأن امتثال متعلّق النذر بالمصداق الأفضل من طبيعة النذر مجزئ وبأنه إيجاد للطبيعة الواجبة بالنذر في ضمن أفضل مصاديقها هذا إذا كان الفرد الأفضل من نفس طبيعة النذر نوعاً أو صنفاً لا ما إذا كانتا متباينتين. كما إذا نذر الصلاة في مسجد المحلة فأتى بها في المسجد الجامع أو المسجد الحرام لاسّيما مع الالتفات إلى أن ما هو متعلق بالنذر الأمر الندبي المتعلق به في نفسه وهو شامل للفرد الأفضل والمفروض أنّ النذر يتعلق بالمتعلق بما هو عليه من المشروعية ولك أن تضمّ مقدمة ثالثة وهي أن ظهور تعلق النذر في مقام الانشاء عند التقييّد بفرد هو خصوصية

التقيّد بفرد بمعنى التحديد بعدم كونه دون ذلك لا التحديد بعدم كونه فوق ذلك الفرد، وإلا لكان هذا قيداً ثانياً وبعبارة أخرى إن الأمر الندبي قد تعّلق بالطبيعة ولم يتعلق بالخصوصية إلّا في الخصوصيات الراجحة بلحاظ ما دونها لا الخصوصيات التي هي بلحاظ ما فوقها من الأفراد.

إنْ قلتَ: فعلى ذلك لو نذر الصيام يوماً فله أن يأتي به في يوم غيره أرجح منه كصوم يوم النصف من شعبان أو يوم الغدير مع أنه خلاف النص والفتوى.

قلتُ: إنّ مورد الكلام في الطبيعة البدلية ذات الأمر الواحد بحيث يكون امتثال الأفضل لنفس الأمر وهذا بخلاف الطبيعة الاستغراقية فإن لكل فرد أمر يخصّه وإنّ تفاضلت الأفراد ويدلّ على ذلك ما ورد من أن من نذر أن يتزوج أمة فتزوج بنت مهيرة أنّ ذلك وفاء.

وحينئذ يقال في المقام بمقتضى ما تقدم وإن كان السعي إلى الحجّ مشياً أفضل من الركوب إلاّ أنه قد تعرّض كما تقدمّ جهات للمشي توجب رجحان الركوب عليه فحينئذ يكون السعي بالركوب أفضل من المشي كما مرّ. إلاّ أن ظاهر طائفة أخرى من الروايات كصحيحة رفاعة بن موسى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: رجل نذر أن يمشي إلى بيت الله قال: فليمش، قلت: فإنه تعب، قال: فإذا تعب فليركب،وصحيح ذريح المحاربي سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل حلف ليحجن ماشياً فعجز عن ذلك فلم يطقه.

قال فليركب ويسوق الهدي ونظيرهما روايات أُخرى[1] وصحيح

(١) ب/ ٣٤ أبواب وجوب الحجّ،ح ١، ٢.

إسماعيل بن همام عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في الذي عليه المشي في الحج إذا رمى الجمرة زار البيت راكباً وليس عليه شئ.

وفي صحيحته الأخرى عنهم عليهم السلام في الذي عليه المشي إذا رمى الجمرة وزار البيت راكباً وصحيحة السندي بن محمّد عن صفوان الجمّال قال: قلت: جعلت على نفسي المشي إلى بيت الله الحرام، قال: كفرّ عن يمينك فإنّما جعلت على نفسك يميناً وما جعلته لله ففِ به[1] وغيرها من الروايات[2] فإن ظاهرها تعيّن المشي في مقام امتثال نذره، ولعّل وجه عدم أفضلية الركوب في نفسه على المشي وإنما الأفضلية بلحاظ جهات أخرى كالقوة على الدعاء واستحباب الانفاق في طريق الحج ونحوها من الجهات الأجنبية عن الركوب الملازمة لها اتفاقاً. فلا تتحقّق صغرى الامتثال بأفضل الأفراد لأنها في موارد أفضلية الفرد في نفسه.

فتحصل:ـ أنّ نذر المشي ينعقد مطلقاً إلاّ أن يطرأ عليه جهات مرجوحة بحيث تكون أقوى من رجحانه الذاتي الذي فيه.

وإلاّ أن يعجز عنه فينحل النذر ويستحب له أن يكفرّ لما تقدم من الروايات الدّالة عليه، هذا كله في شقوق الصورة الأولى وأمّا في الصورة الثانية وهو نذر الحج ماشياً فقد حكى الماتن اليزدي بانعقاده مطلقاً، وكفاية رجحان المقيد وتنقيح الكلام في المقام يتضح بما قدمّناه في الصورة الأولى من أن القيد إذا كان مباحاً أو راجحاً ينعقد النذر مقصوراً على تلك الحصة من الطبيعة أو أنّه بشرط لا ما دونها من الحصص وأمّا بلحاظ ما فوقها من

---

(١) ب / ٨ أبواب النذر، ح ٤.
(٢) ب/ ٢١ أبواب النذر و ب ٣٥ أبواب وجوب الحج.

الحصص فهي بنحو لا بشرط وقد تقدم أنه لو نذر الطبيعة في ضمن حصّة متشخصة بأوصاف مباحة أو راجحة فإنّه يجوز له امتثال نذر الطبيعة بصحة أرجح بخلاف ما لو نذر الخصوصية الراجحة أي نذر الركوب نفسه وكان راجحاً فإنه لا يسوغ له إتيان ما هو أرجح منه إلاّ أن تفرض المزاحمة.

وما في صحيحة الحذاء من أمر النبيﷺ بركوب أخت عقبة بن عامر مع كونها ناذرة أن تمشي إلى بيت الله حافية قضية في واقعة يمكن أن يكون لمانع من صحة نذرها لأستلزام كشفها أو تضررّها أو غير ذلك وهذا ما ذهب إليه اليزدي قده[١] وذهب إليه الفاضلان وآخرون وتوقف فيه بعض متأخري العصر، وفي الدروس أنه لا ينعقد نذر الحفاء في المشي للصحيحة وبقصد صحيحة أبي عبيدة الحذاء قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن رجل نذر أن يمشي إلى مكة حافياً؟ فقال إن رسول اللهﷺ خرج حاجاً فنظر إلى أمرأة تمشي بين الإبل فقال: من هذه؟ فقالوا أخت عقبة بن عامر نذرت أن تمشي إلى مكة حافية فقال رسول اللهﷺ «يا عقبة انطلق إلى اختك فمرها فلتركب فإن الله غني عن مشيها وحفاها قال: فركبت»[٢].

ومثلها معتبرة أبي بصير على الأصح ويعارضها صحيحة رفاعة وحفص قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن رجل نذر أن يمشي إلى بيت الله حافياً؟ قال: فليمش فإذا تعب فليركب[٣] وحُملت الصحيحة الأولى على أنها قضية في واقعة نظراً إلى كون فرض المسألة في امرأة وهي تمشي بين

---

(١) المسألة ٢٧.
(٢) ب/ ٣٤ أبواب وجوب الحجّ ح ٤.
(٣) ب ٨ كتاب النذر و العهد، ح ٢.

الإبل فالفعل بلحاظها مرجوح فلا يعارض صحيحة رفاعة و حفص.

وأشكل عليه بأنّ حكاية الباقر عليه السلام قول رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الواقعة هو بيان للحكم الكلي للنذر المزبور فكيف يكون مخصوص بتلك الواقعة لاسيّما وأن أبا بصير قد سأل الصادق عليه السلام عن ذلك فأجاب بنفس البيان مضافاً إلى أن الجواب في صحيحة رفاعة قد يفهم منه الإعراض عن انعقاد النذر بخصوصية الحفاء وأنّ المنعقد منه هو خصوص المشي.

ولا يشكل عليه بأنْ لا يفكك بين المقيّد والقيد في انعقاد النذر إذ قد يفهم من قصد الناذر تعدد المطلوب فينعقد على الطبيعة دون القيد لأنه مرجوح أو أنّه إذا أنعقد فلا يلزم إتيان تلك الحصّة بنفسها بل له أن يأتي بحصة أفضل بأن يمشي منتعلاً لكن الصحيح عدم التعارض بين الروايات وذلك لأن مفاد الروايتين الاوليتين لو ابقي على ظاهره البدوي لكن دالاً على مرجوحية المشي في نفسه، مع انه قد تقدمّ رجحانه الذاتي فذلك قرينة على كون المرجوحية في المورد المحكي كونها امرأة بين الرجال واختلاطها بالإبل مما يعرّضها إلى المحاذير فمن ثمّ أضيف في تعبير الرواية المشي المستغني عنه والحفاء إليها لا مطلق المشي والحفاء.

ندبية الأحتفاء في المشي:

وأما وجه بيان الصادقين عليهما السلام قوله صلى الله عليه وآله في مقام بيان الحكم الكّلي لنذر المشي حافياً فهو إشارة إلى عدم انعقاده مطلقاً فيما إذا استلزم المرجوحية نظير ما ورد في المشي نفسه من الحث على الترك واختيار الركوب في قبال الروايات الآمرة به والناعتة له بأفضل العبادة ويشير إلى فضيلة الحفاء في المشي إلى العبادة ما ورد من الندب إليه في مشي إمام الجماعة إلى صلاة

الجمعة كما في فعل الإمام الرضا عليه السلام عندما استدعاه المأمون للصلاة بالناس صلاة الجمعة وكان فعله اقتداء بما فعله النبي صلى الله عليه وآله كما هو مورد الندب إليه أيضا في صلاة العيدين والاستسقاء حتى للمأمومين في الاستسقاء، بل لايبعد في صلاة الجمعة أيضاً، مضافاً إلى أنه زيادة في الخضوع والخشوع والذلّ في مقام السعي إلى مواطن العبادة والوفود إلى الله تعالى.

مضافاً إلى ما ورد في الحجّ أيضاً من استحباب ترك الترفّه فيه وقد ذكر الماتن اليزدي قدس سره في حج العروة[1] ثلاث حالات لنذر المشي العجز وأخرى الضرر وثالثة الحرج، وهي كما تتأي في الحج تتأتى في مطلق نذر المشي لزيارة الأئمة عليهم السلام أيضاً.

أمّا الأولى:ـ (العجز):ـ مضافاً إلى أن اخذها بمقتضى نفس النذر إذ لا يتعلق الإلتزام بغير المقدور قد دلت الروايات عليه ايضاً الواردة في خصوص نذر المشي في الأبواب المشار إليها آنفاً.

وأما الثانية:ـ (الضرر):ـ فبعد تحريم الاضرار بالنفس كما عليه المشهور ولو لم يكن إهلاكاً ونحوه لها، يكون المتعلق مرجوحاً فينحلّ النذر.

وأما الثالثة:ـ (الحرج):ـ فقد فصّل تارة فيها بين الحرج الابتدائي وبين الحرج الطارئ بعد ذلك وأخرى بين الحرج المعلوم والمتوقع للناذر وبين الحرج المجهول فقد ذهب اليزدي قده للتفصيل بكون المجهول مسقطاً دون المعلوم معللّا بأن الحرج لا ينافي المشروعية لكن اللازم على ذلك عدم التفصيل والتزام المشروعية في كلا الشقيّن من دون عزيمة ومن

---

(١) مسألة ٢٨.

ثم علّل آخرون هذا التفصيل الأول يراد به التفصيل الثاني وإلاّ لا وجه له بخصوصه وقد يقال بمنع شمول قاعدة الحرج للمقام لعدم شمولها للأحكام الإلزامية التي ينشئها المكلف على نفسه بالالتزام الحقيّ كما هو الحال في العقود وكما لو انشأ المكلف العمرة أو الحج الاستحبابيّن فإنه يلزم باتمامهما ولو كانا حرجيين.

وبعبارة أُخرى: أن في الالتزامات العهدية والعقدية إنشاء حقّ للطرف الآخر ومفاد دليل الحرج رفع التكليف عزيمةً لا رفع المفاد الوضعي ولا رفع التكليف المترتب عليه لأنّ ظاهر أدلّته هو في التكاليف التي يجعلها الله على المكلف ابتداءاً.

نعم، قد وردت الأدلة بترخيص ترك النذر مع الحرج الشديد البالغ جدّاً كما في رواية الرجل الذي نذر المشي ورآه الرسول صلى الله عليه وآله يتهادى بين أبنيه[1] دون الحرج المعتاد الذي هو لازم لطبيعة المشي أو الحفاء، ففي صحيحة رفاعة بن موسى قال:ـ قلت لأبي عبد الله عليه السلام «**رجل نذر أن يمشي إلى بيت الله؟ قال: فليمش قلت فإنه تعب قال فإذا تعب ركب**»[2].

ـ أما بالنسبة الى مسألة المبدأ والمنتهى فمقتضى القاعدة هو بحسب قصد الناذر بحسب المبدأ والمنتهى ولكنّه ليس بحسب القصد التفصيلي فقط بل ولا بحسب القصد الإجمالي بل القصد المراد هو القصد الاستعمالي والتفهيمي على ما هو عليه ومطوي فيه من اجزاء المعنى، ولو إجمالاً.

---

(١) ب ٣٤/ أبواب وجوب الحجّ، ح ٨.
(٢) ب ٣٤/ أبواب وجوب الحجّ، ح ١.

فمثلاً لو قصد الناذر أو العاقد في معاوضة أو منشأ لشرط في المعاوضة قصد عنوان بما له من المعنى والمعنون والمسمّى مع الجهل بتفصيل ماهية ذلك المعنى وجهله بتمام آثاره تفصيلاً، فإنّ هذا لا يخلّ بحصول القصد ولا يمانع عن مؤاخذته بما للمعنى من مقتضيات.

نعم لو قصد تفصيلاً خلاف ما للمعنى من طبيعة أولية ودلّل على ذلك بقيد أو لفظ لتعّين ما قصد تفصيلاً ومن ذلك يظهر ما في كلمات الأعلام في المقام ونظائرها من الحوالة على قصد الناذر أو المنشأ حيث إنّ هذه الحوالة تعليق لا ينفع في تحديد وبيان ما للمعنى من طبيعة أولية فالحري هو بيان مقتضى المعنى الدال عليه اللفظة إذ هو محل الترديد لا القصد التفصيلي للناذر فيما إذا دلّل عليه بألفاظ وقيود خاصة.فمن حيث المبدأ نُسب إلى الشيخ في المبسوط أنه من بلد النذر ونسب الشهيد الاوّل من بلد الناذر كذلك وآخرين من اقرب البلدين.

وفي كشف اللثام أنه من حيث يبدأ المسير إلى الحج ولعّل الأخير هو الأقرب إذ يكون كقرينة حالية غالباً، كما أنه لا بد من الالتفات إلى حال الأعراف الخاصة التي تشكّل قرائن حالية مختلفة فمثلاً في زماننا هذا الكائن في الجزيرة العربية يكون مسير الحج من مدينته وهذا بخلاف القاطن خارجها من الدول الأخرى بعد إقامة فواصل الحدود الجمركية فإنه قد ينصرف إلى المشي من المدينة المنورة.

وأمّا من حيث المنتهى:ـ فتارة ينذر المشي إلى بيت الله الحرام أو الى مشهد الحسين عليه السلام وأخرى ينذر الحج أو الزيارة ماشياً وثالثة ينذر المشي إلى مكة أو كربلاء. ويقصد من تلك الالفاظ مع التدليل عليها بقرائن هو

خصوص منتهى حد معين كمشارف مكة أو الوصول إلى بيت الله الحرام ونحو ذلك فيؤخذ بما قصد تفصيلاً، وأما إذا لم تكن هناك قرائن خاصة أو الالفاظ الخاصة بل من قبيل تلك الأمثلة التي ذكرنا ألفاظها المطلقة فهي في نفسها تحتمل المشي إلى مجرّد الوصول إلى مكة أو كربلاء أو زيارة البيت بعد الاعمال أو زيارة المرقد الشريف أو تمام الاعمال وقد ورد في تحديد المعنى صحاح متعدّدة وأنه إلى منتهى رمي الجمرة أي جمرة العقبة والمراد به أعمال يوم النحر في منى فينقطع المشي حينئذ ويزور البيت راكباً.

ففي بعضها في الذي عليه المشي إذا رمى الجمرة زار البيت راكباً وفي بعضها الآخر إذا حججت ماشياً ورميت الجمرة فقد انقطع المشي وفي بعضها زيادة وحلق رأسه وفي بعضها الآخر التقييد برمي جمرة العقبة[1] ولا تنافي بينها لأن زيارة البيت إنما تشرع بعد رمي جمرة العقبة وإتيان أعمال يوم النحر وظاهر هذه الروايات هو تحديد المنتهى بحسب مقتضى طبع المعنى لا أنها محمولة على ما إذا كان قصد الناذر التفصيلي ذلك فإنه خلاف ظاهر الروايات فكان العمل بها متعيّن.

نعم في موثّقة يونس بن يعقوب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام متى ينقطع مشي الماشي قال: إذا أفاض من عرفات[2] وهي كما ذكر صاحب الوسائل الشرط فيها مطلق قابل للتقييد وإن أشكل عليه أنّ مدلولها في مقام التحديد فتعارض بقيّة الروايات ولكن كفى بذلك رجحاناً لبقية الروايات دلالةً وعدداً.

---

(١) ب ٣٥ من أبواب وجوب الحج.
(٢) ب ٣٥ من أبواب الوجوب/ ح ٦.

وقد تعرّض اليزدي قده في مسألة الثلاثين من حج العروة في نذر الماشي إلى صور ثلاث وتتأتي هذه الصو في نذر المشي الى زيارة الحسين عليه السلام أو احد الأئمة عليهم السلام :ـ

الصورة الأولى:ـ ماذا نذر المشي وكان بإمكانه ذلك مع وجود طريق بحري فلا يجوز له حينئذ الركوب لأنه محالفة للنذر إذ هو كما لو ركب الدابة نعم لو كان قد قيّد نذره بالمشي بالطريق المتعارف لأهل بلده ولو بانصراف الصيغة لذلك لكان متعلق نذره حينئذٍ هو المشي في المقدار البري للطريق المتعارف كما قد يدّعي ذلك في أهل السودان والحبشة وهذا استدراك منقطع.

الصورة الثانية:ـ ما إذا اضطرّ إلى ذلك لعروض المانع في سائر الطرق البرية فحكم بسقوط النذر واستدرك عليه بعض المحشين بسقوط خصوص المشي دون الحجّ أو الزيادة وقد يقال بسقوط المشي في خصوص المقدار البحري دون ما تبقى من المقدار البري كالذي بين المواقيت إلى آخر الأعمال والوجه في ذلك أنّ النذر تارةً يتعلق بالمشي في ظرف ما إذا حجّ أو زار المكّلف فإنّه حينئذٍ الوجه ما ذكره اليزدي قده لأن المنذور هو خصوص المشي معلقاً على حجّة أو زيارته وقد تعذّر. وأُخرى ينذر المشي إلى الحجّ أو الزيارة غير معلّق المشي المنذور على ظرف الحجّ أو الزيارة، بل يكون مع نذر الحجّ أيضاً كما هو الغالب في مثل هذا الاستعمال فحينئذٍ يشكل سقوط النذر حيث إنه بتعذر صورة المنذور الأولية يعدّ هذا بدل له عرفي وشرعي نظير ما إذا نذر الصلاة نافلة وتعذّر عليه القيام فيجلس أو الركوع والسجود فيومي ولا ريب أن الحجّ ماشياً طوال الطريق يكون

الحجّ ماشياً بعض الطريق بدلاً رتبياً له.

وبعبارة أخرى: البدلية عرفاً بمعنى تعدّد المطلوب بلحاظ أصل الطبيعة ومارتبها كمالاً ونقصاً.

ويستدل له بمعتبرة السكوني عن جعفر عليه السلام عن أبيه عن أبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام سُئل عن رجل نذر أن يمشي إلى البيت فعبّر (فمرّ) في المعبر؟ قال عليه السلام: ـ فليقم في المعبر قائماً حتى يجوزه[1] وقد أشكل على سند الرواية بضعف السكوني والنوفلي ولكن قد أجيب في الأعصار الأخيرة كما قاله الشيخ في العدة أن العصابة عملت باخبار السكوني مضافاً إلى ما ذكره الميرزا النوري في خاتمة المستدرك من القرائن على وثاقته عند تعرضه لكتاب الأشعثيات (الجعفريات) ومنه يستفاد وثاقة النوفلي لأن أكثر روايات السكوني هي بتوسط النوفلي مضافاً إلى قرائن أخرى على توثيق حاله.

أما الدلالة: فقد يشكل عليها تارة بعدم ظهورها في انحصار الطريق في ذلك وتكون حينئذٍ مطروحة. وأخرى بأن ما تضمّنته هو لزوم القيام حال العبور ولا يلتزم بوجوبه، لأنه على تقدير عدم سقوط النذر وانحلاله فإنّما هو بتقريب خروج هذا المقدار عن المتعلّق انصرافاً ونحو ذلك فلا يجب القيام مع أنه ليس ميسوراً للمشي كي يلتزم ببدليته.

ويمكن الإجابة عن ذلك بأن عموم الرواية لا يشمل مورداً يكون فيه قطع الطريق. بمقدار كبير بالوقوف قياماً ولذا عبّر الراوي بالمعبر والمرور وهذا تتناوله صيغة النذر لاسيما إذا كان يسيراً جداً وظاهر الرواية

---

(١) ب ٣٧ من أبواب الوجوب،ح ١.

وجوب القيام كبدل وليس من اللازم تخريجه كبدل على مقتضى القاعدة أو من باب قاعدة الميسور.

الصورة الثالثة: وهو ما إذا كان الطريق منحصر فيه من الأول فحكم اليزدي قدس سره بعدم انعقاد النذر وظاهر المحكي عن العلامة أنه ينعقد في المقدار الممكن مشبه وهو الأقوى لأن النذر ينصرف إلى ذلك المقدار.

نعم إذا فرض جهل الناذر بذلك فيكون حكمه حكم الصورة الأولى كما تقدّم.

الطائفة الثالثة: طائفة من روايات المشي إلى المساجد:

الرواية الأولى: ما رواه محمد بن الحسن باسناده عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن يعلى بن حمزة عن الحجال، عن علي بن الحكم، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مشى إلى مسجد لم يضع رجلاً رطبٍ ولا يابس إلاّ سبّحت له الأرض إلى الأرضين السابعة. محمد بن علي بن الحسين قال: قال الصادق عليه السلام وذكر الحديث...[1].

الرواية الثانية: وعن أبيه، عن سعد، عن أيوب بن نوح، عن الربيع بن محمد بن المسلّى عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء مثل الصّمت والمشي إلى بيته.

الرواية الثالثة: في (عقاب الأعمال) باسناده تقدم في عيادة المريض عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكلّ خطوة

---

(١) تهذيب الأحكام: ج٣ ص٢٥٥ ح٧٠٦، وسائل الشيعة: ب٤ من أبواب أحكام المساجد ج١ ج٣.

خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات[١].

الرواية الرابعة: وروي أيضاً **«من مشى إلى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكل خطوة سبعون ألف حسنة ويرفع له من الدرجات مثل ذلك»**[٢].

الطائفة الرابعة: المشي في حاجة المؤمن:

الرواية الأولى: وعن أبي عبد الله عليه السلام:- من مشى في حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات وأعطاه الله عشر شفاعات[٣].

الرواية الثانية: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله كتب الله عَزَّ وَجَلَّ له ألف ألف حسنة يغفر فيها لأقاربه ومعارفه وجيرانه وإخوانه، ومن صنع إليه معروفاً في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قيل له ادخل النار فمن وجدته فيها صنع إليك معروفاً في الدنيا فأخرجه بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ إلاّ أن يكون ناصبياً[٤].

رواية المفضل بن صالح روى عن أبي عبد الله عليه السلام في غير مورد، وهي كثيرة منها: ما رواه محمد بن يعقوب بسنده عن محمد بن علي عن أبي جميلة: قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **«من مشى في حاجة أخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه»**[٥].

---

(١) الوسائل: أبواب أحكام المساجد/ الباب ٤ ح٣، ثواب الأعمال ص٢٥٩.
(٢) الوسائل: الباب ١ من أبواب صلاة الجماعة الحديث ٧ ـ ١٥.
(٣) مستدرك الوسائل للنوري، ج١٢، ص٤٠٩.
(٤) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٣٦٦.
(٥) الكافي، ج٢، كتاب الإيمان والكفر، ١، باب من لم يناصح أخاه المؤمن، ١٥٣.

الطائفة الخامسة روايات (من مشى لصلة رحم ولمطلق الطاعات):

أولاً: وبإسناد الصدوق عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد، عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ـ في حديث المناهي: قال:ـ

من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه الله اجر مائة شهيد، وله بكل خطوة اربعون ألف حسنة ومحا عنه أربعين ألف سيئة، ورفع له من الدرجات مثل ذلك، وكان كأنما عبد الله مائة سنة صابراً محتسباً[١].

ثانياً: وبإسناده عن عماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً عن الصادق عليه السلام، عن آبائه ـ في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: يا علي، لا ينبغي العاقل أن يكون ضاعناً إلاّ في ثلاث: مرمة لمعاش، أو تزود لمعاد، أو لذة في غير محرم ـ إلى أن قال ـ يا علي، سر سنتين بر والديك، سر سنة صل رحمك، سر ميلاً عد مريضاً، سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أحب دعوة، سر أربعة أميال ذر أخاً في الله، سر خمسة أميال أجب الملهوف، سر ستة أميال انصر مظلوماً وعليك بالاستغفار[٢].

ثالثاً: ما رواه الصدوق بسنده عن سعيد بن جبير بن عباس في حديث سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لو علمتم ما لكم في رمضان لزدتم الله تعالى ذكره شكراً.

ـ ثم ذكر أثواباً عظيماً لأول ليلة ـ ثم قال صلى الله عليه وآله وكتب الله عَزَّ وَجَلَّ لكم اليوم الثاني بكل خطوة تخطونها في ذلك اليوم عبادة سنة وثواب نبي وكتب لكم صوم سنة[٣].

---

(١) الوسائل: أبواب آداب السفر إلى الحج، الباب ٢، ح٥.
(٢) الوسائل: أبواب آداب السفر إلى الحج، الباب ١، ح٣.
(٣) أمالي الصدوق، ص١٠٣.

الطائفة السادسة: من مشى في نية الخير أو فعل طاعة:

منها: في (التوحيد) معتبرة محمد بن أبي عمير عن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام. قال:ـ

من همّ بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة فإن عملها كتبت له عشراً ويضاعف الله من يشأ إلى سبعمائة[١].

ومنها: محمد بن الحسن في (المجالس والأخبار) باسناده عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله في وصيته له قال: يا أبا ذر: همّ بالحسنة وإن لم تعملها لكي تكتب من الغافلين[٢].

ومنها: وعن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل بن دراج عن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام. أو عن أبي جعفر عليه السلام: إنَّ الله تعالى قال لآدم عليه السلام يا آدم جعلت لك أن من همّ من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه. فإن عملها كتبت عليه سيئة. ومن همّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة وإن هو عملها كتبت له عشراً[٣].

الطائفة السابعة: روايات استحباب المشي إلى زيارة الحسين عليه السلام:

الأولى: عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يا حسينُ إنه من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي عليه السلام إن كان

---

(١) الوسائل: أبواب مقدمات العبادات، الباب ٦، ح ٢٠.
(٢) الوسائل: أبواب مقدمات العبادات، الباب، ح ٢٤.
(٣) نفسه المصدر، ح ٨.

ماشياً كتب الله له بكل خطوةٍ حسنة ومحا عنه سيئة[١].

الثانية: عن بشير الدهّان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرةٌ ذنوبه ثم لم يزل يقدّس بكل خطوة حتى يأتيه فإذا أتاه ناجاه الله تعالى فقال: عبدي سلني أُعطِك ادعُني أجيبك اطلب مني أُعطيك سلني حاجة أقضها لك، قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: وحقّ على الله أن يعطي ما بذل[٢].

الثالثة: عن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال أن لله ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام: فإذا هَمّ الرجلُ بزيارته أعطاهم الله ذنوبه فإذا خطى محوها ثم إذا خطى ضاعفوا له حسانه، فما تزال حسناته تتضاعف حتى توجب له الجنة[٣].

عن جابر المكفوف، عن أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة، فإذا أتيت الفرات إغتسل وعلّق نعليك وامشي حافياً وامشي مشى العبد الذليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبّر أربعاً ثم إمشي قليلاً ثم كبّر أربعاً ثم أتي رأسه فقف عليه فكبّر أربعاً واسأل حاجتك[٤]

---

(١) ثواب الأعمال ١١٦ ـ ١١٧، كامل الزيارات ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وسائل الشيعة ١٤/ ٤٢٠، بحار الأنوار، ١٠١/ ٢٧ ـ ٢٨ و ٧٢.

(٢) كامل الزيارات: ٢٥٣ ـ ٢٥٤، ثواب الأعمال ١١٧. بحار الأنوار: ١٠١/ ٢٤، وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٢٠، أبواب المزار ب ٣٧/ ج ٢٨.

(٣) كامل الزيارات: باب ٦٢/ ج٣/ ٢٥٤، مستدرك الوسائل، ١٠/ ٢٤٦.

(٤) كامل الزيارات: ٢٥٤ ـ ٢٥٥، جامع أحاديث الشيعة، ١٢/ ٤٣٢.

الرابعة: رواية رفاعة النخاس: عن أبي عبد الله عليه السلام قال اخبرني أبي أن من يخرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً غير مستكبرٍ، وبلغ الفرات ووقع في الماء وخرج من الماء كان مثل الذي يخرج من الذنوب وإذا مشى إلى الحسين عليه السلام فرفع قدماً ووضع أخرى، كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات(١).

الخامسة: رواية علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله عليه السلام قال يا علي زر الحسين عليه السلام ولا تدعه قال: قلت ما لمن أتاه من الثواب قال من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة ورفع له درجة الحديث...(٢).

ومثلها رواية سدير الصيرفي(٣).

وفي رواية عبدالله بن مسكان أن لكل خطوة ألف حسنة ويمحى عنه ألف سيئة وترفع له ألف درجة(٤).

السادسة: وفي رواية أبي سعيد القاضي عند أبي عبدالله عليه السلام من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل(٥).

السابعة: معتبرة بشير الدهان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ربما فاتني الحج فاعرف عند قبر الحسين عليه السلام فقال احسنت يا بشير إيّما مؤمن اتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين

---

(١) الوسائل، أبواب المزار، الباب ٥٩، ح٤.
(٢) كامل الزيارات، باب ٤٩، ح٦.
(٣) نفس المصدر، ح٧ـ٨.
(٤) نفس المصدر، ح٧ـ٨.
(٥) نفس المصدر، ح٩.

عمرة مبرورات مقبولات وعشرين حجة وعمرة مع نبي مرسل أو امام عدل قال قلت كيف لي بمثل الموقف قال فنظر الي مثل المغضب ثم قال لي يا بشير أن المؤمن إذا اتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل من الفرات ثم توجه إليه كتب الله له بكل خطوة حجة بمناسكها ولا أعلمه إلاّ قال وغزوة[١].

الثامنة: روى ابن قولويه بسند متصل عن قدامة بن مالك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زار الحسين عليه السلام محتسباً لا أشرٍ ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة محصت عنه ذنوبه كما يمحص الثوب في الماء فلا يبقى عليه دنس ويكتب له بكل خطوة حجة وكل ما رفع قدماً عمرة[٢] ورواه الشيخ في التهذيب[٣].

التاسعة: وفي معتبرة أخرى لبشير الدهان سمعت أبا عبدالله عليه السلام وهو نازل بالحيرة وعنده جماعة من الشيعة فأقبل التي بوجهه فقال يا بشير حجة العام قلنا جعلت فداك ولكن عرّفت بالقبر قبر الحسين عليه السلام فقال يا بشير والله ما فاتك شئ من أصحاب مكة بمكة قلت جعلت فداك فيه عرفات فسر لي فقال يا بشير أن الرجل منكم يغتسل على شاطئ الفرات ثم يأتي قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائة حجة مقبولة ومعها مائة عمرة مبرورة ومائة غزوة مع نبي مرسل إلى اعداء الله وأعداء الرسول صلى الله عليه وآله[٤].

---

(١) الكافي، مجلد ٤، ص٥٨٠، كامل الزيارات، الباب ٧٠، ح١.
(٢) كامل الزيارات، الباب ٥٧، ح١.
(٣) التهذيب، مجلد ٦، ص٤٤.
(٤) كامل الزيارات، الباب ٧٥، ح٣.

بالطائفة الثامنة: ستحباب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً ذهاباً وعوداً:

الرواية الأولى: محمد بن الحسن باسناده عن محمد بن أحمد بن داود عن محمد بن همام قال: وجدتُ في كتاب كتبه ببغداد جعفر بن محمد قال: حدثنا عن محمد بن الحسن الرازي عن الحسين بن إسماعيل الصميري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من زار أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة، فإن رجع ماشياً كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين[1].

الرواية الثانية: وبإسناده عن محمد بن أحمد بن داود، عن أحمد بن محمد المجاور، عن أبي محمد ابن المغيرة عن الحسين بن محمد بن مالك عن أخيه جعفر عن رجاله يرفعه قال: كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وقد ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: يا ابن مارد من زار جدي عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة، والله يا ابن مارد ما تطعم النار قدماً تغيرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً يا ابن مارد اكتب هذا بماء الذهب[2].

الرواية الثالثة: وروي ابن المشهدي عن الحسن بن محمد، عن بعضهم، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد عن الحسن بن عيسى، عن هشام بن سالم، عن صفوان الجمال قال: لما وافيت مع جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الكوفة نريد أبا جعفر المنصور قال لي: يا صفوان أنخ الراحلة فهذا قبر جدي أمير المؤمنين عليه السلام فانختها ثم نزل فاغتسل وغير ثوبه وتخفى، وقال لي: افعل كما افعل، ثم أخذ نحو الذكوات ثم قال لي: قصر

---

(١) الوسائل: الباب ٢٤/ ح١ أبواب المزاد.
(٢) الوسائل: أبواب المزار، الباب ٢٣، ح٣.

خطاك وألق ذقنك إلى الأرض يكتب لك بكل خطوة مائة ألف حسنة، وتمحى عنك مائة ألف سيئة، وترفع لك مائة درجة، وتفضى لك مائة ألف حاجة، ويكتب لك ثواب كل صديق وشهيد مات أو قتل، ثم مشى ومشيت معه وعلينا السكينة والوقار نسبح ونقدس ونهلل إلى أن بلغنا الذكوات وذكر الزيارة إلى أن قال: وأعطاني دراهم وأصلحت القبر[1].

ويُستخلص مما تقدم جملة من آداب المشي والسنن الراجحة المرعية فيه ولا يخفى أن هذه الآداب لها مسيس بحقيقة وجوهر عبادية المشي والإخلال بماهيّة عبادية المشي بحقيقة وجوهر عبادية المشي والاخلال بها يوجب الاخلال بماهية عبادية المشي.

١ـ الاحتفاء أي المشي حافياً فقد مرّ في روايات مستفيضة أن مشي العبادة يزداد ثواباً مع الاحتفاء.

٢ـ دوام ذكر الله على لسان الماشي.

٣ـ غضّ البصر.

٤ـ عدم الايذاء أو المدافعة لأحد أثناء مشيه في ما أداء ازدحم المشاة.

٥ـ حسر الرأس لما فيه من حالة التذلل.

٦ـ أنْ يكون مشيه لا أشراً ولا بطراً، والاشر في اللغة المرح وفسر الأشر بالبطر أيضاً وهو المتسرع ذو حدة وقيل الأشر أشد البطر ومن معاني البطر التبختر والتجبر وشدة الفرح وكذلك شدة المرح، وقيل الأشر والبطر النشاط للنعمة والفرح بها ومقابلة النعمة بالتكبر والخيلاء والفخر بها وكفرانها

---

(١) الوسائل: أبواب المزار، باب ٢٩ الحديث ٧.

بعدم شكرها، وكذلك من معاني البطر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى.

٧ ـ أن يخلص في مشيه بنية الطاعة من الرياء والسمعة.

٨ ـ أن يسوق معه محمله مما فيه مؤونته.

٩ ـ أن لا يكون مشيه بداعي تقليل النفقة.

الفصل السادس

الحث على زيارة الحسين عليه السلام مع الخوف

بقلم
رياض الموسوي

رجحان الشعائر الحسينية ولو مع الخوف على النفس

(الحث على زيارة الحسين عليه السلام مع الخوف)

وردت روايات مستفيضة في الحث على زيارة الحسين عليه السلام ولو مع الخوف على النفس، وقد أشار الشيخ المجلسي في البحار إلى أن الأسانيد الواردة في ذلك جمة، بل نجد في تلك الروايات التحذير من ترك زيارة الحسين عليه السلام من أجل الخوف[1].

وقد استفاد منها جماعة من الفقهاء رجحان عموم الشعائر الحسينية ولو مع الخوف على النفس فضلاً عمّا دونه من الأضرار.

وقد ذهب إلى ذلك كل من الشيخ خضر بن شلالّ في أبواب الجنان[2]، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

والروايات الآتية لا تقتصر على الحث على زيارة الإمام الحسين عليه السلام عند الخوف، بل تشدد ذلك وتوجب الزيارة إجمالاً كما سيظهر، بل ولا تكتفي بذلك، وإنما ترتقي إلى درجة رابعة وهي التحذير من ترك الزيارة بسبب الخوف.

ولا يخفى مدى قوة هذه الدلالة على تأكيد رجحان الزيارة كأبرز

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٨: ١٠.
(٢) وسيأتي نقل كلامه والمصدر.

مصداق في طبيعة الشعائر الحسينية ولو مع الخوف على النفس من الهلاك؛ وأنَّ ملاك الرجحان في الزيارة والشعائر الحسينية تُسترخص فيه بذل النفس لإقامة وتشييد تلك الأغراض الشرعية في الشعائر.

من قُتل دون ماله فهو شهيد:

وكيف لا تُسترخص النفس في زيارة الحسين عليه السلام وإقامة شعائره، وقد استُرخص بذل النفس في فضيلة دون ذلك بكثير. كالذي ورد في النص والفتوى المتفق عليهما عند المشهور أن من قُتل دون ماله فهو شهيد كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من قُتل دون ماله فهو بمنزلة الشهيد»**(١)، مع أن خطب الدفاع عن حرمة الأموال وردع الغير والعدوان عن الأموال لا يضاهي ولا يقايس بحرمة الولاية لأهل البيت عليهم السلام.

ومن الروايات الواردة:

١ـ صحيحة معاوية بن وهب، بل هي قطعية الصدور عنه لكثرة الطرق إلى معاوية بن وهب لكل من الكليني والصدوق وابن قولويه، بل الأخير بإنفراده له عدة طرق عن معاوية بن وهب. ومن الطرق ما اشتمل جميع سلسلته على رؤساء المذهب؛ كطريق الصدوق عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن معاوية بن وهب قال: عن أبي عبدالله عليه السلام: قال لي: **«يا معاوية، لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف، فإن من ترك زيارته رأى من الحسرة ما يتمنّى أنّ قبره كان عنده، أما تُحب أن يرى الله شخصَك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والأئمة»**(٢).

---

(١) الكافي ج٥: ٥٢.

(٢) الكافي ج٤: ٥٨٢/ ١١؛ ثواب الأعمال: ١٢٠/ ٤٤؛ كامل الزيارات/ ابن قولويه/

قول الشيخ خضر بن شلال في المقام:

وقال الشيخ خضر بن شلال: بعد ما ذكر أن الأخبار الواردة في فضيلة زيارة الحسين عليه السلام، فائقة حدّ الإحصاء مذكورة في مطولات الأصحاب وأنه لكثرتها ذكر والد الشيخ المجلسي[1] أن الاحتياط لكل من زار الحسين أو جدّه أو أباه أو أحد الأئمة عليهم السلام في أول مرة أن لا يقصد الاستحباب بل ينوي القربة المطلقة، أي حيطة للوجوب.

واستحسنه، ثم نقل عنه أنه حمل الأخبار الواردة في زيارة الحسين مع الخوف والتقية على خصوص ما لم يبلغ من الخوف والتقية إلى مظنّة الضرر وعدم السلامة، أو خصوص ما يُخشى منه فوات العزة والجاه وفوات المال، لا تلف النفس والعِرض الذي قد يكون أعظم من النفوس، وإن احتمل الجواز أيضاً، وخصوصاً في ابتداء الأمر الذي قد نقول بوجوب زيارة الحسين عليه السلام فيه، ولو مع العلم بتلف النفس؛ نظراً إلى أنه من باب حفظ بيضة الإسلام الذي قد كان السرّ في قدوم الحسين عليه السلام وأصحابه على القتال، مع العلم بما يؤول إليه الأمر الفظيع حفظ بيضته، وبيان ما قد يخفى على بعض طغام المسلمين من فسادها)[2].

قول الشيخ المجلسي:

ـ وقال المجلسي بعد نقل الروايات الدالة على أفضيلة زيارة الحسين عليه السلام، والتي تحث على زيارته في الخوف، قال: (لعلّ هذا الخبر (يشير إلى خبر

باب ٤٠/ ح١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧. باب ٤٥/ ح٣.

(١) الشيخ خضر شلال في كتاب أبواب الجنان: ٢٥٩ ـ ٢٦١.

(٢) أبواب الجنان ص٢٥٩ ـ ٢٦١.

معاوية بن وهب) بتلك الأسانيد الجمّة محمول على خوف ضعيف يكون مع ظن السلامة، أو على خوف فوات العزّة والجاه وذهاب المال، لا تلف النفس والعرض، لعمومات التقية والنهي عن إلقاء النفس إلى التهلكة والله يعلم.

ثم اعلم أن ظاهر أكثر أخبار هذا الباب وكثير من أخبار الأبواب الآتية وجوب زيارته عليه السلام، بل كونها من أعظم الفرائض وآكدها، ولا يبعد القول بوجوبها في العمر مرّة مع القدرة إليه كما كان يميل الوالد العلامة (نوّر الله ضريحه)، وسيأتي التفصيل في حدّها القريب والبعيد ولا يبعد القول به أيضاً. والله يعلم)[1].

ـ وقد شرح هذه العبارة، الشيخ خضر بن شلال في عبارته قائلاً:

وما قد صَدَر في السقيفة التي قد أولدت فتنتها ما أولدته من عزل الوصي، المنصوص عليه من الله ورسوله، وغصب الزهراء البتول عليها السلام، وحرب الجمل، وصفين والنهروان، ووقفة الطف التي يهون من أجلها انطباق السماء على الأرض، وسائر المفاسد التي من أقلّها تقديم معادن الأُبَن واللؤم، على معادن العلم والكرم، فتدبّر في ما قد يستفاد منه حُسن ما ذكره المجلسي من الاحتياط.

ثم ذكر جملة أخرى من الروايات إلى غير ذلك مما قد يستفاد منه وجوب الإستنابة على من لم يتمكن من زيارته في العمر مرة، كما يُندب إليها

---

(١) (بحار ٩٨: ١٠)/ باب: زيارته عليه السلام واجبة مفترضة مأمور بها وما ورد من الذنب والتأنيب والتوّعد على تركها، وأنها لا تترك من الخوف).

في سائر الأوقات حتى لمن قد كان مصاحباً لنائبه الذي لو كان متعدداً لكان أفضل، وخصوصاً إذا كان من العلماء الذين قد لا يرتاب ذو مسكة في أن زيارة واحد من أتقيائهم خير من زيارة عالم من غيرهم[1].

وفي الصحيحة المتقدمة هذا الموضع أيضاً من قول الصادق عليه السلام في دعائه لزوار الحسين: **«وأصحبهم، وأكفِهم شرّ كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقِك أو شديد، ومن شر شياطين الجن والإنس»** مما يشير إلى احتفاف زيارته عليه السلام آنذاك بل غالباً وفي معظم الأزمان بمخاطر ومخاوف تهدد الزوّار.

٢ ـ ما ورد من روايات مستفيضة بل متواترة عن الصادق عليه السلام، بل عن سائر أئمة أهل البيت عليهم السلام في الحث على زيارة الحسين عليه السلام في عصورهم بالإضافة إلى الحث المطلق على ذلك؛ حثاً أكيداً، بل والتوبيخ الشديد على تركها، مع أن الزيارة في عصورهم عليهم السلام كانت محفوفة بالخوف على النفس، والمخاطر والملاحقة من بني أمية وبني العباس، بل إن الطريق إلى الحسين عليه السلام كان خلال بعض المناطق التي يسكنها النواصب.

حثّ رؤساء الشيعة للزيارة:

بل إن في هذه الروايات الحثّ الشديد لرؤساء الشيعة، أمثال زرارة، والفضيل بن يسار، وأبان بن تغلب، وأبي الجارود، ومعاوية بن وهب، ومحمد بن مسلم، ويونس بن ظبيان، وعبدالله بن بكير، وعبدالملك بن حكيم الخثعمي، وهؤلاء رؤساء المذهب والشيعة وممن يظنّ بهم ولا يُفرطّ بهم، ومع ذلك يزجّهم الإمام عليه السلام لزيارة الحسين عليه السلام مع المخاوف ويعاتبهم

---

(١) أبواب الجنان/ الباب الرابع/ الفصل الثاني/ بيان فضل زيارة الحسين عليه السلام: (٢٦٠).

عتاباً شديداً:

٣ ـ ما رواه ابن قولويه بسنده المتصل المُعتبر عن زرارة قال، قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول في من زار أباك على خوف. قال عليه السلام: **«يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلّقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تَخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزُك»**[1].

دلالة الرواية:

ولا يخفى دلالة هذه الرواية على جهات عديدة،

الأولى: أن زيارة الحسين عليه السلام في زمن الإمام الصادق عليه السلام كانت محفوفة بالخوف والمخاطر، وسيأتي الدلالة على ذلك في روايات عديدة، فقد كان الحال كذلك منذ شهادته عليه السلام إلى عصر المتوكل العباسي، وإلى زماننا هذا. وسنذكر الأدلة على هذه الحقيقة التاريخية بجملة من الروايات الآتية.

الثانية: حث الإمام الباقر عليه السلام لشخص زرارة على ذلك، مع أنه من رؤوساء المذهب.

٤ـ وفي صحيح آخر لزرارة ومحمد بن مسلم (بل مقطوع الصدور) عن أبي جعفر قال: كم بينكم وبين قبر الحسين عليه السلام. قال: قُلت: ستة عشر فرسخاً، أو سبعة عشر فرسخاً، قال: ما تأتونه؟ قلت: لا، قال: ما أجفاكم»[2].

٥ ـ وكذلك في صحيح الفضيل بن يسار (بل هو مقطوع الصدور):

---

(١) كامل الزيارات ١ باب ٤١/ ح١.

(٢) الوسائل/ أبواب المزار ب ٣٨/ ح/ ٢٠؛ كامل الزيارات: باب ٩٧/ ح٧.

قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: **«ما أجفاكم.... يا فضيل، لا تزورون الحسين، أما علمتم أن أربعة آلاف ملك شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة»**(١).

٦ ـ ومعتبرة سليمان بن خالد، قال سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: عجباً لأقوام يزعمون أنهم شيعة لنا ويقال (يقولون): إن أحدهم يمرّ به دهراً لا يأتي قبر الحسين عليه السلام جفاءً منهم، وتهاوناً وعجزاً وكسلاً، أما والله لو يُعلم ما فيه من الفضل، ما تهاون وما كسل.

قلت: جُعلت فداك وما فيه من الفضل، قال عليه السلام: فضلٌ وخير كثير، أما أوّل ما يصيبه أن يُغفر ما مضى من ذنوبه، ويُقال له: استأنف العَمل»(٢).

٧ ـ ما رواه، في كامل الزيارات بعدة أسانيد عن حنّان بن سدير، وفيها الصحيح، عن أبيه، عن أبي عبدالله عليه السلام: **«يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كل يوم، قلت: جعلت فداك: لا. قال: ما أجفاكم، فتزوره في كل جمعة، قلت: لا. قال: فتزوره في كل شهر، قلت: لا. قال: فتزوره في كل سنة، قلت: قد يكون ذلك. قال: يا سدير، ما أجفاكم بالحسين عليه السلام، أما علمت أن لله ألف ملك شعثاً غبراً، يبكونه، ويرثونه لا يفترون، زواراً لقبر الحسين عليه السلام، وثوابهم لمن زاره»**. مع أنَّه عليه السلام يعلم أن سديراً قاطن في الكوفة، والطريق مرحلتان من الكوفة إلى كربلاء ويستغرق آنذاك على الدواب يوماً ومع ذلك فإنه يحثُّه على الزيارة كل يوم من موضعه.

٨ ـ وفي طريق آخر: **«... زره ولا تجفه فإنه سيد الشهداء، وسيد**

---

(١) كامل الزيارات/ باب ٩٧/ ح٨ ؛ (الوسائل/ أبواب المزار/ باب٣٨/ ح١).
(٢) كامل الزيارات/ باب ٩٧/ ح٨؛ (الوسائل/ أبواب المزار/ باب ٣٨/ ح١:).

شباب أهل الجنة»[١].

٩ ـ وفي طريق ثالث: «**... إنك لمحروم من الخير**».

وفي متن لطريق رابع، قال: قال لي أبو عبدالله. يا سدير، تُكثر من زيارة قبر أبي عبدالله. قلت: أنه من الشغل. الحديث.

ـ وفي متن لطريق خامس، قال: قال أبو عبدالله: يا سُدير، وما عليك أن تزور قبر الحسين في كل يوم جمعة خمس مرات، وفي كل يوم مرة. قلت: جُعلت فداك، إن بيننا وبينه فراسخ كثيرة. الحديث[٢].

وفي متن لطريق سادس قال قال لي أبو عبدالله يا سدير تكثر من زيارة قبر أبي عبدالله قلت انه من الشغل الحديث.

وفي متن لطريق سابع قال، قال أبو عبدالله: يا سدير وما عليك أن تزور قبر الحسين في كل جمعه خمس مرات، وفي كل يوم مرة، قلت: جُعلت فداك، إن بيننا وبينه فراسخ كثيرة[٣].

١٠ـ ما رواه في كامل الزيارات بسنده عن أبي الجارود قال: كم بينك وبين قبر الحسين عليه السلام، قلت: يوم للراكب، ويوم وبعض يوم للماشي. قال: أفتأتيه كل جمعة، قلت: لا، ما آتيه إلّا في حين، قال: ما أجفاكم. أما لو كان قريباً منا لاتخذناه هجرة، أي نهاجر إليه[٤].

١١ ـ وفي صحيح محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من لم

---

(١) كامل الزيارات/ باب ٩٧/ ٩، ٤، ٢)؛ الوسائل/ أبواب المزار/ باب ٣٨/ ح١٨، ١٧).
(٢) كامل الزيارات/ باب ٩٧/ ٢.
(٣) كامل الزيارات/ باب ٧٨/ ح.
(٤) كامل الزيارات/ باب ٩٧/ ح١٠، ١١.

يأت قبر الحسين عليه السلام من شيعتنا كان منتَقص الإيمان، منتقص الدين[١]. «وإن دخل الجنة كان من دون المؤمنين في الجنة».

ثواب القتل والحبس والتنكيل في طريق الزيارة:

١٢- في مصحح هشام بن سالمٍ عن أبي عبدالله عليه السلام، في حديث طويل، قال: أتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله، هل يُزار والدك، قال: فقال: نعم، ويصلّى عنده، ويُصلّى خلفه، ولا يُتقدم عليه... قال: فما لمن أتاه؟ قال: الجنة إن كان يأتمّ به.. قال: قلت: فما لمن قُتل عنده، جار عليه سلطان فقتله. قال أول قطرة من دمه يُغفر له بها كل خطيئة، وتُغسل طينته التي خلق منها الملائكة، حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين. ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس أهل الكفر، ويُغسل قلبه، ويُشرح صدره ويُملأ إيماناً، فيلقى الله وهو مُخلص من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولّى الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت. ويؤتى بكفنه وحنوطه من الجنة. ويوسّع قبره عليه، ويوضع له مصابيح في قبره، ويُفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطُرَف من الجنة. ويُرفع بعد ثمانية عشر يوماً إلى حظيرة القُدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله، حتى تصيبه النفخة التي لا تُبقي شيئاً.. فإذا كانت النفخة الثانية، وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام والأوصياء، ويبشرونه، ويقولون له إلزَمنا، ويقيمونه على الحوض، فيشرب منه؛ ويسقي من أحب. قال: قلت: فما لمن حُبس في إتيانه. قال: له بكل يوم يُحبس ويُغتم فرحة إلى يوم القيامة. فإن ضُرب بعد الحبس في إتيانه، كان له بكلّ ضربة حوراء؛ وبكل وجع يدخل

---

(١) كامل الزيارات/ باب ٩٦/ ح٥.

على بدنه، ألف ألف حسنة، ويُمحى عنه بها ألف ألف سيئة، ويُرفع له بها ألف ألف درجة، ويكون من محدّثي رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يفرغ من الحساب، فيصافحه حملة العرش. ويُقال له سل ما أحببت، ويؤتى بضاربه للحساب، فلا يُسأل عن شيء، ولا يُحتسب بشيء؛ ويؤخذ بضبعيه حتى يُنتهى به إلى مَلَك يحبوه ويُتحفه بشربة من الحميم.. وشربة من غسلين، ويوضع على مقال[1] من نار، فيُقال له ذُق بما قدمت يداك، فيما أتيت إلى هذا الذي ضربته، وهو وفد الله، ووفد رسوله، ويؤتى بالمضروب إلى باب جهنّم، ويُقال له أنظر إلى ضاربك، وإلى ما قد لقى، فهل شفيت صدرك، وقد اقتص لك منه؛ فيقول: الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسوله منه[2].

ويظهر من سؤال هشام بن سالم، وهو من فقهاء أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام، أن زيارة الحسين عليه السلام آنذاك بحيث يتعرض الزائر إلى القتل أو السجن أو التعذيب، وأن ذلك كان متعارفاً معهوداً لدى الشيعة، وأن سيرتهم بالزيارة للحسين عليه السلام رغم هذه المخاطر هي بدفع وتحريك من الأئمة عليهم السلام، لاسيما الباقر والصادق، ومع كونها في معرض القتل أو الحبس، أو التعذيب والتنكيل، وسيأتي مصححّ الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي، الدالّ على ذلك.

١٣ ـ وروى مثلها بنفس المضمون بطريق مصحح، صفوان الجمّال عن أبي عبد الله[3].

١٤ ـ وفي معتبرة زرارة، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما تقول فيمن زار أباك

---

(١) قلي الشيء: أنضجه وشواه حتى ينضج، والمقلي والمقلاة الآلة، جمعها مقالي.
(٢) كامل الزيارات: باب ٤٤/ ح٢.
(٣) كامل الزيارات: باب ٦٨/ ح٣.

على خوف؛ قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك[١].

زيارة الحسين عليه السلام حالة التقية:

١٥ ـ معتبرة يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله، قال: قلت له، جُعلت فداك، زيارة قبر الحسين عليه السلام في حال التقية. قال: إذا أتيت الفرات فاغتسل، ثم ألبس أثوابك الطاهرة، ثم تمر بأزاء القبر وقل: **«صلّى الله عليك يا أبا عبدالله، صلّى الله عليك يا أبا عبدالله، صلى الله عليك يا أبا عبدالله، ثلاث مرات، فقد تمت زيارتك»**[٢].

ـ وظاهر هذه الرواية بوضوح الحث على زيارة الحسين عليه السلام ولو في حالة التقية كما تدل على ابتلاء الزوار بالخوف الشديد في ذلك الزمان، ومن ثمّ علّمه عليه السلام طريقة للزيارة، يواري فيها توجّهه للقبر الشريف، بأن يمرّ بحذائه من دون أن يتجه إليه مباشرة.

مع أن يونس بن ظبيان ممّن يحافَظ ويُهتم بسلامته من أصحاب الإمام عليه السلام.

تناسب الثواب مع الخوف:

١٦ ـ روى محمد بن مسلم في حديث طويل، قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام:

هل تأتي قبر الحسين عليه السلام قلت: نعم، على خوف ووجل؛ فقال: ما كان من

---

(١) كامل الزيارات: باب ٤٥/ ح١).

(٢) كامل الزيارات: باب ٤٥/ ح٤؛ ـ الفقيه ج٢: ٣٦١/ ١٦١٦؛ ـ التهذيب ج٦: ١١٥/ ح ٢٠٤.

هذا أشدّ فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه، آمن الله روعته يوم القيامة. يوم يقوم الناس لربّ العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلّمت عليه الملائكة؛ وزاره النبي صلى الله عليه وآله، ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله، ثم ذكر تتمة الحديث[١].

ومفاد هذه الرواية إطلاق رجحان الزيارة مع مطلق درجات الخوف، وإن بلغ ما بَلَغ، لاسيما مع ما تقدّم من الروايات المستفيضة أن الخوف كان على النفس، وأهونه السجن والضرب والأذى، فمعرضية الخوف على النفس معتادة في الزيارة آنذاك بكثرة، حتى أن أكثر رؤساء الشيعة من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليهما السلام كانوا ينقطعون عن الزيارة بسبب الخوف عن النفس أو السجن والملاحقة والإيذاء والاستهداف لأشخاصهم، وكذلك سائر الرواة ذوي الفضيلة وكذلك عموم الشيعة؛ ومع ذلك ورد التأكيد الشديد على خصوص رؤسائهم كزرارة ومحمد بن مسلم وأبان بن تغلب، وهشام بن سالم، وعبدالله بن بكير ومعاوية بن وهب، ويونس بن ظبيان، والحلبي، وعبدالله بن سنان، والمفضل بن عمر وعبدالملك بن حكيم الخثعمي، وغيرهم من أكابر فقهاء الشيعة ، ورد التأكيد بالالتزام بالزيارة رغم الظروف الصعبة، فضلاً عن عموم الفضلاء وعموم الشيعة.

١٧ ـ معتبرة عبدالملك الخثعمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: **«يا عبدالملك، لا تدع زيارة الحسين بن علي عليه السلام، ومُر أصحابك بذلك»**.

ـ ورواها كل من: ابن قولويه في كامل الزيارات[٢]. والصدوق في

---

(١) كامل الزيارات: باب ٤٥/ ح٥.
(٢) باب ٦١/ ٦.

ثواب الأعمال والفقيه[١].

١٨ ـ وروى ابن قولويه، والكليني في الكافي بسند صحيح أعلائي عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: **«مُروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين»** ثم علّل عليه السلام ذلك بأن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقرّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله[٢].

وظاهر مفاد هذه الصحيحة القطعية الصدور، حيث أن رواتها كلّهم من زعماء الشيعة. أن توصية الإمام الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم الذي هو من فقهاء الشيعة ومراجعهم في الكوفة، أن يتصدى لحث عموم الشيعة بإقامة شعيرة زيارة الحسين عليه السلام رغم الظروف الصعبة التي فيها المخاطرة في الأنفس والتعرّض للمصاعب والملاحقة من المسالح (نقاط عسكرية وأمنية للتفتيش) من الدولة الظالمة الأموية والعباسية، والتضييق في المعيشة على من يعرف ويشتهر بذلك، كما تقدمت روايات بذلك.. فإن الإمام الباقر عليه السلام يعلّل هذا الأمر بأن الزيارة فريضة. وهذا ممّا يشير بوضوح أن درجة الوجوب في الشعائر المرتبطة بالحسين عليه السلام، ـ ولو كان كفائياً، فضلاً عن الوجوب العيني، والتخييري فضلاً عن التعييني ـ يفوق ملاك حكم حفظ النفس.

نظير باب الجهاد بل هو من أعظم أبوابه، لأنه جهاد لإقامة صرح الإيمان.

ولا يخفى أنه لم يختص هذه التوصية من الإمام الباقر عليه السلام لمحمد بن

---

(١) ١١٦ ـ ج٢: ٣٤٧.

(٣) كامل الزيارات: باب ٦١/ ح١؛ الكافي: ج٤/ ٥٥١.

مسلم الفقيه، بلْ قدْ مرّ توصيته عليه السلام لعبد الملك بن حكيم الخثعمي، وقد كان عيناً وجيهاً. ذا موقعية في الشيعة..

زيارة الحسين عليه السلام في حالة الخوف:

ويدل على رجحان الزيارة، زيارته عليه السلام ولو كان هناك خوف على النفس فضلاً عمّا دونها، جملة من الروايات.

ولا يخفى أن مقتضى مفادها، ليس رجحان الزيارة ومشروعيتها في هذه الحالة فحسب، بل يستفاد من هذه المادة التشريعية جملة من التشريعات الهامة في باب الشعائر الحسينية، من قبيل درجة الضرر والإضرار المشروع تحمله في باب الشعائر الحسينية، كما يستفاد من دلالتها درجة أهمية الشعائر الحسينية في معالم الدين وأركانه وجملة أخرى من الفوائد الصناعية والفقهية والمعرفية التي سنشير إليها في جملة من الأبحاث.

١٩ ـ ما رواه ابن قولويه بسند محسّن، عن مسمع بن عبدالملك كردين البصري قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا مسمع أنت من أهل العراق؟ أما تأتي قبر الحسين عليه السلام، قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند وِلد سليمان فيمثلون بي، قال لي: أفما تذكر ما صُنع به؟ قلت: نعم. قال: فتجزع. قلت: إي والله واستعبر لذلك. الحديث[1].

ـ ولا يخفى أن مبادرته عليه السلام لمسمع بحثّه على زيارة الحسين عليه السلام في ظل

(١) كامل الزيارات/ باب ٣٢/ ح٧.

ظروف حكم خلفاء بني مروان وسليمان بن عبد الملك المرواني، لا تخفى على الإمام عليه السلام شدة وإرهاب السلطة لشيعة أهل البيت عليهم السلام، كما لا يخفى عليه وضع وظروف قبائل البصرة آنذاك، ولا يخفى عليه العذر الذي تذّرع به الراوي كسبب لعدم زيارة سيد الشهداء عليه السلام، ورغم ذلك يبادر عليه السلام بالسؤال الاستنكاري على مسمع من تركه لزيارة الحسين عليه السلام. ويعاتبه على ذلك.

وأن هذه الظروف رغم قساوتها وشدتها، ليست عذراً في ترك هذا الأمر المطلوب شرعاً.

ليست التقية مبرراً لترك زيارة الحسين عليه السلام:

مع أن الإمام الصادق عليه السلام وسائر أئمة أهل البيت عليهم السلام شدّدوا في التزام التقية، وتجنّب الاشتهار والإذاعة والإفشاء، لما يوجب المخاطرة بالنفس أو بالمؤمنين، ورغم كلّ ذلك في باب التقية، إلّا أنّه عليه السلام لم ير أن التقية مبرر لترك زيارة الحسين عليه السلام، ولا عذر في ذلك. ثم لّما رأى ضعفاً وتردداً في الراوي من القيام بالزيارة، لم يترك المجال للانقطاع وترك الارتباط بشعائر سيد الشهداء فأخذ يحثه على طريقة وآلية أخرى للشعائر الحسينية وهي إقامة العزاء والمأتم وذكر المُصاب ممّا يبين مدى إصرار الشريعة على الشعائر الحسينية، بل ولم يكتف عليه السلام بالدرجة النازلة من إقامة الشعائر، بل طالب الراوي بالجزع رغم ظروف التقية.

ـ وهناك روايات كثيرة دالة على: أن الحالة آنذاك التي صدرت فيها الروايات عن الباقر والصادق عليهما السلام، وقبلهما عن أمير المؤمنين عليه السلام، الحاثّة على زيارة الحسين عليه السلام، وكذا من مطلقات الروايات الحاثّة على ذلك؛ صدرت في ظرف الخوف والشدة.

فبالتالي يكون حثّها، وإن لم يكن منحصراً بذلك الزمن، بل بنحو القضية الحقيقية، إلّا أنها واردة في ذلك الظرف. وهي موجهة في بادي الأمر إلى زمن صدور النص؛ وعلى هذا الأساس، فكل عمومات الروايات المتواترة والمستفيضة الآمرة بزيارة الحسين عليه السلام، بل وكذا زيارة أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام هي تحثّ على الزيارة في ظرف الخوف، وإن لم تشتمل ألفاظها على لفظ الخوف صريحاً.

فتكون كافة هذه الروايات هي آمرة، ومشتملة على طلب الزيارة في حالة الخوف، ومن تلك الروايات أيضاً:

٢٠ ـ ما رواه بسنده إلى الحلبي، ولا يبعد اعتباره قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام في حديث عن قتل الحسين عليه السلام.. فقال له الحلبي: جُعلت فداك إلى متى أنتم ونحن في هذا القتل والخوف والشدة.

فقال: حتى يأتي سبعون فرجاً أجواب، ويدخل وقت السبعين فإذا دخل وقت السبعين، أقبلت الرايات تترى كأنها نظام. فمن أدرك ذلك الوقت قرّت عينه. الحديث[1].

ـ وأجواب: جمع جوبة، والجوب جمع قطعة القِطع، والجوبة الفجوة بين البيوت والفرجة بين السحاب والجبال، ولعلّ مراده عليه السلام، أي أن بين كل فرج وآخر انقطاع وتخلل شدة، أو بين كل شدة وشدة انقطاع وفرج فلا يتصل بعضه ببعض.

٢١ ـ ما رواه في محسنة عبدالله بن حماد البصري عن أبي عبدالله عليه السلام،

---

(١) كامل الزيارات/ باب ١٠٨/ ح٥.

قال: قال لي: إن عندكم (أو قال: في قربكم) لفضيلة ما أوتي أحد مثلها، وما أحسبكم تعرفونها كنه معرفتها، ولا تحافظون عليها ولا على القيام بها، وإن لها لأهلاً خاصة قد سُمّوا لها، وأُعطوها بلا حولٍ منهم ولا قوة، إلّا ما كان من صنع الله لهم، وسعادة حباهم الله بها ورحمة ورأفة وتقدّم. قلت: جعلت فداك، وما هذا الذي وصفته ولم تسمّه؟ قال: زيارة جدّي الحسين بن علي.... إلى أن قال عليه السلام: لا يأتيه إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان وعرّفه حقنا، فقلت له: جعلت فداك، قد كنت آتيه حتى بُليت بالسلطان وفي حفظ أموالهم، وأنا عندهم مشهور، فتركت للتقية إتيانه وأنا أعرف ما في إتيانه من الخير، فقال: هل تدري ما فضل من أتاه، وما له عندنا من جزيل الخير، فقلت: لا، فقال: أما الفضل فيباهيه ملائكة السماء، وأما ما له عندنا فالترحّم عليه كل صباح ومساء. الحديث[1].

زيارة النصف من شعبان:

ثم قال عليه السلام: بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة وناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت له: نعم، جُعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم يُهدرونهم، ويقبحون ما يصنعون. الحديث[2].

---

(١) كامل الزيارات/ باب ١٠٨/ ح١.
(٢) باب ١٠٨/ ح١).

ـ أي يهدرون دماءَهم فهذا تصريح منه عليه السلام على ظرف الزائرين للحسين عليه السلام آنذاك ورغم ذلك فهو عليه السلام يحث على الزيارة كشعيرة عظيمة من الشعائر الحسينية.

٢٢ ـ ما رواه ابن قولويه بإسناده عن محمد بن سليمان، عن أبي جعفر الجواد عليه السلام في حديث، سأل: فأيهما أفضل، هذا الذي قد حجّ حجة الإسلام يرجع فيحج أيضاً، أو يخرج إلى خراسان، إلى أبيك علي بن موسى الرضا عليه السلام، فيسلّم عليه، قال: بل يأتي خراسان فيسلّم على أبي الحسن أفضل، وليكن ذلك في رجب. ولكن لا ينبغي أن تفعلوا هذا اليوم، فإن علينا وعليكم خوفاً من السلطان وشنعة[1].

ـ ومفاد هذا الحديث وإن كان في زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وأن الأولى ترك الزيارة مع الخوف؛ إلّا أن في زيارة الحسين عليه السلام الأمر على العكس، وهو شاهد على كون زياراتهم عليهم السلام مشتملة على الخوف من بني أمية وبني العباس.

الفرق بين زيارة الحسين عليه السلام وزيارة بقية الأئمة:

٢٣ ـ وروى أيضاً في الصحيح إلى الحسين بن يسار الواسطي، قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: ما لمن زار قبر أبيك عليه السلام: قال، فقال عليه السلام: زوروه. فقلت: أي شيء فيه من الفضل. قال: له من الفضل كمن زار والده يعني رسول الله صلى الله عليه وآله.

قلت: فإن خفت ولم يمكن لي الدخول داخله؛ قال: سلّم من وراء

---

(١) كامل الزيارات (باب ١٠١/ ٧).

الجدار. وفي نسخة بدل (من وراء الحائر)[١].

ـ وفيه دلالة على أن زيارة موسى بن جعفر عليه السلام في بغداد كانت على خوف وتقية، فكيف بزيارة الحسين عليه السلام...

٢٤ ـ وفي رواية أخرى أيضاً، في طريق مصحح إلى الحسين بن يسار الواسطي قال: قلت للرضا عليه السلام: أزور قبر أبي الحسن عليه السلام: في بغداد؟

قال: **«إن كان لا بد منه فمن وراء الحجاب»**[٢]، وهو أيضاً دال على وقوع الخوف في زيارة موسى بن جعفر عليه السلام آنذاك.

وتوصيته عليه السلام بالتحفّظ بالتقية، هو على خلاف ما ورد عنهم عليهم السلام في زيارة الحسين عليه السلام في الحث على الزيارة مع الخوف من دون مراعاة التحفظ.

٢٥ ـ مصحح الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي، قال خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة قَبر الحسين عليه السلام مستخفياً من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلاء فاختفيت في ناحية القرية، حتى إذا ذهب من الليل نصفه، أقبلت نحو القبر فلما دنوت منه، أقبل نحوي رجلٌ فقال لي: انصرف مأجوراً فإنك لا تصل إليه، فرجعتُ فزعاً حتى إذا كان[٣] يطلع الفجر، أقبلتُ نحوه حتى إذا دنوت منه، خرج إليّ الرجل، فقال: يا هذا، إنك لا تصل إليه؛ فقلت له: عافاك الله. ولم لا أصل إليه، وقد أقبلتُ من الكوفة أريد زيارته فلا تُحل بيني وبينه، وأنا أخاف أن أُصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني ها هنا.

---

(١) كامل الزيارات: باب ٩٩: ح٦؛ الوسائل/ أبواب المزار/ باب ٨٠/ ح٤؛ التهذيب ج٦: ٨٢/ ١٦١.

(٢) كامل الزيارات: باب ٩٩/ ح٣ـ الوسائل/ أبواب المزار/ باب ٨٠/ ح٧.

(٣) لعله النسخة الأصح (كاد).

فأقبلت حتى إذا طلع الفجر، أقبلتُ نحوه، فلم يَحُلْ بيني وبينه أحد فدنوت من القبر، وسلّمت عليه، ودعوت الله على قَتلته، وصلّيتُ الصبح، وأقبلتُ مسرعاً مخافة أهل الشام»[١].

٢٦ ـ معتبرة عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قلت: إني أنزل الأرجان[٢] وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجتُ فقلبي وجلٌ مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح؛ وقال: يا بن بكير، أما تُحب أن يراك الله فينا خائفاً، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظلّه الله في ظلّ عرشه؛ وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقّرته الملائكة، وسكّنت قلبه بالبشارة»[٣].

وقد تقدم معنى المسالح أنها نقاط تفتيش عسكرية أمنية من الحكم الأموي والعباسي.

وهذه الرواية دالة على أن حكومة سلطان بني أمية وبني العباس كانت تمانع من زيارة الحسين عليه السلام أشدّ ممانعة بالإرهاب الأمني والعسكري وكانت تقيم شبكات مخابراتيّة، لرصد ومراقبة الطريق إلى الزيارة، والموضع الشريف، وهو المعبّر عنه بـ «السعاة» ـ كما أنها كانت تقيم سيطرات عسكرية مسلحة على الطريق. فهذه الرواية تبين بوضوح أن زيارة الحسين عليه السلام في عهد الصادق عليه السلام كانت محفوفة بكل هذه المخاطر، كما

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٨/ ح٢، ح٥، ٦.
(٢) مدينة من بلاد فارس ولعلها ما تسمى حالياً أركان قرب الأهواز.
(٣) كامل الزيارات: باب ٤٥/ ح٢.

أشارت إليه بقية الروايات السابقة، وتشير إلى أن الروايات المطلقة الحاثة على زيارة الحسين عليه السلام، هي صادر في هذه الظروف الصعبة وهذا الجو المملوء بالمخاطر. ولا ريب أن تلك الروايات المطلقة الصادرة عن الباقر والصادق عليهما السلام مستفيضة بل متواترة..

فيتم تقريب الأمر بزيارة الحسين عليه السلام مع الخوف على النفس، فضلاً عن الخوف على البدن والأطراف والأعضاء والأموال والعرض.

ومن ثمّ يظهر في هذه الرواية أن ابن بكير بعد ما ذكر للإمام عليه السلام هذه الحالة في زيارة الحسين عليه السلام رغم الخوف على النفس، والوجل، والإشفاق والاضطراب النفسي، مع كل ذلك حث الإمام على زيارة الحسين عليه السلام ببالغ التأكيد والتشديد، وعظيم الأجر الخاص الذي لا يُترقب من سائر الطاعات حتى من القتل في سبيل الله في ساحات الجهاد، بل اختص بزيارة الحسين عليه السلام ومع أن مثل عبدالله بن بكير من فضلاء وفقهاء الرواة وتلامذته عليهم السلام ممن يضن بهم.

٢٧ ـ موثقة المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام، في حديث عن ثواب زيارة الحسين عليه السلام، وفيه: «**.... وكأني بالمؤمنين يزورونه ويسلّمون عليه، فيقول الله عز وجل لهم: أوليائي: سلوني فطالما أوذيتم وذللتم واضطُهدتم. فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلّا قضيتها لكم، فيكون أكلهم وشربهم في الجنة. فهذا والله الكرامة التي لا انقضاء لها ولا يُدرك منتهاها**»[1].

(١) كامل الزيارات: باب ٥٠/ ح٣.

ـ وظاهر الرواية حصول الإيذاء والذلّ والاضطهاد في الزيارة والطريق إليها؛ بسبب حكام الجور.

٢٨ ـ محسنة أحمد بن عبدوس عن أبيه، قال: قلت للرضا: إن زيارة قبر أبي الحسن عليه السلام علينا فيها مشقة. وإنما نأتيه فنسلّم عليه من وراء الحيطان، فما لمن زاره من الثواب. قال: والله مثل ما لمن أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله(١).

دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام:

٢٩ـ صحيحة معاوية بن وهب التي رواها الكليني وابن قولويه والصدوق بأسانيد متعددة فيها الصحاح قطعية الصدور.. قال: استأذنت على أبي عبدالله عليه السلام فقيل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاّه، في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربه، ويقول: يا من خصّنا بالكرامة، وخصنا بالوصية، ووعدنا الشفاعة، وأعطانا علم ما مضى، وما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني، ولزوار قبر أبي عبدالله الحسين عليه السلام، الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا، ورجاءً لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك، أو شديد، وشر شياطين الإنس والجن. وأعطهم أفضل ما أمّلوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

---

(١) الوسائل/ أبواب المزار/ باب ٨٠/ ح١٠.

اللهم إنَّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا، وخلافاً منهم على من خالفنا. فارحم تلك الوجوه التي قد غيّرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تقلّبت على حفرة أبي عبدالله عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللهم إني أستودعك تلك الأنفس، وتلك الأبدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش، ـ فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك، لو أن هذا الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله، لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً، والله لقد تمنّيت أن كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه، فما الذي يمنع من إتيانه، ثم قال: لِمَ تدع ذلك؟ قلت: جعلت فداك، لم أدر أن الأمر يبلغ هذا كلّه، قال: يا معاوية، من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض)[1].

٣٠ ـ مارواه الكليني في حسنة الحسن بن عباس بن الحريش ، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث ، قال: « **... ولا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلّا الحج والعمرة والجوار**»[2] أي جوار البقاع المقدسة ومراقد الأئمة عليهم السلام.

ـ ويتحصل من هذه الروايات المستفيضة، بل هي مع جملة الروايات المطلقة تكون متواترة، بأن زيارة الحسين عليه السلام باعتبارها من أبرز الشعائر الحسينية، فلا يقوى على رفع مطلوبيتها، الخوف من هلاك النفس، فإن ملاكها أعظم من ملاك حفظ النفس، كما هو الحال في الجهاد في سبيل الله وغيره، بل يظهر من هذه الروايات المستفيضة والمتواترة أن باب زيارته من

---

(١) الكافي ج٤: ٥٨٣ ـ كامل الزيارات: باب ٤٠/ ٢.
(٢) الكافي ج١: ٢٥١ ـ

أعظم أبواب الجهاد، في سبيل الله. وفي سبيل الإيمان في قبال الجاحدين والمعاندين، الذين يريدون أن يطفئوا نور الله وهو الإيمان، وبعبارة أخرى أن زيارة سيد الشهداءعليه السلام ـ كشعيرة من الشعائر لا يُنظر إليها من الخصوصية الفردية وأن الزيارة مستحبة، فكيف تُقدَّم على حفظ النفس من الهلاك الذي هو واجب، وهو أعظم من كثير من الواجبات، فكيف يتم هذا بحسب قواعد وصناعة الفقه؛ والجواب:

التخريج الفقهي لتقديم الزيارة على حفظ النفس:

أن زيارة الحسين وبقية الشعائر المرتبطة بهعليه السلام، بل والمرتبطة بأهل البيتعليهم السلام من زياراتهم وشعائرهم، هي متضمنة لطبائع واجبة، نظير إقامة وحفظ الولاية، ونشر نور الإيمان، وهداية البشر، وإقامة فريضة التولّي والتبرّي، وتجديد العهد بولايتهم ومحبتهم، والبيعة لهم، إلى غير ذلك من طبائع الواجبات المرتبطة، ببيضة الدين والإيمان، فكيف لا تقدّم هذه الواجبات على حفظ النفس. ومن السطحية بمكان ملاحظة الطبيعة الفردية للشعيرة كزيارة ونحوها من نماذج أفراد وأصناف الشعائر الحسينية، أو شعائر أهل البيتعليهم السلام مع الإغفال عن جملة الطبائع الواجبة العظيمة، المرتبطة بأصول الدين وأركانه، والمنطوية في الشعائر الحسينية تضمناً.. وقد وقع في هذه الغفلة، عدد كثير من أصحاب النظر والأعلام.. وقد ذكرنا شطراً وافراً من هذه النكتة الصناعية في مبحث (أحكام العتبات المقدسة).

ثم لا يخفى أنه في جملة كثيرة من هذه الروايات المتقدمة التعليل بعموم أهمية الملاك والمصلحة الشامل لكل الشعائر المضافة لأهل البيتعليهم السلام.

ـ نظير قولهعليه السلام: **«أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً»**.

الذي قد مرَّ تحت رقم الحديث (٢٦) الدال على عموم موضوع الحكم وهو ليس لزيارتهم عليهم السلام فحسب، بل لكل شعيرة تضاف إليهم عليهم السلام. وبالتالي يدل على رجحان الشعائر الحسينية ولو مع الخوف على النفس .

الفصل السابع

أثر البكاء على الحسين عليه السلام

في تنوير الفكر والمعرفة

بقلم

رياض الموسوي

أثر البكاء على الحسين عليه السلام في تنوير الفكر والمعرفة

ـ إنَّ البكاء من الشعائر الحسينية المنصوص عليها بالخصوص كتاباً وسنة ، ونذكر بدايةً معنى البكاء في اللغة ثم نمضي في البحث تدريجاً .

البكاء في اللغة:

ـ الصياح: وهو رفع الصوت في البكاء.

ـ البكاء بالمد، كما في تصريح غير واحد من أهل اللغة بالفرق بينه ممدوداً ومقصوراً. ففي الصحاح ومجمع البحرين، البكاء يُمد ويقصّر، فإذا مددتَ أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قَصرت أردت الدموع وخروجها.

وفي المجمل: قال قوم: إذا دمعت العين فهو مقصور، وإذا كان ثمّ نشيج وصياح فهو ممدود.

وعن الخليل، إذا قصرت البكاء فهو بمعنى الحزن، أي ليس معه صوت، وإذا كان معه نشيج وصياح فهو ممدود.

قال الراغب: بالمد سيلان الدمع على حزن وعويل. يقال: إذا كان الصوت أغلب ـ وبالقصر: يقال إذا كان الحزن أغلب.

وبعد هذه المقدمة في بيان معنى البكاء في اللغة نذكر نبذة تمهيدية وبعض المصادر في ذلك:

الأول: البكاء على الحسين عليه السلام من سنن النبي صلى الله عليه وآله، فقد أمر صلى الله عليه وآله بها، وربّى

عليها المسلمين .. وقد كفى العلامة الأميني قدس سره الباحثين مؤونة التتبع لهذه المصادر[١]، وكذا قام بذلك العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين في رسالته في الشعائر الحسينية .

ـ ومنه: قوله صلى الله عليه وآله: **«لكن حمزة لا بواكي له»**[٢] .

ـ قوله صلى الله عليه وآله: **«فعلى مثل جعفر فلتبكِ البواكي»**[٣].

ـ بكاؤه صلى الله عليه وآله يوم توفي عمه أبو طالب[٤].

ـ ومنه: بكاؤه صلى الله عليه وآله يوم استشهاد حمزة وجعفر وما روي في شدة بكاءه صلى الله عليه وآله على عمه حمزة حتى أُغمي عليه[٥] .

ـ ومنه: بكاءه صلى الله عليه وآله على قبر أمه آمنة[٦] .

ـ ومنه: ماروي ان فاطمة عليها السلام كانت تبكي وتصلي عند قبر عمّها حمزة كل يوم جمعة[٧] .

الثاني: مصادر أهل السنة في بكاء السماء على الحسين عليه السلام .... فقد ورد في تفسير الطبري، سورة الدخان في ذيل الآية الكريمة ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ

---

(١) للمزيد من الإطلاع حول ذلك، راجع كتاب (الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد، محاضرات الشيخ محمد السند، بقلم رياض الموسوي، دار الغدير، قم، ص:٤١٧) .
(٢) الاستيعاب ح١: ٣٧٤.
(٣) النص والاجتهاد: ٢٩٦.
(٤) السيرة الحلبية باب أبي طالب وخديجة .
(٥) ذخائر العقبى: ١٨٠.
(٦) الدر المنثور للسيوطي. ج٣ : ٢٨٤
(٧) وفاء الوفاء للسمهودي ج٣: ١٣٦١.

السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين﴾[١]، حيث ذكر بسنده عن السدي قال: «**لما قتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما بكت السماء عليه، وبكاؤها حمرتها**»[٢].

كما ذكر ابن كثير في تفسيره، بسنده عن عبيد المكتب عن إبراهيم، قال: «**مابكت السماء منذ كانت الدنيا إلا على إثنين، قال: وماتدري بكاء السماء؟ قلت: لا. قال: تحمر وتصير وردة كالدهان: إن يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء، وقطرت دما، وإن الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء**»[٣].

ومارواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج١١١: ١٤) - ومارواه ابن ابي حاتم الرازي في تفسيره (ج١٠: ٣٢٨٨).

وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**...يا زرارة أن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم**»[٤].

وأصل مفاد هذه الروايات هو مامر من قوله تعالى في آية الدخان، من أن شأن السماء والأرض هو البكاء على الأولياء، لا على المستكبرين والعصاة.

ولا بأس بذكر الآيات الافاقية التي ظهرت بعد مقتل سيد الشهداء عليه السلام منها:

* بكاء السماء حزناً على الحسين عليه السلام. *كامل الزيارات/ باب٢٦، ح١٦٧: ٨.*

* تغير الآفاق وسقوط التراب الأحمر. *تهذيب الكمال ٤٣٢: ٦.*

---

(١) سورة الدخان: الآية ٢٩.
(٢) تفسير جامع البيان، ابن جرير الطبري جزء ٢٥ : ١٦٠.
(٣) تفسير ابن كثير ج:٤ ص:١٥٤.
(٤) كامل الزيارات/ باب ٢٦: حديث ٨ : ١٦٧.

* ظهور الكواكب نهاراً. *مجمع الزوائد ج٩: ١٩٧.*

* لم يرفع حجر في ذلك اليوم إلا وتحته دم عبيط يغلي[١].

* مكثت السماء سبعة أيام بلياليها كأنها علقة (دم). *مجمع الزوائد ج٩: ١٩٦.*

* بقيت الشمس زماناً تطلع محمرة على الحيطان والجدر بالغداة والعشي.

مجمع الزوائد ح٩: ١٩٦.

* حدوث الحمرة في السماء كأنها الدم. *المصدر السابق، ص: ١٩٧.*

* أصبحت الكواكب يضرب بعضها بعضا. *المصدر السابق، ص: ١٩٧.*

* إصابة العمى من بشر بمقتل الحسين عليه السلام.

* أمطرت السماء دماً عبيطاً ثلاثة أيام. *تاريخ حلب ٦: ح٢٦٤٩.*

* كانت حيطان دار الإمارة تسيل دماً. *تهذيب الكمال ج٦: ٤٣٤.*

* أصبحت حيطان بيت المقدس ملطخة بالدماء.

كامل الزيارات، باب ٢٤/ ح٢.

* صيرورة الورس[٢] الذي نهبوه من معسكر الحسين عليه السلام رماداً.

الخصائص الكبرى، ج٢: ١٢٦.

* ما طبخ من لحوم نياق معسكر الحسين عليه السلام أصبح ناراً ولم يتمكنوا

---

(١) كامل الزيارات باب ٢٤ / ح٢.

(٢) الورس: نبت أصفر يُصبَغ به الثياب.

من أكله.

ترجمة الإمام الحسين عليه السلام لابن عساكر: ٣٦٤.

* الكسوف للشمس. *كامل الزيارات باب ٢٦ / ح٨.*

* الجبال تقطعت وانتشرت. *كامل الزيارات، باب ٢٦/ ح٨.*

* البحار تفجرت. *المصدر السابق.*

* بكاء الوحوش عند قبره. *المصدر السابق: باب ٢٦/ ٨.*

إنشباك النجوم[١].

أمطرت السماء تراباً أحمراً[٢].

وقد ورد: **«إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنم زفرة لولا أن الخزنة يسمعون بكاؤها»**[٣].

الثالث: ارتباط البكاء مع المودة: إن أحد أدلة البكاء هي: آية المودة، لاسيما مع الالتفات أن المودة من أصول الدين وارتباط ذلك بالقاعدة القرآنية من إرتباط المواساة بالحزن للمصاب كمقتضي من مقتضيات المودة، أي أن المؤمن يفرح لفرح النبي ويحزن لحزنه..

وهو مفهوم قوله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ

(١) كامل الزيارات باب ٢٤ / ح٢.
(٢) كامل الزيارات باب ٢٨ / ح٣.
(٣) كامل الزيارات: ١٧.

مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُون ﴾ (١).

الرابع: البكاء سنة تشريعية وتكوينية، أما كون البكاء سنة تشريعية، فلما مر من الأمر به كتاباً وسنةً مضافاً إلى ما قدمناه في الجزأين السابقين من كتاب الشعائر الحسينية، واما كونه سنة تكوينية فلما أشارت إليه آية الدخان المتقدمة، وما ورد في ذيلها من أحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام في ذلك .

الخامس: وقد ورد أن الأرض تبكي على المؤمن أربعين يوماً، ففي مصنف ابن أبي شيبة الكوفي بسنده عن وكيع عن سفيان، عن أبي يحيى القتات، عن مجاهد، عن إبن عباس قال: **«الأرض تبكي على المؤمن أربعين صباحاً»** (٢).

وإذا كان هذا حال الأرض تجاه المؤمن فكيف حالها معه إمام وأئمة المؤمنين عليهم السلام .

السادس: إن أحد أدلة رجحان البكاء والحزن على المصطفين الحجج على العباد من الأنبياء والرسل والأئمة الأوصياء المنصوبين من قبل الله تعالى هو قوله تعالى في شأن يعقوب، وحزنه على النبي يوسف، لا بما هو ولد له، بل لخصيصة نبوة يوسف وإمامته: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى وَحُزْنِى إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون ﴾ (٣).

---

(١) سورة التوبة التوبة: الآية ٥٠ .
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج٨: ١٩٨
(٣) سورة يوسف: الآية ٨٤-٨٦ .

فإن ابيضاض عيني يعقوب من شدة البكاء واستمرار حزنه وكمده حتى قال له أهله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾، ولم يقطع بكاءه بسبب الخوف من الهلكة، ولا خوف ذهاب بصره، وهذا يدل على مدى عظمة أهمية البكاء على المصطفين من حجج أنبياء وأئمة، بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. أي أن قصصهم عليهم السلام عبرة ليتخذ منها سنة ولتكون قدوة للعالمين.

السابع: ماورد في زيارة الناحية المقدسة: **«فلأندبنك صباحاً ومساءاً ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً»**[1].

وتقريب مفاده، أن البكاء على مصاب الحسين عليه السلام يتأكد استمراره ولو أدى الى خروج الدم من العين بسبب الاستمرار والشدة، وتعبير المعصوم عليه السلام يجل عن الخيال، ويرتفع عن التصوير الشاعري، بل هو بيان حقيقة وتثبيت مفهوم واقعي، وهذا عين مفاد مامر في بكاء النبي يعقوب عليه السلام في سورة يوسف.

الثامن: ماورد من أن البكاء نفسه خشوع، لذا نرى أن القرآن الكريم يمتدحه، بينما يذم الضحك والفرح.

فلا يخفى من أن مقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي

(١) المزار المشهدي: ٥٠١، بحار الانوار ج٩٨: ٢٣٨.

الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (١).

إنَّ البكاء مقابل الفرح، فالأول إنكسار النفس عن الطغيان والتجبر والتكبر، والثاني تبختر النفس وخيلاؤها بالنزعة الذاتية، وهذه فلسفة عظيمة تربوية في كمال النفس نتيجة البكاء، معاكسة لرذلة الفرح والبطر.

ـ نكير واعتراض السجادعليه السلام على التوقف والكف عن البكاء.

ـ فقد روى ابن قولويه في كامل الزيارات، بسنده عن إسماعيل بن منصور، عن بعض أصحابنا: قال: أشرف مولى لعلي بن الحسينعليه السلام وهو في سقيفة له ساجد يبكي، فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي، فرفع رأسه إليه، وقال: **«ويلك، أو ثكلتك أمك.. والله لقد شكى يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت، حتى قال: ﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾، إنه فقد إبناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي»** (٢).

حقيقة البكاء على الحسينعليه السلام شكوى إلى الله، وليست شكوى من الله:

البكاء على الحسينعليه السلام خطاب مع الله:

ـ حبث روي في طريق آخر لابن قولويه، وهو صحيح إلى أبي داود المسترق، عن بعض أصحابنا عن أبي عبداللهعليه السلام، قال: بكى علي بن الحسينعليه السلام على أبيه الحسين بن علي عشرين أو أربعين. وما وُضع بين يديه طعام إلّا وبكى على الحسينعليه السلام. حتى قال له مولىً له، جعلت فداك يا ابن رسول

(١) سورة القصص: الآية ٧٦.
(٢) كامل الزيارات: باب ٣٥/ ح٢.

الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال عليه السلام: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾.

إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا وخنقتني العبرة[1].

ـ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾ أي أعلم أن البكاء مفتاح للفرج، ومدعاة للتيسير، أداة لرفع الكرب والغمة.. ومجلبة لإزالة الضيق والمحنة، لذا جعل القرآن هذين شعارين وعنوانين للبكاء، عندما اعترض أولاد يعقوب على أبيهم كثرة البكاء، فأجابهم على استنكارهم، ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ﴾.

ـ ويدل على تأكيد هذين العنوانين على هوية البكاء على مظلومية الحجج E ماقاله يعقوب أيضا بعد ان ارتد بصيرا وجاءته البشارى بلقاء يوسف ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ـ أي أن البكاء شكوى الى الله لطلب الفرج، وهذا هو.. قد جاء الفرج؛ فالشاكي إلى الله ببكائه يطلب منه العدوى، والله يعلم بتوكله عليه تعالى من دون يأس من روح الله سبحانه.

الصرخة والصيحة والعويل والشهقة أنواع في شعيرة البكاء:

ـ وقد ورد في ذلك عدّة من الروايات في الزيارات وغيرها:

١ ـ ما رواه ابن قولويه[1]، من زيارة طويلة في الحسين عليه السلام، وفيها:

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٥/ ح١ ـ ورواه الصدوق في الأمالي ص: ١٤٠ ـ والخصال (٢٧٢).

«... أتقرّب إلى ربّي بوفودي إليك وبكائي عليك وعويلي[٢]؛ وحسرتي وأسفي وبكائي... جئتك مستشفعاً بك إلى الله، اللهمّ إني استشفع إليك بولد حبيبك وبالملائكة الذين يضجون عليه ويبكون ويصرخون لا يفترون ولا يسأمون، وهم من خشيتك مشفقون. ومن عذابك حذرون ولا تغيّرهم الأيام، في نواحي الحير يشهقون، وسيدهم يرى ما يصنعون، وما فيه يتقلّبون، قد انهملت منهم العيون فلا ترقأ، لم تجف ولم تسكن، واشتد بهم الحزن بحُرقة لا تطفأ».

٢ ـ وفي صحيحة معاوية بن عمار التي هي قطعية الصدور: أنه دخل على أبي عبدالله عليه السلام فوجده يدعو لزوار الحسين عليه السلام ـ في دعاء طويل ـ الى ان قال عليه السلام: **«فارحم تلك الوجوه التي قد غيرتها الشمس ، وإرحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبدالله عليه السلام .... وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا»[٣].**

البكاء على الحسين عليه السلام، مناجاة مع الله:

الفلسفة الكبرى للبكاء:

ـ ففي رواية رواها في الصحيح ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي داود المسترق عن بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام، قال:

بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي عليه السلام عشرين سنة أو

---

١) كامل الزيارات باب ٧٩: ح٢٣.
٢) العويل: رفع الصوت بالبكاء.
(٣) الكافي ج٤ : ٥٨٣ ـ كامل الزيارات باب : ٤٠ / ح٢ .

أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾. **«إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك»**[1].

ـ وروى ابن قولويه أيضاً في الصحيح عن إسماعيل بن منصور عن بعض أصحابنا، قال: أشرف مولىً لعلي بن الحسين عليه السلام، وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال له: يا مولاي، يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي، فرفع رأسه إليه وقال: **«ويلك ـ أو ثكلتك أمك ـ والله لقد شكى يعقوب إلى ربه في أقل ممّا رأيت حتى قال: يا أسفي على يوسف، إنه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبّحون حولي»**[2].

ـ والذي يلفت النظر في هاتين الواقعتين للإمام علي بن الحسين عليه السلام جملة من الأمور والزوايا:

الأولى: تبيّن فلسفة البكاء على الحسين عليه السلام عند أهل البيت عليهم السلام، إذ كما هو ثابت في روايات الفريقين أن النبي صلى الله عليه وآله بكى على ابنه الحسين عليه السلام منذ ولادته، بل قبلها وبعدها، وأتخذ البكاء عليه عملاً وسيرة دأب صلى الله عليه وآله عليها. وكذلك ما روى عن فاطمة عليها السلام وأمير المؤمنين عليه السلام وبقية أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وروى ابن قولويه والصدوق مستفيضاً جداً قول أمير المؤمنين عليه السلام وبقية أهل البيت عليهم السلام عن الحسين عليه السلام: **«يا عبرة كل مؤمن»**. أو قول

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٥/ ١ـ الصدوق في أماليه وخصاله.
(٢) كامل الزيارات: باب ٣٥/ ح٢.

الحسين عليه السلام: «**أنا قتيل العبرة**»[١].

فإن زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، قد قضى طيلة عمره باكياً على أبيه الحسين عليه السلام (ما يزيد عن اثني عشر ألف يوم طوال ٣٤ سنة قمرية) (٣٤ × ٣٥٦)..

وكذلك بقية أئمة أهل البيت كما روي ذلك كثيراً عن الصادق عليه السلام والرضا عليه السلام، وصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فالبكاء على الحسين ظاهرة منتشرة عند النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وواضحة في طقوس أعمالهم سلام الله عليهم.

ومن البديهي أن المعصوم لا يشغل وقته إلّا بما يصبّ في التكامل، والسير في القرب الإلهي، وإلّا فالمعصومون لاسيما سيد الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام، منزّهون أن يشغلوا أعمالهم وأوقاتهم في الأمور العادية، بل ولا الراجحة اليسيرة. فمن ثمَّ لابدَّ من كون البكاء على خصوص الحسين عليه السلام هو ذو بُعد وغاية غير ما يحسبه ويتخيله الكثير من الناس .

وإلّا فإن المعصومين دائبون في ذكر الله والانشغال بالصلاة بكمٍ كبير والصيام والدعاء والمناجاة والابتهال وبقية أبواب العبادات؛ من السياحة والقنوت والخشوع وغيرها..

الثانية: أن بكاء السجاد عليه السلام على الحسين عليه السلام، كان في حال السجود، وسواء افترضناه سجود للصلاة، أم سجود مستقل، فهو عبادة لله، فكيف يبكي السجاد عليه السلام على الحسين عليه السلام، ويذكر ما جرى على الحسين عليه السلام وهو

---

(١) كامل الزيارات: الصدوق في الأمالي: مجلس ٢٨. كامل الزيارات: باب ٣٦ .

في حالة ذكر الله ومناجاة مع الله سبحانه، لاسيما وأن السجود هو من أعظم حالات العبادة والقربة إلى الله سبحانه، كما ورد أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد. كما في قوله تعالى: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾.

لاسيما أن مولى الإمام زين العابدين عليه السلام، ذكر الرواية التي بهذا المضمون رغم كون الإمام ساجداً ـ قد فهم من حالة الإمام أن بكاءه هو على أبيه الحسين عليه السلام، ممّا يدلّ على أنَّ بكاءه على الحسين عليه السلام كان عادةً له حتى في حالات العبادة لله.

الثالثة: قوله عليه السلام، أن عنوان البكاء على الحسين عليه السلام، وشعاره هو عنوان وشعار بكاء يعقوب على ابنه يوسف. وهو كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

وهذا القول من يعقوب إنما قاله بعدما اعترض عليه ذويه، وولده حيث ذهبت عيناه من الحزن والبكاء على يوسف كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ! قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾.

فيكون هذا العنوان والشعار جواباً على الاعتراض الموجه على بكاء يعقوب على يوسف. وعتابهم عليه، وتذمّر المعترضين من، طول هذا البكاء، فيكون مفاد هذا الجواب، أن بكاء يعقوب على مصاب فقد يوسف ليس موجهاً لهؤلاء المعترضين، وليس هو وسيلة للشكاية لهم وإنما البكاء شكاية إلى الله، وطلب الفرج منه واستنزال الغوث منه تعالى، إذ أن حقيقة البكاء هو شكاية و استغاثة من السبب والمنشأ الذي حصل البكاء منه، وهو موّجه لمن يخاطب به البكاء كنداء ودعاء وطلب وإستعداء كما في بكاء

الطفل يوجهه لامه وأبيه فانه استدعاء من الطفل لكي يجلب توجه أبويه له للعطف عليه وتلبية حاجته، وكلما زاد في بكائه لهما زاد إلحاحه لهما، وهو إلحاح في الدعاء الذي هو من أعظم حالات الدعاء، فالبكاء لهما حالة إنعطاف وإستنزال للرحمة والغوث.

لأن حقيقة البكاء كما توضحه الآية بنصها أنه شكاية واستغاثة ونداء، واستعداء.. ولهذه الحقيقة من البكاء يشير قولهعليه السلام في دعاء الندبة الذي هو (ندبة وبكاء على مصائب أهل البيتعليهم السلام وابتلاء الإمام المهديعجل الله تعالى فرجه الشريف بالغيبة): **«اللهمَّ أنت كشاف الكرب والبلوى وإليك استعدي فعندك العدوى، وأنت رب الآخرة والأولى، فاغث يا غياث المستغيثين عبيدك المبتلى»**.

وهذه الحقيقة للبكاء، نشهدها ونجدها عياناً في ارتكاز الفطرة. فإنَّ الطفل عندما يبكي يوجه بكاءه لأمه أو أبيه طلباً لرفع حاجته واستغاثةً بهما ونداءً لهما؛ واستنزالاً للعون منهما. فالبكاء استدعاء وسؤال لرفع الكرب والبلاء، وطلب للغوث والعون. فإذا كانت هذه حقيقة البكاء، فيبين النبي يعقوبعليه السلام، أن البكاء إنما يوجهه إلى غياث المستغيثين، وكاشف الكرب والبلوى وإلى قاضي الحاجات وكافي الملمات فهو شكوى إلى الله وليس شكوى من الله، وكم فرق وبون بينهما. بأن يكون شكوى من الله فهو سخط على قضاء الله وقدره، فيوجه الباكي بكاءه وشكايته إلى المخلوقين فيشكو الله للمخلوقين . بخلاف ما إذا كان شكوى إلى الله سبحانه، فهو استغاثة بالله ونجوى مع الله، ودعاء إلى الحضرة الربوبية، فكلما استمر واشتد البكاء، فهو اشتداد للدعاء بانكسارٍ، وهي من الحالات الفضلى للدعاء وإستجابته، وزيادة في المناجاة واشتداد لعبادة الله سبحانه، وإلحاح

للطلب من الله، فيكون البكاء مخّ العبادة لأن الدعاء مخ العبادة. فهو مخّ السجود، فكيف يُعترض على الدعاء الموّجه إلى الحضرة الربوبية، وكيف يطالب الباكي بهذا العنوان أن يقطع بكاءه أو أن يفتر في بكائه؛ وكيف يُتبّرم من هذا البكاء، الذي هو دعاء ومناجاة مع الله، ونداء واستغاثة من قاضي الحاجات، بل إذا استمر واشتد هذا البكاء، يكون دليلاً على شدة الإيمان واليقين برجاء الله سبحانه، وقدرته تعالى على كشف أحلك العقد وأشدّها، وأعظم الكُرب وأبلاها، ومن ثمّ قال النبي يعقوب عليه السلام، أن العنوان الثاني للبكاء هو: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾، يعني معرفته بالله وبرجاء الله وقدرة الله سبحانه، وعظمته الغالبة على كل شيء قادرة على رفع اليأس، ورفع شديد البلاء وعظائم الكرب، وقاسي المحن. فالبكاء أمل ورجاء وثقة بالله العلي العظيم..

وإلى ذلك تشير الآيات في سورة يوسف مرة أُخرى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ ـ فكرر يعقوب عليهم وذكرهم بفلسفة وغاية البكاء، وأن بكاءه لم يكن عديم الغاية وكان ضلالاً، بل هو هدى وفلاح ونجاح حيث ذكر القرآن الكريم على لسان يعقوب: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ ـ أي أن البكاء وبث الشكوى والهم والحزن إلى الله تعالى،لا إلى غيره هو دعاء وسؤال وطلب حاجة من الله تعالى . فمن يبكي ويتوجه ببكائه إلى الساحة الإلهية، يدل على قوة توكله على الله تعالى، وقوة معرفته بعظمة قدرة الله على كل شئ، ولا ييأس من روح الله، فإدمان

البكاء هو إلحاح في الدعاء والطلب؛ ومن ثم، اعتذروا عن تسفيههم بكاء يعقوب وعن تضليلهم لحزنه الطويل وعن إستهجانهم إدمان ذكره ليوسف، وعرفوا أن مأتم يعقوب على مصاب يوسف أمر حق وهدى وفلاح ونجاح ومن أسباب توفيق القدر ؛ فطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم ذنبهم وخطيئتهم .

الرابعة: صيرورة البكاء على الحسين عليه السلام منشأ ذكر الله عند المعصومين، وبكاء وحزن قربّي إليه تعالى. وليس ذلك للمعصومين فقط، بل لجميع الأنبياء السابقين فهذا البكاء قلب حياة السجاد عليه السلام إلى رياضة بكاء وذِكر الله تعالى، حيث يتوجه وكذلك صنع بجدّه النبي صلى الله عليه وآله، حيث قلب العديد من أوقاته الشريفة إلى بكاء ولون خاص من ذكر الله تعالى، حيث يتوّجه صلى الله عليه وآله بإنكسار بذلك البكاء بمثابة شكاية يتوجه بها إلى الله، والبكاء حزن، والحُزن محبوبٌ عنده تعالى، حيث قال تعالى في الحديث القدسي: «.. **أنا عند المنكسرةِ قلوبهم**»[1].

وكذلك صنع هذا البكاء بفاطمة عليها السلام، فإنه أورثها الحزن والبكاء في حياتها، بل وفي عالم البرزخ، حيث وردت الروايات المستفيضة في كامل الزيارات وغيرها من المصادر الدالة على أن الزائر للحسين عليه السلام من المؤمنين والمؤمنات يُسعد فاطمة.. على بكائها على مصابه عليه السلام، فعن الصادق: «**ما في الأرض مؤمنة إلّا وجب عليها أن تُسعد فاطمة، في زيارة الحسين عليه السلام**»[2]. وان بكاءهم عند قبره الشريف يُسعدها أيضاً .

---

(١) كامل الزيارات: (بحار الأنوار ح٧٣/ ١٥٧) عن نوادر الراوندي.
(٢) مستدرك الوسائل: ج ١٠، ص ٢٥٩.

وكذلك أبكى عليه السلام والده أمير المؤمنين في مواطن عديدة، وأبكى أخاه الحسن عليه السلام، وكلّ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكذلك صَنع بابنه الحجّة عجل الله فرجه الشريف حيث قال: **«ولأندبنّك صباحاً ومساءً؛ ولأبكينّ عليك بدلَ الدموع دماً»**.

الخامسة: ومن هنا يظهر معنى وفلسفة فضيلة وكمال دوام ذكر مصابه ليلاً ونهاراً بنحو رتيب راتب ودائم.. حيث أنَّ البكاء عليه هو توّجه إلى الله بنحو دائم، ومناجاة للساحة الإلهية.. فكيف لا يدوم رجحانه وفضيلته.

السادسة: قوله عليه السلام: **«والله لقد شكى يعقوب إلى ربّه في أقلّ ممّا رأيت، حتى قال: يا أسفي على يوسف؛ إنّه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيتُ أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي»**.

والمعروف، أن يعقوب بكى على يوسف عشرين عاماً[1]، وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم. هذا مع علم يعقوب بأن ابنه على قيد الحياة بسبب الوحي الذي أوحي إلى يوسف في رؤياه، بأنه ينال المُلك، مع أن المصاب الذي حصل ليعقوب جرّاء فراق يوسف دون مصاب سيد الشهداء عليه السلام، كما أن شأن يوسف هو دون شأن الحسين عليه السلام، فكيف بضميمة من كان مع الحسين عليه السلام من أهل بيته. وفي تفسير القمي صحيحة هشام بن سالم وقد رواها الصدوق[2]، أنه قد سئل أبو عبدالله، ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف، قال: **«حزن سبعين ثكلى بأولادها»**[3].

---

(١) بحار الانوار ج١٢ :٢٤٤.
(٢) رواها الصدوق، بسند صحيح كما في قصص الأنبياء للراوندي.. بحار الأنوار ج١٢/ ٢٩١.
(٣) تفسير القمي/ ذيل الآية.

وكلّ هذا الحزن هو دون ما يستحقه مصاب سيد الشهداءعليه السلام، فهوعليه السلام يشير إلى أن مصاب سيد الشهداء وما احتواه من فوادح تستحق من المعصوم أن يطوي عمره جزعاً وبكاءً بشدة، فكيف بغير المعصوم تجاه سيد الشهداء، وذلك بسبب ما يستحقه مقام سيد الشهداء، وبالتالي فعدم التجاوب وعدم التأثر مع عظم الظلامة والمظلومية وما يستحقه هذا المصاب، يُعتبر تقصيراً في أداء ذلك الاستحقاق، بل لا يقف الأمر على حدود التقصير، بل يتجاوزه إلى درجة الجفاء والجفاء يؤدي إلى الخذلان، ودرجة الاصطفاف مع الراضين بما جرى عليه من الظلم، وذلك لأن كلّ منكر يستدعي تقبيحاً بدرجة شدة المنكر، فإذا قلّ التقبيح والتبّرم والنفرة منه دون درجته المستحقة من الشدة، كان النقصان رضا وتمايل إلى المنكر بالنسبة في الجملة.

فكل منكر يستدعي بحسب قباحته درجة من النفرة والتبرم والكراهية بحسب مالذلك من قباحة. وعلى العكس، المعروف يستدعي إنجذاباً ورغبةً وتمايلاً بدرجةٍ بحسب مالذلك المعروف من حسن ومحاسن. فالتفريط بأحد الجانبين تخادع عن الحق والحقيقة، بل هو إصطفاف مع الباطل والبطلان ومن هنا نفهم إستنكار الإمام السجادعليه السلام على إعتراض وتعجب ذلك الشخص من مقدار بكاء وحزن زين العابدينعليه السلام وتبرمه من الظلم الذي جرى على سيد الشهداءعليه السلام بل في بعض الروايات، أن جزع وبكاء فاطمة الزهراءعليها السلام على سيد الشهداءعليه السلام، أشد بمراتب من جزع زين العابدينعليه السلام. حتى ان الإمام السجادعليه السلام إشتد بكاؤه وجزعه من جزع الزهراءعليها السلام وبكائها، ووجدها على سيد الأنبياء . فقط كان من الحجم والمقدار والشدةِ لم يتحمله، ولم يطقه أهل المدينة، فمانعوهاعليها السلام من

ذلك، وألجأوها لإقامة بيت للأحزان خارج المدينة وهذا تعليم تربوي معرفي كبير من الزهراءعليها السلام للبشرية بأن فقد مُحَمَّدصلى الله عليه وآله هو أعظم المصائب على كل إنسان، ولا يصاب الإنسان بخسارة فادحة ومصاب عظيم بمثل تلك الخسارة بمصاب فقد نبي الله الخاتمصلى الله عليه وآله؛ حتى قال أمير المؤمنينعليه السلام: إن الناس أجمع استووا في مصابهم على رسول اللهصلى الله عليه وآله.

فكان بكاء الزهراءعليها السلام وجزعها العظيم، بحجم وبمقدار مايستدعي رسول اللهصلى الله عليه وآله من تناسب وإنجذاب إليه وشوق ودرجة عالية من الرغبة نحوه . وهو قدر معرفة الزهراءعليها السلام بعمة مقام وسمو منزلة ورفيع كمال النبي الأكرمصلى الله عليه وآله.

وهذا عكس ما رفعه أبو بكر من شعار، «أنه من كان يعبد محمداً فإنَّ محمد قد مات»[1].

فإنَّ هذه المقالة هي فاتحة أعمال أبي بكر، وتعكس مدى الجهالة والنكران لحقيقة وعظمة مقام ومكانة ومنزلة النبي الأكرمصلى الله عليه وآله؛ التي إستعظمها القران الكريم في عدة آيات شريفة .

لذلك نجد ان أمير المؤمنينعليه السلام عاش ثلاثين عاما والى اخر عمره حالة عزاء وحداد وأسى وحزن على فقد رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولم يصبغ لحيته قط حزناً على رسول اللهصلى الله عليه وآله وكان لا يتناول أكلة لم يأكلها رسول اللهصلى الله عليه وآله مواساةً لهصلى الله عليه وآله؛ وغير ذلك من مظاهر التأثر والتصدع والحداد في حياة أمير المؤمنينعليه السلام التي تبين حجم الاستحقاق الذي يقتضيه ويستدعيه مقدار

---

(١) البخاري ج٢ : ٧٠.

المعرفة يستدعيه حجم العلم بمقام ومنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن ذلك يتحصل وجه ماورد في شأن سيد الشهداء عليه السلام انه: **«صاحب المصيبة الراتبة»** ـ بحسب ما للبشرية من أجيال وأمم متتابعة. وكذلك وجه ماورد بأنّه عليه السلام **«صريع الدمعة الساكبة»**.

فقد روى ابن قولويه باستفاضة وعقد بابا أورد فيه روايات عديدة فيها: **«إن الحسين عليه السلام قتيل العبرة»**[١].

أي أنّه سلام الله عليه لايذكره مؤمن ولا مؤمنة من الأولين والآخرين قط إلّا واستعبر وبكى، وفي أي لحظة من الليل والنهار .

ومنه يظهر: ان التفريط والإهمال والتقليل في إقامة المآتم ومجالس الحزن عليه عليه السلام والتقليل من ذكره أو عدم الإهتمام بزيارته، إنما يكون ناتجاً عن تفريط وتقصير وجفاء، وإلى ذلك تشير طوائف من الروايات المستفيضة .

ـ وقد ورد في روايات عديدة أن التفريط والتقصير في إقامة مختلف الشعائر الحسينية إنما يوجب ضعف الدين ونقص الإيمان[٢].

العاطفة والبكاء وتنوير الفكر والمعرفة:

ما سرّ هذا القلق والتحسّس الشديد عند الأنظمة والحكام والدول من هزّات العاطفة بسبب المظلومية.

سرّ ارتباط البكاء بالمظلومية كباب تربوي في العقيدة والسلوك شيّده

---

(١) كامل الزيارات باب ٣٦ : ح١.
(٢) كامل الزيارات باب ٧٨ .

الباري سبحانه في أهل البيت عليهم السلام، ليشدّ البشرية لهم تربوياً وعقيدياً، وهو مظهر عظيم لعبودية أهل البيت عليهم السلام لله. وتواضعهم وانكسار ذواتهم أمام عظمة الباري سبحانه.

قد يعترض بأن الكآبة والغمّ الدائبين والغالبين يميت النشاط ويبثّ اليأس والشؤم وفقد الأمل ويُبعد الإنسان عن السعادة، بخلاف الفرح والابتهاج والسرور، فإنه باعث على نشاط المجتمع والمنافسة، والرقي فيقع الكلام في تمحيص أقسام الفرح والبهجة، والمحمود منها من المذموم والنافع من الضار، وكذلك الحال في أقسام الحزن وتناسبها مع قوى الإنسان الغريزية والإدراكية وحالة التوازن؛ والاعتدال في ذلك.

إنّ في النفس الإنسانية جانباً من القوى العمّالة والتي قد يعبّر عنها بظاهرة الوجدان العاطفي في النفس، وهو جانب لا يقتصر على الإدراك المحض الجاف؛ بل فيه جانب من الإثارة والفتور والنشاط والخمود، وهذا الجانب في النفس منه تنبعث الإرادة والعزم والتصميم على الأفعال، فهو بمثابة المِقود لقيادة النفس.

ومن ثمَّ راعى القرآن الكريم والسنة الشريفة الاهتمام بهذا الجانب في النفس كثيراً، بخلاف المنطق الأرسطي وفلاسفة المشّاء فإنهم لاحظوا جانب القوة الإدراكية فقط، وأهملوا الجانب العملي، وهذا النظام المنطقي لا يؤمّن عصمة فكر الإنسان، فضلاً عن استقامة رايه، وذلك لما هو مقرر في الأبحاث العقلية والمعرفية، من أن الجانب العملي في النفس مؤثر في الجانب الإدراكي فيها هذا مع أن الإدراك الذي تناوله المنطق الأرسطي هو الإدراك الفكري فقط دون الإدراك القلبي، والعياني.

والحاصل: أنَّ الإنسان لا يتحرّر ولا يكون مختاراً بصرف الإدراك الفكري، والمعرفي عبر المفاهيم، بل بضميمة المحبة وتأثير الكراهة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾، فالتحبَّب والتزيين والاستحباب والاستكراه (الكراهة) باب واسع من أبواب تربية النفس وزرع الفضائل، والتوقية من الرذائل، وكذلك العكس، ومن هنا يظهر أن العاطفة هي المدد لبقاء الإنسان على طريق الصواب والحق. ومن ثمَّ جاء التأكيد على الإيمان بعنوان الحبّ، في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وكذلك في الإيمان بأهل البيت عليهم السلام في آية المودة، ومن ثمَّ وردت تكاليف عديدة ومهمة وحساسة في الخطاب والتشريع القرآني تجاه المحبة والكراهة وكل ذلك يرسم مدى أهمية مجالس العزاء والرثاء والشعائر الحسينية من جهة تأديتها إلى بناء وإقامة أمر عظيم ألا وهو مودة أهل البيت عليهم السلام، وهو عين الإيمان، فزرع المحبة في القلوب جوهرة نفيسة هي من الغايات الكبرى في الدين. وهذا البيان العلمي مستفاداً أيضا من قول الصادق عليه السلام: **«وهل الدين إلّا الحبّ»**[1].

ويظهر من ذلك أيضاً وجه الحاجة لاستمرار تلك المجالس والمحافل والشعائر بشكل رتيب طول العام لأنه يجدّد توليد وبعث المحبة. ووقاية من فتورها وزوالها بات واضحاً في منهج التعليم التربوي، وأن الإنسان لا يتلقى المعلومة بجفاف، ولا يهضمها مجردة بمفردها، بل إن الجانب النفسي

---

(١) مستدرك الوسائل ح١٢: ٢١٩.

له تأثير بليغ في تلقّي المعلومة، ووضوحها وبيانها للذهن، فالجانب النفساني شديد التأثير في قدرة إدراك الإنسان، وقناعته بالمعلومة التي يتلقاها، وكم للمحبة التأثير البالغ في التلقّي والفهم للفكرة، وعكس ذلك بالنسبة إلى الكراهة.

ومن هنا يتبيّن مدى تأثير العاطفة في التوعية الفكرية، بمفاهيم الدين، وأنه مع الجفاف العاطفي، والتصحر النفسي والجفاف الروحي، يصعب حصول الوعي العلمي بالدين ومفاهيمه.

فكم هي الضرورة هامة لدور العاطفة في حصول التنوير العقلي ورقي المستوى العلمي، وهذا بالضبط ما يقوم به البكاء والتفاعل العاطفي الذي يصاحبه من دور خطير في الوعي العلمي بمفاهيم الدين، والإيمان بها والقناعة بأحقيتها..

ومن ثمّ التعهّد والالتزام بها، والتفاعل العملي بمضامينها.

وهذه الغاية النهائية للإيمان والالتزام الديني..

وبخلاف ذلك فإن الجفاف الروحي والجمود النفسي يسدّان ويحجبان الطريق عن التلقي الذهني والإدراك العقلي..

البكاء هو العاطفة وخطورة تأثيرها:

ولتوضيح ماسبق بنحو البسط نقول: أنّ كثيراً ما يطرح هذا السؤال أنه لماذا هذا التركيز على العاطفة الجياشة في الشعائر الحسينية وإن كان البحث الفكري يشغل مساحة غير هينة وكثيرة في خطاب الشعائر إلا أن جانب العاطفة يحتل سهماً كبيراً وزخماً هائلاً بل نجد ذلك في التوصيات الشرعية الراسمة لروح تلك الشعائر وقوالبها وأطرها، كالنص الوارد **«إن**

الحسين عليه السلام قتيل العبرة لا يذكره مؤمن إلا بكى»[١]، و **«إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور»**[٢]، و **«إن السماء والأرض لتبكي منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا»**[٣] و **«من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى كتبت له الجنة»**[٤] و **«فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام.. إلا كتب الله له مائة ألف حسنة وحط عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة وكأنما اعتق مائة ألف نسمة وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد»**[٥] و **«إذا أردت الحسين فزره وأنت حزين مكروب شعثاً أغبر جائعاً عطشاناً»**[٦] وفي دعاء الصادق عليه السلام **«وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبدالله عليه السلام وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا»**[٧] وغيرها مما يجده المتتبع في الآثار الواردة بنحو مستفيض ومتواتر.

فما هو موقع الأهمية الذي يشكله دور العاطفة والإحساس المرهف والميول النفسية في هداية الإنسان وتكامله واستقامته.

---

(١) كامل الزيارات ص٢١٤ ب٣٥
(٢) المصدر ص٢٠٢ ب٣٢
(٣) المصدر ص٢٠٤ ب٣٢
(٤) المصدر ص٢٠٨ ب٣٣
(٥) المصدر ص٢١٢ ب٣٤.
(٦) الوسائل ١٤/ ٥٢٨.
(٧) الوسائل ١٤/ ٤١٢.

إن الاستقراء في أبعاد مساحة الأحكام الشرعية وقواعدها، يوصلنا إلى وفرة من الأحكام والتكاليف الإلهية المتعلقة بميول وانعطافات النفس مثل قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١] وفي المقابل ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ﴾[٢] و ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ﴾[٣] و ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[٤].

و ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٥]. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ الله وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٦]. و ﴿وَلَكِنَّ الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[٧] و ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[٨].

---

(١) سورة الشورى: البية ٢٣.
(٢) سورة المجادلة: الآية ٢٢.
(٣) سورة الممتحنة: الآية ١.
(٤) سورة إبراهيم: الية ٣.
(٥) سورة مُحَمَّد: الآية ٣.
(٦) سورة مُحَمَّد: الآية ٢٨.
(٧) سورة الحجرات: الآية ٧.
(٨) سورة التوبة: الآية ٥٤.

فالمودة والحبّ واستحباب الأشياء للنفس والتحبيب لها، والكراهة والاستكراه هي من الأفعال النفسانية التي تعلق بها الأمر والطلب الشرعي ليقوم بها الإنسان بلحاظ موارد وموضوعات كما تعلّق بها النهي والزجر الشرعي كي يقلع عن فعلها في موارد أخرى، مما يدّل على كون المودة والحب والتحبيب واستحباب الأمور والعكس وهو الكراهة والاستكراه هي أفعال اختيارية وتقع تحت إرادة الإنسان ولو بتوسط مقدمات وعبر معدات سابقة يتمكن الإنسان من القيام بها فهي تقع تحت الاختيار بوسيلة إعدادات قبلية، وها هنا نلاحظ أنه كما يدعو القرآن إلى التدبر والتفكير والتعقل وإتباع اليقين والبينات والنهي عن إتباع الظن والوقوع في الريبة والترديد كذلك نجده يأمر بالحب والمودة والتحبيب أو الكراهة والتكريه في بعض الأشياء والنهي عنها في بعض موارد أُخرى.

فالقرآن الذي يدعو إلى البصيرة والتبصر والبحث والتعلم يدعو ويوظّف الميول والانعطافات النفسية والأفعال القلبية كذلك، والعلّة في ذلك أن الإنسان لا تتألف مكونات ذاته ونفسه من قوة تفكير وإدراك فحسب، بل تتشكل من مجموعة قوى إدراكية أخرى ومجموعة ومنظومة قوة عملية أخرى وليس الذي يقود الإنسان بعض قواه الإدراكية فحسب، بل هناك مؤشرات من قوى عملية وإدراكية متنوعة هي الأخرى أيضاً تساهم في قيادة الإنسان وجذبه والميل به إلى مسارات واتجاهات. فمن ثم يخطأ من ينتهج طريق التعليم وحده من دون نهج للتربية وكما أن التعلم والثقافة لا تقتصر على الناشئة بل هي ضرورة مستمرة للإنسان طيلة حياته كذلك التربية هي حاجة ملحة للإنسان على امتداد عمره وإن اختلفت أساليب التعليم في النشأ عنها في الكهول، وبحسب اختلاف الأسنان، كذلك في

أشكال وأنماط التربية لكل مرحلة من عمر وسني الإنسان، إلا أن تقارن التربية بالتعليم والتهذيب بالتعقل والتزكية بالتفكر أمر لا بد منه ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾، وإن من مناهج وطرائق التزكية والتهذيب والتربية هي المحبة والتحبيب والمودة والتواد والكراهة والقيام باستحباب الشيء وهو صنع محبته للنفس واستكراهه وهو صنع كراهته في النفس. فكم من إنسان وكم من مورد يدرك فيه الدليل والبينات ولكنه لا يتبعه لعدم وجود المحبة أو لوجود الكراهة وكم من مقام يتيقن الإنسان فيه بالخطأ والبطلان ومع ذلك يفعله ويتمسك به لمودته أو لعدم كراهته، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾[1] و ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[2]، أي أن الحب والكره مؤثران في إتباع الإنسان للحقيقة والحقائق والليقين والدلائل كما ورد أن الإنسان قد يتعامى أو يتصامم بسبب ذلك ومن هنا ندرك خطورة العاطفة والمشاعر والإحساسات على مصير إرادة الإنسان وإن الجانب الفكري الإدراكي والتعليمي ليس هو المؤشر الوحيد المؤثر على الإنسان وإرادته وتوجهه واختياره، بل إن المحبة والكراهة وصورة جمال الشيء أو قباحته في مشاعر النفس أمر مؤثر كبير في الانجذاب النفساني أو النفرة من الشيء، ومن ثم أكد القرآن على مقولة التزيين والتجميل للشيء القبيح حيث يغرى

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٨.
(٢) سورة هود: الية ٢٨.

الإنسان إليه رغم سوءه، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

فذكر تعالى أن سبب عدم انقيادهم للحق هو قساوة قلوبهم وتزيين العمل السيئ في نفوسهم وقساوة القلب والتزيين أمران مرتبطان بالجانب العاطفي والمشاعر في النفس وقد أكد على هذين الأمرين في آيات عديدة كسبب للغواية والانحراف واللجاج والجحود والتمرد والطغيان والتكبر والاستعلاء عن الحق إلى الباطل وهذا يرسم مدى خطورة الجانب العاطفي في الروح والنفس الإنسانية، ويبين أن أهميته يوازى أهمية الجانب الفكري والإدراكي وأنه الوجه الآخر لحقيقة الإنسان والجناح الآخر الذي به حركة وحراك النفس في مسيرها وكل هذا يرسم لنا جانب من أهمية وفلسفة الجانب العاطفي وأهميته وزخمه في الشعائر الحسينية، حيث يظهر أن من غاياتها تحصيل حالة الرقة القلبية والعطوفة والرأفة وهي من أعظم الصفات الإيمانية وحالات العبودية لله تعالى، وأنبل الصفات الإنسانية إحياءاً وبعثاً لإنسانية الإنسان.

فلسفة عظمة الثواب للبكاء في الشعائر الحسينية:

فانه قد اعترض على شعيرة البكاء بعدة انماط من الاشكالات:

النمط الاول:

وهذا يتألف من نقاط:

أ ـ استكثار الأجر المذكور في الروايات على البكاء وإقامة المآتم واستبعاد

---

(١) سورة هود: الآية ٢٨ . سوة الأنعام: الآية ٤٣.

صحتها، مثل ما ورد من الأجر الوافر لدمعة تسكب أو لإغروراق العين بالدمع، فيُستبعد هذا الأجر العظيم على هذا العمل الضئيل، وأن هذا من وضع القصّاص والوّعاظ، وأن عملهم هذا مطرّد في أبواب أخرى كما في الزهد في الدنيا، وثواب الابتلاءات فكيف يكون ثواب من خرج من عينيه دمع مثل جناح البعوضة، غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبَد البحر.

ب ـ وبعضٌ أوّل هذا الأجر في الروايات: أنه لظروف خاصة حرجة حيث يصدق فيه عنوان الجهاد في سبيل الله، ولا يصدق ذلك في الظروف العادية.

وبعض آخر حيث اعترف بتواتر الروايات في ثواب البكاء وعدم تطرّق يد الجرح والتضعيف، أوّلها بأنها صدرت حينما كان ذكر الحسين عليه السلام والبكاء عليه وزيارته ورثاؤه وإنشاء الشعر، إنكاراً للمنكر ومجاهدة في ذات الله ومحاربة مع ظلم بني أمية، وهدماً لأساسهم واستنكاراً لسيرتهم ولذلك كان بنو أمية يحاربون ذكر الحسين عليه السلام ويمنعون من زيارته ورثائه والبكاء عليه، ويعاقبون من يقوم بذلك، بالقتل وهدم الدار والطرد والتشريد؛ فلم يكن البكاء والرثاء والزيارة للحسين عليه السلام حسرة وعزاءً وتسليةً فقط بل محاربةً لأعداء الدين، وجهاداً في سبيل الله، وأما في هذا الزمان حيث لا محاربة بين أهل البيت وأعدائهم كحالنا اليوم، فلا يصدق عنوان الجهاد عليه، بل إن ذاكر الحسين عليه السلام في زماننا يُمتدَح ويُثنى عليه ويُعطى الأجرةُ ويشرّف ويكرّم.

جـ ـ وقال بعضُ من أنكرها: لأن العَمل بمقتضاها يؤدي إلى تعطيل الفرائض والأحكام، وترك الصلاة والصيام كما يُرى من الفسّاق والفجّار، يتكّلون فيما يرتكبون في فعل الفواحش والمعاصي على ولائهم ومحبتهم وعلى ثواب البكاء، مع عدم ارتداعهم عن غيّهم وتعسّفهم.

أجوبة الإشكالات السابقة:

أ ـ يلاحظ عليه:

أولاً: الجهل بحقيقة الجزاء الأخروي، إذ هذا الاعتراض يرد على جميع الأجر والثواب والجزاء المقرّر على الأعمال في دار الدنيا، فأي مساواة أو معادلة بين جزاء أبدي خالد عظيم تقابل مع أعمال زمنية مؤقتة محدودة، والجواب عنه قد بيّنه الإمام الصادق في السؤال: لم خُلّد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[1] حينما سأله الراوي: لم خلد أهل الجنة فيها وإنما كانت أعمارهم قصيرة وآثارهم يسيرة؟ ولم خُلّد أهل النار وهم كذلك؟ فقال عليه السلام: لأن أهل الجنة يرون أن يطيعوه أبداً، وأهل النار يرون أن يعصوه أبداً فلذلك صاروا مخلّدين.

ثانياً: إن هذا الاعتراض واستكثار الثواب؛ هو مبني على الجهل بحقيقة البكاء، حيث أن حقيقة البكاء تنطوي وتتوقف على وجود المحبة بين الباكي وسيد الشهداء عليه السلام؛ فأهمية البكاء نابعة من أهمية المودة للحسين وأهل البيت عليهم السلام، ولا يخفى أن مودتهم هي الولاية لهم بعد ولاية الله ورسوله، فهي الركن الثالث في الدين، ولذلك جعلت مودتهم تعادل عوض وأجر مجموع الرسالة والدين برمّتها. فأعظم الله مودة أهل البيت في آية المودة على مجموع عامة الصلاة والصيام والحج والزكاة وأبواب البّر كلّها حيث جعلت المودة هي أجر يعادل جميع الدين. وهذا الاعتراض

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ :٣٨٨.

يستبعد استعظام ما عظمّه القرآن للجهل بحقائق الدين والوصايا العظيمة للقرآن الكريم، وقد بينت آيات كثيرة أن ولاية أهل البيت عليهم السلام هي المرتبة الثالثة في الدين بعد ولاية الله وولاية الرسول كقوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

ب: ويلاحظ عليه:

أولاً: أنه جهل بحقيقة البكاء التي تقدّمت، والظاهر أن هذا الجهل ناشئ أيضاً من افتقار إلى الشعور الفطري وغياب المشاعر الإنسانية، كما أنه ناشئ أيضاً من عدم الإيمان واليقين بعظم شأن سيد الشهداء عند الله وفي الدين.... وبالتالي ناشئ من قلة العلاقة القلبية والروحية مع سيد الشهداء وأهل البيت عليهم السلام.

وإلّا كيف يحصر البكاء ويفسّره في غاية واحدة، وهي التي مرّ ذكرها في الاعتراض.

ثانياً: كيف افترض ارتفاع وزوال معاداة أهل البيت عليهم السلام في هذا الزمن وها نحن نعيش مع قطاع كبير من الأنظمة في بلاد المسلمين مؤسسة على النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام، ومحاربة شعائرهم، وكل ما ينتسب إليهم. فأين انتفاء الموضوع الذي يزعمه المعترض للبكاء.

وإنْ أراد أنَّ البكاء والمآتم يعظّم ويُحترم في أوساط أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهذا لا يختص بهذا العصر، بل هو موجود حتى في زمن الأئمة عليهم السلام والزمان الذي صدرت به هذه الروايات المتواترة.

فهذه التفرقة بين الأزمان، مجرد هلوسة وانعدام بصيرة.

ثالثاً: أن هذا المعترض قد افترض أن استنكار المنكر والاعتراض عليه، خاص بالآثار السياسية المؤقتة مع أن فلسفة إنكار المنكر في الدين وبغضه وحبّ المعروف والأمر به في الدرجة الأولى هو ذو مغزى عقائدي قبل أن يكون سياسياً ومن ثمّ تواتر عند الفريقين عن النبيﷺ: أن من أحب عَمل قومٍ أُشرك في عملهم ـ أي ولو كان أولئك القوم من أعصار سابقة متقادمة في الزمن الأول ـ

وليست هذه القاعدة النبوية مخصوصة بالتعاصر بين عمل قوم ومن يقوم بالمحبة. كما ورد عن رسول اللهﷺ **«المرء يحشر مع من أحب حتى لو أحبّ أحدكم حجراً حُشر معه»**[1]

ثم إنّ الغاية السياسية أيضاً من إنكار المنكر وبغضه والتبري منه، ليست سياسية مؤقتة، بل هي سياسية مستمرة، فإن أحد الغايات العظيمة والفلسفات الكبيرة الناتجة من ذلك هي الحيلولة عن تجدّد وقوع ذلك المنكر، وهذه الغاية حكم فطري عقلي عند عامة البشر. ألا ترى كيف أن الدول الغربية يتشدّدون في عصرنا الراهن ادانة ونكيرا من الإشادة بهتلر، والفكر الهتلري والتيارات النازية، والأحزاب ذات الفكر العنصري المتطرف، نظير الفاشية وفكر موسوليني الإيطالي، مع أن أصحاب هذا الفكر قد بادت شخوصهم وبليت عظامهم إلّا أن الغرب لا زال مقيماً

(١) الإثنى عشرية: ١٥٤.

متشدداً في استنكار وتقبيح أفعالهم وأشخاصهم وفكرهم لئلا تتفجر حروب عالمية جديدة بين البشر نتيجة أفكارهم المدمرة الهدامة .

كذلك الحال نشهده في موقف الشعب الصيني والكوري الجنوبي من جملة قيادات الجيش الياباني، في الحرب العالمية الثانية؛ بل إن إصرار اليابان بهذه السنين على تمجيد وإحياء ذكر أولئك القادة، خلق أزمة بينها وبين الصين وكوريا، وهي أزمة شديدة، وذلك تخوفاً من تجدد حروب بين تلك الشعوب تنشب من أفكار أولئك القادة وهذا يبيّن الفلسفة العظيمة لإنكار المنكر لأصحاب الشر والسوء وإن تقادموا في غابر التاريخ لئلا تتأثر الأجيال اللاحقة بسوء فعالهم وأفكارهم، ولا يخفى أن هذه الفلسفة للتبري وإنكار ظلم الظالمين لا زالت قائمة بالبكاء على سيد الشهداء ضد الفكر الأموي ومنهج يزيد والأمويين.

وأما جواب الإشكال (جـ) ففيه:

أولاً: أن دعوى هذا القائل، بأن مقتضى مفاد عظمة ثواب البكاء ترك الصلاة والصوم وبقية الفرائض، فيُنقض عليه بأن هذا المفاد من عظمة الثواب وغفران الذنوب مقرّر عند المسلمين في جملة من الأعمال العبادية وأعمال البرّ، فالحج ـ مثلاً ـ يمحو ما سبق من الذنوب، بلْ أنَّ جميع الحسنات لها هذه القابلية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[1] وهذه خاصية التوبة أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن

(١) سورة هود: الآية ١١٤.

بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

وغيرها من الآيات العظيمة الواردة، في رجاء التوبة، فهل يُدّعى أنها تُغري وتدعو إلى الجرأة على المعاصي، وتدفع إلى الفاحشة والتواكل لعمل المعصية، حاشا وكلّا أن يكون مفادها ما ادّعى هذا القائل، وذلك لوجود خطابات قرآنية، ومن سنة النبي وأهل البيت عليهم السلام تحذر عن مثل هذه الأوهام حول خطابات الثواب ورجاء المغفرة، فإنَّ هناك قسم ثان من الخطابات الدينية تتضمن الوعيد والتهديد والإنذار والتخويف.

نظير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ الله﴾[٣].

حيث تفيد الآية الكريمة أن من الأعمال السيئة ما يجرّ العاصي إلى الكفر بالعقائد الحقة فيُسلب عنه توفيق التوبة، وتوفيق الأعمال العبادية المكفّرة للذنوب، والأعمال الصالحة الماحية للسيئات.

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٤].

فتفيد الآية أن من السيئات ما تحول بين العاصي وبين النجاة، أي

---

(١) سورة النحل: الآية ١١٩.
(٢) سورة الزمر: الآية ٥٣.
(٣) سورة الروم: الآية ١٠.
(٤) سورة البقرة: الآية ٨٠.

تكون من المرديات والمهلكات والموبقات.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١].

ـ وظاهر وواضح لغة التهديد في الآية الكريمة.

ـ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[٢].

وغيرها من الخطابات القرآنية ومن السنة المطهرة التي فيها بالغ التهديد والوعيد إلى درجة لو اقتصر الناظر إلى خطابات الوعيد والإنذار، لحصل لديه قنوط من رحمة الله، ولكن النظرة المجموعية لخطاب الثواب والمغفرة مع الخطاب الثاني، يوازن المسلم والمؤمن في مسير متعادل تربوي بين الخوف والرجاء وهذا التوازن هو الذي يوجب تكامل وتربية الإنسان، كما ورد أن المؤمن هو من تساوى الخوف والرجاء في قلبه[٣]، فلا يشتد فيه الخوف بزيادة على مقدار الرجاء، كما لا يشتد فيه الرجاء زيادة على مقدار الخوف، بل كل ما اشتد خوفه اشتد رجاؤه بقدره، وكلما اشتد رجاؤه بدرجات، اشتد خوفه بقدر ذلك أيضاً، وهذه حالة توازن تربوي بالغ الأهمية، ومن ثمّ ورد أن «الفقيه كل الفقيه من لم يؤيس الناس من روح الله ولا يؤمنهم مكر الله ولا يقنطهم من رحمة الله ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه، ألا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢١.

(٣) وسائل الشيعة. ج١٥ :٢١٦ .

تفقه، ولا في علم ليس فيه تفهم»[١] والمراد أن الفقيه الذي يفهم الدين بأنه هو ما اشتمل عليه من القسمين من الخطاب و أن لا يرجّح كفّة الخطاب الأول على الثاني، ولا كفة الخطاب الثاني على الأول، بل يوازن بين الخطابين، ومن ذلك يُعلم ضرورة الخطاب الأول، وهو خطاب الثواب والمغفرة والرجاء، بقدر ضرورة الخطاب الثاني وهو خطاب الوعيد والإنذار والتهديد والعقاب، ولو اقتُصر على الخطاب الثاني لأدّى إلى الكفر، لأنه يوجب القنوط من رحمة الله واليأس، وهو كفر بالله سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فالإيمان لا يقوم صرحه إلّا بهاتين الدعامتين والركنين، الرجاء والخوف. وهدم أحد الركنين هدم للإيمان فاتضح أن هذا القائل ليست نظرة له سديدة حول حقيقة الإيمان، وأن مقتضى قوله يوجب الإيمان ببعض الكتاب دون البعض الآخر، قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ وهذا لا يستقيم بحال.

وإلّا لو اقتصرنا على الخطاب الثاني أيضاً دون الأول، لزم من ذلك كثير من المحاذير الماحقة للدين، فلا يعتدل صراط الدين القويم إلّا بالتوازن بين الخطابين والجمع بينهما بالانضمام كما ورد: «**أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن**»[٢]، أي بين الخوف والرجاء، واتضح أن هذا القائل ينظر بعين واحدة لا بعينين، ومال إلى بُعد واحد من أبعاد الدين وغفل عن البعد الآخر مع أن الحكمة الإلهية في الخطاب الديني لإصلاح

---

(١) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ١٠٠

(٢) امالي السيد المرتضى ج٢ :٢

العباد إلى يوم المعاد، هو على الجمع بين الخطابين من دون الإنكار والجحد بأحدهما.

أما ثانياً:

فدعوى القائل بأن الذي يدفع ويغري من يرتكب المعصية وبعض الكبائر هو الوَعد بالثواب، فهذه دعوى غير مطابقة للحقيقة ولا تمت للواقع بصلة، فإنّ غالب الداعي إلى ارتكاب المعاصي ليس إلّا الشهوات والغرائز، وتزيين الشيطان بالسوء والفحشاء، وهذا طابع عام في أفراد البشر كما هو مفاد قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. ومع هذا الوصف لحال الإنسان فارتباطه بسُبل النجاة عاملٌ إيجابي عظيم يفتح باباً للرجوع إلى طريق الصواب، بخلاف ما لو قُطعت كلّ خيوط الارتباط بأبواب الصلاح والفلاح فإن ذلك يوجب التردّي في هوة سحيقة يصعب أمل النجاة منها؛ وهذا مضمون ما وَرَدَ **«اتق الله بعض التقى وإن قل واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق»**[1].

كما هو الحال لو كان المرتكب للكبائر والفواحش غير تارك للصلاة أو للصيام أو للحج أو لفعل خير من الخيرات أو للزوم المساجد، فإن هذا الارتباط والصلة بهذه النافذة من أبواب الخير، لا يسوغ قطعه على العصاة وأصحاب الكبائر.

إذ أنه حلقة من سلسلة النجاة، وطريق من طرق الهدى، وكيف توصد هذه الأبواب، بل يكون الحال حينئذٍ من قبيل قوله تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً

(١) وسائل الشيعة ج١١: ١٩١.

وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فصلاح العمل كالصلاة والصوم أو أي برّ من أبواب الخير لا يُنكر فضله لأجل ارتكاب الفاعل المعاصي من جهة أخرى، وإن كان ارتكاب المعاصي يؤثر سلباً في قبول العمل الصالح، لكنه لا يتغاير عمّا هو عليه من حقيقة، كما هو مفاد الآية المحكمة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ! وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2].

ـ وقوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

وغيرها من الآيات الذاكرة مثقال حبة، أو مثقال ذرة، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، الدالة على عظمة عدل الله سبحانه.

فكيف يستقبح من أهل المعاصي الأعمال الصالحة منهم، ويستنكر عليهم المشاركة والإسهام في أعمال البر... بل هذا الاعتراض عليهم هو عين الإغراء لهم بالتوغل في المعاصي والانقطاع عند التشبث بأبواب الرجوع إلى الصلاح والتوبة والاستغفار.

والثواب المرجو على فعل الصلاة أو أبواب البرّ أو على الشعائر الحسينية هي في الحقيقة محفزة وموطّدة لبقاء تمسك العصاة بخيط من خيوط التوبة والإنابة، وليس الوعد بالثواب يكون سبباً لإيقاعهم في المعاصي.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٢.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

إعتراضات أخرى على البكاء:

النمط الثاني:

ماورد في مقدمة كتاب لمقتل الحسين عليه السلام، انه لولا امتثال أمر السنّة والكتاب في لبس شعار الجزع والمصاب لأجل ما طُمس من أعلام الهداية وأُسّس من أركان الغواية، وتأسّفاً على ما فاتنا من تلك السعادة وتلّفهاً على أمثال تلك الشهادة، وإلّا كنّا قد لبسنا لتلك النعمة الكبرى (وهي سمو الحسين عليه السلام وأصحابه إلى مقام لقاء الله ببذل أرواحهم وأجسادهم، وتسابقهم لنيل الشهادة). أثواب المسَرّة والبشرى، وحيث أن في الجزع رضا لسلطان المعاد، وغرضاً لأبرار العباد، فها نحن قد لبسنا سربال الجزوع وأنسنا بإرسال الدموع، وقلنا للعيون جودي بتواتر البكاء، وللقلوب جدّي، جدّ ثواكل النساء، فإن ودائع الرسول صلى الله عليه وآله الرؤوف أبيحت يوم الطفوف، ورسوم وصيته بحرمه وأبنائِه طُمست بأيدي أمته وأعدائه..

فلم لا تواسون النبي صلى الله عليه وآله بالبكاء..

في فضل البكاء:

ـ وفي كتابٍ آخر ورد: **«أقول ولعلّ قائلاً يقول: هلّا كان الحزن الذي كان يعملون من أول عشر المحرم قبل وقوع القتل... ووقت السرور مسرورين»**.

ـ ويرد عليه:

أولاً: أن سمو سيد الشهداء عليه السلام إلى الرفيق الأعلى قد حصل لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء ولسيد شباب أهل الجنة، مع أن تفجّع

أهل البيت عليهم السلام على وفاة النبي أمرٌ بالغ الذروة، وشدة حزن الزهراء عليها السلام على أبيها لم يتحمّله أهل المدينة لعظمته، وحزن أمير المؤمنين عليه السلام على شهادة الصديقة هو الآخر وكذا حزن الحسنين كان بالغاً. وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام تدلّ على شدة وبقاء حزنه إلى آخر حياته، على فقدان رسول الله صلى الله عليه وآله والزهراء عليها السلام (جواب أمير المؤمنين لمن سأله عن سبب عدم خضابه).

وفعلُ أصحاب الكساء هو أكمل السنن وأرفعها، كيف يغفلون عن الفرح لو كان حقاً لا باطلاً. وكذلك حال سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله عند استشهاد عمّه حمزة بل قد أغمي عليه صلى الله عليه وآله من البكاء كما مرَّ. وندب بإقامة المآتم عليه، حيث قال صلى الله عليه وآله: **«إن عمّي حمزة لا بواكي له»**؛ وكذلك موقف الرسول صلى الله عليه وآله في وفاة أبي طالب وخديجة عليهما السلام. حتى سمّى صلى الله عليه وآله ذلك العام بعام الحزن.. وكذلك بكاء أمير المؤمنين عليه السلام وحزنه على أبيه أبي طالب وعلى أمه فاطمة بنت أسد، وعلى استشهاد أخيه جعفر الطيار (قول أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك).

وكذلك بكاء سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله عند موت ابنه إبراهيم وقوله: **«إن القلب ليحزن والعين لتدمع ولا نقول إلّا ما يرضي الربّ»**[١].

ـ وقد اعترض عليه بعضهم، فأجاب صلى الله عليه وآله: **«البكاء من الرحمة...؟»**[٢].

وكذلك حزن كل إمام على شهادة والده من الأئمة، وفي دعاء النبي إبراهيم أن يرزقه الله بنتاً كي تندبه بعد وفاته[٣].

---

(١) وسائل الشيعة : أبواب الدفن

(٢) السيرة الحلبية ج٣ : ٢٩٥

(٣) أبواب مقدمات النكاح وأبواب أحكام الأولاد

ـ وقد ورد في رجال الكشي: إن الباقر عليه السلام أوصى ابنه الصادق بمال ينفقه، على نوادب يقمن المأتم عليه في منى يندبنه ثمان حجج[١].

ـ فكل هذه السيرة وغيرها، كيف لا تجد موضعاً من الموارد فيها إقامة فرح.. ولو أن إقامة الفرح كان حقاً لعُمل به ولو في بعض الموارد.

ثانياً: وقد ثبت في مصادر الفريقين كما مرَّ؛ أن السماوات بكت دماً، والجنة ومن فيها؛ وجهنم ومَن فيها حتى أن أهل النار لم يشغلهم ما هم فيه من العذاب عن البكاء على سيد الشهداء عليه السلام لشدة الحرقة والحزن والأسى، مع أن مقتضى لقياء أهل الآخرة بمقدم سيد الشهداء عليه السلام عليهم حسب زعم هذا القائل هو أنهم يفرحون ويُسرّون، مع أن لقياهم وإن كان مسرّة وفرحٌ به إلّا أنه لم يشغلهم عن موجب الحزن مما يدلّل على أن جانب الحزن أشد خطورة ورعايةً من جانب الفرح، وأنه لا يسوغ إهمال عظمته وأهميته؛ بل قد ورد أن الملائكة ضجّت إلى الله عند مقتل الحسين عليه السلام (الرواية)[٢].

ثالثاً: إن الفرح لا محالة سيكون تضامناً مع بني أمية والظالمين، كما ورد في زيارة عاشوراء، ويوم عاشوراء يوم فرحت به آل أمية وآل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين عليه السلام....)، فيكون فعل المؤمنين بإقامة الفرح والسرور شماتةً بأهل البيت عليهم السلام. وتأييداً لأعداهم ومناوئيهم.

ولا زالت سنة العداء والنصب لأهل البيت عليهم السلام قائمة، بحيث يسمون يوم عاشوراء بـ(عيد الظفر)....

---

(١) التحفة السنية ٣٧٥.
(٢) الكافي ج١ :٤٦٥

رابعاً: أن ما أفاده من البُعد الأخروي في واقعة الطف، وهو بُعد جمالي من إسم الجميل ونحوه من الأسماء الجمالية لا يزيل البعد الآخر من مظهر الاسم الأخر الإلهي (العدل) الذي تجلّى به في عالم الدنيا، وهو يقتضي الانعطاف ورقة القلب، وسيل الدمعة، وانكسار القلب، لاسيما عند قوله تعالى في الحديث القدسي: **«أنا عند المنكسرة قلوبهم»** فمقام الجمع أكمل في قاعدة الأسماء الإلهية وتجلياتها من الاقتصار على اسم إلهي واحد، لاسيما وأن الاسم الجلالي كالمنتقم والعدل والحاكم قد غلب تأثيره على الاسم الجمالي الخاص (الرحمن) بالرحمة الخاصة حتى في ملكوت السماوات والأرضين كما تشير إليه الروايات مما تقدم ذكره من بكاء أهل السماوات والأرضين والجنة والنار، وإنْ كان هذا الاسم الجلالي هو منطوي تحت اسم جمالي بالمعنى العام الرحمن والرحيم بالرحمة العامة التي وسعت كل شيء، وهذا الخطأ وهو عدم ملاحظة مجموع ومقام الجمع في الأسماء الإلهية هو الذي يقع فيه الصوفية وجملة من العرفاء كثيراً في جملة من أبواب المعرفة، حيث يلحظون مقتضى بعض الأسماء الإلهية، ويغفلون عن مقتضى اسم إلهي آخر، أو بعض الأسماء الأخرى، ولا عجب في ذلك فإن مقام الجمع الأسماء فضلاً عن مقام جمع الجمع صعب المنال، ولا يستقيم عليه إلّا بما أوصاه جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في وصيته للمفضّل بن عمر من أنه لا يُحفظ الظاهر إلّا بالباطن كما لا يُحفظ الباطن إلّا بالظاهر[1].

ومن استقام على ثوابت الشريعة وتمسّك بمحكمات الدين من الثقلين قد استمسك بالعروة الوثقى ونجا عن الإفراط والتفريط[2].

---

(١) بحار الأنوار .

(٢) مصادر عن البكاء: باب ٢٤، ٢٥، ٢٦/ كامل الزيارات، ٢٧، ٢٨.

وقد روى ابن قولويه في كامل الزيارات روايات مستفيضة منها: انه لم يُرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وُجد تحته دم عبيط.

وبكاء الجن والطير عليه عليه السلام حتى ذرفت دموع الوحش ـ.

وبكاء السماوات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهنّ، ومن ينقلب عليهن، والجنة والنار ومن فيهما، وما خلق ربّنا، وما يُرى وما لا يُرى[١].

وما من عين أحبّ إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باك يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة عليها السلام، وأسعدها عليه، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقنا، وما من عبد يُحشر إلّا وعيناه باكية، إلّا الباكين على جدي الحسين فإنه يُحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّن على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون، والخلق يُعرضون، وهم حُدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش، وفي ظل العرش، لا يخافون سوء الحساب، يُقال لهم أدخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه[٢].

و هناك أربعة آلاف ملك نزلوا لنصرة الحسين، ففاتهم نصرته فهم عند قبره شعث غبر.

الصادق عليه السلام: «**أحمّرت السماء مثل العلقة حين قُتِل الحسين عليه السلام سنة**»[٣].

وقد وردت روايات متعددة تتضمن الثواب العظيم للبكاء على الحسين عليه السلام[٤].

---

(١) كامل الزيارات: باب ٢٦/ ح٤، ح٧ معتبرة الفضلاء.
(٢) كامل الزيارات: باب ٢٦/ ح ـ باب ٢٧
(٣) كامل الزيارات باب ٢٨/ ح٩ ح٧ ح٢٧ ـ باب ٢٦: ٩ أحاديث ـ ٢٧: ٢٠ حديث ـ ٢٨: ٢٧ حديث.
(٤) كما ورد في باب: ٣٢ في صحيح محمد بن مسلم

ـ عن زرارة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: **«ما من باكٍ يبكيه إلّا وقد وصَل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصَل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدّى حقنا، وما من عبد يُحشر إلّا وعيناه باكية إلّا الباكين على جدي الحسين عليه السلام، فإنه يُحشر وعينُه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّنٌ على وجهه، والخلق في الفزع وهم آمنون. والخلق يُعرضون وهم حدّاث الحسين عليه السلام؛ تحت العرش وفي ظل العرش، لا يخافون الحساب...**

فيقولون الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر، وأهوال القيامة، ونجّانا ممّا كنا نخاف»[1].

ـ وعن صفوان الجمال، عن أبي عبدالله عليه السلام ـ قال: **سألته في طريق المدينة، ونحن نريد مكة، فقلت: يا بن رسول الله ما لي أراك كئيباً (حزيناً) منكسراً؟ فقال: لو تسمع ما أسمع، لشغلك عن مسألتي، فقلت: وما الذي تسمع؟ قال: ابتهال الملائكة إلى الله عز وجل على قتلة أمير المؤمنين، وقتلة الحسين عليه السلام ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتهنّأ مع هذا بطعام أو شراب أو نوم»**[2].

ـ بل وردت روايات تدلّ على استحباب الاستمرار ودوام البكاء على سيد الشهداء عليه السلام[3].

ـ وعن الصادق عليه السلام: **«إنَّ الأرض والسماء لتبكي منذ قُتل أمير المؤمنين عليه السلام** رحمةً لنا ـ وما رقأت دموع الملائكة منذ قُتلنا»[4].

---

(١) كامل الزيارات : باب ٢٦/ ح٨.
(٢) كامل الزيارات : باب ٢٨/ ح٢٣.
(٣) كامل الزيارات : باب ٣١، ٣٠
(٤) كامل الزيارات : باب ٣٢/ ح٧

ـ وعن الصادق عليه السلام: **«قطرة من دموع الباكي على الحسين عليه السلام تطفئ حرّ نار جهنم»**.

ـ وعن الصادق عليه السلام: **«وإن الموجع قلبه ليفرح يوم يرانا عند موته فرحةً لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض»**(١).

ـ وورد: **«ما من عينٍ بكت لنا إلّا نعمت بالنظر إلى الكوثر، وسقيت منه مع من وإن الشارب منه ليُعطى من اللذة والطعم والشهوة له أكثر ممّا يعطاه من هو دونه في حبنا أحبنا»**(٢).

ـ و منها:

ما رواه في كامل الزيارات، في مصحح أبي هارون المكفوف: **«من ذكر الحسين عنده، فخرج من عينيه من الدموع مقدار جناح ذباب، كان ثوابه على الله، ولم يرض له بدون الجنة»**(٣).

ـ وقد روى في كامل الزيارات قولهم عليهم السلام بطرق مستفيضة، **«أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام دمعةً حتى تسيل على خدّه، بوّأه الله بها غرفاً في الجنة يسكنها أحقاباً»**.

وفي بعضها: **«حرم الله وجهه على النار»**.

وفي بعضها: **«غفر له ذنوبه ولو كانت كزبد البحر»**(٤).

---

(١) كامل الزيارات : باب ٣٢/ ح٧.
(٢) كامل الزيارات : باب ٣٢/ ٧.
(٣) كامل الزيارات :باب ٣٣/ ١.
ـ ورواه في ثواب الأعمال: ص١٠٩.
٤. كامل الزيارات : باب ٣٢.

الموقف الصوفي العرفاني المعترض على البكاء والعزاء:

قال جلال الدين الرومي (مولوي، مثنوي) في الكتاب السادس من مثنويات: أن شاعراً دخل مدينة حلب يوم عاشوراء وتفاجئ بطقوس أهلها في مثل هذا اليوم وهي إقامة العزاء والمآتم على سيد الشهداء، وحيث كان الشاعر لا يعرف صاحب العزاء، أخذ يسأل الناس عنه، علّه يشارك بشعره في رثائه، فقالوا له: اليوم ذكرى استشهاد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: لكنه مات قبل قرون، أمّا العزاء والمآتم فأقيموه على أنفسكم فهو ليس بحاجة له، لأنه أسعد إنسان في مثل هذا اليوم، وأنشد يقول:

أبكـــوا عـــلى غفلـــتكم لأ ... نَّ الجهل أبشع مراتب المـوت
الروح تشمخ إنْ تخلَّـت عـن ... الجسد فلم نبكي ويعرونا السواد
إنَّ هــذا الســليل المصــطفى ... بعروجه غنّوا وكونوا فرحين
فهو قدْ نال بذلك سعادة أبدية ... وتخلّى عن قيود الدنيا الغـرور

فينبغي لنا أن نبتهج ونفرح لكل من يهجر هذه الدنيا

جواب الشبهة والاعتراض:

أن في الدعوة إلى الفرح إغضاء وإهمال وإغفال عن قُبح المنكر الذي ارتكبه الظالمون في حق الحسين عليه السلام، وتبييض لظلامهم وتغطية لقباحة ظلمهم، وبالتالي رضىً وذوبان في سوء فعلهم، لأن مَن رضي عمل قوم أُشرك معهم.

وأين البراءة من الظالمين وأهل الباطل.. فالبكاء ينطوي على فلسفة

عظيمة هي التبري من فعل الظالمين، وقد ورد أن أوثق عُرى الإيمان: الحب في الله والبُغض في الله. وكما في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ﴾، والفرح رضا بما فعل أهل الباطل في التعدّي على حرمات الله ورسوله، بينما البكاء والحزن والأسى عبارة عن نفرة وبراءة وسخط على تلك الأفعال السيئة الشنيعة.

فمن الواضح أن هذه الدعوى وهذا المنهج هي دعوى لذوبان وخلط الحق بالباطل، والفضيلة بالرذيلة، لكي لا يتميّز، ولا يكون فرقان في البين.

وهذا نهج اختطّه الصوفية والعرفاء لأنفسهم، لتبنيّهم التولّي من دون التبري.

والرضا من دون سخط، والتحسين من دون تقبيح، والجنة من دون نار، والثواب من دون عقوبة، وأسماء الجمال من دون أسماء الجلال. فهو إيمان ببعض الكتاب وكفرٌ ببعض آخر. ومن ثمّ خالفت سيرتهم سيرة النبي وأهل البيت عليهم السلام في جملة من الموارد، ومنها هذا المورد، مما قد استفاضت روايات الفريقين في بكاء النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة وأهل البيت عليهم السلام على مصاب الحسين عليه السلام ولعن قاتليه... لذا لا ترى لفلسفة اللعن تجاوب لدى الصوفية والعرفاء مع أنها سنة إلهية في القرآن، وسنة نبوية في الحديث والسيرة، وسنة الأئمة الميامين، لا ترى لهذه السنة أثراً في أدبيات الصوفية والعرفاء.

مع أن التحلية لا تتمّ إلّا بالتخلية، واكتساب الفضائل لا يتم إلّا بنبذ الرذائل، وإقامة التوحيد لا يتم إلّا بنفي الشريك.

ومن ألوان وطابع هذا النهج هو ما يؤدي إليه من الانعزال عن

المسؤولية الاجتماعية وعن التصدي للإصلاح الاجتماعي والتغيير ومواجهة الفساد، والاقتصار في التركيز فقط على البعد الروحي الفردي من دون اكتراث بجانب الحياة الاجتماعية والظواهر المنتشرة فيها، فهي تقود إلى نحو من العزلة المذمومة، وحبس الدين عن مسار الحياة الاجتماعية والسياسية والإبتعاد عن المسؤوليات الإجتماعية والسياسية .

إعتراض السلفية على البكاء:

أن بكاء الشيعة هو بسبب تأنيب ضميرهم مما ارتكبوه أنفسهم من قتل الحسين عليه السلام، شعوراً بالخطيئة، وترويحاً للضمير من الذنب.

وفيه:

أولاً: أن المعترض، يعترف بأن مسؤولية قتل سيد الشهداء عليه السلام التي ارتكبت في سنة ٦١هجـ يتحمل وزرها الأتباع والأبناء والأجيال اللاحقة، ولو تطاولت قروناً مديدة إذا كانوا راضين بأفعال أولئك.

وهذا يفتح معنى آخر وهو لزوم التبريّ من قتلة سيد الشهداء، ومما ارتكبوه من ظلم في حق أهل البيت عليهم السلام، فلماذا لا نرى هؤلاء المعترضين لا يقومون بالحداد وشعائر الحزن على سيد الشهداء؟، ولماذا لا يستنكرون كل عام هذا القتل والظلم، بل نراهم يستنكرون مواساة الحسين عليه السلام في ذلك الحزن الذي هو مواساة لسيد الأنبياء وسيد الأوصياء وسيدة النساء.

ثانياً: من البيّن تاريخياً أن الكوفة لم تكن مذهبها آنذاك هو مذهب التشيع كمذهب طاغي على أهلها؛ بل كان شيعة أهل البيت أقلية في الكوفة، وقد كُتب في ذلك وحُرر الكثير من الرسائل المعتمدة على المصادر

التاريخية القديمة.

ثالثاً: أن المعترض، لا يوجد في قاموسه فكرة المواساة لسيد الأنبياءﷺ وأهل بيتهعليهم السلام في هذا المصاب الجلل ويستبطن اعتراضه التنكّر للحزن على سيد شباب أهل الجنة مما يكشف عنه رفضه لفضل سيد الشهداءعليه السلام في الدين وعند اللهعزوجل.

ولا عَجب في ذلك بعد إعراضه عن قوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

ركنية الحزن والأسى في ماهية الشعائر الحسينية:

قد يرد إعتراض أن شعائر عاشوراء هي شعائر حزن ومصيبة، مضادة لمشاعر التفاؤل والفرح والاستبشار، بل هي متضمنة للأسى واللوعة والحداد، ووجدان مضطرب وتأنيب للضمير، ومشاعر عاصفة، تُنقل من جيل إلى جيل، لاسيما وأن شعائر عاشوراء هي في مستهلّ السنة الهجرية، بينما يستهلّ البشر في بداية سنتهم بمشاعر الفرح والأمل، نجد أن الشعائر الحسينية تبث الحزن والهمّ والكآبة والإياس.

والسبب في كون الشعائر العاشورية، تأنيباً لضمير الشيعة ويمارسونها كتكفير للذنب بجلد الذات والنفس، كعقوبة يكفرّون بها ذنوبهم وخطاياهم..

وتقصيرهم حيث خذلوا الحسينعليه السلام وقاموا بقتله أو الإعانة عليه.. لأن الكوفة حاضرة التشيّع الأولى.. هي التي قتلت الحسينعليه السلام.. وهناك إحساس جماعي بالندم، لعدم نصرتهعليه السلام في خضمّ تذكّر أحداث المأساة.. في أعماق اللاوعي الشعبي، وشعور مرير بالهزيمة الحضارية التي تعيشها

الأمة.. فتتفاقم المعاناة والتخلّف والتمزّق..

جواب الإعتراض:

١ - انه مبني على الغفلة والجهل بحقيقة البكاء، ودواعي البكاء ومناشئه وإيجابياته.

٢ - تخيّل أن داعي وهدف العزاء ناشئ من تأنيب الضمير، وأن العزاء واللطم والتطبير، أسلوب من إقامة العقوبة على النفس وجلد الذات، بينما الحقيقة غير ذلك فإن البكاء ناشئ من فرط المودة لقرب النبيﷺ والمعرفة الإيمانية بفضائلهم ومقاماتهم عند الله سبحانه وفي الدين، وناشئ من شدة الإستياء لقبح ظلم الظالمين لهم، وهتك حرمة الله تعالى وحرمة الرسول فيهم.

٣ - منهج أهل البيت أصدق وأحق منهج بالطابع السلمي، واحترام كرامة الإنسان.

امتزاج الحزن عليهم بالإبتهاج بهم:

إن الكثير يحسب أن مراسم العزاء والحزن على أهل البيتE، متمحضة بالهمّ والغمّ واللوعة والأسى والتفجّع... بينما واقع الحال أنا نشاهد امتزاج هذه الحالات بحالات الشوق والابتهاج والارتياح والانبساط النفساني، وذلك حيث يتم استعراض مناقب أهل البيتعليهم السلام وفضائلهم وما أولاهم الله سبحانه من كرامات في الدين والدنيا والآخرة.. فإن استعراض ذلك، وهو باب واسع لا ينتهي إلى حدّ، يتم في مراسم عاشوراء وفي أيام الوفيات، وأيام إقامة العزاء... وهذا ملحوظ بكثرة، فإن مجالس ذكر أهل البيتعليهم السلام لا تخلو من ذلك قط، ومؤشر على أن حقيقة الجو النفساني التي تربيه الشعائر الحسينية وأهل البيت، يتزاوج فيه الحزن

على مظلوميتهم والفرح لإيتاء الله لهم جميع الكرامات والمقامات السامية ..

فيكون الحزن على مصابهم.. والبهجة بكرامات الله لهم... فليس كآبة محضة بل ممتزجة مع عظم الأمل وكبير الرجاء، وشدة الثقة بزلفى الباري تعالى لهم عليهم السلام .

وكذلك تقترن اللوعة مع الانبساط.. والدمعة مع تهدّل الوجه، وهذا ممّا يعطي جانباً تربوياً عظيماً متوازناً في تربية النفس الإنسانية.. فإنّ الحزن والأسى قطيعة وتبري عن الانحراف الذي سار به الظالمون من أعداء آل البيت عليهم السلام، وما ارتكبوه من جنايات في حقهم عليهم السلام.. بينما الفرح انجذاب للفضيلة والكمال، وللمعالي والمكرمات.. وهذا ما نجده في ما ظهر على سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء.. فإن أرباب المقاتل قد نقلوا عنه كلا الحالتين.. فنُقل شدة بكائه وتفجعه على ابنه علي الأكبر وأخيه أبي الفضل العباس وذويه وأصحابه، كما نُقل أيضاً أن وجهه يزداد تهللاً وإشراقاً كلما قربت شهادته.. في قول الراوي: **«... ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه»**[1] .

وكذا قوله عليه السلام: **«خطّ الموت على ولد آدم... فحط القلادة على جيد الفتاة»**[2] .

فترى أن كلامه عليه السلام قد اشتمل على كلا الأمرين:

على ذكر المصاب الجلل والظلامة العظمى، وكذلك على قمة الأمل

---

(١) لواعج الأشجان ص١٨٤.
(٢) مثير الأحزان ص٢٩.

والفرح والسعادة من لقاء أسلافه العترة الطاهرة..

وهذا التوازن عامل تربوي عظيم، فيه حِكم أُخرى بديعة، فإنه يحافظ على النفس من الغرور والاغترار بالأمل، وذلك بإذاقة النفس مرارة المعاناة .. نظير الجمع بين صفتي الخوف والرجاء المؤثرة في تكامل النفس بتأثير بليغ كما في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾... وهذا نجده جلياً في خطاب العقيلة عليها السلام في مجلس ابن زياد: «**.... ما رأيت إلّا جميلا هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم**»[1].

وكذلك خطابها في مجلس يزيد فإنّها في حين نعت الحسين عليه السلام، إلّا أنها أيضاً ذكرت الأمل وعلو الإيمان بالفرج، حيث قالت: والى الله المشتكى وعليه المعول، فكد كيد واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا[2].

ومن ذلك نخرج بقاعدة تربوية روحية معرفية اعتقادية وخلقية أن المؤمن لا بد له في ترويض روحه، وصقل عقيدته من اقتران وانضمام كلا الجانبين لديه.. أي استعراض البلاء مع استعراض الجزاء الإلهي الوافر، الذي يسمح للنفس بالقوة على الصبر والشدائد، ويزيد من تحمّلها ونشاطها وحيويتها.. مع تأديب النفس بالمرارة كي لا تطغى وكذلك الحال، على المستوى المعرفي الاعتقادي، فإن قضاء الله وقدره كما اشتمل على البلاء، فقد اشتمل على جزاء النعيم والفوز العظيم..

---

(١) مثير الأحزان ص٧١.
(٢) لواعج الاشجان ص٢٣٠.

كما هو الحال في رغيد العيش في طريق الحرام والباطل، هو ذو عاقبة أليمة، ومرارة عظيمة.. وبذلك تتزّن رؤية الإنسان وبصيرته تجاه حقائق الأمور..

ثم على ضوء ما تقدم يظهر وجه مزج أتباع أهل البيت عليهم السلام لذكر مصائبهم عليهم السلام حتى في أيام مواليدهم وأفراحهم..

أقوال الأئمة في ذلك:

فقد وُصف الامام الحسين عليه السلام في عدة من الزيارات والروايات بأنّه صاحب المصيبة الراتبة..

ويستفاد من هذا الحديث والزيارة الشريفة، أن ذكر مصيبة سيد الشهداء بالعزاء وإقامة مجالس النوح والرثاء وغيرها من آليات الشعيرة، يكون فعله في التشريع مداوم، دائب ودوري في كل يوم وفي كل ساعة، ولا يقتصر الدليل على ذلك بهذا الحديث والزيارة الشريفة، بل إن الحثّ المتواتر في الروايات على زيارته في كل وقت، وفي كل يوم، من بعيد ومن قريب هو الآخر دال على ذلك أيضاً، لأنّ زيارته عليه السلام متضمنة لرثائه وذكر مصابه والبكاء عليه. وهذا المنحى والديمومة في الأوقات هو الآخر يستفاد من متواتر الحث على زيارة النبي صلى الله عليه وآله، والوصي عليه السلام والصديقة عليها السلام، وباقي الأئمة عليهم السلام. حيث تضمنّت زياراتهم، استعراض ما جرى عليهم من المصائب والمحن، وهو بمثابة مجلس رثاء وتشيد عزاء[1].

(١) رؤيا السيد باقر الموسوي الهندي للإمام الحجة المهدي عجل الله فرجه الشريف ليلة عيد الغدير كئيباً حزيناً فحينما سأله السيد عن سبب ذلك مع أن المناسبة هي للفرح والسرور، أنشئ الإمام عجل الله فرجه الشريف

ولا يتنافى ذلك مع القاعدة المستفيضة عنهم عليهم السلام في وصف الشيعة: **«أنّهم يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا»**[1]، فإن المطلوب ليس التوقيت بالزمن فقط، بأن يكون فرح الشيعة في أوقات فرحهم، وحزنهم في أوقات حزن العترة عليهم السلام، كما ورَد عن موسى بن جعفر عليه السلام يظهر عليه الحزن بدخول أول محرم، ويشتدّ معه كلما قرب من يوم العاشر.

قال الرضا عليه السلام: **«كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه، حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبة وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام»**[2].

ـ وكما ورد عن الصادق عليه السلام: **«أفي غفلة أنت، أما علمت أن الحسين عليه السلام[3] أصيب في مثل هذا اليوم»**، وقد ورد النهي عن صيامه.. لأن الصيام يُعدّ مظهراً من مظاهر الفرح والبهجة.

فإن توقيت فترات زمنية للحُزن وهي التي وقعت فيها حوادث المصاب لا ريب فيه، وكذلك توقيت الفرح بأزمان وقعت فيها مسرات لهم لا ريب فيها أيضاً..

هذا البيت:

لا تراني اتخذتُ لا وعلاها بعد بيت الأحزان بين سرور

مأساة الزهراء :٢٧.

(١) الخصال :٢٨٧.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ١٩١.

(٣) وسائل الشيعة ج١١ ص٤٥٩.

ولكن مفاد القاعدة الشريفة أعم من ذلك حيث يُراد من فرحهم هو أسباب الفرح، كبركة مواليد المعصومين إذا ذُكروا ولو في غير أيام الميلاد.. أو بما لهم من مشاهد شرّفها الله بهم، مثل حادثة الغدير، والمباهلة وحديث الكساء، وميلاد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، إلى غير ذلك من مناسبات الإبتهاج وذكريات الفرح، فإنها كلها يُستبشر بها، ويُبتهج بها، في أي وقت ذُكرت، وكذلك الحزن إنما يكون لأسباب حزنهم، يتحقق في أي وقت ذكر.. كما روي عن الامام السجاد عليه السلام من شدّة بكائه وحزنه أنه كان كلّما ذكر أباه الحسين عليه السلام استعبر وبكى... وكذلك الامام الصادق عليه السلام كان إذا ذكر جده الحسين عليه السلام، يبكي ويترك الأكل في ذلك اليوم[1].

---

١) الخصال للشيخ الصدوق ص:٢٧٣

الفصل الثامن

قاعدة: تعدد طرق الحكاية والإخبار عن الواقع

بقلم

رياض الموسوي

قاعدة
تعدد طرق الحكاية والإخبار عن الواقع

في تحرير الواقع والأحداث: لسان الحال . التصوير . التمثيل:

لا يخفى أن كشف الواقع، والوقائع الحادثة وحقيقة مجريات الأمور لا ينحصر بنقل الكلام والأقاويل للأشخاص الذين كانوا في أطراف الحَدث والواقعة، فإنّ ما دار بينهم من أقوال وكلمات لا يمثل تمام مساحة الحَدث بالضرورة، بل هناك مساحات لم تحكِها الكلمات وكذلك الشأن بالنسبة إلى الشخص الشاهد للحدث، فإن ما تحكيه كلماته الواصفة للحدث من عدسة عينيه ولاقطة أذنيه، لا تمثل تلك الكلمات تمام مساحة حقيقة الحدث، وإن كانت كلمات هذا الشاهد المشاهد والراوي والناقل تتطرق وتغطّي مساحات من الحدث ليست هي أقوال وكلمات كل أطراف الحدث، بل تشمل ما يكون من قبيل الأفعال والحالات والظروف الأخرى المحيطة والملابسات المختلفة، ولكن تبقى كلمات هذا الراوي المشاهد الناقل للحدث هي تعبّر عن جزء من مساحة حقيقة الحدث.. وتبقى مساحات كثيرة لا تُسجّل من حروف، وكلمات الرواة المشاهدين النقلة للحَدث، فيما إذا جمدنا على حرفية الحروف والكلمات التي وصفوا بها الحدث؛ وهو ما يُعبّر عنه في علم البلاغة بالمفاد والمدلول المطابقي للكلام.

ومن ثمّ تقصّى الباحثون عن الحقيقة، كما في علم القضاء، والبحث الجنائي، وفي علم التاريخ، وغيرها من العلوم التي يهمّها تحرّي الوقائع والأحداث، كعلم الفقه والكلام وغيرها من العلوم الدينية والشرعية، حيث أن مستند الحجية، لا ينحصر في قول المعصوم عليه السلام، بل يشمل فعله وتقريره، وفعله يشمل سيرته وحالاته وسجاياه وعاداته وشؤونه.. كما أن تقريره يشمل سيرة من عاصره من الناس وأحوالهم وشؤونهم.

بل يشمل الارتكازات المطوية الغامضة التي يجري عليها العُرف المعاصر له.

فنقل تمام هذه المساحات من الحقيقة، أو الوصول إليها لا يمكن الاقتصار فيه على الكلمات المنقولة من جميع الأشخاص الشاهدين للحدث فضلاً عن الاقتصار على الكلام المنقول بكلام الراوي، ومن ثمّ تعدّدت طرق الحجية في الوصول إلى حقيقة الأحداث عَبر جملة من القنوات والآليات، وهي:

الطريق الأول: دلالة الفعل:

دلالة الفعل، فالفعل مضافاً إلى حجية إسناده للفاعل، له دور آخر، وهو دلالته على مقاصد، ودواعي الفاعل من الفعل، فمن ثمّ أُطلق الكلام الإلهي على أفعال الله تعالى، كقضاء الله سبحانه فعل من أفعال الله، وقدره كفعل آخر، وكذلك فعل مشيئته، فكلٌ منها مرتبة من الكلام الإلهي يكشف به عن مقاصد إلهية، فالفعل والإيجاد في عالم الخلقة كلامٌ حقيقي، دال على معاني ومقاصد وراءه، وذلك بتوسط التحليل المُمعن غوراً، ومن

أمثلة قراءة قضاء الله تعالى وقدره ككلام وإرادة ما جرى من خطاب عبيدالله بن زياد لعنه الله للعقيلة زينب سلام الله عليها، من قوله: «كيف رأيت صنع الله بأخيك، قالت: ما رأيت إلّا جميلاً».

فإنه حاول أن يجعل قراءة قضاء الله وقدره كفعل إلهي دال على قصد الله تعالى بالنكاية والنكال لسيد الشهداء عليه السلام وهذه قراءة مزيفة لمدلول فعل الله بما هو بمثابة كلام إلهي دال على مقاصد إلهية.

فأجابته عليها السلام بأن مدلول قضاء الله وقدره، جمال مديح لموقف سيد الشهداء، ودلّت على ذلك بما قالت عليها السلام: «وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلَج، ثكلتك أمك يا بن مرجانة».

فأشارت بأنَّ قضاء الله وقدره في كربلاء إنما يُحسن قراءته، والصواب في قراءته هو بضميمة قضاء الله وقدره في العاقبة، فلا يصح بتر الأفعال الإلهية عن بعضها البعض لأنها بمثابة كلام يفسّر بعضه بعضاً، وعلى أية حال، فهذا دليل على أن الفعل الإلهي، حقيقته كلام وتكلّم منه تعالى مع البشر والمخلوقات، ولكنه إنما يحصّل قراءته من يلمّ بمجموع الأفعال الإلهية، ليكون متوفراً على مجموع الكلام والكلمات الإلهية.

ونظير ذلك ما قاله عبيدالله بن زياد لعنه الله للإمام السجاد عليه السلام، «ألم يقتل الله علياً»، فأجابه عليه السلام: «**كان لي أخ يدعى علياً قتله الناس...**».

فحاول ابن زياد زيفاً أن يُسند فعل الناس إلى الباري عز وجل، ويجعله فعلاً له، كي يقرأ منه أن المقصد الإلهي السخط على نهضة سيد الشهداء؛ فكذبّه الإمام زين العابدين عليه السلام، بأن هذا الفعل هو فعل الناس وليس فعل الله، فهذا وأمثاله نمط لقراءة الفعل بمثابة كلام دال على غايات ومقاصد وهذا منبع ومصدر

لقراءة الوقائع والأحداث.

الطريق الثاني: حجية التقرير:

حجية التقرير والإمضاء، مع أن التقرير ليس من القول المنطوق ولا من إبراز الفعل، بل هو حال صامت ودلالة مبطنة كامنة في طيات ملابسات الظروف.

الطريق الثالث: الدلالات الالتزامية للكلام:

لوازم القول، وهو نوع انكشاف للمعنى من قول القائل بما يستلزمه، أو تكلّمه بما يدل عليه من التزام، وقد تترامى هذه المداليل الإلتزامية عبر وسائط إلى حلقات بعيدة لم يقصدها القائل بالذات، ولم يلتفت إليها تفصيلاً ولكنها مطوية في كلامه بنحو يتوقف عليها من دون أن يشعر القائل بذلك، ومن ثمّ يُحتج على المتكلم بإقرارات كلامه من المدلولات الإلتزامية وإن لم يفطن لها المتكلم، ويكون من باب: إقرار العقلاء على أنفسهم جائز ونافذ.

وهذا نمط من استكشاف الحقيقة بعيداً عن الكلام المنقول وهو باب واسع.

ومن ثمّ تنسب هذه الأقارير من وإلى المتكلم أنه اعترف بها.

الطريق الرابع: إنشاء المعاني في النفس:

وهو ما يسمّى بحديث النفس، وهو نحو تخاطب بين النفس وذات الإنسان، وكثيراً ما يُحكى كمقولة يقولها الإنسان، ومن هذا القبيل النوايا

والخواطر وقد يُجعل من أمثلة هذا القسم، ما في قوله تعالى في وصف أصحاب الكساء: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

مع أن هذا الكلام لم يكن منهم عليهم السلام باللسان.

فحديث النفس وإنشاء المعاني في صفحة الخاطر أو غيره من بيوت النفس هو حديث وتكلّم للنفس. بل إنشاء الحالات التكوينية للنفس الحاملة لهوية وماهية المعاني هو تكلّم نفساني.

الطريق الخامس: المُجمل والمفصّل:

وهو بأن يتكلم المتكلم بكلام مُجمل لا بمعنى الإبهام، بل بمعنى إجمال ينطوي فيه تفاصيل كثيرة غير مصرّح بها ولكنها مُدمجة في المعنى الإجمالي، وتُستخرج بالتدبّر والتمعّن.

نظير قوله تعالى للملائكة عندما اعترضوا على استخلاف آدم: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم عاود سبحانه وتعالى الخطاب مع الملائكة.

ـ بعد تعليمه الأسماء وإنباء آدم للملائكة بالأسماء واعتراف الملائكة بقصور علمهم من علم الله تعالى وحكمته ـ عاود سبحانه بقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

فبيّن سبحانه وتعالى، تفصيلاً في معاودته للخطاب لهم، وأسنَد التفصيل إلى ما أجمله سابقاً ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ المجمَل، والمفصّل ﴿غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾ ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

ـ ونظير قوله تعالى لنوح لّما سأله في ابنه وأنه من أهله ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ فأجابه تعالى: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾[1].

حيث أن سؤال نبي الله نوح، عن وعد الله الحق هو إشارة إلى قوله تعالى لنوح قبل الطوفان ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ فكان استثناؤه تعالى مجملاً أوضح تفصيله لنوح في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، أن كنعان ابنه ممن سبق عليه القول.

فيصحّ إسناد الكلام المفصّل لمن تكلّم بالمُجمل بالمعنى المزبور كما يصح ا لعكس، أي إسناد المُجمل لمن تكلّم بالمفصّل ولعلّ هذا أحد الوجوه المفسِّرة لاختلاف نوع العرض للكلام والكلمات التي يسندها القرآن الكريم لأشخاص بين موضع وآخر في القرآن الكريم، سواء في تجاذب حوار أو كلام تخاطب.

الطريق السادس: لسان الحال والتصوير:

لسان الحال ـ ما دلّ على حالة الشيء من ظواهر أمره: وقد عُرِّف بعدة تعاريف، من أنه انكشاف المعنى عن الشيء لدلالة صفة من صفاته، وحال من أحواله عليه، سواء شعر به أم لا كما تُفصح آثار الديار الخربة عن حال ساكنيها، ودلالة سيماء البائس على فقره.

---

(١) سورة هود: الآية ٤٥.

ولا بأس في البدءِ أن ننقل كلاماً حول حقيقة لسان الحال وحكمه، في الحكاية والإخبار للسيد ابن طاووس في كتابه إقبال الأعمال.

قال: (ومن ذلك ما يتعلق بوداع شهر رمضان فنقول : إن سأل سائل فقال: ما معنى الوداع لشهر رمضان، وليس هو من الحيوان الذي يُخاطب ويعقل ما يقال له باللسان. فاعلم، أن عادة ذوي العقول قبل الرسول ومع الرسول وبعد الرسول يخاطبون الديار والأوطان والشباب وأوقات الصفا والأمان والإحسان، ببيان المقال، وهو محادثة لها بلسان الحال، فلمّا جاء أدب الإسلام أمضى ما شهدت بجوازه من ذلك أحكام العقول والأفهام، ونطق به مقدّس القرآن المجيد، وقال: جلّ جلاله: (يوم نقول لجهنم هل امتلأت و تقول هل من مزيد) ـ فأخبر أنّ جهنّم ردت الجواب بالمثال. وهو إشارة إلى لسان الحال وذكر كثيراً في القرآن المجيد، وفي كلام النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

وكلام أهل التعريف، فلا يحتاج ذوو الألباب الإطالة في الجواب[1].

ـ وقد قُرّر للسان الحال ضوابط وقواعد لضبط الدقة والصواب والسداد فيه، ونقدّم جملة من الأمثلة القرآنية الواردة على نمط لسان الحال، وقبل ذلك لابدَّ من الإشارة إلى أدلة واقعية الحكاية بلسان الحال وصدقها:

أدلّة واقعية لسان الحال:

الأول: أنه قد تسالم بين المفسرين من الفريقين على أن القرآن الكريم قد استعمل طريقة لسان حال في إسناد جملة من الكلام والأقوال للأشخاص

---

(١) إقبال الأعمال ج١: ٤٨١.

مع كون ذلك من باب لسان الحال، أي أن تلك الكلمات والكلام لم يصدر من أولئك الأشخاص بنحو الصوت الصادر من لسان المقال بل إنما هو حال وحالات أولئك دالة كلسان على تلك المعاني التي أسند صدور كلماتها عنهم، وهذا أكبر شاهد على كون طريقة لسان الحال طبق قواعد وضوابط هي مسوّغة لإسناد المقال إلى الأشخاص، وكذا إسناد الأفعال الإنشائية والمعاني الاعتبارية إليهم..

الثاني: قد تقدّم دليل ضرورة تعدد الطرق المتنوعة في الكشف عن الحقيقة لأن مساحاتها لا يمكن أن يغطيّها لسان القال والمقال وهي أعظم مساحة في الأحداث، إذ مشاهد الحال، بحرٌ مترامي فيها، ولسان المقال ليس إلّا بمثابة قشرة السطح.

الثالث: ما سيأتي من شواهد استعمالية في القرآن الكريم على ذلك.

الرابع: ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من أن لسان الحال أصدق من لسان المقال.

وفي نقل آخر، أفصح منه، وفي نقل ثالث أبين. وفي نقل رابع «أصدق المقال ما نطق به لسان الحال»[1].

والوجه في ما قاله عليه السلام أن لسان الحال يندرج في قسم سابع في بيان الحقيقة ألا وهو الكلام والكلمة التكوينية، حيث أن دلالة الأثر التكويني على المؤثر أو الآية على ذي الآية ليست بالوضع والاعتبار، بل بالدلالة العلمية والتسبّب التكويني، وانعكاس الأثر عمّا في المؤثر من صفات.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ١٢٤. وأيضاً: حكم الأمير عليه السلام لعلي بن محمد الليثي الواسطي.

الخامس: أن في لسان الحال معنى تصويريا للحدث هو أبلغ تأثيراً في تحسّس ولمس المشاهد بواقع المجريات والإدراك التفاعلي للوقائع من المعنى السمعي أو الفكري.

ـ أما استعراض شواهد استعمالية في القرآن الكريم على لسان الحال وليس من الضروري صحة هذه الأمثلة بأجمعها أنها من لسان الحال ولا يعني استعراضها، الموافقة على كون الجميع من مصاديق لسان الحال. ولكن يكفي صحة بعضها فضلاً عن غيرها من الموارد التي لم نستقص ذكرها في المقام، كما أن هذه الأمثلة بغض النظر عن صحتها تبين تسالم المفسرين على وجود لسان الحال كأسلوب في الحكاية عن الواقع والأحداث:

١ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيد﴾.

ومعنى كنود: أي لكفور، أي الكفر العملي لا الكفر المقالي.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

فإنَّ جملة من المفسرين، فسّروا إسناد القول ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ إلى أن المراد هو لسان الحال وأن حالها هو الانقياد التكويني له تعالى، وهو الطوع التكويني، كما أن إسناد القول له تعالى مخاطباً للسماء والأرض يُراد به الفعل التكويني منه تعالى الذي هو بمثابة تكلّم تكويني لا قولي ومقالي، وعلى هذا التفسير للآية يُقرر أن الكلام التكويني أصدق في انطباق عنوان القول عليه من المقال والكلام الصوتي.

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1].

فقد فسّر الآية غير واحد من المفسّرين أن خطاب الله للذرية في عالم الذر وإسناد القول له إنما هو بلسان الحال لا التخاطب بلسان المقال، بأن ركّب تعالى في فطرهم ما يشهد تكويناً بربوبيته تعالى.

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾.

فقد ذكر غير واحد أن إسناد ردّ الجواب المقالي إلى جهنم إشارة إلى لسان الحال.

بل وحملوا جملة من الآيات الواردة في عوالم الميثاق والعهد السابقة لنشأة الدنيا على لسان الحال واقتضاء الاستعداد كما في المثال اللاحق.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ أن الموجودات ناطقة بالحمد بلسان الحال حيث تشهد عظمة خلقتها على عظمة الباري سبحانه فهو بمنزلة ثناء وحمد وتمجيد.

ونظيره قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ بأنها فاعلة لذلك كأفعال قصدية بلسان الحال.

٦ ـ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ فكونهم يخاطبون بـ ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا . . . ﴾ بلسان الحال لا لسان المقال ومع ذلك ذكر في الآية كإسناد مقال.

٧ ـ وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

فقد فسّر السؤال كثير من المفسرين بأنّه ليس نطقاً وإنما باقتضاء حال وطبيعة المخلوقات أنها تفتقر إلى مَدد باريها فسؤالها هو بلسان الحال.

٨ ـ وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ فقد فُسّرت شهادة الكافرين على أنفسهم لا بنطق اللسان بل أن حالهم وموقفهم، وما هم عليه من ملّة شاهد على جحودهم وإنكارهم. فإصدارهم لأفعالهم بمثابة الشهادة من أنفسهم على كفرهم.

الوجه السابع: النقل بالمعنى ولسان الحال:

٩ ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾.

فقد اعتمد جملة من المفسرين ـ وهو الذي يظهر من الروايات الواردة في ذيلها ـ أن عباد الرحمن، حالهم في مقابلة جهالة الجهال أنهم يغضّون الطرف ويصفحون لئلا ينشغلوا بهم، وبترّهاتهم.

فإسناد قولهم أن ما يبدون من فِعال بمثابة هذا القول وأن ما يجيبون به خطاب الجهال كلاماً ينطبق عليه عنوان السِلم والصَفح، فإسناد لفظة السلامة إلى مقالهم بلحاظ المعنى وحال المضمون، وهو قريب من لسان الحال.

وهذا الوجه ينبّه على وجه آخر لاعتبار وحجية لسان الحال، وهو أن النقل بالمعنى معتبر ومعتد به، مع أنه ليس نقلاً حرفياً لألفاظ المقال لاسيما وأن النقل بالمعنى على طبقات ودرجات، فمنه القريب من ألفاظ مقال القائل، ومنه البعيد عن تلك الألفاظ، ولكن حقيقة المعنى متقررة في تلك المعاني، وهو نظير ما مرّ في باب الإقرار المقالي من الشخص المقر وعموم باب التقارير، حيث أنه يسند إلى المقر في ما قاله جملة من المعاني والأمور التي لم يلتفت إليها وإلى تفاصيلها، لا بالالتفات التفصيلي ولا بالالتفات الإجمالي...

فإسناد الإقرار إلى مقاله، وأنه أقرّ بذلك مقال قريب من لسان الحال، وهذا ما يفتح الباب واسعاً لاستكشاف الحقائق. وأن الطريق إليها، لا يقتصر على الألفاظ وحدود المعاني التي تكلم بها في نطاق السطح المطابقي للكلام.

الوجه الثامن: الكلام التكويني للأفعال:

ويمكن تقرير هذا الوجه ببيان آخر وهو أن كل فعلٍ يبديه الإنسان يُعد نمطاً من التكلّم، وإبرازاً لما هو مضمر في مكنونه، وهذا يشمل أفعال البدن والخواطر أي المعاني التي يوجدها في خاطره، والحالات الروحية التي تتكون متولدة منه ويكون له دور وتسبيب في تكوينها ولو بلحاظ المقدمات البعيدة، وإنما يكون قوله اللساني كلاماً لا بلحاظ الأصوات الدالة على المعاني فحسب، بل يكون متكلماً بلحاظ أنه يبرز منه بمقاله والمعاني التي يستعملها مضمرات مكنونة في شخصيته، وهذا الذي يشير

إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: **«المرء مخبوّ تحت لسانه»**[١].

وقوله عليه السلام: **«المرء مخبو تحت لسانه فإذا تكلم ظهر»**[٢].

ونظير قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فإن دلالة القول هنا على حالة النفاق في الأشخاص ليست من جهة أصوات الكلمات ودلالتها الاعتبارية الوضعية على المعاني الذهنية بل من جهة أن القول فعل من أفعال الإنسان يبرز مكنون حاله.

فمعالم شخصية المرء، وطابع توجهه يُكشف ويبرز بإقدامه على التعاطي بجملة من المعاني والأصوات، فهي تكشف تكويناً عن ما وراءها.

فجملة حركات الإنسان وسكناته وأفعاله تكلّم تكويني من الإنسان. وقولٌ كوني وجودي.

ـ كما في قوله عليه السلام: **«ما أضمر أحدٌ شيئاً إلّا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه»**[٣].

١٠ ـ وقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

فإن جملة من المفسرين ذهبوا إلى أن حال المخلوقات يومئذ من الفناء والهلاك بحيث لا توجد قدرة إلّا له سبحانه وتعالى، وحال كل ما سواه تتجلّى بكونها مقهورة له تعالى.

لا أنه يُخلق نداء بهذه الألفاظ، فهو من قبيل لسان الحال.

---

(١) بحار الأنوار ج٧٤: ١٦٦.
(٢) مناقب آل أبي طالب ج١: ٣٢٦.
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٨: ١٣٧.

١١ ـ وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[1]. فإنَّه قد ذكر عدة من المفسرين أن قول النملة ليس كلاما لها وإنما فعلها مع بقية أفراد مجموعتها حالها بمثابة قول لها.

١٢ ـ وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[2].

فإنَّ كثيراً من المفسرين حملها على لسان الحال، من النملة ومن الهدهد.

١٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

وهذه الآية وإن كانت قد تقدمت أنها من المفصّل لما كان مجملاً إلّا أن مفادها ينطبق على وجه آخر أيضاً بلحاظ جهة أخرى في مفادها، وهو أن التكلم عبارة عن إبراز وإظهار ما في النفس من المعاني، فقوام القول والكلام هو إنشاء المعاني في النفس بإنشاء تكويني، من أحاسيس وخواطر ومشاعر وهواجس وإحساسات، وخيالات وأوهام وأفكار ووجدانيات ورؤى وآمال وغيرها من المعاني الكثيرة التي تنشئها النفس بتفاعل فإنها بمثابة درجة من التكلم.

ومن ثم أطلق عليها بالكلام النفسي والنفساني وحديث النفس، فإنه درجة من الكلام، وكأنَّ فطرة الإنسان ومعدن طينته كالأمر المضمر والمُجمل

---

(١) سورة النمل: الآية ١٨، ١٩.
(٢) سورة النمل: الآية ٢٢.

والمُكمَّم، فيُفتّق رتقه لإنشاء وإبراز ذلك المُضمَر المدفون والمعدن المطمور والكنز المستور، فكل درجة من درجات الإبراز والظهور في طبقات صفحات النفس تُعدّ درجة من درجات التكلّم، ومنه يظهر أن لسان الحال هو من حقيقة التكلّم والكلام وأنه لا يقتصر على الإبراز بلُحمة اللسان، ولا بالصوت القارع بشحمة الآذان، فيندرج لسان الحال حقيقةً في الكلام والقول لأنه إبراز ما في معدن وطينة الإنسان، فمن ثم تكون كل أفعال الإنسان تكلّماً وقولاً.

الوجه التاسع: التمثيل والتصوير:

يعتبر التمثيل والتصوير نمطان بارزان من أنماط لسان الحال ولا يقتصر التمثيل والاستعمال للسان الحال بمنزلة الكلام والقول على الآيات الشريفة، بل هناك من الروايات الشيء الكثير..

١ ـ (ما أضمر أحدٌ شيئاً إلّا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه)[١]. ومفاد هذا الحديث يطابق ما مرّ تقريره من أن حقيقة الكلام غير منحصرة بإبرازه بلحمة اللسان، بل يشمل ما يُضمر في النفس والوجدان من ما ينشئ في صفحاتها من معاني وأحاديث.

٢ ـ ما ورد في بعض الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«ما من يوم يأتي على ابن آدم إلاّ قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فقل خيراً واعمل فيّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة، فإنك لن تراني بعدها أبداً»**[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٨: ١٣٧.
(٢) الكافي ج٢: ٥٢٣.

٣ ـ وما ورد في دعاء وداع شهر رمضان للإمام السجاد عليه السلام، حيث يقول عليه السلام فيه: «**... فنحن قائلون: السلام عليك يا شهر الله الأكبر، ويا عيد أوليائه، السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات...**»[1].

٤ ـ ما ورد في ثواب صوت المؤذن وأنه يشهد له كلّ رطب ويابس يصل إليه صوته، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**المؤذنون يخرجون من قبورهم يوم القيامة يؤذنون ويغفر للمؤذن مدّ صوته، ويشهد له كل شيء سمعه من شجر أو مدر أو حجر رطب، أو يابس...**»[2].

٥ ـ ما ورد في مصحح أبي هارون المكفوف، قال: قال: أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فانشدته فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون ـ يعني بالرقة ـ قال فأنشدته:

أمرر على جَدث الحسين ... فقل لأعظمِه الزكية
يا أعظماً لا زلتِ من ... وطفاء ساكبة روية
وإذا مررت بقبره ... فأطل به وقف المطية
وأبك المطهّر للمطّهر ... والمطهرةِ النقية
كبكاء معولة أتت ... يوماً لواحدها المنية

قال: فبكى، ثم قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأخرى، قال: فبكى. وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت: قال لي: «**يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى خمساً كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين**

(١) الصحيفة السجادية: ٢٢٩.
(٢) مستدرك الوسائل ج٤: ٣٧.

شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنة» الحديث[1].

وتقريب الاستدلال: أن مضمون الأبيات التي ذكرها المُنشد، هو تمثيل وتصوير بلسان الحال، وليس من الإخبار وكلام المقال، وإلّا فليس هناك حوار بين الزائر، وبين عظام سيد الشهداء عليه السلام، فهي استعارة تمثيلية ذكرها المُنشد، لأجل تصوير حياة الإمام الحسين عليه السلام، وأن قلوب المؤمنين منجذبة ومرتبطة به، وأن قرحة المصاب وآلام الحزن لا زالت تُبكي عيون المحبين من شيعة الحسين عليه السلام.

وبهذا التقريب يكون أمره عليه السلام لهذا المنشد، بالإنشاد هو بهذا المنوال والشاكلة الذي يكون الغالب فيه؛ طريقة لسان الحال ممّا يتم التركيز فيه على المعاني والحالات المعنوية؛ والمشاعر الروحية، والعواطف النفسانية؛ والتي هي جزء من الواقع، حيث مرّ أن الواقع والحقيقة لا يقتصر على المحسوس بالحواس الخمس. فإن المشهد الروحي والنفساني والفكري والقلبي والعقلي في واقعة الطف عالم كبير، حافل بكثير من الحقائق والمقامات والأهوال ومضمار الميادين الواسعة، التي هي أوسع أُفقاً ورحابةً من البقعة الجغرافية لواقعة الأبدان في معركة الطف فإن الزخم الروحي، والتفاعل النفساني، هو ذو مشاهد كبيرة، وكثيرة بل هو بحور هائلة من المعاني لا تحصى ولا تُعد. فأين الآلية الراصدة والمجهر الكاشف لكل تلك المساحات الغائبة عن أعين البصر المادي والجسماني، وعن أذان البدن المادي.

فبالله عليك، هل لعاقل أن ينحسر نظره عن كل تلك المساحات من حقيقة واقعة الطف، والتي هي بمثابة الروح واللب للواقعة، ويقتصر على

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٣/ ١.

القشور والهوامش، فإن منازلة الطف هي منازلة روحية في أساسها وأصلها، ومواجهة عقلية ومقابلة فكرية، ومحاربة نفسانية. أكثر مما هي اشتباك عسكري بالأبدان والأجساد.

ـ **وبتقريب ثان للرواية،** أنَّه عليه السلام: عندما أمر الراثي بالإنشاد، فقرأ قصيدته الأولى، والتي مرّت أنها بلسان الحال حيث تعكس الجوانب الروحية والمعنوية في بحر واقعة الطف، لم يردعه عليه السلام عن ذلك، بل أكّد له بمزيد من الطلب والأمر والحث والترغيب على مثل هذا الشعر والإنشاد؛ ورغّبه بعظيم الثواب والجزاء.

ـ **وبتقريب ثالث:** إنَّ أمرهم عليهم السلام بإنشاد الشعر بعنوان الشعر لا بعنوان النثر والكلام النثري، هو بنفسه دال على تقرير باب لسان الحال في التذكير بواقعة الطف وأن هذا الباب، من أعظم الأبواب التي يمكنها كشف مساحات عظيمة مغفول عنها في تلك الملحمة.

حيث أنَّ الشعر بطبعه فيه حالة التحليق في عالم الخيال وإثارة الأحاسيس النفسانية، وتكثر فيه البراعة في التصوير، والإثارة النفسانية، كل ذلك مع وقع تفعيلة الأوزان الشعرية، و وقع صوت الكلمات، فمن أجل ذلك جُعلت المباينة بينه وبين القرآن الكريم الذي هو كلام الله كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[1] وكذا قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ

(١) سورة يس: الآية ٦٩.

كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾[١].

فبينت هذه الآيات أن الشعر بطبيعته التخيّلية، غواية عن الحق، وأنه يسلك بصاحبه إلى كل اتجاه عبثاً، وأن أقواله ليست نابعه من إلتزام وصدقية، وإنما ثرثرة معاني وتزويق كلمات.

القرآن والدعوة للإنشاد والشعر في أهل البيت عليهم السلام:

ولكنه سبحانه وتعالى، استثنى المؤمنين العاملين للصالحات والذاكرين الله كثيراً والذين يستخدمون آلة الشعر لنصرة المظلوم، وتقريع الظالم وهذا باب عظيم لتقسيم وتصنيف الشعر، أبداه القرآن الكريم؛ فذكر لمواصفات الشعر الصالح الهادف.

أولاً: أن يكون منطلقاً من مقتضيات الإيمان والاعتقادات الحقة.

ثانياً: أنْ يكون منطلقاً وداعياً إلى العمل الصالح بخلاف الشعر الذي يدعو إلى البطر والأشر واللهو والمجون والفسق والتحلّق وغير ذلك.

ثالثاً: أن يوجب التذكير بالله تعالى كثيراً، بخلاف النمط الآخر من الشعر الذي يصدق عليه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٢].

رابعاً: أن يكون نصرةً للمظلوم، ومواجهةً للظالم.

---

(١) سورة الشعراء: الآية من ١٢٤ ـ ١٢٧.
(٢) سورة لقمان: الآية ٦.

فهذه أركان أربعة للشعر الهادف الممدوح أساساً في القرآن الكريم؛ فنلاحظ انطباق هذه الأسس الأربعة، على الشعر الذي يُنشد في فضائل أهل البيت، وفي رثائهم، وذكر مصائبهم، وفي فضح أعدائهم.

ومن أعظم مصائبهم عليهم السلام ما جرى على سيد الشهداء عليه السلام.

ـ **أما الأساس الأوّل:** فهو مقتضى فريضة الإيمان بولايتهم وخلافتهم من الله ورسوله، ووصايتهم للنبي صلى الله عليه وآله.

وأما الأساس الثاني: فلأن إنشاد الشعر في أهل البيت عليهم السلام هو امتثال للأمر بصلتهم، وهم أعظم رحم أوصى به القرآن الكريم.

فيكون من أبرز الأعمال الصالحة. وكذلك هو طاعة للمودّة لهم.

وأما الأساس الثالث: فلأنهم جُعلوا السبيل إلى الله بنص القرآن، حيث قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاء أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ فبيّن سبحانه وتعالى: أن أجر الرسالة هي مودة قربى النبي صلى الله عليه وآله، وأن هذا الأجر نفعه عائد للبشرية، وأن هذه المودة لأهل البيت عليهم السلام هي السبيل إلى الله سبحانه: **«فكانوا هم السبيل إليك والمسلك إلى رضوانك»**.

وأما الأساس الرابع: فإنّهم عليهم السلام ظُلموا وأُبعدوا عن الحق الذي جعله

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

الله لهم واضطهدوا، ودُفعوا عن مراتبهم التي رتّبهم الله فيها.

وفي الحقيقة أن نصرتهم هي نصرة للدين القويم كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

ومن ذلك نرى سيرة النبي صلى الله عليه وآله على حث الشعراء، في عصره، كحسان بن ثابت وغيره في إنشاد الشعر في أهل البيت عليهم السلام. والفضائل التي أنزلها القرآن فيهم عليهم السلام. ولأجل ذلك قد ورد مستفيضاً الحث على إنشاد الشعر فيهم عليهم السلام.

ـ وقد روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام. (المتضمنة للحثِّ على إنشاد الشعر فيهم عليهم السلام).

ـ وقد عقد السيد البروجردي في جامع أحاديث الشيعة، باباً في استحباب انشاد الشعر في الحسين عليه السلام وأهل البيت، وذكر فيه ثمان وعشرين رواية في ج١٢.

وعقد صاحب الوسائل باباً في استحباب إنشاد الشعر فيهم عليهم السلام باب ١٠٤/ من أبواب المزار.

فتحصّل أن إسناد القول والكلام إلى الشخص بلحاظ واقع حاله لسان أصدق وأبين وأثبت من لسان المقال، وأن هذا الإسناد حقيقي سواء بلحاظ الفعل الصادر عنه على مستوى جوارح البدن أو على مستوى الجوانح. أو كان حالاً من الأحوال وسواء كان للبدن أو للنفس، وإن رجع الحال إلى كونه فعلاً صادراً منه بحسب النظر الدقيق الممعِن، وأن هذا الإسناد ليس على نحو المجاز أو التوسّع شريطة أن يكون الحال حقيقياً.

التصوير:

أما ما ورد في التصوير، فعدة روايات:

١ـ ففي مصححة أبي هارون المكفوف، قال: دخلتُ على أبي عبدالله عليه السلام، فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال عليه السلام: لا، كما تنشدون، وكما ترثيه عند قبره. فقال: وأنشدته:

أمرر على جَدث الحسين فقل لأعظمِه الزكية

قال: فلما بكى، أمسكتُ أنا. فقال: مُرّ.

فمررتُ. قال: ثم قال: زدني، زدني. فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك وعلى الحسين فاسعدي ببكاكِ

قال فبكى وتهايج النساء. الحديث [١].

ـ وتقريب الاستدلال، أن الشاعر والمنشد (الرادود) القارئ والملّا قام بعملية تصوير في كل من البيتين مشيراً للمشاعر والعواطف بنحو التصوير الذي يقوم به الشعراء، ففي البيت الأول، قام بتصوير شخص يخاطب آخر، ويأمره بالمرور على قبر الحسين عليه السلام، وأيضاً صوّر الشاعر حوار وتخاطب بينه وبين العظام الزاكيات لسيد الشهداء عليه السلام.

فقام بعملية حوار مفصّل في الأبيات الأخرى بين شخص الزائر وجثمان سيد الشهداء عليه السلام.. وقد أقرّه الإمام عليه السلام على هذا التصوير، بقوله عليه السلام: مُر. أي (أمض في تصويرك وتابع بقية المشهد التصويري الذي أنشأته).

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٣/ ح٥.

ـ وأما القصيدة الثانية التي مطلعها البيت الثاني.

فلا يخفى وجه التصوير فيه، حيث صوّر تعاطف وتعاون رجل وامرأته على الرثاء والبكاء على الحسين عليه السلام وأنهما أقاما مأتماً يتناشدان فيه مصاب سيد الشهداء عليه السلام. فهنا نرى أن هذا التصوير زاد من حرقة بكاء نساء وحرم الصادق عليه السلام، وتهايجن بالبكاء. وأشعل مزيد من الحزن لديهن بصراخ، وقد أقرّ الإمام عليه السلام المنشد (الرادود) على ذلك، وحثّه على هذا الطريق وحثّ غيره من المؤمنين عليهم السلام، بذكر مدى الثواب العظيم لذلك.

٢ـ ما رواه الشيخ المفيد في المزار، والسيد ابن طاووس والشهيد الأول في مزاره، أنه إذا أردت زيارة النبي صلى الله عليه وآله فيما عدا المدينة الطيبة، من البلدان، فاغتسل ومثّل بين يديك شبه القبر، واكتب عليه اسمه الشريف، ثم قف، وتوجّه بقلبك إليه، وقل: **«أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله...»**[1].

٣ـ وروى المشهدي في المزار الكبير، بسنده الصحيح عن عبدالله بن سنان، عن الصادق عليه السلام، في حديث عن كيفية الزيارة لسيد الشهداء من البعد، وفيها: ... ثم تسلّم وتحوّل وجهك نحو قبر الحسين عليه السلام، ومضجعه، فتمثل لنفسك مصرعه، ومن كان معه، وتلعن قاتليه، وتبرأ من أفعالهم، يرفع الله عز وجل لك بذلك في الجنة من الدرجات، ويحط عنك من السيئات)[2].

---

(١) الإقبال لابن طاووس/ ط حجرية: ٦٠٤ ـ وفي بحار الأنوار ج ٩٧: ١٨٣ ـ باب ٣/ من أبواب زيارة النبي صلى الله عليه وآله من البعد.

(٢) المزار الكبير للمشهدي/ باب ١٢/ قسم ٤/ الزيارة السادسة/ ص: ٤٧٣.

ويتحصّل من كلّ ما مرّ، استعراض تسعة وجوه وطرق للحكاية عن الواقع، تختلف عن حكاية الكلام الإخباري بل هي طرق أخرى ترصد في الأصل مساحات من الحقيقة والواقع غير محسوسة بالبصر ولا مسموعة بالأُذن، إلاّ أنّ الواقع يعيشها، ويتعامل معها بتفاعل، فلإنكشافها وإظهارها آليات، تغاير قالب وإطار الكلام والنطق باللسان. فلا يمكن حصر القنوات الرافعة للستار والكاشفة اللثام، والمزيلة للغطاء عن الواقع، إلاّ بضميمة هذه الطرق والقنوات الأخرى، وما استعرضناه، ليس استقصاءاً نهائياً لتلك الطرق، وإنما، ذكرنا جملة مهمة منها.. والأمر بعد يحتاج إلى المزيد من الاستقراء وإمعان من التحليل والتتبّع.

الفصل التاسع

تكامل روح المؤمن بأقصى الكمالات

عند زيارته لقبر الحسين عليه السلام

بقلم

رياض الموسوي

تكامل روح المؤمن بأقصى الكمالات
عند زيارته لقبر الحسين عليه السلام

ـ قد ورد في الروايات المستفيضة غايات وفوائد بالغة التأثير في مصير الإنسان ومساره وأن الزيارة طريق أقصد لبلوغ أقصى درجات الكمالات، ومسافة أقرب للعروج إلى معالي الدرجات، وطيّ اسرع للعبور من عقبات كؤودة، فالزيارة باب معراج للأولياء والصالحين .. ولنستعرض نبذة من تفاصيل مفاد الروايات الواردة: فقد روى في كامل الزيارات روايات مستفيضة:

١ ـ إن من أتى قبره عليه السلام كتبه الله في عليّين.

٢ ـ بل في جملة من تلك الروايات المستفيضة، في أعلى عليين. وقد عقد لها باباً[١].

٣ ـ وفي جملة منها: كمن زار الله فوق عرشه.

٤ ـ ومصححة بشير الدهان عن أبي عبدالله عليه السلام: فإذا أتاه ناجاه الله[٢].

٥ ـ وروى روايات مستفيضة أيضاً أن زائره عليه السلام، يُناديه سيد الأنبياء، وأمير المؤمنين بالبشارة[٣].

---

(١) كامل الزيارات: باب ٥٩.
(٢) كامل الزيارات: باب ٦٢/ ٢.
(٣) كامل الزيارات: باب ٦٢/ ٣، باب ٥٢/ ٣.

٦ ـ بل في بعض الروايات: زاره فوق كرسيه[١].

٧ ـ وفي كامل الزيارات في الصحيح إلى الحسن بن موسى الخشاب، عن بعض رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن زائر الحسين جعل ذنوبه جسراً على باب داره ثم عبرها، كما يُخلف أحدكم الجسر ورائه إذا عبره[٢].

٨ ـ وهذا المفاد قد ورد في أثر الصلاة أنّها كالنهر يغتسل الإنسان به من ذنوبه. وهو معنى ما ورد في رواية أخرى في معتبرة بشير الدهان أن الرجل ليخرج إلى قبر الحسين عليه السلام، فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة من ذنوبه[٣].

٩ ـ تقديس روح الزائر للحسين عليه السلام، والمراد من التقديس التطهير وزيارة النور، والذي يقوم بهذا التقديس هم الملائكة، يقومون به في روح الزائر.

فقد ورد في تتمة معتبرة بشير الدهان عن أبي عبدالله عليه السلام، بعد قوله: مغفرة من ذنوبه، ثم لم يزل يقدّس بكل خطوة حتى يأتيه، فإذا أتاه ناجاه الله...[٤]

والظاهر أن هذا التقديس، الذي هو التطهير من الذنوب، والنورانية تهيئة لتصاعد روح الزائر ليبلغ مقام النجوى مع الله سبحانه.

---

(١) كامل الزيارات: باب ٥٩/ ٣.
(٢) كامل الزيارات: باب باب ٦٢/ ح١.
ورواه الصدوق في الفقيه (ج٢: ٣٤٧)، وثواب الأعمال (١١٦).
(٣) كامل الزيارات باب ٦٢ ح٢.
(٢) التي مرت سابقاً في رقم (٤)

وهذا هو مقام أعلى عليين. وكتابة روحه في عليين عبارة عن بناء كمال ملكوتي في روحه. من سنخ مقام العلّيين، فيحصل له ذلك العروج، وهذا نظير ما ورد، من أن **«الصلاة معراج المؤمن»** فإنَّه يطابق ما في هذه الروايات المستفيضة الدالة على خواص زيارة الحسين عليه السلام، وأنه يُكتب بأعلى عليين، أي عروج روحه إلى ذلك المقام، بل في هذه الروايات زيادة على ما في الصلاة، حيث أن العروج لا يستلزم التمكين والاستقرار في ذلك المقام العالي، بخلاف كتابة روحه في أعلى عليين، التي تدلّ على التمكين والبناء الثابت في ذلك المقام؛ في كمالات طبقات روحه....

١٠ـ ونظيره، ما رواه في كامل الزيارات[١]، في المصحح عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن لله ملائكة موكلين بقبر الحسين عليه السلام؛ فإذا همّ الرجل بزيارته أعطاهم الله ذنوبه، فإذا خطا خطا مَحوها، ثم إذا خطا ضاعفوا حسناته، فما تزال حسناته تضاعف حتى توجب له الجنة...

ثم اكتنفوه وقدّسوه، ويُنادون ملائكة السماء أن قدسوا زوّار حبيب حبيب الله، فإذا اغتسلوا ناداهم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله: يا وفد الله أبشروا[٢].

كما مرّ تتمتها سابقاً.

ففي هذه المصححة، تصريح بأن التقديس هو تطهير من الذنوب، والطهارة الحاصلة من إبعاد الذنوب عن الزائر.

ـ وفي المصححة إشارة ظريفة أن الزائر، ما أن يهمّ في قلبه وعزمه على

---

(١) كامل الزيارات باب ٤٩ ح:٣.
(٢) الصدوق في ثواب الأعمال: ١١١.

الزيارة، حتى تقوم الملائكة الموكلّة بقبره عليه السلام بإبعاد ذنوبه عنه، وإن كان مكان الزائر في أقصى الأرض، ثم إذا بدأ للحركة والخطوات، ففي أول خطوة تقوم الملائكة بمحو الذنوب، ولم تقتصر على إبعادها، ثم إذا خطا بقية الخطوات يتبدّل تقديسهم إليه وتطهيرهم له، من محو الذنوب إلى إفاضة الحسنات. وهذا يشير إلى أن التقديس والتطهير لا ينحصر سنخه ونمطه في الطهارة من رجس ولوث الذنوب وظلمتها، بل في المراتب العليا من التطهير والتقديس تعلو على التنزيه إلى إفاضة نور جمال الحسنات.

ويزداد هذا التقديس والتطهير في التكامل الجوهري لروح الزائر حتى توجب له الجنة.. وفي الإشارة إلى هذا التدرج في طبقات الكمال في الرواية، فائدة معرفية ظريفة، وهي أن الإثابة بكتابة الحسنات، التي هي عبارة عن كتابة تكوينية لكمالات العامل بالحسنى، لا تستلزم في تقررّها الوجودي التعلّق بالجنة الأبدية، بل قد تكون جزاءً في الدنيا أو في البرزخ أو في الرجعة، أو في عرصات وعقبات القيامة، من دون أن يكون هناك ارتباط وجودي روحي بين ذات العامل بالحسنى ونشأة الجنة الأبدية، وعند تضاعف الحسنات يتصاعد كمال ذات وروح العامل بالحسنى حتى يرتقي مقام وجوده بالنشأة الجسمانية للجنة الأبدية.

والظريفة الأُخرى في هذه المصححة، أنه لا يقف جزاء وثواب الزيارة للزائر على هذا الحدّ، بل يبدأ عمل تقديس فوق ذلك وتطهر وتنوير بدرجات تفوق هذا المستوى، يقوم به الملائكة الموكَّلين بقبر الحسين عليه السلام وبمشاركة أيضاً من ملائكة السماء، الذين هم من طبقات عليا وذوي قدرات فائقة بلحاظ الطبقات العليا لروح الزائر، حتى يوصل رقي الزائر إلى درجة كمال

النجوى والخطاب من النبي صلى الله عليه وآله. ويزداد مقامهم في الجنة إلى درجة رفقة النبي صلى الله عليه وآله.

وكذلك نجوى وخطاب أمير المؤمنين عليه السلام.

١١ـ ومن هذا القبيل مما يشير إلى هذه الدرجة من التكامل للزائر بزيارته لسيد الشهداء عليه السلام، ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات، محسنّة صفوان الجمال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: **«من زار قبر الحسين عليه السلام وهو يريد الله عز وجل، شيّعه جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، حتى يُرد إلى منزله»**(١).

ولا يخفى أن هذا ارتباط روحي مع جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

بل في جملة من الروايات المستفيضة أن من زار الحسين عليه السلام كمن زار الله فوق عرشه أو فوق كرسيه.

١٢ ـ ففي مصحح زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: ما لمن زار قبر الحسين عليه السلام؛ قال: كان كمن زار الله في عرشه، قال: قلت: ما لمن زار أحداً منكم، قال: كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله(٢).

١٣ ـ وفي معتبرة الحسين بن محمد القمي، قال: قال لي الرضا عليه السلام: **«من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أن لرسول الله وأمير المؤمنين فضلهما. قال: ثم قال لي: من زار أبي عبدالله عليه السلام بشط الفرات كان كمن زار الله فوق كرسيه»**(٣).

---

(١) كامل الزيارات: باب ٥٧/ ٤.
(٢) كامل الزيارات: باب ٩٥/ ١، باب ٦٠/ ٤.
(٣) كامل الزيارات: باب ٥٩/ ٧ (٥٩/ ١١).

ـ ومثلها: معتبرة بشير الدهان، وروايات أخرى.

١٤ ـ ونظير ذلك ما رواه ابن قولويه في الصحيح إلى جويرية بن العلاء عن بعض أصحابنا قال: «**من سرّه أن ينظر إلى الله يوم القيامة، وتهون عليه سكرة الموت وهول المطّلع، فليكثر زيارة الحسين عليه السلام، فإن زيارة الحسين عليه السلام زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله**».

والمراد من النظر إلى الله سبحانه، هو النظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه أعظم خليفة لله، إذ يتعالى الله عن الرؤية الجسمانية، أو المراد الرؤية القلبية إلى الله سبحانه.

١٥ ـ محسنة صفوان الجمال قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام لما أتى الحيرة: هل لك في قبر الحسين عليه السلام. قلت: وتزوره جُعلت فداك. قال: وكيف لا أزوره، والله يزوره في كل ليلة جمعة، يهبط مع الملائكة إليه والأنبياء والأوصياء، ومحمد صلى الله عليه وآله أفضل الأنبياء ونحن أفضل الأوصياء، فقال صفوان: جعلت فداك.

فنزوره كل جمعة حتى نُدرك زيارة الرب، قال: «**نعم، يا صفوان إلزم ذلك يكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام، وذلك تفضيل، وذلك تفضيل**»[1].

ولا يخفى أن زيارة الحسين عليه السلام وإدمانها كما يؤثر في تكامل الروح، فإن تركها يؤثر عكساً في النقص، والهبوط، كما أشار إلى ذلك مضمون روايات كثيرة.. دلت على أنه موجب لنقص في الأعمار والأرزاق. (كامل الزيارات: باب ٦١).

---

(١) كامل الزيارات: باب ٣٨/ ح٤. باب/ ٥٠: ح٢، باب/ ٥٢: ح٢ ـ باب ٥٥: ح٢.

والتعبير في الرواية، أن الرب تعالى يهبط ليلة الجمعة مع الملائكة والأنبياء والأوصياء، هو نظير قوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾، ونظير ما ورد في روايات الفريقين من هبوطه تعالى ليلة الجمعة، فإنه ليس المراد تجسيمه تعالى والعياذ بالله، كما قد يتوهم من ألفاظ الأحاديث الواردة من طرق العامة، بل المراد هو هبوط تجلّياته تعالى نظير ما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً﴾.

ونزول فيوضاته ورحمته الخاصة، ومن ثمّ تناغم مفاد هذا الحديث الشريف مع الأحاديث المتقدمة، من أنّ من زاره كمن زار الله فوق عرشه. أو فوق كرسيه، وأن الزائر له، يحظى بالنظر إليه يوم القيامة.

١٦ ـ ما ورد في عدة روايات أن زوار الحسين بن علي عليه السلام يوم القيامة على موائد من نور.

وأن زوار الحسين عليه السلام يكونون تحت لوائه ويدخلون الجنة، وأنهم يختصّون بالنظر إلى وجه الحسين عليه السلام قبل دخول الجنة[١].

ـ وفي رواية: تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي بيد علي عليه السلام[٢].

ـ ومن الظاهر أن موائد النور هي غير موائد الطعام والغذاء والجسمانية، بل هي إشارة إلى المعرفة.... كما يشير التعبير بالنظر إلى وجه الحسين. وكذا التعبير بـ: (تحت لوائه)[٣]: فإن اللواء عمود فيض لكمالات من يأتم

(١) كامل الزيارات باب ٥٦: ١.
(٢) كامل الزيارات باب ٥٥: ح١.
(٣) كامل الزيارات باب ٥٦: ح٤.

بصاحب اللواء كما عبر عن الإمامة وأمرها الملكوتي بلواء الرب.

وقد أُشير بذلك في عدة من الروايات أن زوار الحسين عليه السلام يزدادون نوراً يوم القيامة[١].

١٧ ـ وفي معتبرة الكاهلي عن أبي عبدالله عليه السلام: **«من أراد أن يكون في كرامة الله يوم القيامة؛ وفي شفاعة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، فليكن للحسين زائراً ينال من الله الفضل والكرامة، وحسن الثواب، ولا يُسأل عن ذنب عمله في حياة الدنيا، ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجبال تهامة وزبد البحر. إن الحسين عليه السلام قُتل مظلوماً مضطهداً نفسه، عطشاناً هو وأهل بيته وأصحابه»**[٢].

وتفيد الرواية وصول الزائر المُدمن الزيارة إلى كرامة خاصة في عالم القيامة. إذ يوم القيامة لا يُراد منه يوم ساعات، بل يُراد منه عالم، أعظم مدة من عالم الدنيا. كما أنه ينال قرباً خاصاً من النبي صلى الله عليه وآله ويحظى بوجاهة، بشمول شفاعة النبي صلى الله عليه وآله له.

ـ والحاصل من هذه الرواية والكثير من الروايات، أن الارتباط بسيد الشهداء عليه السلام وتوكيد الانتماء إليه يقطع الزائر عن كلّ انتماءات إلى الباطل، وعن كل ولايات لأهل الضلال، كان قد وقع في حبالها سابقاً، ومن الظاهر بحسب هذه الروايات المستفيضة في أبواب عديدة عقدها ابن قولويه في كامل الزيارات وذكرها الصدوق في كتبه وغيرهما، أن هذا الثواب وإن ورد لزيارة الحسين عليه السلام وإدمانها ولكن الظاهر عمومه للشعائر

---

(١) كامل الزيارات باب ٥٦: ح٣.
(٢) كامل الزيارات باب ٦٢: ح٦ .

الحسينية، نظراً للتعليل الوارد فيها المتكرر بكون الزيارة من أبرز أفراد التعلّق بسيد الشهداءعليه السلام والارتباط به وذكرهعليه السلام.

١٨ ـ وقد روى ابن قولويه بطرق مستفيضة إلى سالم بن أبي خديجة (أبي سلمة) عن أبي عبداللهصلى الله عليه وآله قال: «**إن زيارة الحسينعليه السلام أفضل ما يكون من الأعمال**»(١).

١٩ ـ وفي معتبرة عبد الملك بن حكيم الخثعمي، عن أبي عبداللهعليه السلام في ثواب زيارة الحسينعليه السلام: «**... يمدّ الله في عمرك، ويزيد الله في رزقك، ويحييك الله سعيداً، ولا تموت إلّا سعيداً، ويكتبك سعيداً**»(٢).

ـ ولا يخفى أن السعادة أعظم من النجاة، ولم يقتصر أثر الزيارة على السعادة في الدنيا، ولا على مجرّد السعادة في الموت، بل على سعادة أعظم، وهي كتابة روحه وذاته في مقام السعادة الأبدية، ولا يخفى التفاوت بين النجاة من النار، والفوز بالجنة. كما لا يخفى الفرق بينهما وبين مقام السعادة.

وأن مقام السعادة ينطبق على ما مرّ، من مقام العلّيين، أو أعلى علّيين وبعبارة أخرى، فإن الارتباط بالحسينعليه السلام عَبر الزيارة والشعائر يجعل الموالي من خواص محمد وآل محمد، وهو أعظم مقام يصل إليه أهل التقوى واليقين.

٢٠ ـ وفي صحيح محمد بن مسلم عن أبي جعفرعليه السلام، في ثواب زيارة الحسينعليه السلام: «**كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر**

---

(١) كامل الزيارات/ باب ٥٨.
(ورواه الصدوق ثواب الأعمال والفقيه).
(٢) باب ٦١/ ح٦.

ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفةٍ أهونها الشيطان، ووكّل به ملك كريم، يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن، يحضرون غسله وأكفانه، والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره، بالاستغفار له، ويُفسح له في قبره مدّ بصره؛ ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير أن يروعانه، ويُفتح له باب إلى الجنة، ويُعطى كتابه بيمينه، ويُعطى له يوم القيامة نوراً يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي منادي هذا من زوار الحسين، شوقاً إليه، فلا يبقى أحدٌ يوم القيامة، إلّا تمنى يومئذ أنه من زوار الحسين»[1].

ـ ويلاحظ في مفاد هذه الرواية عدة نقاط:

الأولى: تضمن زيارة الحسين لجملة الكمالات والآثار الدينية والدنيوية والآخروية المودعة في حج بيت الله الحرام؛ وقد استفاضت أو تواترت مضامين الروايات في ذلك، مع أنه قد وصف الحج في الروايات عنهم عليهم السلام، أن الحج هو الشريعة، أي أنه متضمن لجملة أبواب الشريعة، بل بينت الروايات أن في الزيارة أضعاف إلى ألف ضعف، ولعلّ هذه الأضعاف، نظير تضاعف العمل في ليلة القدر، نظراً لارتباط ليلة القدر بإمامة أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد بيان هذه الخاصية من تضاعف العمل ألف ضعف في معتبرة هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام، في حديث طويل:

---

(١) كامل الزيارات/ باب ٥٦/ ح٣.

قال: فما لمن أقام عنده (عند الحسين)؛ قال: «**كل يوم بألف شهر؛ قال: فما للمنفق في خروجه إليه، والمنفق عنده، قال: درهم بألف درهم**»[١].

ولا يخفى، أن لسان هذه الروايات المستفيضة، يؤسّس لكون مرقده الشريف، مشعراً إلهياً يُحج إليه؛ وأنه زيارة لبيت أعظم لله تعالى، كما هو مطابق مفاد قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ـ أي تعظّم، وتقدّس.

الثانية: أن آثار وجزاء زيارته عليه السلام تحصل للزائر بِدءاً من عالم الدنيا، وحياته فيها، وتمتد إلى الموت والقبر، وتتواصل إلى القيامة حتى ينتهي به إلى الجنة، وهذا من الخواص المتميزة لزيارته عليه السلام، كما أنه يزداد له من أعظم أنواع الجزاء وهو النور.

الثالثة: أن في زيارته عليه السلام ليس خصوص الحج فقط، بل خصائص باب الجهاد كذلك وجزاؤه، وكذلك خصائص باب الزكاة، وخصائص باب الصوم..

ـ أما انضمام خصائص باب الجهاد، فالوجه فيه واضح، لما تتميز به.

وهناك طائفة من الروايات دالة على أن زيارته عليه السلام تعدل حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، كما روي بطرق مستفيضة عالية الإسناد، عن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام، أن زيارة قبر الحسين عليه السلام تعدل حجة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

---

(١) كامل الزيارات: باب ٤٤/ ح٢.
(٢) كامل الزيارات: باب ٦٤.

من معاني زيارة الله فوق العرش والكرسي:

ومقتضى هذا البيان، أن زائر الحسين عليه السلام، وافد إلى الله سبحانه بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله. وفي هذا من الإشارة البالغة المقاربة في المعنى لما تقدم من أن زائر الحسين عليه السلام، يزور الله من فوق عرشه، وكرسيه.

وورد في الأحاديث المرقمة ١١، ١٢، ١٣ أن صفة من صفات زيارة الحسين عليه السلام هي زيارة لله وبكونها فوق عرشه أو فوق كرسيه، إشارة بالغة في كون هذه الزيارة تختلف عن زيارة بيت الله الحرام، التي هي وفود على الله، لكن في بيته الحرام على الأرض، وحجاج بيته الحرام، وورد في روايات الفريقين أنهم وفد الله، وحضّاره في بيته على الأرض إذ الزيارة حضور الزائر عند المزور ـ لكن هذا الحضور درجات، بعد بداهة عدم جسمانية الله سبحانه وتعالى. وأنه تعالى منزّه عن شغل الحيّز والمكان، فالوفود عليه تعالى بمعنى القرب المعنوي، والنوري والقلبي، وهو في زيارة الحسين عليه السلام يبلغ غاية العروج وهو المعبر عنه فوق عرشه. أو فوق كرسيه، فيكون إشارة إلى العروج التام، والقرب البالغ. وفي هذا المضمار عدة روايات تشير إلى هذه الخصوصية من الكمال الخاص:

١ـ ففي مصحح يونس عن الرضا عليه السلام، قال: «**من زار قبر الحسين عليه السلام، فقد حج واعتمر؛ قال: يطرح عنه حجة الإسلام، قال: لا؛ هي حجة الضعيف حتى يقوى، ويحج إلى بيت الله الحرام؛ أما علمت أن البيت يطوف به كل يوم سبعون ألف ملك حتى إذا أدركهم الليل صعدوا، ونزل غيرهم فطافوا بالبيت حتى الصباح. وإن الحسين عليه السلام لأكرم على الله من البيت، وإنه في وقت كل صلاة، لينزل عليه سبعون ألف ملك شعث غبر، لا تقع عليهم**

النوبة إلى يوم القيامة»[١]..

ـ وفي الرواية إشارة إلى أن التوجه إلى الله بسيد الشهداء عليه السلام أعظم من التوجه إلى الله بالبيت الحرام. كيف وقد قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام أن الغاية من حج بيت الله الحرام، هو التوجّه إلى الذرية المصطفاة من نسل إبراهيم من إسماعيل، حيث قال تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ﴾[٢].

فجعل الغاية من الإقامة عند البيت الحرام وإقامة الصلاة والحج هي أن تهوي القلوب إلى ذرية إبراهيم، من نسل إسماعيل والتي دعا الله تعالى أن تكون الإمامة فيهم، في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴾ ـ وهم محل دعوة إبراهيم وإسماعيل في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٣] إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[٤].

فإن درجة الإسلام التي دعا بها إبراهيم لهذه الذرية، هي الدرجة من الإسلام والتسليم التي دعا بها لنفسه وابنه إسماعيل مع أنهما قد حصلت

---

(١) كامل الزيارات: باب ٦٥/ ٦.
(٢) سورة البقرة إبراهيم: الآية ٣٧.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٩.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

لهما النبوة والرسالة، وتلك الدرجة هي درجة الاصطفاء. وأن الرسول منهم، وجعلهم الله شهداء على الناس، أي شهداء على أعمال الناس، وهذا هو مقام الإمامة المنصوب من الله سبحانه، لا يخفى عليه من رعيته عمل، وقد نقل السمهودي في مقدمة كتاب وفاء الوفاء إجماع المسلمين، بأن تراب قبر الرسول صلى الله عليه وآله أعظم حرمة من الكعبة البيت الحرام.

ـ ولمزيد من البسط في هذا الأمر، يراجع كتاب الإمامة الإلهية[1] ومن ذلك يظهر مفاد قوله عليه السلام: إن الحسين لأكرم على الله من البيت.

ـ ومن ثمّ ورد في ثواب زيارة الحسين عليه السلام عدة ألسن تبيّن مضاعفة ثواب زيارة الحسين وأعظميته على ثواب التوجه إلى بيت الله الحرام، نظير أنه ذكر الله أعظم من الصلاة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

ولقد جعل الله آدم قبلة لسجود الملائكة، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ﴾ في سبع سور، فالسجود هو لله تعالى، وآدم كان قبلة لهم.. وهو أعظم في التوجه إلى الله من الكعبة والبيت المعمور، وإذا أطلق على الكعبة عنوان بيت الله الحرام، فقد أُطلق على الإمام من قبل الله عنوان أعظم من ذلك وهو عنوان، خليفة الله، والخليفة أعظم من البيت وأين هذا من ذاك؟..

٢ـ ومن ثمّ وردت ألسن عديدة في ثواب زيارته بدءاً من أنّها تعدل

---

(١) كتاب الإمامة الإلهية للشيخ السند ج٤، ج٥

(٢) العنكبوت: ٤٥.

عمرة، وفي لسان آخر، عمرة وحجة، وثالث، حجتين وعمرة، ورابع، عشرة حجج وعشرة عمرات.. وخامس، ثمانين حجة مبرورة، وسادس، حجة مقبولة زاكية مع رسول الله.. وسابع، عشرين حجة، وثامن واحد وعشرين حجة..

ـ **وهناك لسان تاسع:** أفضل من واحد وعشرين حجة.

ولسان عاشر: ثلاثين حجة مبرورة مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي ألسن أخر: حجة، وحجتين، وثلاثة وعشرة حجج وعشرين حجة، وثلاثين حجة وخمسين حجة، ومائة حجة كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

ـ **وفي لسان آخر:** ألف حجة وألف عمرة[1].

مقارنة بين زيارة خليفة الله، وزيارة بيت الله:

قد ورد في زيارة الحسين عليه السلام أنها بمثابة الوفود على الله عَزَّ وَجَلَّ، وذكرت الرواية خواص هذا الوفود بدرجة لا تقاس بزيارة بيت الله الحرام، أن زيارة بين الله الحرام هو وفود على الله، وإن كان بيت الله الحرام مخلوق من المخلوقات، والإمام الحسين عليه السلام، أيضاً مخلوق من مخلوقات الله سبحانه، لكن أين مقام الحسين عليه السلام من مقام البيت الحرام.

٣ـ الصحيح الأعلائي، لعبد الله بن مسكان، قال، قال أبو عبدالله عليه السلام إن الله تبارك وتعالى يتجلّى لزوار قبر الحسين، قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم، ويغفر ذنوبهم، ويشفّعهم في مسائلهم، ثم يُثنّي بأهل عرفات، فيفعل بهم

(١) كامل الزيارات: أبواب: ٦٥، ٦٦.

ذلك[١].

ـ وفي مصباح المتهجد، قال الشيخ الطوسي، وروى علي بن أسباط عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: إن الله عَزَّ وَجَلَّ يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام، عشية عرفة، قبل أهل عرفات. قال: قلت: قبل نظره إلى أهل الموقف؟ قال: نعم. قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأن في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا. ـ

وروى الرواية باللفظ السابق عن عبد الله بن مسكان. وطريق الشيخ إلى عبدالله بن مسكان صحيح.. ـ كما أن أحد طرق الشيخ إلى علي بن أسباط معتبر، والرواية كالمسندة لأن علي بن أسباط أسندها إلى بعض مشايخه في الرواية.

٤ـ وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن يونس بن ظبيان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من زار الحسين بن علي عليه السلام يوم عرفات، كتب الله له ألف ألف حجة مع القائم، وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وعتق ألف ألف نسمة، وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله.

وسمّاه الله، عبدي الصدّيق، آمن بوعدي.. وقالت الملائكة، فلان صدّيق زكّاه الله من فوق عرشه، وسُمّي في الأرض كرّوبياً)[٢].

ـ وطريق الشيخ إلى يونس بن ظبيان صحيح.

---

(١) كامل الزيارة: باب ٦٨/ ١. ثواب الأعمال للصدوق بطريق صحيح/ باب ثواب من زار قبر الحسين: ١١٦ ـ ومصباح المتهجد: ٤٩٧.

(٢) مصباح المتهجد: في باب أعمال ذي الحجة.

٥ـ وروى الشيخ في المصباح عن عمر بن الحسن العرزمي، عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سمعته يقول: إذا كان يوم عرفة، نظر الله تعالى إلى زوار قبر الحسين بن علي عليه السلام، فقال: ارجعوا مغفوراً لكم، ولا يكتب على أحدٍ منهم ذنباً من يوم ينصرف[١].

٦ـ وروى الشيخ بسنده عن بشير الدهان، عن رفاعة النخاس، قال: دخلت على أبي عبدالله، فقال لي يا رفاعة، أما حججت العام؛ قال: قلت: جعلت فداك ما كان عندي ما أحج به، ولكني عرّفت عند قبر الحسين بن علي عليه السلام، فقال لي: **«يا رفاعة، ما قصرت عمّا كان أهل منى فيه، لولا أني أخشى أن يدع الناس الحج لحدثتك بحديث، لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام أبداً، ثم نكت الأرض وسكت طويلاً، ثم قال: أخبرني أبي قال: من خرج إلى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه غير متكبرّ صحبه ألف ملك عن يمينه وألف ملك عن يساره، وكُتب له ألف حجة وألف عمرة، مع نبي أو وصي نبي»**[٢].

٧ـ في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له، في بيان فضل الحج: **«... إلى أن قال عليه السلام: ووقفوا موقف أنبيائه، وتشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه، يُحرزون الأرباح في متجر عبادته...»**[٣].

٨ـ في مصباح الشريعة، عن الإمام الصادق عليه السلام في بيان الحج: ... إلى أن قال: **«وطُف بقلبك مع الملائكة حول العرش، كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت»**[٤].

---

(١) نفس المصدر السابق.
(٢) مصباح المتهجد: باب أعمال ذي الحجة.
(٣) وسائل الشيعة ج١١: ١٥/ باب وجوب الحج على كل مكلف مستطيع.
(٤) بحار الأنوار ٩٦/ ١٢٤، عن مصباح الشريعة: ١٦.

ـ ويظهر من هاتين الروايتين أن الطائف بالكعبة الشريفة يتشبّه بطواف الملائكة المطيفين بالعرش؛ ولا يُعدّ الطواف حول الكعبة طوافاً بالعرش، بل هو لأجل التشبه به، فلا يُعدّ الطواف بالكعبة، في مرتبة الطواف بالعرش، وهذا بخلاف زيارة الحسين عليه السلام في قبره؛ فإنه يُعدّ بتلك المرتبة وهي زيارة الله فوق عرشه، وكرسيه، بل إن دققنا وأمعنّا النظر هي أعظم من طواف الملائكة حول العرش؛ بل هي من الحضور عند الرّب فوق العرش.

الفصل العاشر

قاعدة: عمارة مراقد الأئمة عليهم السلام

فريضة شرعية هامة

بقلم

رياض الموسوي

عمارة مراقد الأئمة عليهم السلام
فريضة شرعية هامّة

ـ هناك بقاع مقدّسة مباركة، تُعظّم ويتقرّب فيها إلى الله سبحانه وتعالى.. وقد قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾ (١).

ففي هذا البحث نحاول إثبات أن عمارة قبور النبيﷺ وقبور عترته، هي من أركان ومعالم الدين، باعتبارها مشاعر إلهية.

وتمهيداً نذكر النقاط التالية:

النقطة الأولى: إن ما يُقرّر من وجوب عمارة المسجد الحرام ـ ومكة المكرمة على مدار السنة وما بقي الدين، كما ورد بذلك الآيات والروايات وضرورة الدين ـ، فإنه يقرّر كذلك في عمارة قبر النبيﷺ، وقبور الأئمةعليهم السلام سواء في البقيع أم في العراق أم في خراسان.

النقطة الثانية: كما أن فريضة عمارة المسجد الحرام تشتمل على جملة من الواجبات وفصول من الوظائف، نظير عمارة مدينة مكة لاستقبال الحجيج والزائرين على مدار السنة من دون اختصاص ذلك بموسم الحج، الذي يستمر ثلاثة أشهر، إذ موسم العُمرة لا يُحدّ بحدّ، بل هو ممتد على

---

(١) سورة النور: الآية ٣٦.

مدار السنة؛ كذلك الحال في قبر النبي صلى الله عليه وآله والمدينة المنورة وقبر أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة النجف الأشرف والكوفة، وبقية قبور الأئمة عليهم السلام والمدن الواقعة فيها، عمارةً لتلك المدن ولتلك المراقد والقيام بتسهيل السُبل للزيارة وبقية الشعائر والطقوس التي تقام فيها، على مدار السنة فضلاً عن المواسم الخاصة.

أدلة القاعدة:

ولتقريب هذه القاعدة: أولاً نستعرض الأدلة الواردة بشأن مكة المكرمة والمدينة المنورة على هذه الفريضة الكبيرة .

أما الآيات:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾[1].

ومفاد الآية يقرّر فريضية عمارة المسجد الحرام، ورعاية الحاج في تمام شؤون الرعاية، وإن كانت في صدد أعظمية فريضة الإيمان والجهاد على فريضة العمارة والرعاية..

والآية الكريمة توجز هذه الفريضة في شعبتين هامتين:

الأولى: عمارة المسجد الحرام.

الثانية: رعاية خدمات الحاج وخدمة الزائر لبيت الله الحرام وهذان عمودان أساسيان في هذه الفريضة.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن

(١) سورة التوبة: الآية ٩.

مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

وهاتان الآيتان تدلان على جملة من الوظائف في هذه القاعدة والفريضة.

١ ـ جَعْل البيت الحرام مثابة للناس أي مكاناً يُقصد ويُؤتى ويؤم، ويُشد الرحال إليه وهذا نمط من عمارته وإحيائه باستمرار وفود الناس إليه.

٢ ـ توفير الأمن فيه وكونه أمان ومأمن لجميع الناس من دون استثناء لحرمة الاستجارة بالحرم.

٣ ـ اتخاذه مقام ومحل عبادة وصلاة.

٤ ـ القيام بتطهيره ونظافته وتهيئته للزيارة والمكث فيه والصلاة.

٥ ـ بناء عمارته، وتشييده.

وهذه الخمسة من الواجبات تفصيل للواجبين الذين مرّا في الآية السابقة.

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[2].

وهذه الآية تبيّن أن من الأمور وأشكال الأعمال المفترضة في فريضة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥، ١٢٧.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

عمارة المسجد الحرام ورعاية الحجيج.

٦ ـ هو القيام بإسكان المجاورين والمقيمين لاسيما الصالحين.

٧ ـ إنشاء عمران المدينة السكنية لأن ذلك يوطّأ ويمهد لرعاية الزائرين والحجاج.

٨ ـ إضافة إلى إقامة الصلاة فإنها من مقومات عمارة المسجد الحرام.

٩ ـ تسهيل مجيء الزائرين.

١٠ ـ توفير تموين الطعام للمجاورين والزائرين فيحصل بذلك عمارة البلد.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (١).

وتفيد الآية الكريمة.

١١ ـ تشعير البيت الحرام من قبل ربّ العالمين سبحانه وتعالى كموطن عبادة أبدي.

١٢ ـ ومركز نبراس للهداية ويندرج في ذلك مطلق الأنشطة التعليمية والتربوية التثقيفية والدينية.

الآية الخامسة: وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ﴾ (٢) ومفادها، نظير ما تقدم من الآيات في مشعرية البيت الحرام، وإنه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٧.

مركز لتوافد الناس عليه، وكونه قائماً ومعموراً بذلك إلى يوم القيامة...

الآية السادسة: وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

(العاكف)، هو الساكن المقيم بمكة والبادي هو الزائر الوارد.

١٣ ـ ومفاد هذه الآية الكريمة استحقاق جميع الناس من المسلمين زيارة البيت الحرام والوفود إليه والإقامة فيه، وأن هذا الاستحقاق متساوي فيه المجاور والآفاقي.

ويعزّز هذا الحكم، بحرمة الصدّ عنه، وقد استدل جملة من الفقهاء بهذه الآية على حرمة تملك أراضي مكة وحرمة إجارتها لاستواء استحقاق الناس لها بمقتضى الآية، وأنه لا ينبغي أن يُمنع الحاج شيئاً من دور مكة ومنازلها[2].

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام: فقال: فكانت مكة ليس على شيء منها باب، وكان أول من علّق على بابها المصراعين معاوية بن أبي سفيان وليس ينبغي لأحدٍ أن يمنع الحاج شيئاً من الدور ومنازلها[3].

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٥.

(٢) الخلاف للشيخ الطوسي ج٣: ١٨٩/ مسألة ٣١٣؛ المبسوط ج١: ٣٨٤/ فصل في الزيارات من فقه الحج، ج٢: ١٦٧/ باب ما يصح بيعه وما لا يصح؛ النهاية للشيخ الطوسي: ٢٨٤/ باب آخر من فقه الحج؛ المهذب لابن براج، ج١: ٢٧٣/ في أحكام الحرم؛ السرائر لابن إدريس ج١: ٦٤٤؛ تذكرة الفقهاء ج٨: ٤٤٢ ــ ج١٠: ٣٩؛ المختلف ج٤: ٣٦٧ ــ ج٥: ٦٠.

(٣) التهذيب ج٥: ٤٢٠/ ح١ ص١٤٥٧.

ـ وحكى في المختلف (العلامة الحلّي) عن كتاب الجمل للسيد المرتضى، المنع من التقصير (ووجوب الإتمام تعييناً) في الصلاة في مكة المكرمة، ومسجد النبي صلى الله عليه وآله ومشاهد الأئمة عليهم السلام القائمين مقامه، وكذا حكى عن ابن الجنيد أنه قال: والمسجد الحرام لا تقصير فيه على أحد لأن الله عز وجل جعله سواء العاكف فيه والبادي.

واستدلّ في منتهى المطلب، لاستواء استحقاق الناس في مطلق المساجد، وإن اعتاد أحدهم الجلوس في موضع خاص استدلالاً بالآية الكريمة[١]. ويظهر من المسالك أن هذا الاستدلال اعتمده الكثير من الأصحاب[٢].

معنى الإلحاد في الآية الشريفة:

وفي زبدة البيان للأردبيلي حكى، أن الإلحاد في الحرم منع الناس من عمارته وقيل الاحتكار..

ـ ويتبيّن معنى الإلحاد من هذه الرواية، ففي صحيح الحلبي قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فقال عليه السلام: كل الظلم فيه إلحادٌ، حتى لو ضربت خادمك ظلماً خشيت أن يكون إلحاداً. فلذلك كان الفقهاء يكرهون سكنى مكة[٣].

ـ وذكر في التذكرة أن الخلاف في جواز بيع دور مكة وعدمه في غير مواضع النسك، أما بقاع المناسك كبقاع السعي والرمي وغيرها فحكمها

---

(١) (المنتهى: باب صلاة الجمعة).
(٢) (مسالك ج١٢: ٤٣٥).
(٣) التهذيب ج٥: ٤٢٠.

حكم المساجد.

ـ وعلى أي تقدير فالذي ذهب إلى كراهة أخذ الأجرة للسكن في مكة، وبيع الأبنية، لم ينفي استحقاق الزائر الوارد السكنى في مكة ولو بأجرة، وإنما نفى وجوب ذلك مجاناً، أما أصل الاستحقاق فمحل تسالم بينهم، ومن ثمّ استدلوا بالآية الكريمة إلى عموم استحقاق المسلمين سواسية في المساجد لمن سبق منهم إلى ما لم يسبقه غيره.. ولا يخفى عدم اختصاص هذا الحكم بمكة، بل يعم المدينة المنورة والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء وطوس من مراقد المعصومين عليهم السلام التي شُعرّت مشاعر، وافتُرض عمارتها بالزيارة كما سيأتي بيانه. فهي بحكم المساجد بل أعظم لأنها مشاعر، وبمثابة المسجد الحرام حرمةً.

أحكام المسجد الحرام والعتبات المقدسة:

ويتحصل من مجموع الآيات الشريفة جملة من الأحكام العامة للمسجد الحرام ومكة المكرمة، ومسجد النبي والمدينة المنورة وبقية مدن مراقد الأئمة عليهم السلام المشرّفة:

١ ـ كون عمارة المسجد الحرام ورعاية الحاج في تمام شؤون الرعاية فريضة إلهية ـ وتشمل شؤون الرعاية الخدمات المختلفة.

٢ ـ إن من وظائف وآليات عمارة المسجد الحرام تسهيل جعل البيت الحرام مكاناً يُقصد ويُزار وتسهيل السفر إليه من أجل استمرار وفود الزوار والحجاج إليه.

٣ ـ ومن وظائف عمارة المسجد الحرام توفير الحالة الأمنية والاستقرار

لجميع الناس، سواء المجاور أو الوافد.

٤ ـ اتخاذه محل ومقام عبادة وصلاة، لإقامة الصلاة فيه.

٥ ـ القيام بتطهيره ونظافته وتهيئته للزيارة والمكث والصلاة فيه.

٦ ـ بناء عمارته وتشييد بنيانه.

٧ ـ إسكان الناس لاسيما أهل الصلاح كمجاورين ومقيمين وإنشاء عمران السكني في مكة المكرمة مما يمّهد لرعاية الزائرين والمجاورين.

٨ ـ توفير الطعام والغذاء للمجاورين والزائرين.

٩ ـ تشعير البيت الحرام من قِبل الله سبحانه، كمشعر إلهي، وكموطن عبادي، ونبراس للهداية أبدي.

١٠ ـ جعله وإقامته كمركز لأنشطة التعليم والثقافة الدينية والإسلامية.

١١ ـ استحقاق جميع الناس من المسلمين زيارة البيت الحرام والوفود إليه والإقامة فيه بنحو متساوٍ بين المجاور والآفاقي.

١٢ ـ حرمة الصدّ عنه، وحرمة الصد عن السفر والوفود إليه..

وقد فرع بعض الفقهاء على ذلك جملة من الأحكام حول إعمار مكة والسكن فيها.

عمومية هذه الأحكام لكل مساجد المراقد:

ولا يخفى أن جملة هذه الأحكام غير مخصوصة بمكة المكرمة والمسجد الحرام، بل تعم المدينة المنورة والمسجد النبوي الشريف والنجف الأشرف وكربلاء المقدسة، وبقية مراقد الأئمة الطاهرين عليهم السلام في الكاظمية

ومشهد وسامراء.

١ ـ كما تعدى الفقهاء في استواء الناس في مطلق المساجد من قوله تعالى: ﴿سَوَاء العَاكِفُ فِيهِ وَالبَادِ﴾ وأن هذا حكماً عاماً لكل المساجد لاسيما ما شعّر منها كمشعر إلهي على حذو المسجد الحرام.

٢ ـ بعد ظهور هذه الآيات في ترتّب هذه الأحكام على المسجد الحرام بما هو مسجد كطبيعة عامة، غاية الأمر: أشدّية هذه الأحكام في المسجد الحرام.

٣ ـ مضافاً إلى ورود جملة من هذه الأحكام في عموم المسجد، يكون شاهداً آخر على ذلك.

٤ ـ عموم التعليل الوارد في تلك الآيات، كقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، حيث يظهر منها أن إضافة المقام لإبراهيم هو منشأ الأمر بالعبادة في ذلك الموضع، وتعظيم ثوابه، وتعظيم ذلك المقام وتقديسه، وأنه بسبب شرافة المكان وإضافته لنبي الله إبراهيم عليه السلام تأهّل ليكون مكاناً ومحلاً يُتقرب فيه إلى الله سبحانه وتعالى .

وأما الروايات الدالة على هذه القاعدة:

١ ـ ففي صحيح عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«لو عطّل الناس الحج لوجب على الإمام أن يجبرهم على الحج إن شاؤوا وإن أبوا، فإن هذا البيت إنما وضع للحج»[1].

---

(١) وسائل الشيعة: أبواب وجوب الحج/ ب٥/ ح١.

٢ ـ وفي صحيح الفضلاء، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك أو على المقام عنده، ولو تركوا زيارة النبي لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك، أو على المقام عنده، فإن لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين»[1].

ومفاد هذين الحديثين:

١ ـ فريضية عمارة بيت الله الحرام الحاصلة عن طريق عبادة الحج وكذلك فريضية عمارة قبر النبي صلى الله عليه وآله ومسجده الحاصلة بزيارة النبي صلى الله عليه وآله.

٢ ـ وأن هذه الفريضة ليست موكولة إلى المكلفين واختيارهم فحسب، بل اللازم على الوالي إجبارهم على ذلك لو امتنعوا.

٣ ـ يجب على الوالي أن يمدّهم بالمؤونة المالية من بيت المال فيما إذا عجزوا عن ذلك.

٤ ـ يجب على عموم المسلمين الإقامة في مكة المكرمة وجوباً كفائياً وكذلك الحال في المدينة المنورة، وأن عمارة المدينتين فريضة تتأدّى بالإقامة والعمران فيها.

٥ ـ أن هذه الفريضة ليست فريضة كفائية على المسلمين فحسب بل هي وظيفة من وظائف الدولة والنظام الإسلامي كما هو الحال في إحجاج الناس لبيت الله الحرام، وتشييد زيارة النبي صلى الله عليه وآله.

٦ ـ أن هذا الواجب يتعين على الدولة الإسلامية إقامته، وكوظيفة مالية.

---

(١) وسائل الشيعة: أبواب وجوب الحج/ ب٥/ ح٢.

٧ ــ صحيحة عبدالله بن سنان، عند الصادق عليه السلام: «إن لله عز وجل حرمات ثلاثاً ليس كمثلهن شيء: كتابه وهو حكمته ونوره؛ وبيته الذي جعله قبلة للناس لا يُقبل من أحد توجهاً إلى غيره، وعترة نبيكم»[1].

ومفاد هذه الصحيحة أن الحفاظ على الكتاب العزيز، والحفاظ على المسجد الحرام بعمارته وغيرها، والحفاظ على العترة كما هو حاصل بعمارة قبورهم ومراقدهم الشريفة، هي من أعظم الفرائض، وأعظم أُسس الدين وبقائه، وبذلك يتبين تعاظم وأساسية هذه الفريضة في صرح الدين.

أدلة فريضية عمارة مراقد النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته:

ـ مضافاً لما تقدم من الأدلة في عمارة المسجد الحرام من الآيات والروايات، نستعرض جملة من الآيات والروايات الأخرى الخاصة بذلك، أما الآيات:

١ ـ قوله تعالى: ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[2].

---

(١) معاني الأخبار: ١١٧.

(٢) سورة النور: الآية ٣٥ـ٣٧.

وقد بسطنا القول في بيان هذه الآية أنَّها واردة في الخمسة أصحاب الكساء، والتسعة من ذرية الحسين عليه السلام، في كتاب الإمامة الإلهية[١]، وكتاب عمارة قبور النبي وأهل بيته.

حيث أن بيوتهم ومراقدهم بنص هذه الآية قد جُعلت من قبله تعالى مشعراً إلهياً، وفرض تعالى أن تعظّم وتُرفع، وأن تُجعل مواطن للعبادة ولذكر الله تعالى.

وقد أشارت الآية أن العمارة ليست بالبناء والعمران فحسب بل بالزيارة والتواضع وإقامة العبادة لله تعالى فيها، فالإذن هنا بمعنى الأمر، والرفع أن تعظم وتجلل وتقدس، ولا يخفى أنه من هذا المفاد يستفاد جملة النقاط الاثني عشرة المستخلصة من الآيات والست نقاط من الروايات في إعمار مكة المكرمة.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[٢].

وذكر القرآن الكريم لهذه الواقعة تقرير للمؤمنين الذين كانت لهم الغلبة بقرينة ذكر اتخاذ المسجد، تقرير منه لهم على ذلك. ولم يفند اتخاذهم المسجد، بل هو في مقام المدح والإطراء عليهم.

٣ ـ ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٣]

---

(١) الإمامة الإلهية ج٤، ٥.
(٢) سورة الكهف: الآية ٢١.
(٣) البقرة: الآية ١٢٥

فإن مفادها تشعير مقام إبراهيم وتخليد ذكره بذلك، الذي هو سبب لخلود التوحيد وباعثاً للناس على التمسك بدينهم.

فإذا كان الحجر قد لامَس بدن نبي الله إبراهيم، يعظم بهذه المثابة ويتخذ مكاناً للعبادة. وقد بسطنا دلالة الآية على ذلك في المصادر المتقدمة.

حيث أن إضافة المقام إلى إبراهيم مشعر بالعليّة للحكم.

فكيف الحال بمن هو أعظم من إبراهيم، وتقريب الدلالة فيه أيضاً بما تقدّم.

ثم شمول هذا التقريب لمراقد آل النبي بما تكاثرت الأدلة من الآيات والروايات على أفضليتهم.

ولا يخفى أن التعبير في الآية للتعظيم والتفخيم، نظير قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾.

ـ ويشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1].

وفي هذه الآية دلالة على عظمة البيت الحرام والمسجد الحرام بأن فيه مقام إبراهيم.

ـ ويشير إلى نفس هذا التعليل: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٦، ٩٧.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

فجُعل في هذه الآية من غايات الوفادة والزيارة لبيت الله الحرام هو مودة وهوي قلوب المؤمنين لذرية إبراهيم عليه السلام لا إلى البيت الحرام.

ـ ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1].

فجعلت الآية من غايات الحج المجيء والإتيان إلى إبراهيم، فالحج لبيت الله الحرام، وفادة على ولي الله..

وبذلك يظهر أن جملة الآيات المتقدمة في بيت الله الحرام والروايات كلّها، تشمل مراقد النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

ويشير إلى تعليل عظمة البيت الحرام بما اصطفاهم الله سبحانه، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ﴾[2].

حيث تبين الآية أن عظمة وقدسية القبلة من جهة طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وولايته في قبول العبادات.

ـ فيستفاد من هذه الطائفة من الآيات أن مشاهد الأنبياء والأوصياء هي مواطن قربات ومشاعر لعبادة الله سبحانه، ولاسيما أعظم الأنبياء، وكذلك أهل بيته عليهم السلام من بعده، فكيف ببقاع ثوت فيها الأجساد الطاهرة، وهذه القاعدة في القداسة لتلك البقاع ضرورية عند المسلمين.

حيث حكى السمهودي في مقدمة كتابه وفاء الوفاء إجماع المسلمين

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٦.
(٢) البقرة: الآية ١٣٣

على أفضلية قبر النبي صلى الله عليه وآله على الكعبة[١]. وفي الحقيقة هذا هو ما استفاض بين الفريقين، ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»**. أو: **«ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة»** فإن اقتراب بقعة المسجد من قبره وبيوته جعلته مشعراً مقدساً إلى درجة صيرورته روضة من رياض الجنة، وبيوته شاملة لبقاع أهل بيته، كما سيأتي مفصلاً في المبحث الروائي».

٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[٢].

ـ وسيأتي أن مراقد النبي وأهل البيت عليهم السلام من أعظم البقاع والأراضي المقدسة.

وقد روى إسماعيل عن أبيه موسى بن جعفر عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي**»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ

---

(١) وفاء الوفاء ج١: ٣١.
(٢) سورة المائدة: الآية ٢١.
(٣) كامل الزيارات/ ب ٢ ح ١٧.
(٤) سورة البقرة: الآية ٥٨.

شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾[1].

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِى وَأَخِى فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

ويستفاد من هذه الآيات جملة من الأحكام:

١ ـ وجوب عمارة البقاع المقدسة بالتوافد إليها وزيارتها.

٢ ـ تشعير الله عزّ وجلّ لجملة من الأراضي والبقاع وتعظيمها وتقديسها.

٣ ـ هذه الأراضي المقدسة جعلت مواطن لتطهير العباد عن الذنوب، وذلك بزيارتها والوفود إليها، وإقامة العبادة والاستغفار فيها، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ وأن هذه الأرض كتبها الله لهم، لاسيما وقد ورد أن الزيارة لهم بمثابة الهجرة إليهم[3]. هذا فضلاً عن طرق الخاصة التي نقلت هذه الروايات.

٤ ـ قطيعة هذه البقاع وجفاؤها ارتداد عن الإيمان على الأدبار وانقلاب

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٦١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢١ ـ ٢٦.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩: ١٦٨ ـ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٧: ٥٠٣.

بالخسران.

٥ ـ أن هذه الأراضي والبقاع المقدسة يجب الجهاد لتحريرها من أيدي الجبارين عليها، فيجب نزعها عن أيدي وسلطة الجبارين، وإقامة حكم عادل فيها على الدوام.

٦ ـ التخاذل عن تحرير الأراضي المقدسة، وعدم الوفود عليها حوبته وعقوبته التيه في الأرض.

أدلة كون مراقد النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من الأراضي المقدسة المندرجة في عموم الآية:

١ ـ لا يخفى أنه قد وردت في روايات الفريقين إن علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام بمنزلة باب حطة[1].

٢ ـ وقد تقدم أن بِقاع مراقد أهل البيت عليهم السلام تتضمن البيوت التي أمر الله تعالى بتعظيمها ورفعتها، وشعّرها أماكن مقدسة.

في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾.

٣ ـ ويشهد لذلك أيضاً على أن مراقدهم من الأراضي المقدسة الإشارة لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ حيث أن جهة اتخاذه عبادة لتكريم مقام الإضافة إلى النبي إبراهيم عليه السلام.

---

(١) ونذكر على سبيل المثال بعض المصادر لا على سبيل الاستقصاء، الدر المنثور في ذيل الآية ج١: ١٦٠ ـ المعجم الأوسط الطبراني ج١: ١٣٩ ـ ج٤: ١٠. الجامع الصغير للسيوطي ج٨: ١٧٦ ـ كنز العمال ج١١: ٦٠٣ ج٢: ٤٣٤.

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ فبيّنت الآيات أن رسول الله صلى الله عليه وآله من أعظم أبواب حطة الذنوب، بشروط ثلاثة، التوجه واللواذ بحضرة النبي صلى الله عليه وآله، استغفار المذنب، واستغفار النبي صلى الله عليه وآله له، أي شفاعته له. ومن ثمّ ورد مستفيضاً من طرق الفريقين عنه صلى الله عليه وآله: أن ما بين منبره الشريف وقبره (أو بيوته) ـ واللفظ الثاني وهو البيت أكثر وروداً في الأحاديث ـ روضة من رياض الجنة.

ومن بيوته صلى الله عليه وآله بيت علي وفاطمة وذرياتهما المطهرين وقد روى ذلك الفريقان في ذيل الآية.

وقد قال الله تعالى في تعظيم بيوت النبي: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[٣].

وقد روى الفريقان في ذيل هذه الآية الأخيرة، أنها بيوت الأنبياء وأن بيت علي وفاطمة من أفاضلها[٤].

---

(١) سورة المنافقون: الآية ٥.
(٢) سورة النساء: الآية ٦٤.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.
(٤) السيوطي في ذيل آية النور، وكذلك مصادر الإمامية.

٥ ـ ما مر من إشارة الآيات، نظير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[1]، ونظير قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ﴾[2].

حيث مر أن هذه الآيات تبين قدسية الكعبة والمسجد الحرام والقبلة إنما هو لتعظيم ذرية إبراهيم الذي هو سيد الأنبياء، وأهل بيته.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾[3]، أن جهة تقديس البيت لاشتماله على الآيات البينات ومن أعظمها مقام إبراهيم، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾، حيث تبين الآية أن إبعادهم عن المسجد الحرام لأجل عدم إقرارهم بكل من الشهادة الأولى والشهادة الثانية. فلا قيمة لحجهم وصلاتهم بدون ولايتهم لله ولرسوله أيضاً، وهذا يفيد أن عظمة الصلاة والحج كعبادات في بيت الله الحرام إنما قيمتها بالولاء لله والولاء للرسول، وهو نظير الغاية المذكورة في كلام إبراهيم، أن الغاية بإقامة بيت الله الحرام هو ولاية الله، وهوي القلوب إلى ذرية إبراهيم، وكذلك ما في قوله تعالى:

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٥ ـ ٣٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٦.

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ﴾ فجعل غاية الحج الوفود على الله وعلى أنبياء الله، لا مجرد أحجار الكعبة وبيت الله الحرام.

وذرية إبراهيم من ذرية إسماعيل والتي دعا إبراهيم وإسماعيل أن تكون من ذريتهما أمة مسلمة، كما في سورة البقرة، وسورة الحج، وأن يُبعث سيد الأنبياء فيهم، هم من يكون الرسول منهم بنص الآية في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾[1].

وهم أمة موحدة لم تشرك بالله طرفة عين، استجابة لدعائهما وليسوا إلّا من شهد القرآن بطهارتهم من أهل الكساء من أهل بيته..

وقد بسطنا الحديث عن جميع هذه الآيات في محلّه[2] ويتحصل من ذلك أن عظمة المسجد الحرام والكعبة المشرفة، التي هي أعظم المساجد هي بعظمة الأنبياء، وذرياتهم المصطفون، وأعظمهم سيد الأنبياء وأهل بيته.

فمن ثم تبيّن صحة ما ذكره السمهودي في وفاء الوفاء، من (إجماع الأمة على أن قبر النبي صلى الله عليه وآله أعظم من الكعبة المطهرة)[3]. وكذلك الحال في مراقد أهل بيته.

ويتبين أن ما جاء مستفيضاً في روايات أهل البيت عليهم السلام من أن أعظم وأقدس بيوت الأرض، وبيوت السماء وأرفعها تعظيماً عند الله وطهارة وقدساً هي بيوت النبي وأهل بيته عليهم السلام..

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٩.
(٢) الإمامة الإلهية ج٤/ ٥ .
(٣) وفاء الوفاء، ج١: ٣١.

وكذلك ورد عنهم أن البيت المقدس، وإن كان اسماً لمسجد الصخرة التي صلت فيه الأنبياء إلّا أن الأعظم منه قدسية مسجد الكوفة ومسجد النبي صلى الله عليه وآله. نعم ثواب الصلاة في المسجد الحرام أعظم، ثم مسجد النبي، ثم مسجد الكوفة.. بل إن البيت المقدس، كما ورد عنهم عليهم السلام، في الدرجة السابقة على مسجد الصخرة هو بيت الإمام المعصوم الحي.

٦ ـ ما ورد متواتراً ومستفيضاً من الروايات من قدسية وعظمة مراقد قبورهم الشريفة وقد جمع صاحب الوسائل في أبواب المزار ما يزيد على المائة باب في ذلك فضلاً عما جمعه غيره كالمحقق الشيخ النوري في المستدرك والعلامة المجلسي في البحار وغيرهم.

فتحصل أن أعظم البقاع قدسية على الأرض، هو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقبور أهل بيته عليهم السلام اندراجاً تحت هذه الطائفة من الآيات، في ترتيب الأحكام الستة السابقة[1].

ـ وقد روي عن الباقر عليه السلام: **«ولا أعلم أن في هذا الزمان جهاداً إلّا الحج والعمرة والجوار»**[2].

وأما الروايات: في فريضية عمارة مرقد النبي صلى الله عليه وآله ومراقد أهل بيته:

الطائفة الأولى: بالنسبة لقبر النبي صلى الله عليه وآله، فقد استفاض بين الفريقين بل

(١) المذكورة في ص: ٣١، من هذا الكتاب.
(٢) الكافي ج١: ٢٥١.

تواتر التشعير لقبر النبيﷺ، وتشعير الروضة المباركة في مسجده الشريف. بل تمتد الروضة، إلى قبره الشريف، لقولهﷺ المستفيض بين الفريقين: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»[١].

بل وفي الطرق الكثيرة منها **«ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة»**.

وبيوته تمتد إلى بيت أم زمعة فيشمل بيت علي وفاطمةعليهما السلام. وفي لفظ آخر: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

وفي المصحّح عن جميل بن دراج، قال سمعت أبا عبداللهعليه السلام يقول: قال رسول اللهﷺ: **«ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من تُرع الجنة، وصلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام؛ قال جميل: بيوت النبيﷺ وبيت علي منها، قال: نعم وأفضل»**[٢].

أي أن السائل سأل أن بيت عليعليه السلام من بيوت النبيعليه السلام التي هي من رياض الجنة، ولا تختص بالبيوت التي جعل فيها أزواجه، بل تشمل بيوت قرابته الخاصة، من أصحاب الكساء، كما هو مقتضى التحديد ما بين المنبر والبيوت، فبيوت النبيﷺ شاملة لبيت علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام، بل والأئمة من ذرية الحسين، وأنها أفضل بيوت النبي، والمراد مضافاً إلى تحديد البقعة الواقعة في البين أن كل طرف في نفسه على روضة من رياض الجنة،

---

(١) كامل الزيارات: ٥١ باب ٣ .

(٢) الكافي ج٤/ باب المنبر والروضة ح١٠: ٥٥٦. (وقد ذكر فيه صحاح عديدة).

بمقتضى العموم الاستغراقي والمجموعي معاً، وهذا مطابق لما رواه السيوطي في الدر المنثور عن ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة، أن المراد من قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾ عن النبي صلى الله عليه وآله: **«أنها بيوت الأنبياء، وأن بيت علي وفاطمة من أفاضلها»**(١).

وهذا دال على أن بيت علي وفاطمة نسبته إلى النبي أتم من نسبة بيوت وغرف أزواجه إليه. وبالتالي فعموم بيوته شامل لبيوت ذريته المطهرة، وقد ورد مستفيضاً عن أهل البيت عليهم السلام في الزيارات، هذا الدعاء المأثور في الإذن للدخول لمشاهدهم ومراقدهم المطهرة: **«اللهم إني وقفت على بابٍ من أبواب بيوت نبيك»**.

ويتطابق هذا المفاد المستظهر مع الروايات الخاصة الواردة في كون مرقد كل منهم عليهم السلام روضة من رياض الجنة، وكالمستفيضة الواردة في كون حرم الحسين عليه السلام روضة من رياض الجنة(٢).

وفي صحيح أبي هاشم الجعفري قال: سمعت أبا جعفر، محمد بن علي الرضا عليه السلام يقول: **«إنّ بين جبلي طوس قبضة قبضت من الجنة، من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار»**(٣).

الطائفة الثانية: ما ورد من تواتر الروايات في زيارة قبورهم(٤)، نظير

---

(١) الدر المنثور/ سورة النور/ ج٥: ٣٦.
(٢) الوسائل أبواب المزار/ باب ٦٧.
(٣) أبواب المزار/ باب ٨٢/ ح: ١١.
(٤) أبواب المزار في الوسائل، وكتابي المزار للشيخ المفيد، ومصباح المتهجد، وكامل الزيارات، وغيرها من كتب الزيارات.

ما رواه الصدوق في الصحيح عن ياسر الخادم قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: **«لا تُشدّ الرحال إلى شيء من القبور إلّا إلى قبورنا، ألا وإني مقتول بالسمّ ظلماً ومدفون في موضع غربة، فمن شدّ رحله إلى زيارتي استجيب دعاؤه وغُفر له ذنوبه»**[١].

وقد استفاض في هذه الطائفة من الروايات كون زيارتهم وعمارة قبورهم من معالم شعائر الدين الكبرى، فقد عقد صاحب الوسائل ستة وتسعين باباً وأخرج مئات الأحاديث فيها. ونظير هذه الأبواب، أبواب المزار في البحار للمجلسي، وفي مستدرك الوسائل للميرزا النوري فضلاً عما أوردوه في أبواب أحكام المساجد وغيرها؛ بل قد ورد الحث منهم على زيارة قبورهم وعمارتها في حال الخوف على النفس، وهي سيرة شيعتهم منذ القرن الأول إلى يومنا هذا.

الطائفة الثالثة: ما استفاض بل تواتر في الروايات أن مراقدهم عليهم السلام، حرم من حرم الله وحرم رسوله، نظير ما في لسان تلك الروايات في آداب الزيارة: «ثم امش حافياً فإنَّك في حرم الله وحرم رسوله»[٢].

وقد تعددت الروايات الواردة عنهم عليهم السلام أن الكوفة أفضل البقاع بعد حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، وبعدها مراقد الأئمة عليهم السلام، وأن ثواب الصلاة فيها، يأتي في الفضل والعظمة بعد فضيلة المسجد الحرام والمسجد النبوي[٣]، ولا يقاس بها فضيلة بيت المقدس، أو غيرها من المراقد.. بل إن خصوص موضع

---

(١) عيون أخبار الرضا ج١: ٢٨٥.
(٢) لاحظ الوسائل/ أبواب المزار: آداب الزيارات التي أوردها.
(٣) الوسائل/ أبواب أحكام المساجد/ كتاب الصلاة.

قبورهم أعظم شأناً من الكعبة، كما صرّح بذلك السمهودي في وفاء الوفاء، ونقل إجماع الأمة على أن مرقد النبي صلى الله عليه وآله أعظم من الكعبة.

وفي صحيح جميل بن دراج قال، قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة مثل الصلاة في الروضة؟ قال عليه السلام: «**وأفضل**»[1].

وفي موثق يونس بن يعقوب؟ قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: الصلاة في بيت فاطمة أفضل أم في الروضة؟ قال عليه السلام: «**في بيت فاطمة**»[2].

وغيرها من الطوائف الكثيرة، والذي يظهر من حاصلها، ترتب جملة الأحكام المتقدمة ذكرها للحرم المكي والحرم المدني على مراقد وعتبات بقية الأئمة المعصومين عليهم السلام وهذا مما يقرّر مفاد هذه القاعدة الفقهية.

---

(١) الكافي، ج٤: ٥٥٦.
(٢) المصدر السابق نفسه.

الفصل الحادي عشر

لكل سؤال جواب

بقلم

إبراهيم البغدادي

لكل سؤال جواب

الإمام الحسين عليه السلام:

المحاور: ما السرّ في قراءة رأس الحسين للآية الشريفة: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1]، على وجه الخصوص دون غيرها من السور؟.

الشيخ السند: هو أنَّ الآية الأعجازية التي كانت لله تعالى في أصحاب الكهف هو أنَّهم كانوا مؤمنين موحدين مضطهدين من قبل الملك والسلطان المتغلب في وقتهم وكان مجتمعهم يتابع ذلك السلطان الغاشم فكانوا منفردين في طريق الحق والهداية، وكان الملك وقومه يستأصلونهم، لو اطلعوا على دينهم أو سيطروا عليهم، الا أنه بقدرته تعالى أبقى وحفظ أصحاب الكهف بعدما هلك ذلك السلطان وقومه ونشأ نسل جديد وحضارة اخرى، ليبين تعالى على أنه قادر على نصر المستضعفين ويرجعهم إلى الدار الدنيا وتكون العاقبة هي غلبتهم على القوم الظالمين كما في قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3]، وغيرها من الآيات الدالة على

---

(١) سورة الكهف: الآية ٩.

(٢) سورة القصص: الآية ٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

رجوع الصالحين إلى الدار الدنيا وكون العاقبة لهم جزاءاً دنيوياً من الله تعالى قبل جزاء ثواب الآخرة.

المحاور: في قول لسيدتنا زينب عليها السلام حين أستشهد أخوها الإمام الحسين عليه السلام **«اليوم مات جدي محمد المصطفى، وأبي علي المرتضى، وأمي** فاطمة الزهراء ....»[1] ما هو المقصود من كلامها؟.

الشيخ السند: الظاهر كون المراد هو ذهاب أصحاب الكساء الخمسة بذهابه عليه السلام، إذ كان وجوده بقاء لهم فيه كما أن وجوده عليه السلام كان تجسيداً وروحاً لوجود الأُسرة النبوية، وكانت عليها السلام تأنس به وبنوره عليه السلام عند فقدهم.

المحاور: ما الأوجه المحتملة لشق الإمام الحسين أزياق القاسم بن الحسن؟.

الشيخ السند: قيل في سبب ذلك لتكون ثيابه بهيئة الكفن فيستشهد فيها، ولا يطمع في سلبها منه العدو بعد شهادته.

المحاور: أرجو ذكر خمساً من الثورات التي نتجت بعد ثورة الامام الحسين؟.

الشيخ السند: ثورة زيد الشهيد بن الإمام السجاد عليه السلام، وثورة التوابين في الكوفة، وثورة المختار، وثورة يحيى بن زيد الشهيد، وثورة صاحب فخ الحسين بن علي من بني الحسن المجتبى عليه السلام.

المحاور: ما هي النتائج المستخلصة من ثورة الامام الحسين؟ وما هي بواعث الثورة عند الإمام الحسين؟.

الشيخ السند: حيث أن نتائج ثورة ونهضة الحسين عليه السلام هي البواعث

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي ج٣ ص٦٤.

لها وقد ذكرهاعليها السلام في عدة من خطبه وكلماته الشريفة، منها: «**إنما خرجت لطلب الأصلاح فيٌ أمة جديصلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر**»[1]، حيث قد أستبدلت الخلافة الإسلامية على يد معاوية بملك الوراثة النسبية الترابية، وهذا إنحراف خطير في الدين والأمة الإسلامية أن يتبدل مسار الزعامة الدينية والدنيوية. منها ما قاله الرسولصلى الله عليه وآله: «**حسين مني وأنا من حسين**»[2]، فإن (من) ههنا ليس المراد منها التولد بل أحد معاني الكناية فيها هو أن دين النبيصلى الله عليه وآله وشريعته بقاءها مرهون بالحسينعليه السلام وذلك لأن بني أمية معاوية ويزيد وآلهما كانوا مصرّين على محو الشريعة وإزالة الدين بالتدريج حتى لا يبقى رسم ولا أسم منه وكلمات معاوية ويزيد في ذلك معروفة، وكيف لا والبيت الأموي بزعامة أبو سفيان لم ينثني عن مجابهة الرسولصلى الله عليه وآله ودولته في المدينة ومن قبل في مكة، واستمر إيقاده للحروب ضد الرسول حتى عام الفتح لمكة ومن الواضح أن هذا الموقع القبلي الذيٌ يتمتع به أبو سفيان وبنو أُمية لم يتبدد بفتح مكة بل بقي على حاله وإن كانوا في الظاهر استسلموا أمام السلطة الاسلامية للرسولصلى الله عليه وآله الجديدة، ويتبين ذلك في قول أبي سفيان لعلي بن أبي طالبعليه السلام في أيام السقيفة يريد اغراءه بمناصرته ضد أصحاب بيعة السقيفة، «**لو شئت لملئتها لك رجالاً وفرساناً**»، وكذلك إسترضاء أبي بكر لأبي سفيان عندما أعترض على استخلافه وأن تيم أخمل قريش ذكراً وبطنا أسترضاه بتنصيب يزيد بن أبي سفيان على الشام. ومن ثم الخليفة الأول والثاني لم يجدا بداً من الإستعانة في جهاز الحكم وقيادة الجيوش وكسب الغنائم والمناصب ـ

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٠.

(٢) سنن الترمذي ج٥، ص٣٢٤؛ المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص٤٢٢.

بالحزب القرشي المناوى لبني هاشم وللأنصار، وإلى ذلك يشير الحسين عليه السلام: **«وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»**[١].

ومنها: سنّ السنة الإلهية العظيمة وهي مجاهدة الظالمين والطغاة من الحكام في بلاد المسلمين والثورة عليهم ردعاً للمنكر وإقامة للمعروف في كافة أشكاله ونظمه وأبوابه، وإلى ذلك يشير بقوله عليه السلام إستناداً الى قول رسول الله: **«من رأى سلطاناً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالأثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»**[٢]، أو **«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»**[٣].

ومنها: إستدعاء أهل العراق ومبايعتهم له عليه السلام لاقامة الحكم الإلهي العادل الحق .

ومنها: عزم يزيد أغتيال الحسين عليه السلام بكل طريقة وسبيل وقد أشار عليه السلام إلى ذلك في عدة خطبه.

والخلاصة: أن هناك العديد من الأسباب ودواعي الحكمة في نهضته عليه السلام اجتمعت حتى أن كثيراً من الكتاب والباحثين ينسبون تولد التشيع إلى نتائج ثورة الحسين عليه السلام وتعاطف محبي أهل البيت عليهم السلام لمظلوميته وهذا القول وإن كان تنكراً للحقائق القرآنية والسنن النبوية الدالة على أمامة أهل البيت عليهم السلام ومذهبهم، إلا أن ذلك القول يعكس مدى تعرية الإنحراف

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٢٦.
(٢) بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٨٢.
(٣) عمدة القاري للعيني ج٧ ص٢٢٤، التبيان للطوسي ج٢ ص٤٢٢.

الذي أصاب المسلمين تكشف كثير من الحقائق وتزييف الباطل الذي لم يتحقق قبل ثورة الحسين عليه السلام.

المحاور: كيف نرد على الذين يقولون أن الإمام الحسين عليه السلام قد أخطأ عندما أخذ معه أهل بيته من نساء و أطفال الى كربلاء و هو يعرف المصير؟ وهل للإمام الحسين عليه السلام الحق فى التصرف فى حياة أهله؟.

الشيخ السند: نظير هذا الإعتراض يذكر في مواجهة الصديقة الزهراء عليها السلام عندما أراد جماعة السقيفة إجبار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على بيعتهم فتصدت لهم من وراء الباب وقد كان عليه السلام في البيت، فيورد المعترضون أنه كيف تسمح الغيرة الأبيّة لمثل أمير المؤمنين ولسيد الشهداء بذلك، وما الحكمة في ذلك وهما عليهما السلام قد اتفق ذلك منهما بوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله كما جاء في الروايات أنه صلى الله عليه وآله أخذ على عليّ عليه السلام الصبر وعلى الحسين عليه السلام إن الله شاء أن يراهن سبايا، فهل الإرادة والمشيئة إلاهية تتعلق بذلك وكيف وجه الحكمة فيه، ويستعرض لنا القرآن الكريم الإجابة عن ذلك بأن المجاهدة في سبيل الله ومقارعة المعسكر الآخر كما تكون بالنفس والمال تكون بالمخاطرة بإهانة العرض لا بنحو الإبتذال والتدنيس كما في قصة مريم عليها السلام ففي سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ... قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]، وفي سورة مريم: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥ ـ ٤٦.

مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ۝ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ۝ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ۝ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[1]، وفي سورة المؤمنون: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[2]، فمريم قد تعرضت لوظيفة حمل النبي عيسى عليه السلام من غير أب لتتحقق المعجزة الإلهية لإثبات نبوة عيسى عليه السلام وبعثته بشريعة جديدة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، مع أن تحقيق المعجزة هذه كان يخاطر بسمعة مريم وعرضها، إلى درجة مواجهة بني إسرائيل لها بالقذف والبهتان ولكن كل ذلك لا يعنى ابتذال وتدنيس مريم بل غاية الأمر إهانة عرضها، فتحمّلت المسؤولية الإلهية وأعباء المعجزة والرسالة الجديدة مع أنها أصعب من الجهاد بالنفس والقتل بالسيف، للإنسان الغيور وبالنسبة للمرأة العفيفة التي أحصنت فرجها ولذلك قالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[3]، ولكن جهادها وتحملها أقام الحجة على كفار بني إسرائيل فجعلها الله تعالى آية وحجة تشارك إبنها النبي عيسى عليه السلام في الحجية، وهناك واقعة أخرى يسردها لنا القرآن وهي

---

(١) سورة مريم: الآية ١٧ ـ ٣٠.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٠.
(٣) سورة مريم: الآية ٢٣.

واقعة المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

فههنا في واقعة المباهلة احتج الله بالزهراء عليها السلام على حقانية الشريعة المحمدية ونبوة سيد الرسل جنبا إلى جنب الاحتجاج بالأربعة بقية أصحاب الكساء، ففي هذه الواقعة قد تحملت الصديقة الزهراء عليها السلام بأمر من الله تعالى انزله في القرآن، تحملت المشاركة في المباهلة أمام ملاء أهل الكتاب، وهو نمط من المنازلة والمواجهة.

فإذا اتضح بعض الأمثلة المسطورة في القرآن الكريم من نماذج المجاهدة بالعرض لا بدرجة الإبتذال والتدنيس، يتضح عدم المجال لمثل هذه الاعتراضات الناشئة من عدم الإحاطة بجهات أحكام الشريعة وعدم الإحاطة بملابسات الأحداث التاريخية في صدر الإسلام وقراءة الإحداث بشكل مبتور تخفى فيه الحقيقة كما هي عليه، ثم الأخذ في الحكم على هذه الصورة المقطعة.

فإن الحكمة في كل من فعل الأمير عليه السلام والحسين عليه السلام هو لأجل تعرية وفضح الخصم والكشف عن جرأته على مقدسات الدين وحريم النبي صلى الله عليه وآله وأن الخصم لا يتقيد بأبجدية المبادئ الدينية وكان أستخدام هذا النمط من المواجهة والجهاد في ظرف اغلقت فيه أيّ فرصة أخرى لدحض إجرام الخصم وباطله أمام أنظار وأذهان الناس المفتتنة بأكاذيب الخصم الناسية

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

لوصايا القرآن والنبي صلى الله عليه وآله في حق العترة المطهرة ولولا موقف الزهراء عليها السلام والعقيلة زينب عليها السلام لكان الخصم يلتف بدعايته ووسائل إعلامه على الحقيقة ويغيب على الناس في ذلك الوقت فضلاً عن الأجيال اللاحقة يغيب عليها حقيقة الموقف. ولأجل ذلك أوصت عليها السلام بإخفاء قبرها وتشيعها ليلاً خفية ليظلّ ذلك رمزاً يطنّ في أذن التاريخ على الحقيقة التي حاولوا اخفاءها.

المحاور: كم عدد الصحابة اللذين استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام وما هي أسمائهم، وكم عدد (الصحابة) اللذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام؟.

الشيخ السند: لفظ الصحابة جرى إستعماله في من لقى النبي صلى الله عليه وآله أو روى عنه أو عاشره مدة من الزمن وأما إذا أضيف الشخص إلى أحد من الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فيقال مثلاً من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أو أصحاب الحسن عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام، نعم كان في أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله كحبيب بن مظاهر ومسلمة بن عوسجة وغيرهما أما عدد أصحاب الحسين عليه السلام فقد اختلف المؤرخون في ذلك:

الأول: أنهم أثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ذكره المفيد في الإرشاد والطبرسي في أعلام الورى والفتال في روضة الواعظين وابن جرير في تاريخه وابن الأثير في الكامل والقرماني في أخبار الدول والدينوري في الأخبار الطوال.

الثاني: إنهم اثنان وثمانون راجلاً كما في رواية حكاها في الدمعة الساكبة.

الثالث: ستون راجلاً كما ذكره الدميري في حياة الحيوان في خلافة يزيد.

الرابع: ثلاثة وسبعون راجلاً ذكره الشربيني في شرح مقامات الحريري.

الخامس: خمسة وأربعون فارساً ونحو مائة راجل ذكره ابن عساكر في تهذيب تاريخ الشام.

السادس: اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً ذكره الخوارزمي في المقتل.

السابع: احد وستون رجلاً ذكره المسعودي في إثبات الوصية وغيرها من الأقوال التي أنهاها العلامة المرحوم السيد عبدالرزاق المقرم في المقتل إلى عشرة.

وأما عدد الذين قاتلوا الحسين عليه السلام فذكر أنهم ثلاثين ألفاً وقيل أكثر بكثير وقد جمع بين الأقوال بعض المحققين بأن الذين كانوا في أرض المعركة هو العدد الأول وأما بقية الأعداد فكانت تمثل طوق عسكري لمنع وصول المدد والنصرة لسيد الشهداء عليه السلام من الأطراف والنواحي حتى أنه ذكر في التواريخ أن الطوق العسكري كان يمتد من كربلاء إلى الكوفة.

المحاور: أود أن تبينوا الأسباب التي جعلت الناس تتفرق عن مسلم ابن عقيل عليه السلام هكذا بين ليلة و ضحاها بعد أن كانوا ألوف حوله حيث يصل الأمر انه لا يجد من يدله الطريق؟ .

الشيخ السند: لم يكن تفرق الناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام بين ليلة وضحاها بل أستغرق ذلك مدة بنحو التدريج كما هو مفصل في كتب التاريخ، وعمدة السبب لتخاذل الناس عن مسلم هو خيانة وتخاذل أشراف ورؤساء القبائل أي النخبة من أهل الكوفة، وهو مما يدلل على مدى تأثير النخبة في المجتمع ومساره.

المحاور: ما منزلة حميد بن مسلم خاصة إنه روى واقعة الطف بأسرها؟.

الشيخ السند: لا يخفى أن الراوي لواقعة الطف لا ينحصر بحميد بن المسلم، فإن أهل البيت عليهم السلام الذين حملوا أسارى من أطفال ونساء فضلاً عن مثل أم كلثوم والعقيلة والإمام زين العابدين عليه السلام، وكذا الأسارى من عوائل شهداء الطف فضلاً عن من كان في جيش عمر بن سعد اللعين ممن أقرّ ونقل لأهل الكوفة ما شاهدوه بأعينهم، لا سيما وأن جملة منهم كانوا كالمتفرج للمعركة كاره للقتال، وكذا أهالي القرى المجاورة لنينوى والغاضريات من بني أسد وغيرهم، هذا فضلاً عن أن أئمة أهل البيت عليهم السلام يخبرون عن الأحداث وما كان وما يكون بعلم لدني من الله تعالى.

وعلى كل تقدير فإن حميد بن مسلم لو أفترضناه على أسوأ التقادير من أتباع السلطة الأموية فإن ما يشهد به العدو أحجّ للثبوت فإن الفضل ما شهدت به الأعداء، وقد يخفى هذا المطلب على البعض ويساوي المقام مع البحث في إستنباط الأحكام الشرعية الفرعية، فإن الوثوق بالأخبار والصدور هو المدار وهذه النكتة موجبة لذلك كما لا يخفى.

المحاور: من بقي من ذرية سيدنا الحسين عليه السلام بعد فاجعة كربلاء؟.

الشيخ السند: المعروف لدى أهل التواريخ والنسب وكتب الأصحاب أن ذرية الإمام الحسين عليه السلام هي من الإمام زين العابدين عليه السلام أبنه أما علي الأكبر فقد أستشهد معه وكذا علي الأصغر أو عبد الله الرضيع وكذلك جعفر بن الحسين فانه توفي في حياة أبيه وذكر محمد أيضاً، وأما البنات فقد ذكر أن له عليها السلام زينب وسكينة وفاطمة وعلى كل حال فإن بين المذكور في الكتب أختلاف في العدد والأسماء فلاحظ.

المحاور: هلا لي بجواب أكمل به معلوماتي، حول من إستشكل إننا

نفضل الإمام الحسين عليه السلام ونعطيه درجة أعلى من الإمام علي (عليهما أفضل الصلاة والسلام)، ويسأل لماذا نسمي حسينيات ولم نسمى عليات، ولماذا (اللطم) على الحسين أظهر وأكثر من (اللطم) على الإمام علي عليه السلام، وما إلى ذلك من إستشكالات؟.

الشيخ السند: سبب كثرة ذكر الشيعة لسيد الشهداء عليه السلام هو أمر النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام بذلك في الروايات المستفيضة، بل المتواترة فقد أكّدوا بإقامة العزاء على مصيبته التي هي من أفجع وأقرح المصائب التي تعتصر الوجدان وتنغّص العيش، فالبشاعة الشرسة التي انتهك بها حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله في سبطه وريحانته من الدنيا وسيد شباب أهل الجنة، فمصيبة الحسين عليه السلام مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، ومصيبة أمير المؤمنين وسيدة النساء والحسن المجتبى ففي قتل الحسين وولده وأهل بيته وأصحابه وسبي نساءه انتهكت حرمة القرآن الذي جعل من الحسين عليه السلام حجة لحقانية دين الاسلام وصدق النبوة الى يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]، فقد أمر الله تعالى نبيه في المباهلة بالاحتجاج بالحسين عليه السلام وأصحاب الكساء دون الصحابة ودون زوجات النبي صلى الله عليه وآله مع أن الإمام الحسين عليه السلام حين المباهلة لم يتجاوز بضع سنين من نشأته المباركة، فجعل الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام يتحمل مسؤلية إقامة الحجة على حقانية الدين وصدق النبوة، وكذلك آية التطهير وكذلك سورة هل أتى وغيرها من السور فمثل هذه الشخصية في الدين التي يرسم مقامه القرآن الكريم وكلام الله الحكيم،

---

(١) سورة آل عمران: االية ٦١.

انتهاك حرمته إنتهاكاً لحرمة الله تعالى ولحرمة القرآن ولحرمة الرسول صلى الله عليه وآله حيث قال: «**حسين مني وأنا من حسين**»[١]، و: «**إبناي هذان إمامان قاما أو قعدا**»[٢]، و: «**وسيدا شباب أهل الجنة**»[٣]، وغيرها من الاحاديث العظيمة النبوية التي توضح موقعية الحسين في الدين.

وسبي نساء الحسين عليه السلام هن بنات النبي صلى الله عليه وآله، فتصور ـ بالله عليك ـ ممن يدّعون الإنتماء إلى دين النبي كيف يرتكبون العظائم في حق سيد الرسل صلى الله عليه وآله، فذكر مصيبة الحسين ذكـر مصيبة النبي وجميع أهل بيته.

هذا مضافاً إلى أن واقعة كربلاء واستشهاده عليه السلام كشفت القناع عن زيغ السقيفة التي أدت الى تسلّط بني أمية على رقاب المسلمين وإلى لعب مثل يزيد الفسق والمجون بمقدرات الدين والمسلمين، فالشعائر الحسينية نبراس لحق أهل البيت في الإمامة وأحياء للتمسك بالثقلين المأمور بهما.

المحاور: من هو حميد إبن مسلم؟ وهل يجوز لعنه؟ وعلى أي أساس نأخذ برواياته؟ وهل كان من جيش عمر إبن سعد؟ وما هو سبب حضوره واقعة الطف؟.

الشيخ السند: لابدَّ من التنبه إلى النقاط التالية:

---

(١) مسند أحمد ج٤ ص١٧٢، سنن الترمذي ج٥ ص٣٢٤، المستدرك للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٧٧.

(٢) روضة الواعظين للنيسابوري ص٥٧، الأرشاد للمفيد ج٢ ص٣٠.

(٣) مسند أحمد ج٣ ص٣، مسند أبي سعيد الخدري، سنن أبن ماجة ج١ ص٤٤ ح ١١٨ باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، سنن الترمذي ج٥ ص٣٢١ ح ٣٨٥٦ فضائل الصحابة للنسائي ص٢٠ فضائل الحسن والحسين عليهما السلام.

أولاً: ليس مصدر الوثائق لواقعة كربلاء منحصراً في الراوي حميد بن مسلم، بل المصادر منتشرة عن الواقعة من كل حدب وصوب فهذا أبن عساكر في تاريخ دمشق عقد مجلداً من كتابه خاصاً بالإمام الحسين عليه السلام نقل طرفاً من وقائع الفاجعة الكبرى بأسانيد متصلة ونقل بأسانيد عديدة أيضاً مطر السماء دماً وأنه لم يرفع حجر إلاّ ورئي تحته دما. إلى غير ذلك من مصادر الفريقين، فهذا الصدوق ينقل في أماليه مقتلاً كاملاً بأسانيد متصلة إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام وقد أشتملت كتب الأحاديث عنهم عليهم السلام على لقطات وقصاصات خطيرة في الواقعة حتى روايات الفروع والأحكام الشرعية مثل كتاب وسائل الشيعة هذا فضلاً عن كتب التراجم من الفريقين وغيرها مما يطول ذكره في المقام.

ثانياً: لم يكن الراوي الوحيد للواقعة هو حميد بن مسلم كيف والإمام زين العابدين والباقر عليهما السلام والعقيلة وبنات النبي صلى الله عليه وآله وعيالات الحسين عليه السلام كلهم كانوا بمشهد من الحدث العظيم.

وكذلك هذه الآلاف من جيش بن سعد من أهل الكوفة فضلاً عن أهالي القرى والأرياف المجاورة فالحدث والمشهد الجلل قد حضره خلق كثير تنادوا به على مسمع التاريخ والأجيال.

ثالثاً: لم يكن كل من حضر في جيش عمر بن سعد على موقف متحد فقد كان بعضهم حتى على مستوى القيادة، لفصائل الجيش كاره لقتال سبط الرسول صلى الله عليه وآله وريحانته بل في بعض المواقع من المعركة كان يخشى عمر بن سعد وقوع الفتنة في جيشه.

رابعاً: الفضل ما شهدت به الاعداء، فإن الرواية المتضمنة لأحداث

الظلم على العترة وكذا فضائلهم التي تنقل من لسان المخالف في هواه لأهل البيت عليهم السلام أحجّ على المخالفين لأهل البيت عليهم السلام التاركين لفريضة مودتهم، لإنتفاء التهمة المزعومة في منطق نصب العداوة لهم.

المحاور: إنَّ قتلة إبي عبدالله الحسين عليه السلام هم الشيعة لا بني أمية وهذا مما تركز عليه اليوم الفئات الضالة كالوهابية والسلفية وماالقول السديد في الإجابة عن هذه الشبهة؟.

الشيخ السند: في كثير من الكلمات أسناد قتل سيد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة وأنهم شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا تزوير للحقائق لأن مدينة الكوفة لم يكن الغالب عليها الشيعة إلى أواخر القرن الثالث فضلاً عن عهد أمير المؤمنين وزمن واقعة الطف، ولذلك تجد في كتب التاريخ حين نهضة المختار في الكوفة للإنتقام لسيد الشهداء وماجرى في الطف كان غالب أحياء الكوفة ممن يوالى بني أمية وهواهم من العثمانية، فوجد صعوبة كبيرة جداً في السيطرة على الكوفة، أليس قد نهى أمير المؤمنين عن صلاة التراويح في مسجد الكوفة بتوسط أبنه الحسن المجتبى عليه السلام فتصايح الناس في مسجد الكوفة واسنة عمراه، وقد قال علي عليه السلام في أحد كلماته أنه لو نهى عن ما أبتدعه من كان قبله من الخلفاء من سنن خالفوا فيها سنة الرسول لتفرق عنه جنده، وهناك الكثير من الشواهد الدالة على هذة الحقيقة حتى أن أحد احياء الكوفة كانت تقطنه قبائل من أهل الشام والغريب من الوهابية والسلفية أنهم يذكرون في كتبهم أن الكوفة بقيت إلى زمن متأخر على مذهب سنة خلافة الجماعة، فكيف يكونون من الشيعة.

المحاور: الموقف العقلي يمكن التشكيك فيه بأساليب كثيرة في حين

أن الموقف العاطفي المشتعل لا يقبل التردد أمام التشكيك العقلي هناك من يقول أن الأمة كانت تدرك ظلم يزيد وآل أمية ولكنها كانت تحتاج إلى أن ينتقل من المستوى العقلي إلى المستوى العاطفي وهذا هو الذي تكفلت به ثورة الإمام عليه السلام كيف تقيمون هذه الرؤية؟.

الشيخ السند: العقل يطلق ويراد به معاني فقد يراد به العقل النظري وهي قوة الإدراك الفكري، وقد يطلق ويراد به العقل العملي وهو قوة العقل العمّال المحرّك المسيطر على قوة التحريك في النفس من قوى الغضب والشهوة، وقد سئل الكاظم عليه السلام عن العقل فقال عليه السلام: **«ما عبد به الرحمن وأكتسب به الجنان»**، وهو ينطبق على العقل العملي ومصنع الإرادة في النفس هو العقل العملي، ولا يكفي لهداية وكمال وصلاح الإنسان أن يدرك الحق والحقيقة الصادقة بعقله النظري، دون أن يصدق و يذعن ويسلّم بذلك فيقيم عزمه على ذلك وبالتالي تنطلق قواه العمّالة على مقتضى ذلك، فالعاطفة عبارة عن نحو تفاعل وإنشداد للنفس مع الشيء المدرك، فتنظير الحقيقة من دون الإيمان والحركة على هديها، كالطيران بجناح واحد.

ومن هنا تكمن فضيلة البكاء في رثاء مصاب سيد الشهداء حيث انه يلهب المشاعر النفسية دفعة تجاه الفضيلة من الغيرة على الدين والشجاعة والفداء والتضحية وغيرها من مكارم الصفات التي يلزم تحلي النفس بها.

المحاور: بين وعي النخبة من المفكرين، والعامة من الجمهور، أين نجد عاشوراء الحقيقية، هناك من يقول أن جمهور الناس بوعيهم الفطري يدركون من واقعة الطف ما هو أعمق وأوسع آفاقاً مما يتلقاه الباحثون

والمفكرون من خلال دراستهم وبحثهم، كيف تنظرون لمثل هذا القول ومـــا هو هذا الذي يدركه العامة بحسهم الفطري المرهف ولا يدركه الباحثون بدراساتهم؟.

الشيخ السند: حيث أن أهل البيت عليهم السلام هم الثقل الثاني و عدل الكتاب الكريم الذي هو الثقل الاول و قد استفيض و تواتر بين الفريقين عن النبي صلى الله عليه وآله الأمر بالتمسك بهما، فأهل البيت والقرآن الكريم وجهان لشيء واحد، و على ضوء ذلك فإن سيرة ائمة أهل البيت عليهم السلام ومنهم سيد الشهداء عليه السلام سيرته قرآن متجسد. فكما أن القرآن مهما قام الباحثون المتخصصون من علماء التفسير وغيرهم من العلوم الأخرى بتفسيره فإن ذلك لا يمثل كل آفاق القرآن ولا كل ما فيه من عيون المعرفة والعلم فيظل القرآن يرفد للبشرية على مختلف طبقاتها وأفهامها نميراً عذباً كل يغرف منه بحسب سعته وظرفه، فهكذا سيرة الحسين عليه السلام من المدينة الى مكة إلى كربلاء الى يوم العاشر فانها مليئة بالوقائع والمشاهد التي ينهل منها علماء الفقه والقانون وعلماء الكلام والفلسفة وعلماء الأخلاق والعرفان، وعلماء الأجتماع والعلوم الانسانية كل حسب تخصصه وبعده الذي يسير فيه، والعامة تحتفظ بهذا التجسد القرآني الجمعي المجموع بنحو الإدراك الأجمالي الفطري فتنصهر في أجواء مدرسة سيرته عليه السلام لاسيما وأن سيد الشهداء كما قال الإمام الرضا عليه السلام ما معناه: **«كلنا أبواب هدى و سفن نجاة ولكن باب الحسين أوسع وسفينته في لجج البحار أسرع»**.

المحاور: ما الذي نحتاجه اليوم عن عاشوراء الامام الحسين عليه السلام؟ وما الذي تحتاجه عاشوراء منا؟.

الشيخ السند: حاجة كل عصر من واقعة الطف هو أن يستلهموا منها ما يجيب على اسئلتهم المعاشة في عصرهم من تضارب الأفكار والرؤى وتعدد وجهات النظر، والذي تحتاجه عاشورا وفي الحقيقة هي الأخرى حاجتنا نحن الى عاشوراء أيضاً وهي أن نحييي الواقعة في وجداننا و مشاعرنا وذاكرتنا و تفكيرنا كي نعيش الجو التربوي الذي يجب أن نتكامل به وفيه، ولابد في الشعائر الحسينية كما في الروايات المتواترة عنهم عليهم السلام أن تكون حماسية جياشة وأن تكون مفعمة بالحزن والتفجع والجزع وأن تكون متضمنة للمعاني والمثل التي نشدها سيد الشهداء عليه السلام من الغيرة والحمية للدين والنبل والإباء للباطل والنهي عن المنكر وإقامة العدل وغيرها مما جاء في خطبه وكلماته المأثورة.

الشعائر الحسينية:

المحاور: أنا لست شيعية بل أنا سنيّه المذهب، ولكن أريد أن أتعرف عن عقائد مذهب أهل البيت عليهم السلام، هذا لأنه توجد بعض الأشياء التي يقوم بها الشيعة وأنا لا أوافق عليها. ولعل ذلك قد يكون يتناسب مع مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعليماته. ألا وهي ضرب الصدور في أيام عاشوراء، حيث أرى أنه ينبغي أن يكون عاشوراء وقت ذكر الله وعدم النزاع والأضرار بالجسم والأنفس، فلكوني لست شيعية لا أدري ما هي الأدلة التي تؤيد هذا العمل؟ وأريد أن أتعلّم وأتعرف على الحق، علماً بأنني سأتزوج بشاب شيعي ـ إن شاء الله ـ حيث أحبّه وأحترمه. وأتمنّى أن يتمّ ذلك قريباً على الرغم من أختلاف العقيدة الموجودة بيننا. مرة أخرى أقول بأنكم بذلك ستساعدونني لأتعلم عن حياة إنسان شيعي؟.

الشيخ السند: أما التعرف على عقائد الشيعة الإمامية فبإمكانك قراءة كتب العقائد الشيعية للتعرف عليها مثل كتب التفسير للإمامية فإنها مليئة بأسس عقائد الشيعة. وأما موسم أيام عاشوراء ففيها قتل الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وأبن السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سبط النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته ظلما من قبل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي، وسبيت نساءه وبناته ونساء أهل بيته وهن حفيدات رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنتهكت الدولة الأموية حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله في سبطه وانتهك رسول الله صلى الله عليه وآله في نساء أهل بيته، وفوق كل ذلك طافوا برأس الحسين عليه السلام وبرؤوس أهل بيته البلدان من كربلاء إلى الكوفة إلى الشام، أستعراضاً في هتك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكتفوا بذلك بل طافوا بنساء أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله البلدان، مع إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«أن الحسن والحسين ريحانتاي من هذه الدنيا»**[١]، وقال صلى الله عليه وآله: **«هما سيدا شباب أهل الجنة»**[٢] وقال صلى الله عليه وآله: **«هما إمامان قاما أو قعدا»**[٣].

بل إنَّ الله تعالى قد أوصى جميع المسلمين بقوله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[٤]، فجعل تعالى أجر جميع تبليغ دين الله تعالى هو مودة قربى رسول الله صلى الله عليه وآله والمودة ليست مجرد المحبة بل هي شدتها مع إبرازها فكيف بهذه الوصية الإلهية والفريضة القرآنية تخالف وتجحد،

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي ج٣ ص٧٣.
(٢) سنن الترمذي ج٥ ص٣٢١ ح: ٣٨٥٦.
(٣) البحار ج٣٦ ص٢٨٩.
(٤) سورة الشورى:: آية ٢٣.

وتنتهك مع انه تعالى قد أعظم من شأنها فجعلها عدل وأجر الدين كله.

وأمرنا بصلة قربى النبي ﷺ لا بقطيعتهم بينما قام يزيد الأموي بما قام من هذا الجرم الفظيع الشنيع وقال: «ليت أشياخي ببدر شهدوا وقع... إلى أن يقول: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل»[1].

فهو يصرح بأنه يثأر لأجداده المشركين الذين قتلوا ببدر وينتقم لهم من أهل بيت رسول الله ﷺ بذلك ويزداد يزيد عناداً وعتواً فيكفر بتصديق الوحي والرسالة، وكيف لا وهو الذي أتى بواقعة الحرّة الفجيعة في المدينة وأهلها وهتك كل الحرمات فيها في السنة الثانية من ملكه وفي السنة الثالثة هدم الكعبة ورجمها بالمنجنيق.

فما تصنعه الشيعة من إقامة الحزن والعزاء هي مواساة لرسول الله ﷺ لما جرى على سبطه وحبيبه الحسين وعملاً بوصية القرآن بمودة قربى الرسول ومقتضى المحبة هي الحزن لمصائب المحبوب وقد قال تعالى في ما استعرضه من سيرة النبي يعقوب عندما ابتلي بفراق يوسف ابنه: ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۝ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ... إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ۝ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ... ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ۝ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ... لَقَدْ

(١) تاريخ الطبري ج٨ ص١٧٨.

كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾[1]. فنرى في هذه السيرة للنبي يعقوب عليه السلام التي قصّها لنا القرآن عبرة ولنقتدي بما فيها من توصيات، إن سيرة النبي يعقوب الحزن على ما أصاب أبنه يوسف حتى بلغ من حزنه وبثّه أن عميت عيناه، وقد عابه أبنائه على ذلك، فلم يعبأ باستنكارهم عليه بل استنكر هو عليهم جهلهم برشاد فعله من الحزن على يوسف، وقاوم النبي يعقوب أبناءه في استنكارهم عليه الحزن على يوسف ورميهم له بالضلال، واستنكارهم طول حزنه على يوسف الذي استمر عقوداً من السنين.

ففي هذه الآيات يوصينا القرآن بالعبرة من فعل النبي يعقوب بإقامة الحزن وبث الشكوى إلى الله تعالى على فقد أبناء الأنبياء المصطفين، وعلى ما جرى عليهم من المصائب، حتى أن النبي يعقوب بلغ به الحزن الشديد أن تسبب ذلك في عمي عينيه الشريفتين، ولم يكن يعقوب يعبأ بذلك ولا بما ينكره عليه الآخرون من الحكم بضلاله، فقد أصرّ على أن الحزن وبثه الشكوى على المصاب على أبناء الأنبياء المصطفين هو من الرشاد. مع أن يعقوب قال لأولاده: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[2]، فلم يكن حزنه وبكائه وبثّه الشكوى إلى الله في المدة الطويلة الزمنية حتى عميت عيناه لم يكن ذلك منافيا للصبر الجميل.

والسرّ في ذلك مع أن الجزع والحزن الشديد غير ممدوح في ما يجري

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٣.

على الإنسان من مصائب، كموت عزيز وفقد حبيب، وذلك لكونه أعتراضاً على قضاء الله وقدره وعدم الرضا بتقديره، السر في فعل النبي يعقوب هو كون يوسف ليس من قبيل بقية الناس بل كان مجتبى ومصطفى كما في قول يعقوب له: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]، أي إن أهل بيت الأنبياء وذريّتهم المجتباة المنعم عليهم يستحقون التقدير والإحترام والمودة لأنهم قدوات البشرية وأعظم الثروات المعنوية التي تهتدي بتوسطها البشرية إلى الصراط المستقيم وقد قال النبي في الخبر المتواتر الذي رواه الفريقان: **«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»**[2]، فعترته هم علي وفاطمة والحسن والحسين وقد فرّطت جماعات من المسلمين فيهم وتركوا التمسك بهما معاً، مع أنه تعالى قد أمر النبي صلى الله عليه وآله في يوم المباهلة بالأحتجاج بعترته ومنهم الحسين عليه السلام فقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[3]، فجعل الله تعالى الحسين عليه السلام ممن يحتج به على أهل الكتاب والبشرية إلى يوم القيامة، فجعل الباري الحسين عليه السلام حجته على البشرية في صدق نبوة الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا نداء من القرآن خالد على مقام الحسين عليه السلام وكذلك ما في سورة الدهر والإنسان من وصفه من عباد الله

---

(١) سورة يوسف: الآية ٦.

(٢) فضائل الصحابة للنسائي ص١٥ فضائل علي عليه السلام.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

الذين يسبقون ويفوقون الإبرار، فالحزن على الحسين عليه السلام والحزن على يوسف ليس تبرماً وعدم رضا بتقدير الله تعالى بل هو مودة لذي القربى وتمسكاً بالثقلين وإستنكاراً للظلم وإبتعاداً من الضلال الذي يسير عليه يزيد وأمثاله من أعداء أولياء الله تعالى.

هذا وقد أمر الرسول صلى الله عليه وآله بعد غزوة أُحد بالبكاء والندبة على عمه حمزة، فكيف بأبنه وريحانته الحسين عليه السلام.

المحاور: ما هي الأدلة على حضور أرواح الأئمة عليهم السلام في مجالس العزاء الحسيني؟.

هل بإمكان الأئمة عليهم السلام الأستكثار من الخير بعد أستشهادهم كدعائهم لله مثلاً؟.

الشيخ السند: قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1]، والآية دالة على رؤية الرسول صلى الله عليه وآله ورؤية المؤمنون وهم أهل بيته المطهرون.

لأعمال جميع الأمة وظاهر الرؤية هي مشاهدة العمل حين صدوره، كما هو الحال في رؤية الباري تعالى ومن ثم أطلق الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أنهم شهداء على الخلق كما في سورة الحج: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾[2]، فهؤلاء الشهداء هم من نسل

(١) سورة التوبة: البية ١٠٥.
(٢) سورة الحج: الآية ٧٨.

إبراهيم وهو أبوهم وهم خاصة سيد الرسل صلى الله عليه وآله والرسول صلى الله عليه وآله شاهد عليهم وهم شهداء على الناس والشاهد هو الذي يشهد العمل أي تكون أعمالنا حاضرة عندهُ وفي مرمى حيطته.

وأما الأستكثار من الخير في عالم البرزخ والآخرة عن طريق الدعاء وغيره فقد وردت بذلك جملة من الآيات كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]. وهذا يطلق عليه في البحوث العقلية والفلسفة التكامل البرزخي والاخروي.

عاشوراء:

المحاور: من أين جاء صوم يوم عاشوراء، وما هي نظرة الشارع المقدس عن هذا الموضوع؟.

الشيخ السند: ورد في الروايات أن بني أمية أتخذته يوم صوم لفرحها بقتل الحسين عليه السلام وأن من كان يوالي أهل البيت عليهم السلام فلا يصومن ذلك اليوم، لأن الصوم يعبر عن حالة شكر فما ورد في بعض الروايات من الأمر بصومه محمول على التقية، وقد أعترف أبن تيمية بوضع النصاب المعادين لأهل البيت عليهم السلام هذه الروايات.الآمرة بصومه وفضيلة الصوم فيه.

المحاور: ماهي موقعية الحجية للسيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام؟

الشيخ السند: في الواقع إذا أردنا أن نتعرف على شخصية العقيلة زينب عليها السلام التي هي نبعة من نبعات النبوة، وغصن من أغصان شجرة

---

(١) سورة التحريم: الآية ٨.

الرسالة، ولتوضيح نبذة من مقاماتهاعليهم السلام لابد من الخوض في مقدمة تمهيدية وهي:

إن في الدين الإسلامي الذي هو دين الأنبياء والرسل ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[1]، وفي معارف الشرائع السماوية هناك مقام لنماذج بشرية ليسوا برسل، وليسوا بأنبياء، وليسوا بأئمة.

أقسام الحجج الإلهية:

الحجج الإلهية قد تقسم إلى خمسة أقسام وهي:

القسم الأوَّل: مقام الرسل:

فإنَّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

القسم الثاني: مقام الأنبياء:

فإنه ليس كل نبي رسول ولكن العكس صحيح، كما هو المشهور عند المتكلمين، أو أن جلِ الرسل أنبياء، إذ بعض الرسل ليسوا أنبياء بل ملائكة كجبرئيل ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[2].

القسم الثالث: مقام الإمامة:

وهو مقام إلهي شرعي أشار إليه القرآن الكريم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.
(٢) سورة التكوير: الآية ١٩ ـ ٢١.

إِمَامًا ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾[٢].

القسم الرابع: مقام الحجة:

والذي هو ليس برسول ولا نبي ولا إمام.

وهو من يكون حجة أصطفي وأنتجب ولكن ليس بنبي ولا رسول ولا إمام، نظير ما ورد في السيدة مريم عليها السلام فمريم عليها السلام ليست بنبية ولا برسول ولا إمام، ولكنها حجة مصطفاة ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾[٣].

ولا يخفى على القاريء أن هذه التقسيمات لا نجدها عند المذاهب الأخرى ما عدا النبوة والرسالة، فهم لا يشاركوننا فيها، ولا يعيرون انتباهاً (ولا اهتماماً) بهذا المقام المذكور في القرآن الكريم، فضلاً عن أن يعيروا انتباهاً إلى المقام الرابع وهو من يكون حجة مصطفاة وليس بإمام ولا برسول ولا نبي.

فالحجية الإلهية عند المذاهب الأخرى مقتصرة على النبوة والرسالة، وأما الإمامة فضلاً عن الحجية التي ليس لها لون الإمامة ولا لون النبوة ولا لون الرسالة، فلا يعيرون لها أي أهمية، ومن ثم كانت معتقدات مذهب أهل البيت على هذا التنويع الرباعي أو الخماسي - كما سيأتي - في الحجج، النبوة والرسالة والإمامة وحجية إلهية مصطفاة وإن لم تكن موسمة بهذه

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٢) سورة الأنبياء: البية ٧٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢.

الأوسم الثلاثة - النبوة والرسالة والإمامة - ومن ثم نعتقد في الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام إنها مصداق آية التطهير، نظير ما ورد في مريم بل وأعظم شأناً ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾.

فـ (على) هنا يعني أنها حجة مع أن مريم ليست من الأقسام الثلاثة الأولى ، ولكن أفعالها حجة، فكل ما فعلته وأدلت به هو حجة ، ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾[1].

فقد بعثت بمهمة إلهية ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[2].

فهي كانت مأمورة من قبل السماء بوصايا إلهية في ظل نبوة النبي عيسى عليه السلام وتبع لنبوته عليه السلام مع أنها لم تكن بنبية ولا برسول ولا بإمام.

فإذن هذه المعتقدات التي تعتقد بها شيعة أهل البيت عليهم السلام لها أصول قرآنية متينة جداً، واللازم على من يؤمن بالقرآن الكريم ولا يجعله عضين يؤمن ببعض ويكفر ببعض، أن يلتزم ويعتنق مثل هذه العقائد. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[3].

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٧ ـ ٢٩..
(٢) سورة مريم: الآية ٢٦.
(٣) سورة النساء: الآية ١٥٠ ـ ١٥١.

القسم الخامس: مقام الحكمة والتعليم:

بل في القرآن الكريم مقام خامس أو مقامات أخرى أيضاً كما يقال، قد يكون مركز الدائرة النبوة والرسالة ثم الإمامة ثم الحجية المصطفاة، ثم تأتي دائرة أوسع تحيط بهذه الدوائر الأربع من أقسام الحجج الإلهية، ولهم أدوار إلهية رسمها القرآن الكريم ورسمها الدين الحنيف ولهم ذلك الوقع الأسل في تاريخ أمواج الأجيال البشرية، نظير نماذج كثيرة ذكرها القرآن الكريم.

١- لقمان الحكيم:

فهو ليس بنبي ولا برسول ولا بإمام، كما لم يعين من قبل السماء بأنه حجة مصطفاة كمريم عليها السلام، ولم يرد فيه ما ورد في مريم بأنه أصطفي على العالمين، ولكن ورد فيه أنه قد أوتي الحكمة ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾[1]، حتى سميت سورة بأكملها بأسمه.

وقد جعل الباري تعالى حكمة لقمان يتلى في آيات مرشدة للأجيال البشرية إلى يوم القيامة، مما يدلل على أنه هناك مقامات إلهية لثلة من بقية أقسام البشر، ولكن هؤلاء - ذوي المقامات الأخرى - ليسوا من الحجج الإلهية بالمصطلح الكلامي أو المصطلح العقيدي، ولكن ذوي مقامات إلهية وشؤون معينة.

مقامات أخرى:

وهناك مقامات أخرى ذكرها القرآن وسطرها غير الحكمة، وهي

---

(١) سورة لقمان: الآية ١٢.

مقام وباب مفتوح لمن يوفقه الله ويسدده إلى مثل هذا المقام.

فإن بعض المقامات الإلهية لا زالت البوابة فيها مفتوحة.

فالنبوة والرسالة والإمامة بل حتى الاصطفاء الذي هو القسم الرابع ليست هي مقامات اكتسابية بل هي اصطفائية محضة على طبق مؤهلات وقابليات في الشخص المختار بتعيين من إرادة إلهية، وبعبارة أخرى باختيار من الله عَزَّ وَجَلَّ سابق لذوات بشرية على وفق ما علم منهم بعلم سابق أنهم سيكونون على طاعة متميزة من بين البشر، فيصطفيهم ابتداءاً ويمتحنهم بقاءاً قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ﴾[1].

أي تعين أصحاب تلك المقامات من الأنبياء والرسل والأئمة والحجج المصطفاة، أما المقام الخامس فليس فيه حصر بل الباب مفتوح.

وهذا المقام - الخامس - له أمثلة كثيرة في القرآن الكريم كما بينا.

٢- أسيا بنت مزاحم:

وهي امرأة فرعون ﴿وَضَرَبَ الله مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾[2].

فهنا الباري تعالى قرن أسيا بنت مزاحم مع مريم بنت عمران المصطفاة الحجة، فقرن هاتين المرأتين كأمثولة وأسوة لا لنساء العالمين، بل

(١) سورة القصص: الآية ٦٩.
(٢) سورة التحريم: الآية ١١ـ١٢.

كامثولة وقدوة لكل المؤمنين، رجالاً ونساءاً، في ثبات إستقامة هاتين المرأتين، وفي عفتهن ومثابرتهن وكفاحهن في سبيل شريعة السماء، حتى ورد في الروايات النبوية وروايات المعصومين عليهم السلام أن آسيا بنت مزاحم من الكملين، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت** خويلد وفاطمة بنت محمد»[1].

وهذا الحديث ليس على سبيل الحصر في بيان النبي صلى الله عليه وآله وإنما لبيان كان في زمنه صلى الله عليه وآله إذن يتضح من خلال هذا الحديث أن آسيا بنت مزاحم من الكُملين، والكامل هو الذي يؤتى الحكمة ويؤتى رشده ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

فلا ريب إذن أن الكملين يؤتون الحكمة ويكونون من قبيل لقمان الحكيم، بل أن ذيل الآية يشير إلى باب مقام مفتوح يمكن اكتسابه بالمجاهدة والوصول إلى مقام الإحسان فتنفتح عليه الحكمة الإلهية والعلم لكن بحسب رتبة المحسن في درجة أحسانه.

دور أصحاب القسم الخامس:

وقد يثار سؤال حول القسم الخامس وهو ما دور الذين هم من هذا القسم وأي تأثير لهم على البشر والاجيال البشرية هل هم حجج كالقسم

---

(١) تفسير البيضاوي للبيضاوي، ج٥ : ٣٥٩ تاريخ ابن الوردي، ج١: ٩٩، نور الثقلين ج٥ : ٣٧٧.

(٢) سورة القصص: الآية ١٤.

الرابع أم لا.

والجواب: إن دورهم هو نظير بعض الأنبياء الذين لم يبعثوا إلى الخلق ولم تكن لهم رسالة.

بل ولم يبعثوا حتى إلى أهليهم وذويهم وهذا بأعتراف كافة المسلمين[١].

فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبي منبأ في نفسه لا يعدوا غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولايعاينه في اليقضة، ولم يبعث الى أحد وعليه إمامٌ مثل ما كان ابراهيم على لوط عليهما السلام، ونبيٌ يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل الى طائفة قلوا أو كثروا، كيونس قال الله ليونس: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[٢]، قال : يزيدون ثلاثين الفاً وعليه إمام ، والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقضة وهو إمام مثل أولِي العزم وقد كان إبراهيم عليه السلام نبياً وليس بإمام حتى قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ من عبد صنماً أو وثناً لايكون إماماً[٣].

فإن هناك قسماً من الأنبياء فقط ينبأ لنفسه وليست له أي حجة حتى على أبنائه وأسرته فضلاً عن قريته أو البشر.

وليس في فعل الله عبث ولا لغو وإنما كله حكمة ... فله دور لا بما

---

(١) الفتوحات المكية لأبن عربي: ج٢: ٤١، الخصائص الفاطمية للكجوري، ج٢: ٢٩٤.
(٢) سورة الصافات: الآية ٤٧.
(٣) الكافي للكيلني ج١: ١٧٤.

هو ينبيء عن السماء بل له دور بما يدلي من رشد وحكمة وبينات وبراهين، فتكون الحجية فيما يدليه من بينة ورشد وحكمة.

أي أن الحجية ليست لكلامه بصفة أنه صادر من ذات ذلك الشخص، كما هو الحال في الأقسام الاربعة بل الحجية هي لما يتضمنه كلامه من أدلة وبراهين وبينات هي بنفسها متصفة بالحجية نظير حجية العقل في البديهيات، فدور أصحاب القسم الخامس هو إرشاد العباد إلى تلك البراهين وتلك البينات فدورهم بمثابة التنبيه وأحداث اليقظة والإلفات إلى المعرفة التي هي متضمنة ومنطوية على دلائل وحجج برهانية.

فبهذا اللحاظ ليس لأشخاص القسم الخامس صفة رسمية في نظام ظاهر الدين والشريعة، إلا أن لهم مسؤوليات بنشر ما هو نور وبرهان وهداية ورشاد، فمدار تلقي الآخرين منهم هو على حجية ودلائل ذات المعرفة التي يكشفون لا على صدور تلك المعرفة من لسانهم وأقوالهم.

وهذا نظير مؤمن آل فرعون - حزقيل عليه السلام - ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ الله﴾[1].

وكذلك نظير مؤمن آل ياسين - حبيب النجار - ﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[2].

وهؤلاء لم يكونوا من الأنبياء والرسل ولا حجة مصطفاة ولكن كانوا من الكمل وكانوا من ذوي الحكمة اللدنية وليس الحكمة الكسبية.

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٨.

(٢) سورة يس: الآية ٢٠.

وقد جعل القرآن الكريم حكمهم ورشدهم قرآناً متلواً ونبراساً هداية ونوراً للأجيال البشرية إلى يوم القيامة.

وكذلك بالإضافة الى آسيا بنت مزاحم ومريم بنت عمران.

إذن فالثمرة من دور القسم الخامس وإن لم يكن لهم حجية تعددية على الآخرين، ولم يتعبد الباري الآخرين على إطاعتهم وإتباعهم بما هم هم كحجج ولكن مع ذلك لم يفقد الباري دورهم وأثرهم في البشرية، بل هم ينبوع البينات والبراهين، وبالتالي الآخرون يتبعونهم لأجل ما يثيرونه من رشد وبينة وهداية.

فنحن عندما نتبع لقمان أو آسيا بنت مزاحم أو مؤمن آل فرعون أو آل ياسين إنما نتبع ما يدلون من حجج وبينات وبراهين ورشد وهداية ونور... وكذلك بقية النماذج التي سطرها القرآن الكريم.

الحكماء الإلهيون والمعلمون في الامة الإسلامية:

وإذا أتضح لنا مثل هذا الباب من المعرفة القرآنية الاعتقادية يتضح لنا أن في الأمة الإسلامية من هذا القسم - الخامس - قد قام بهذا الدور أيضاً ثلة وهم من يحيطون بأهل البيت عليهم السلام إما يحيطون بهم نسباً، أو يحيطون بهم ولائياً كسلمان الفارسي وعمار والمقداد وأبي ذر.

أما الذين يحيطون بأهل البيت عليهم السلام فنذكر نماذج منهم لكي نتعرف في النهاية على شخصية الحوراء زينب عليها السلام وعظمة دورها في الدين الإسلامي وفي الأمة الإسلامية وفي المعرفة الدينية، حتى ذكر بعض الفقهاء أو المتكلمين من الإمامية دورها ربما يفوق حتى دور مريم عليها السلام كما سنبين.

الحكماء الإلهيون والمعلمون في ذراري أهل البيت عليهم السلام:

ومن نماذج ذراري اهل البيت عليهم السلام التي هي من القسم الخامس بعض أبناء الائمة الذين بدا الله في إمامتهم، كإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله، فقد روى الفريقان أن النبي صلى الله عليه وآله قال في موت ولده إبراهيم أبن مارية: لو عاش إبراهيم لكان نبياً[1].

وربما قد يثير الكثير إشكالاً حول هذا الحديث، وأن هذا الحديث يخالف حديث المنزلة **«أما ترضى - يا علي - أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**[2].

ولكن في الحقيقةلا توجد أي مخالفة ولا معارضة، لأن النبي صلى الله عليه وآله لا يخبر عن أمر تحقيقي قد يقع، وإنما يخبر عن أمر تعليقي، وحديث **«لا نبي بعدي»** إخبار تحقيقي.

والمهم أن هذا الحديث - لو عاش إبراهيم لكان نبياً - في الواقع يريد النبي صلى الله عليه وآله أن ينبيء عن منزلة إبراهيم، وإن هذه النطفة النبوية هكذا شأنها.

وقد ورد نظير ذلك وبشكل أخف في الطاهر والقاسم أبني النبي صلى الله عليه وآله حيث ورد فيهما أنهما مطهرون ذاتاً، وقد كان يلقبان بالطيب والطاهر.

وأيضاً ما ورد في المحسن ابن علي وأبن فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

(١) تاريخ دمشق لأبن عساكر: ج١٣٨:٣، السيرة النبوية لأبن كثير: ج٤: ٦١٣، البحار للمجلسي: ج٢٢، ٤٥٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢: ٣٦٥ ط مؤسسة الأعلمي ، صحيح البخاري: باب غزوة تبوك، الإرشاد للمفيد: ١٣٨.

علي الأكبر:

وقد قال الإمام الحسين عليه السلام حينما برز ولده علي الاكبر وهو يومئذ أبن ثماني عشر سنة، فلما رآه الحسين رفع شيبته نحو السماء وقال: **اللَّهُمَّ أشهد على هؤلاء القوم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك محمد صلى الله عليه وآله...**

ثم صاح الحسين بعمر بن سعد: مالك! **قطع الله رحمك، ولا بارك الله في أمرك، وسلط عليك من يذبحك على فراشك، كما قطعت رحمي، ولم تحفظ قرابتي، من رسول الله صلى الله عليه وآله** ثم رفع صوته وقرأ:

﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقرائته عليه السلام لهذه الآية لبروز علي الأكبر ليعطي من مدلول أن علياً الأكبر لا أقل قد يدرج في القسم الخامس إن لم يدرج في القسم الرابع الذي ذكرناه.

وفي إحدى الزيارات المخصوصة[1] للإمام الحسين عليه السلام التي وردت عن الإمام الصادق عليه السلام: ثم أمضى إلى ضريح علي بن الحسين عليه السلام وقف عليه وقل:

«السلام عليك أيها الصديق الطيب الزكي الحبيب المقرب وأبن ريحانة رسول الله، السلام عليك من شهيد محتسب ورحمة الله وبركاته ما أكرم مقامك وأشرف منقلبك، أشهد لقد شكر الله سعيك وأجزل ثوابك

---

(١) مفاتيح الجنان: زيارة أول يوم من رجب.

وألحقك بالذروة العالية حيث الشرف كل الشرف وفي الغرف السامية كما من عليك من قبل وجعلك من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا....

فأشفع أيها السيد الطاهر إلى ربك....

زاد الله في شرفكم في الآخرة كما شرفكم في الدنيا وأسعدكم كما أسعد بكم وأشهد أنكم أعلام الدين ونجوم العالمين».

البداء في الإمامة:

إن معنى البداء في الإمامة لها معاني كثيرة، ونحن الآن لسنا بصدد الخوض في ذلك ولكن يتضح من هذا كما ذكر كثير من علماء الإمامية، أن هذه الثلة من أبناء الأئمة لهم تأهل وأهلية تتلو الأئمة الأثني عشر فلهم مثل هذه الأهلية، فلا ريب إذن في أندراجهم في القسم الخامس، وإن لم تبرز ويظهر وينشر وتجعل لهم حجية رسمية.

فقد ورد في أسماعيل أبن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وذلك في قول الإمام الصادق عليه السلام: **ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبني**[1].

وفي حديث آخر قال الصادق عليه السلام: **ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابي حيث أمر أباه إبراهيم بذبحه ثم فداه بذبح عظيم**[2].

وكذلك قد ورد أيضاً في السيد محمد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام: **بدا**

---

(١) التوحيد للصدوق: ٣٢٧.
(٢) المصدر السابق.

لله من محمد إلى الحسن كما بدى له من إسماعيل بن جعفر إلى موسى[١].

فنرى أن ثلة من أبناء الأئمة قد بدا لله تعالى في أمامتهم.

إذن القسم الرابع والخامس قسمان من هداة البشر قد أستعرض القرآن الكريم في معارفه الدينية لهذين القسمين.

ولا ريب من إندراج نماذج من ذراري أهل البيت عليهم السلام في كل من القسمين بشهادة النصوص المتكثرة والواردة في ذراري أهل البيت عليهم السلام وطبعاً لا كلهم وإنما لبعض العينات الخاصة والبارزة منهم صلوات الله عليهم.

ويشير إلى القسم الخامس عدة آيات قرآنية كقوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[٢].

فعن أحمد بن عمر قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية قال: فقال: ولد فاطمة عليها السلام **(والسابق بالخيرات)** الإمام و **(المقتصد)** العارف بالإمام **(والظالم لنفسه)** الذي لا يعرف الإمام[٣]،

وفي بصائر الدرجات عن الباقر عليه السلام: السابق بالخيرات الإمام فهي في ولد علي وفاطمة عليها السلام[٤].

وروي أيضاً عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام أنه سئل عن قول الله

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ١٠٨.
(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٣) تفسير نور الثقلين: ج٤: ٣٦١.
(٤) المصدر السابق: ٣٦٢.

عزوجل ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾، فقال: الظالم يحوم حوم نفسه، والمقتصد يحوم حول قلبه، والسابق بالخيرات يحوم حول ربه عَزَّ وَجَلَّ[1].

وهذه الآية لها شواهد من مجموعة أُخرى لا يسمح المجال هنا بأستعراضها تدلل على أن الذين أورثوا الكتاب هم الأئمة من ذرية فاطمة.

وأن الجمع بين ظواهر القرآن ليس بقدرة البشر بشكل دقيق ومتقن كما هو الجمع في علم الرياضيات بين البديهيات فيها وكل المجهولات النظرية، فإذن أولاد فاطمة عليها السلام يتقسمون إلى ثلاثة أقسام، ظالم لنفسه وهو الذي لم يعرف الإمام المعصوم، ومنهم مقتصد وهو الذي يعرف الإمام المعصوم ويعترف به والسابق بالخيرات[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وهذا نظير ما ورد في الحسين ذو الدمعة ابن زيد الشهيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام، وكان سيداً زاهداً عابداً، ولقب بذي الدمعة لكثرة بكائه في صلاة الليل من خشية الله، وكان يروي عن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام (منتهى الآمال ج٢: ٧٥).
وكذلك ما ورد في علي العريضي أبن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث روى الشيخ الكليني عن محمد بن الحسن بن عمار أنه قال: كنت عند علي بن جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام جالساً، وكنت أقمت عنده عشر سنين أكتب عنه ما سمع من أخيه (يعني أبا الحسن) إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد، مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظمه.
فقال له أبو جعفر عليه السلام (الإمام الجواد): يا عم، أجلس رحمك الله، فقال: يا سيدي، كيف أجلس وأنت قائم؟ فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال:
اسكتوا، إذا كان الله عَزَّ وَجَلَّ - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، انكر فضله؟ نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد.

إذن هذه الآية ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ﴾ – إذا كان مصداقها ولد فاطمة عليها السلام كما تشير إلى ذلك آية المودة ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[1].

وإن كان المصداق الأول هم المعصومون، إلا أن ثلة من ولدها عليها السلام في الرتبة الثانية الذين هم مطهرون، ولهم رتبة من قبيل القسم الرابع أو القسم الخامس، ومن نماذج هذا القسم من ولد فاطمة القاسم ابن الإمام موسى أبن جعفر عليه السلام حيث ورد فيه كما روى يزيد بن سليط قال: طلبت من الإمام موسى عليه السلام ان يعين لي الإمام من بعده فقال عليه السلام:

أخبرك يا أبا عمارة إني خرجت فأوصيت إلى أبني علي، .... ولو كان الأمر لي لجعلته في القاسم أبني لحبي ورأفتي عليه ولكن ذلك إلى الله تعالى، يجعله حيث يشاء[2].

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: من لم يقدر على زيارتي فليزر أخي القاسم[3].

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام ومن الأئمة عليهم السلام أن زينب تقوم بدور يتشاطر مع دور الإمام الحسين عليه السلام وهذا شبيه ما قامت به مريم بنت عمران.

زينب ومريم عليهما السلام:

فإنَّ السيدة مريم عليها السلام قامت بدور يشاطر مع دور ولدها النبي عيسى عليه السلام

---

(١) سورة الشورى: الآية ٣٢.
(٢) اصول الكافي للكليني ج١ : ٣١٤.
(٣) بحار الانوار ج٤٨ :٣١١ .

فإن أول من أعلن الشريعة العيسوية وأعلن البشارة بالنبي عيسى عليه السلام، لم يكن هو النبي عيسى عليه السلام ولم يكن هو النبي زكريا عليه السلام مع وجوده وحياته، وإنما الذي أعلن البشارة بولادة ونبوة عيسى عليه السلام، وبالتالي نسخ شريعة النبي موسى عليه السلام، وهي السيدة مريم عليها السلام، وهذا الدور دور خطير وليس بالسهل، وكان بوصية من السماء إلى السيدة مريم ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[1].

فمريم لها حجية تشاطرت مع النبي عيسى عليه السلام ولذلك يقول الباري تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾[2]، وفي آية أخرى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3].

زينب وفاطمة عليهما السلام:

وكذلك شبيه ما قامت به أمها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مع أبيها أمير المؤمنين عليه السلام، حيث حصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله إختباط واختلاط الأمر على المسلمين فضلاً على الأجيال اللاحقة في الأمة الإسلامية، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام والصديقة عليها السلام قد تشاطرا النهضة في إزاحة غيوم البلوى عن هذه الأمة، وإلا لبقيت الأمة في عمياء هالكة جداً، ولا نعي حينئذ طريق الصواب من طريق الهدى، وكان لفاطمة ذلك الدور البالغ الأهمية بعد النبي صلى الله عليه وآله في أنقشاع سحب الظلام وسحب الردى كما هو واضح.

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٦.
(٢) سورة المؤمنون: البية ٥٠.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

فإذن عندنا في السنن الإلهية مشاطرة بين الرجل والمرأة ممن أصطفوا لذلك، كما في مريم وعيسى عليهما السلام، وكما في علي وفاطمة عليهما السلام.

زينب والحسين عليهما السلام:

وكذلك إذا كان للحسين ذلك الدور - ونحن ليس الآن في باب المشاعرة ولا في باب الأدب ولا باب الإثارة العاطفية، بل في باب التحليل العلمي المعنوي لهذه المعاني الاعتقادية والدينية - فإذا كان للحسين ذلك الدور الذي رسمه النبي صلى الله عليه وآله حسين مني وأنا من حسين، وبقاء الدين الإسلامي بالحسين عليه السلام وهو سبط هذه الأمة، فإن أبرز دور قام به الإمام الحسين عليه السلام في حياته هو في واقعة كربلاء، ومن خلال الوصايا النبوية والوصايا العلوية والوصايا الفاطمية ووصايا الأئمة عليهم السلام، إن هذا الدور الذي سيقوم به الإمام الحسين عليه السلام ينقسم إلى قسمين وإلى دورين، وإن عبر عن ذلك فلاسفة الاجتماع فيما حللوه، ولكن لسنا الآن بصدد تحليل الفلسفة الاجتماعية أو التاريخية، وإن كان هذا البعد لا بأس به، فإنه جذاب إلى الثقافة في المجتمع.

ولكن نريد أن نركِّز الآن على مقام الحجية لا أكثر.

والمهم من خلال تلك الوصايا أن واقعة كربلاء كانت بين الحسين وأخته زينب عليها السلام بكل معنى من معانيها.

فلابد من وجود زينب مع الحسين في كربلاء، وكان هذا فيه إصرار من الحسين عليه السلام وهذا ما أتضح خلال الحوار الذي حصل بين الإمام الحسين عليه السلام وأبن عباس رضي الله عنه حيث قال أبن عباس للإمام الحسين عليه السلام: **«جعلت فداك يا حسين إن كان لابد لك من المسير إلى الكوفة، فلا تسري بأهلك ونسائك..»**.

فقال له الإمام الحسين عليه السلام:

«يا بن العم إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه.. إنه امرني بأخذهن معي، يا ابن العم إنهن ودائع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا آمن عليهن أحداً»(١).

وفي رواية أخرى جرت بينه عليه السلام وبين أخيه محمد بن الحنفية عليه السلام حيث روي:

فلما كان السحر، أرتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته - وقد ركبها - فقال: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟

قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال: يا حسين أخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً.

فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

قال: فقال لي عليه السلام: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا(٢).

ومن خلال هاتين الروايتين مما يدلل على أن الدور والمهمة والمسؤولية التي كانت ملقاة على الإمام الحسين عليه السلام كان هو دوراً وواجباً شرعياً يقوم به كل من الحسين والعقيلة زينب عليهما السلام.

---

(١) زينب رائدة الجهاد: ٢٠٠.
(٢) بحار الأنوار: ٤٤: ٣٦٣.

ولذا نرى أنه كلما ذكر الإمام الحسين عليه السلام والدور الذي قام به، أتى أسم زينب عليها السلام.

وإذا نظرنا إلى النفس الروحاني الذي يأتي من الذكر العطر للإمام الحسين عليه السلام، ما الخاصية التي فيه **«أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا بكى»**[1].

إنظر إلى نفس هذا الوقع له التأثير في نفوس المسلمين ونفوس أجيال الامة الإسلامية، إذا أتى ذكر العقيلة زينب يأتي في روح الإنسان المؤمن البكاء.

فاسم الحسين عليه السلام واسم زينب إسمان قيضهما الله بالقيام بهذا الدور، وهو دور توعية الامة الإسلامية وصحوتها عبر الأجيال.

أضف إلى ما قامت به العقيلة من خطب في الكوفة أو الشام أو حتى مسرح الحدث والمعركة، وكذلك في حجاجها مع عبيد الله ابن زياد، أو حجاجها مع يزيد لعنه الله.

زينب والسجاد:

بل في تسكينها للفاجعة على قلب الإمام السجاد عندما بصرت به - الإمام زين العابدين عليه السلام - وهو يجود بنفسه، فقالت له:

«ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأخوتي، فو الله إن لهذا العهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السموات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة، والجسوم

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١: ٣١١، باب استحباب البكاء لقتل الحسين (ع)، بحار الأنوار: ج٤٤: ٢٧٩.

المضرجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يمحي رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلا علواً»[1].

فلو أردنا أن نزن هذه الأدوار بميزان علم النفس أو ميزان علم الاجتماع، أو علم الكلام، أو أي علوم أخرى لا ريب أن هذا الدور قد يساوي أو يفوق الدور الذي قامت به السيدة مريم بنت عمران عليها السلام، فالدور الذي رسمه الباري للسيدة مريم أن تقوم فيه عبر الاجيال وإن كان هو خالداً وبارزاً، ولكن إذا كان الدين الإسلامي أعظم شأناً، أو أن الشريعة المحمدية أعظم من الشرائع السابقة، فالدور الذي أوعز إلى الحسين عليه السلام وإلى السيدة زينب عليها السلام لإبقاء هذا الدين وخلوده هو دور يفوق هذه العظمة.

فكثير من العبارات التي وردت في حق السيدة زينب عليها السلام كقول الإمام علي ابن الحسين عليه السلام: **«وأنت عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة»**[2].

كل هذه إشارات لا ريب أنها تشير إلى مثل هذا المقام الذي أنخرطت فيه السيدة زينب عليها السلام أي من القسم الخامس أو من القسم الرابع.

وقد ذهب جملة من علماء الإمامية أن السيدة زينب عليها السلام ممن كَمُل من النساء وربما فاق كمالها مريم بنت عمران عليها السلام فإذا كانت مريم وآسيا مثلاً ضربه الله للذين آمنوا، فزينب فيما قد قامت به من دور وما أخبرت به النبوات، كما في الحديث الذي روته السيدة زينب عليها السلام عن جدها صلى الله عليه وآله الذي

---

(١) كامل الزيارات: ٢٢١.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٥: ١٦٤.

فيه نبوءة مرتبطة بحقيقة عاشوراء وحقيقة كربلاء **«فو الله إن لهذا عهد من الله إلى جدك وأبيك...»**.

وقد قالت وأكدت ذلك في قصر الطاغية يزيد (لعنه الله) وكان الخطاب موجهاً إليه حيث قالت: **«فكد كيدك، وأسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحوا ذكرنا، ولا تميت وحينا»**[1].

وكما قالت عليها السلام: **«وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يمحي رسمه ... فلا يزداد أثره إلا علواً»**.

فقد مرت بكل ما مرت به من آهات وآلام، ومصائب ومصاعب، وقتل، وسبي، وظلم، ومن فراق أشرف مخلوق على الأرض.

كل هذا وعندما سألها المجرم الخبيث أبن مرجانة: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟

قالت: **ما رأيت إلا جميلا**.

فأي امرأة من النساء الكمل كمريم وآسيا لها هكذا دور ومقام.

تميز حركة سيد الشهداء :

المحاور: تميز الإمام الحسين عليه السلام عن غيره من الأئمة، بأن حركته ارتبطت بمواجهة مباشرة مع السلطات الحاكمة، فهل هي حالة استثنائية؟ أم هو ظرف تاريخي خاص فرض على الإمام الحسين عليه السلام القيام بهذا العمل؟

الشيخ السند: في الواقع، مواجهة إصلاح السلطة في النظام الاجتماعي لم

---

(١) حياة الإمام الحسين، ج٣: ٣٨٠.

يكن حالة استثنائية عند الأئمة عليهم السلام، ولا من قبلهم عند جدهم سيد الأنبياء، بل هي حالة ديمومية؛ لأن الدين هو الذي يأتي لإدارة وتدبير البشر في ظل نظامهم الاجتماعي المعيشي وتلاؤمه مع مسيرهم في العوالم الأخرى، فالإنسان ذو أبعاد مختلفة، والإنسان ذو طبقات مختلفة، فقيادة النظام الاجتماعي دنيا وعوالم أخرى، بدناً وروحاً، هو الهمّ والغمّ الذي حمل على عاقته النبي وأهل بيته عليهم السلام، وبالتالي فإن مواجهة السلطة بأشكال وأساليب مختلفة، وإصلاح سلطة البشر، هو هم الأنبياء، والمحور الأصلي في مسيرة النبي وأهل بيته عليهم السلام. نعم، الأسلوب الخاص، والشكل الخاص الذي قام به سيد الشهداء هو بنحو متميز، عما قام به بقية الأئمة عليهم السلام.

الخنوع أو المواجهة عند المدارس الإسلامية الأخرى:

المحاور: كيف يوازن بين المنهجين المطروحين عند أهل السنة، بين متابعة وطاعة السلطان، والمواجهة المسلحة ضد الحاكم؟

الشيخ السند: هذه الموازنة المعقدة هي التي قام أهل البيت عليهم السلام وبالذات سيد الشهداء، في ظل جدلية تتجاذب مع المجتمع والإنسان وعقله وفكره، أن لا يفرط في المكاسب، وأن لا يهادن في المفاسد، وكيف يحافظ ويوازن بين دفع المفاسد والإبقاء والادخار للمكاسب، هذا هو الأسلوب المتميز لسيد الشهداء، أنه حاول ألا يقر الفساد والخطأ والوضع العفن، في حين لم يفرط بالمنجزات الصحيحة في الواقع السائد، فلا إفراط ولا تفريط. يرى البعض على ضوء ذلك أن سيد الشهداء تصرف بأسلوب ساخن، وأن الإمام الحسن تصرف بأسلوب بارد، وفي الواقع، إن أسلوب سيد الشهداء وأسلوب الإمام الحسن عليهما السلام، يجتمعان وأسلوب أبيهما سيد الأوصياء

وجدهما سيد الأنبياء. كان أسلوب النبيﷺ في مكة لثلاث عشرة سنة أسلوب الهدنة، وكذلك في المدينة ،كل نقضها على النبي في المدينة فهي وليس ابتداءاً من النبي، وحتى حروب النبي ـ بالعرف القانوني الحديث ـ هي حروب دفاعية وقائية، فهناك فرق بين نهج النبي والوصي والسبطين وبين نهج الخلفاء في الفتوحات، ـ طبعاً هذا شيء مختلف ـ، أو نهج السلطة الأموية أو السلطة العباسية.

نهج الأربعة أصحاب الكساء نهج متميز خاص، فالنبيﷺ ـ كانت له دعوات للأمم في الدخول والانطواء تحت دين الله عَزَّ وَجَلَّ، فهم بطوعانية انجذابهم إلى النموذج الإسلامي يدخلون، أما حرب مؤتة أو غيرها، فكلها حروب وقائية؛ لأن المشركين أرادوا أن يباغتوا المسلمين والنبيﷺ، ومن ثمّ أعدّ لهم الجيش في تبوك أو في مكة أو غيرهم، وكذلك انظر إلى الخلفية التاريخية لبدر وأحد والأحزاب وحنين.. وغيرها، التي رُصدت في حروب النبيﷺ هو بمنطق العرف القانوني كحروب وقائية، وكذلك الحال في سيد الشهداء، في حين تميز منهجه بالدم، وتميز بالتضحية، من دون أن يبادر بهدر دم الطرف الآخر، وإنما يضحي بدمه وكل مقدراتهعليه السلام، في مقابل عدم الرضوخ للوضع الفاسد.

راية ضلال:

السؤال: كيف نفهم هذه الرواية فهماً صحيحاً : **«كل راية تخرج قبل قيام الإمام المهديعجل الله فرجه فهي راية ضلال»**[1]؟

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٩٥، الوسائل ج ١٥ ص ٥٢، غيبة النعماني ص ١١١، البحار ج ٥٢ ص ١٤٢.

الشيخ السند: هذه الرواية هي ضمن مجموعة روايات عديدة، ومفادها في قراءتي الخاصة، لا يعني الدعوة إلى الخمول والجمود، أو عدم محاولة تغيير المنكر الاجتماعي أو السياسي.. وغيره، إنما مصب هذه الرواية ومثيلها من الروايات، أمران:

المصب الأول: أي قيادة في الطائفة الشيعية، تريد أن تقوم بهيكل سياسي أو شرعي، لا يمكن أن تتسنم كل صلاحيات الإمام المعصوم، نعم تقوم بإقامة الحكومة، كما ذكر ذلك الفقهاء الأقدمون، وإدارة المجتمع الشيعي والطائفة والدولة الشيعية، أو الدولة الإسلامية، لكن صلاحيتها في الدولة ليست كصلاحيات الإمام المعصوم، في التشريع وفي التنفيذ وفي القضاء، وبعبارة أخرى كالصلاحيات المفتوحة للمعصوم. المعصوم هو مصدر الشرعية، وليس ذلك للفقهاء، إنما هم حُفَّاظ على ما هو فوقهم من تراث أهل البيت، هذا أمرٌ تريد أن تثيره الروايات؛ كي لا يُختطَّ في الحركات التغييرية الشيعية أن تخرج عن نهج الأئمة الاثني عشر، فتصبح زيدية أو تصبح إسماعيلية أو ما شابه ذلك، هذا مطمح ترومه وتشير إليه الروايات.

لذلك يفهمنا أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى بشكل خاطئ، فيظنون أن الفقهاء عندما شيدوا نظام الجمهورية الإسلامية، قد تخلوا عن شرطية العصمة، هذا خطأ في قراءة مسار الشيعة، فالإمامة والعصمة لا يمكن رفع اليد عنها، نعم نقول أن النظام البشري لا يمكن أن يقوده إلا معصوم، فالذي يدير البشرية بشكل خفي الآن هو الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف مع شبكته الخفية، لا مع مجموعات الدجل والاحتيال، التي تدعي السفارة، سياسة استعمارية معروفة، كلامنا في ما هو واقع الأبدال والأوتاد والنقباء وغيرهم،

فالإمام عليه السلام يدير البشرية والنظام البشري.
وهناك من الآيات القرآنية الصريحة في ذلك، أن وظيفة المعصوم، كعلي ابن أبي طالب، والذي يقال بقعوده خمساً وعشرين سنة في البيت، هي مقولة خاطئة! بل هو يدير البشرية. إبراهيم لم يتسلم في العلن سلطة رسمية، لكنه في الخفاء، بيده أزمّة إدارة أنظمة البشرية ـ بشكل سري ـ، كما هو موجود الآن، كما أن القوى التي تدير البشريةحالياً قوى خفية أكثر من كونها قوى علنية رسمية.

المقصود أننا في رؤيتنا الشيعية لا نتخلى أبداً عن المعصوم الذي تحفظ به البشرية، وما الفقهاء إلا وكلاء ونواب ورؤساء محافظات له، والمحور الأصلي هو المعصوم. فقراءة المذاهب الإسلامية الأخرى لمسار الشيعة، مثلاً تجربة إيران كجمهورية إسلامية، قراءتهم لها خاطئة، فلا يعني تشييد النظام الإسلامي أننا تخلينا عن العصمة، بل على العكس، إنا نحن في ظل العصمة. هذه نكتة مهمة، ولذلك ـ ولله الحمد ـ شيعة إيران تحت ظل الفقهاء، لم يصبحوا فرقة شيعية جديدة، مثل الزيدية أو الوافقة وغيرهم ؛ لأنهم يلتفتون إلى معنى قيادة الفقهاء تحت ظل العصمة، ومن ثمّ يستمرون على النهج الاثني عشري.

المصب الثاني: نكتة أُخرى إعجازية، تشير لها هذه الروايات، ـ وتختلف قراءتي لهذه الروايات عن قراءة جماعات عديدة من الفقهاء ـ، قراءة أخرى ألمسها في هذه الروايات تريد أن تشيد بنكتة معينة وهو ضمان التسديد والنجاح في الاسلوب التوعوي والارشادي التثقيفي العملي والتربوي الاصلاحي، وأنكم في التأثير على المدّ الاجتماعي والتغيير الاجتماعي، ليس من الضروري أن تكشفوا أوراقكم على العلن. فمن باب المثال الذي يضرب من جهة ولا

يُقاس به من كل جهة، الصهيونية - هدّ الله أركانها ـ ليست قوتها على البشرية الآن في إسرائيل، مع إن صندوق النقد الدولي بيدها، والمصرف الدولي بيدها، والشركات النفطية العملاقة بيدها، وشركات الأسلحة بيدها، وشركات وكالات الإعلام الضخمة التي تهيمن على كل الفضائيات بيدها، فأي قطاع عام بشري رأسمالي مسيطر هو بيدها، وهم لم يصلوا إليها أبداً عبر دولة رسمية، إنما عبر العمل تحت السطح.

هذه الروايات تريد تشير إلى هذا المطلب، أن العمل، وليس الجمود والخمول، إنما العمل تحت السطح يضمن الأمان في نجاح العمل، نعم قد تأتي ظروف استثنائية شبيهة بنهج الحسين عليه السلام، ولابد حينها أن يكون العمل فوق السطح، مثل إنتصار الثورة الإسلامية في إيران، لكن كبرنامج عام، العمل تحت السطح مضمون السلامة ومضمون النجاح ؛ لأن الخفاء يفقد العدو الاستهداف أو العلم بالخفايا والنوايا وأهداف البرامج. وهذه قراءة أخرى أيضاً لهذه الروايات.

التشابه بين منهج الزيدية ومنهج الخوارج:

السؤال: ذكرتم أن هناك تشابهاً بين ثورة زيد بن علي وبين الخوارج، أرجو توضيح التشابه بينهما.

الشيخ السند: نفس شخص زيد بن علي له شأن خاص ، وأمر من يحيط بزيد بن علي أو استمر على نهجه هو أمر آخر، يجب أن نفكك الأوراق والحساب، فقد وصف الإمام الرضا عليه السلام زيداً الشهيد بأنه كان عالماً من علماء آل محمد، ولكن من كان يحيط بزيد، أو من خلف زيد بن علي في هذا المسار، نعم يوجد هناك أوجه اشتراك بينهم وبين الخوارج.

ففي حين تصحيح جملة من خطوات زيد بن علي ونهجه والإنجازات التي صنعها، تنشأ بعض المؤاخذات من المعصومين حول رشادة البرنامج الذي قام به زيد، فلو استرشد بالمعصومين أكثر، لربما أُهّل لنجاح أكبر، ـ وعلى أي حال ـ محاسبة نفس زيد وخطواته وإيجابية نهجه، يختلف عن محاسبة من يحيط به، أو عن من خلفه في هذا النهج.

فالكلام إذاً في من خلفه، أي نهج المذهب الزيدي بعبارة أخرى، فجهات الاشتراك بينهم وبين الخوارج هي :

١ – أن التغيير لابد أن يكون بابتداء الأسلوب الساخن المفرط، هذا أمر مشترك ـ تقريباً ـ بين النهج الزيدي ونهج الخوارج، أنه إذا استتمَّت الشرائط، فالأسلوب الساخن هو الذي يبتدئ ويتم إعتماده، والأسلوب الساخن إذا ابتدأ ربما يفرط في الكثير من المقدرات الصحيحة، أو الحرمات الصحيحة، أو الإنجازات الاجتماعية الصحيحة، هذه جهة اشتراك موجودة بين النهج الزيدي ونهج الخوارج.

٢ – جهة اشتراك أخرى بين المذهب الزيدي ومذهب الخوارج، هو في عدم الحساسية اللازمة الشديدة حول الشرعية، كما هو الحال في الخوارج، بينما نرى تحسسهم حول السلطة السياسية فقط، فلا تحسس حول مصدر التشريع ، ومن المفروض أن الشرعية في مصدر التشريع لها حساسية بالغة، وأنهم من أين يستقون شرعهم؟ كما أن الأمر كذلك بالنسبة لأفراد بعض الحركات الإسلامية: من أين تستقون أوامرهم وفقههم السياسي، التنظيمي، العسكري؟ فليس كل من تزيَّى بالشكل الإسلامي المتنسِّك هو مصدر لشرعية؟.

وفي النهج الزيدي ـ مع الأسف ـ، قد أخفقوا في هذه النقطة، بابتعادهم

عن أهل البيت عليهم السلام، فأصبحوا لا يتحسسون كثيراً حول مصدر الشرعية أو التشريع أو السلطة التشريعية، وإنما تحسسهم هو حول السلطة السياسية، دون شرعية السلطة التشريعية.

٣ـ جهة اشتراك أخرى في المذهب الزيدي مع الخوارج، أنهم لا يتقيدون بالعصمة، وعندما نتقيد نحن بالعصمة، نتقيد بالأنموذجية، بل ينبوع الأنموذجية المرتبط بالسماء.

حقوق الإنسان وثورة الإمام الحسين عليه السلام:

السؤال: شعار حقوق الإنسان هو شعار دولي الآن، أين نجد ذلك في ثورة الحسين عليه السلام وحركته الرسالية؟

الشيخ السند: من الأمور البارزة جداً في الشعار الذي حمله سيد الشهداء، في خطبه في مكة، وفي طريقه إلى كربلاء، وفي كربلاء، هو المناداة بحقوق المسلمين في مقابل طغيان طغمة على رقابهم، بل إننا وجدنا في تعامل سيد الشهداء عدة فقرات تنم عن أنه يطالب أولاً بتثبيت الحقوق الإنسانية على صعيد فطري إنساني قبل أن يطالب بتثبيت الحقوق الإسلامية، فخاطبهم : **«إن لم يكن لكم دين، فكونوا أحراراً في دنياكم»**، فيجب ألا يستعبدكم أحد ويطغى عليكم ويستأثر عليكم، هذا خطاب فطري إنساني قبل أن يكون إسلامياً. وحتى في خطابه الإسلامي عليه السلام، لم يقل: **«إني خرجت للإصلاح في شيعة أبي»**، وإنما قال : **«في أمة جدي»**، فنهجه هكذا، أمر بالمعروف ونهي عن المنكر. والواضح في بنود وخطاب سيد الشهداء، في جملة من النصوص الواردة عنه عليه السلام، والشعارات التي حملها، وأراد أن يبني وعي الناس عليها، هي في البدء حقوق إنسانية قبل أن تكون حقوقاً إسلامية، وقد استعرضنا ذلك من قبل.

ذكر الأمور السياسية في مأتم اللطم :

السؤال: ما هو رأيكم في ذكر السياسة في العزاء؟

الشيخ السند: ذكر السياسة في العزاء هو على نمطين: فنمط ضروري واجب، ونمط غير مستحسن .

ربما ينادي الكثيرون بفصل السياسة عن الشعائر الحسينية، بهدف التركيز وتمركز العزاء حول سيد الشهداء في نياتهم وقصدهم، لكنهم من جانب، قد يقصون ويبعدون الحسين ـ من حيث لا يلتفتون ـ إلى جهة معينة، وكذلك الذين يريدون أن يركزوا على الجانب السياسي في العزاء يهدفون إلى معايشة مدرسة أهل البيت في الوضع الراهن، لكنهم ـ أيضاً - يقصون ويبعدون سيد الشهداء من جانب قد لا يلتفتون إليه.

إذاً هناك جنبة إيجابية عند الجانبين يجب أن تصلح الجنبة السلبية عند الطرفين. فإني إذا أردت أن أركز على أهل البيت عليهم السلام، لا يصح أن أقصي أهل البيت عن الاقتداء بهم في وضعي الراهن، ولا أكون بذلك قد أحييت ذكر أهل البيت، إنما في الواقع، أقصيتهم من حيث لا أشعر ؛ لأنني هكذا أجعل أهل البيت بمعزل عن الوضع الراهن والوضع السائد، بكوني لا أقتبس من أهل البيت عليهم السلام شيئاً، فأعزلهم وأخمد ذكرهم ـ والعياذ بالله ـ.

كذلك لو أتيت بالوضع الراهن دون التركيز على قبسات من أهل البيت، بمجرد الحديث على الوضع الراهن وانتقادي له، والأفكار المطروحة ضمن ما يردد العزاء، أو حتى في خطابة الخطيب الحسيني، فأكون هنا أيضاً قد أقصيت وعزلت أهل البيت عليهم السلام عن الوضع الراهن. الحل الأمثل هو أن أستعرض الوضع الراهن، وآتي بحلوله من مواقف سيد الشهداء، كالمرهم والدواء

للداء الموجود في الوضع الحالي.

أذكر بعض الشعراء في القديم ممن لديهم ثقافة وذكاء لطيف، فيأتي بالمشكلة التي يعيشها المؤمنون في هذا البلد، ثم يأتي بموقف لسيد الشهداء أو للعقيلة أو لأبي الفضل العباس، ويضرب في الصميم ـ كما يقال ـ، وهذا ذكاء ووعي أدبي، بحيث نقتدي بأهل البيت، ونقتبس من أهل البيت حلولاً لمشاكلنا الراهنة، من دون أن نجعل نماذج لغير أهل البيت، نماذج للوضع الراهن، فنركز ونجعل المحور وقطب الرحى هم أهل البيت، ونتعايش معهم في معيشتنا، ونحيا بحياتهم في حياتنا الراهنة، فإننا إذا حيينا في حياتنا الراهنة ولم نحيَ بلون حياة أهل البيت، نكون قد عزلنا أهل البيت، وإن حاولنا أن نحيا حياة أهل البيت في شكلها المأثور فقط، من دون أن نسحبها إلى تبيان رؤى من مواقفهم ومن كلماتهم للوضع الراهن، فأرى من كلا الجانبين إفراطاً وتفريطاً.

إذا أردنا أن نأتم بأهل البيت عليهم السلام يجب علينا أن نعيش معهم في عيشتنا الراهنة، لا أن نعزل الوضع الراهن عن أهل البيت، ولا نعزل أهل البيت عن الوضع الراهن، ولا أن نجعل أمثولة الحلول للوضع الراهن، أمثلة لغير أهل البيت عليهم السلام.

يحتاج هذا بالطبع إلى براعة أدبية، وعلم ثقافي عند الخطيب أو الشاعر، بحيث يقتبس من مواقف أهل البيت وكلمات أهل البيت حلولاً في الصميم، وبالتعبير الدارج «نغزة» أو «كناية» كنماذج لاستلال حلول لمواقف ومشكلات الوضع الراهن من أهل البيت عليهم السلام.

دور أمير المؤمنين عليه السلام في الفتوحات:

السؤال: ما هي الملفات التي تدلل على أن أمير المؤمنين عليه السلام هو المخطط للفتوحات الإسلامية لتوسعة الرقعة الجغرافية في عهد من سبقه من خلفاء ثلاثة، مع العلم أن الكثير من الباحثين كانوا يعيبون عليهم الاهتمام بالفتوحات الخارجية دون الاعتناء بالداخل، وحتى سماحتكم بينتم في طي كلامكم أفضلية الاهتمام بالداخل أكثر من التوسعة الجغرافية للإسلام، أرجو التوضيح.

الشيخ السند: طبعاً ملف الفتوحات ملف قديم شائك وعر، خطر في الثقافة الإسلامية، وفي الرؤية الإسلامية، وفي العلوم الإسلامية، وفي النظرة الإسلامية.

ما جذبني إلى الخوض في هذا الملف، كانت ندوة في الحوزة العلمية، بيني وبين أحد نجوم الثقافة في إيران، من مجلة واسعة الانتشار في إيران وخارج إيران، حول بحث مواقف أمير المؤمنين عليه السلام، والرؤية المعاصرة لها، ثم أقيمت ندوة بيني وبينه في الحوزة العلمية في قم المقدسة، برعاية الحوزة العلمية وجامعة المدرسين وغيرهما، وكان الحضور من تيارات مختلفة.

فصار تجاذب الحديث لساعتين، رجعت بعدها إلى البحث، وحاولت أن أخوض في هذا الملف أكثر، مع أنه كانت لي إجابات كثيرة ومداولات فيه، وأصبح لدينا نوع من الموسم أو الانعكاس الثقافي الشديد المتجاذب، الذي أثرى الساحة الفكرية.

حينها ـ سبحان الله ـ وقعت عيني على رواية لأمير المؤمنين عليه السلام في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة، أن أمير المؤمنين يتعجب من قريش، لأنها تنسب

الفتوحات لأمرائها، مع أن الفتوحات من تخطيطه عليه السلام، لكن الجيل الذي كان يعرف أن هذه من تخطيطه ذهب، وجاء جيل جديد لا يدري.

و العبارة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**.. ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت : لولا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف. وما عسى أن يكون الولد لو كان !...**»[1].

هذه العبارة استوقفتني، فأمير المؤمنين يصرح هذا الشيء ـ وهو عين اليقين وحق اليقين ـ، لذا يجب أن نبحث في الملف. فعدت لكتاب الطبري في التاريخ، وكتاب الفتوحات لابن أعثم، ومصادر تاريخية عديدة، فوجدت هذه الحقيقة بشكل عجيب، لكنها مقصصة مبعثرة، مثل اللوحة الكبيرة التي تمثل الحقيقة، يأتي الذين يعتمون على الحقيقة، يقصون الحقيقة قصاصات، ويبعثرونها في الكتب، وعندما تجمعها، ترى الحقيقة جلية. وأقمت بحثاً مفصلاً ووجدت ملفاً كاملاً[2] حتّى أن الكثير من المحققين قالوا لي:

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ٢٠ ص ٢٩٨.

(٢) راجع حلقات سلسلة عدالة الصحابة التي في مجلة تراثنا، وموجودة في الانترنت في موقع رافد التابع لمرجعية آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظله، وقد طبعت مؤخراً هذه الحلقات في كتاب باسم «عدالة الصحابة» لسماحة الاستاذ آية الله الشيخ محمد سند دام ظله.

«الطريق وعر وخطر، لا تدخل فيه، وكثير من علمائنا الكبار، الفقهاء والمؤرخين والمفسرين لم يخوضوا فيه»، فقلت لهم: إني أخوضه ـ إن شاء الله ـ بكل عزيمة، ببركات أمير المؤمنين عليه السلام.

فعزلت بين حيثيات ثلاث أذكرها لاحقاً بالترتيب، إحدى هذه الحيثيات أصل التخطيط، فأصعب الدول في الإدارة دولة الحرب؛ لأنَّه لابدَّ للدولة أن تدير الوضع الداخلي وتدير الفعالية الحربية في الخارج، فالوضع صعب جداً ومتكهرب، من يقوم بهذا العبء؟

فوجدت أن تخطيط دولة الحرب في نصوص الكتب التاريخية للمذاهب الإسلامية، هو بشكل مبعثر، معتم عليه، لكن يأبى الله إلا أن يظهر هذه الصفحة الذهبية من كتاب أمير المؤمنين عليه السلام. وجدت أن التخطيط لدولة الحرب لم يكن لولا أمير المؤمنين، حتى ما يسمونه بحروب الردة. هناك نصوص تاريخية عثرت عليها، وأبلغت الكثير من المحققين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، وألقيتها في ندوات أخرى وفي أندية علمية أخرى بشكل مسلسل، وفي قم المقدسة بشكل حلقات، وجدت أن التخطيط لدولة الحرب كله لعلي ابن أبي طالب عليه السلام، ووجدت عظمة علي ابن أبي طالب في هذه الصفحة من حياته، التي استهوتني أكثر من صفحات أخرى لعلي ابن أبي طالب؛ لأنه قام بعمل جبار علم أنه لن ينسب له، ما هذا الإخلاص! أن تعلم بأن هذا العمل الجبار العظيم سوف لن ينسبه لك التاريخ المظلم وهذه الأقلام المظلمة المكمكمة، ومع ذلك تعمله بينك وبين الله لأجل تشييد صرح الدين والإسلام! ووجدت أن هذا ليس عند علي ابن أبي طالب فقط، إنما عند الحسن والحسين وبقية الأئمة، والمهدي صاحب العصر والزمان،

كلهم لهم أدوار خفية عظيمة، غير معلومة في العلن أنها لهم.

في المعركة التي مع الأكاسرة الفرس، معركتان مهمتان مصيريتان، القادسية ونهاوند، نصوص تاريخية عجيبة، تدلل على أنه عندما عبَّأت القوميات المختلفة من ملوك الفرس والترك وغيرهم من الأكاسرة، سيما في نهاوند، خطةً لطرد المسلمين، واسترجاع العراق كله، البصرة والكوفة، والانقضاض حتى على المدينة المنورة. نص العبارة التاريخية يقول أنه لما جاء البريد إلى الخليفة الثاني بأن كسرى عنده هذا التخطيط وقد استعان بملوك من دول الجوار الكثيرة، ولهم ضربة قاضية، أخذت أسنان الخليفة الثاني تصطك وسمع أطيط أسنانه من في المسجد من الخوف، وقال أشيروا علي.. فقام فلان وفلان وفلان من الأسماء المطنطنة، كلٌ يبدي برنامجاً هزيلاً، إلى أن خاطب هو علياً ـ في مصادرهم هم وليس في مصادرنا[1] ـ : «يا أبا الحسن، لم لا تشير بشيء كما أشار غيرك؟» فقام أمير المؤمنين بتبيين برنامجه الداخلي لدولة الحرب وبرنامج النصر. عجيبٌ تعتيمهم! لكن القصاصات كلها موجودة. قال له بعدها: «من أعين قائداً؟» حتى الخطوات التفصيلية، لم يكتفِ بالخطوط العامة من علي بن أبي طالب، وطالبه بخطوط وصفحات تفصيلية في البرنامج، وأخذ أمير المؤمنين يتابع المعركة، وهو في المدينة المنورة في أثناء خوضها.

و أنتم تسمعون في كتب السنة أن جيش المسلمين في نهاوند سمعوا صوت عمر: «يا سارية الجبل!» هذه القصة لها حقيقة، وحقيقتها يذكرها السيد هاشم التوبلاني البحراني، هذا السيد العظيم والعالم الجهبذ، يذكر

---

(١) ابن اعثم ج ٢ ص ٢٩٥.

هذه الرواية في كتابه مدينة المعاجز ويذكر قصاصاتها التاريخية من كتب القوم، أنه في أثناء المعركة حدث خطأ عسكري معين كاد يستأصل جيش المسلمين؛ لأن لديهم جيوشاً عظيمة، ١٥٠ ألفاً بجميع الوسائل الحربية القوية، بينما جيوش المسلمين كانت ٣٠ ألفاً تقريباً، أين ٣٠ ألفاً من ١٥٠ ألف ! وأين العدة هنا من العدة هناك !

«عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: كنا بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ دخل عمر بن الخطاب، فلما جلس قال للجماعة : إن لنا سراً فخففوا رحمكم الله، فتهيزت وجوهنا وقلنا له : ما هكذا كان يفعل بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد كان يأتمننا على سره، فما بالك أنت لما وليت أمور المسلمين تسترت بنقاب رسول الله صلى الله عليه وآله؟! فقال: للناس أسرار لا يمكن إعلانها بين الناس، فقمنا مغضبين وخلا بأمير المؤمنين عليه السلام ملياً، ثم قاما من مجلسهما حتى رقيا منبر رسول الله جميعاً.

فقلنا: الله أكبر، أترى ابن حنتمة رجع ..... ورقى المنبر مع أمير المؤمنين عليه السلام ليخلع نفسه ويثبته له؟!

فرأينا أمير المؤمنين عليه السلام وقد مسح بيده على وجهه، ورأينا عمر يرتعد ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم صاح ملء صوته : يا سارية الجبل الجبل، ثم لم يلبث إلى أن قبل صدر أمير المؤمنين ونزلا وهو ضاحك، وأمير المؤمنين عليه السلام يقول له : يا عمر، افعل ما زعمت أنك فاعله وإن كان لا عهد لك ولا وفاء، فقال له : أمهلني يا أبا الحسن حتى أنظر ما يرد من خبر سارية وهل ما رأيته صحيح أم لا؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ويحك! إذا صح ووردت أخباره عليك

بتصديق ما عاينت ورأيت وأنهم قد سمعوا صوتك ولجأوا إلى الجبل كما رأيت، هل أنت مسلم ما ضمنت؟ قال : لا يا أبا الحسن، ولكني أضيف هذا إلى ما رأيت منك ومن رسول الله صلى الله عليه وآله والله يفعل ما يشاء ويختار.....

فخرج أمير المؤمنين عليه السلام فلقيناه، فقلنا له : يا أمير المؤمنين ما هذه الآية العظيمة وهذا الخطاب الذي قد سمعناه؟

فقال أمير المؤمنين: **هل علمتم أوله؟**

فقلنا: ما علمناه يا أمير المؤمنين، ولا نعلمه إلا منك.

فقال: إنَّ هذا ابن الخطاب قال لي: إنه حزين القلب، باكي العين على جيوشه التي في فتح الجبل في نواحي نهاوند، فإنه يحب أن يعلم صحة أخبارهم وكيف هم مع ما دفعوا إليه من كثرة جيوش الجبل، وأن عمرو بن معد يكرب قتل ودفن بنهاوند، وقد ضعف جيشه وانحل بقتل عمرو، فقلت له: ويحك يا عمر، تزعم أنك الخليفة في الأرض والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت لا تعلم ما وراء أذنك، وتحت قدمك، والإمام يرى الارض ومن فيها ولا يخفى عليه من أعمالهم شيء، فقال : يا أبا الحسن، فأنت بهذه الصورة، فأي شيء خبر سارية الساعة وأين هو ومن معه وكيف صورتهم؟

فقلت له : يا بن الخطاب إن قلت لك لم تصدقني، ولكني أريك جيشك وأصحابك وسارية وقد كمن لهم جيوش الجبل في واد قفر، بعيد الأقطار، كثير الأشجار، فإن سار جيشك إليهم يسيراً أحاطوا به فقتل أول جيشك وآخره، فقال لي: يا أبا الحسن، فما لهم من ملجأ منهم ولا مخرج من ذلك الوادي، فقلت: بلى، لو لحقوا إلى الجبل الذي إلى الوادي لسلموا وملكوا جيش الجبل، فقلق وأخذ بيدي وقال: الله الله يا أبا الحسن في

جيوش المسلمين، إما أن ترينهم كما ذكرت، أو تحذرهم إن قدرت، ولك ما تشاء، ولو خلع نفسي من الخلافة هذا الامر وأرده إليك.

فأخذت عليه عهد الله وميثاقه إن رقيت به المنبر، وكشفت له عن بصره، وأريته جيشه في الوادي، وإنه يصيح عليهم فيسمعون منه ويلجأون إلى الجبل فيسلمون ويظفرون، فيه أن يخلع نفسه من ويسلم حقي إلي، فقلت له: قم .....، فوالله لا وفيت بهذا العهد والميثاق، كما لم تفِ لله ولرسوله ولي بما أخذناه عليك من العهد والميثاق والبيعة في جميع المواطن.

فقال لي: بلى والله، فقلت له: ستعلم .....، ورقوت المنبر ودعوت بدعوات وسألت الله أن يريه ما قلت له، ومسحت بيدي على عينيه، وقلت له وكشف عنه غطاؤه ونظر إلى سارية وسائر الجيش وجيش الجبل، وما بقي إلا الهزيمة لجيشه وقلت : صح يا عمر إن شئت، قال : وأسمع؟ قلت له: وتسمع، وتنادي بصوتك إليهم، فصاح الصيحة التي سمعتموها «يا سارية الجبل الجبل»، فسمعوا صوته ولجأوا إلى الجبل، فسلموا وظفروا ونزل ضاحكا كما رأيتموه، وخاطبته وخاطبني بما قد سمعتم.

قال جابر: فآمنا وصدقنا وشك آخرون، إلى أن ورد البريد بحكاية ما حكاه أمير المؤمنين عليه السلام، ورآه عمر ونادى بأعلى صوته، فكان أكثر العوام المتمردين وابن الخطاب جعلوا هذا الحديث له منقبة، والله ما كان إلا .....»[1].

كان ليحتاج إلى رادارات وفضائيات، ويحتاج إلى فاكس سريع، بل يحتاج إلى أقمار صناعية تغطي أرض المعركة! وهذا كله قام به علي ابن أبي

---

(١) مدينة المعاجز ج ٢ ص ١٤-١٨.

طالب عليه السلام بالعلم اللدني. وقصاصات حقائق الفتوحات موجودة في كتب التاريخ التي كتبوها هم! لكنها مبعثرة، وجمعناها بحمد الله كنبذه وكعينة لمشروع علمي يستقصى البحث عسى الله تعالى يقيض له ذوي الهمم لإنجازه.

في معركة اليرموك، في محاربة المسلمين الإمبراطورية الرومية، كان عدة الجيش الرومي (القياصرة) ٤٠٠ ألف جندي، وكان المسلمون ٤٠ ألفاً، أي عشرة أضعاف عددهم! عدة أولئك كيف من عدة هؤلاء.

كيف صنع خالد بن الوليد سيف الله - كما يدعون ـ، وكيف صنع أبو عبيدة بن الجراح، ومن وراء الجند: هند وأبو سفيان!

تنادي هند بنفس أشعارها في أحد:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق
إنْ تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

هذا الشعر متضمن لمعاني الخنا! ولا أريد أن أترجم في هذا المحفل الشريف هذه الكلمات!

فكانت هند تنشد نفس الأشعار، وبيت أبي سفيان كان على صلة بالروم، فهي تخاطب ذاك الطرف، «نحن طابور خامس»، وهم يذكرون ذلك في مثل تاريخ الطبري وغيره، إن كان حامي جيش المسلمين هكذا فكيف ينتصر؟!

و قد حار خالد بن الوليد - كما في نصوصهم التاريخية - وأبو عبيدة، في أمر الخطة الحربية والعمل فيها. فجاء بطل علي، مالك الأشتر، تلميذ علي الذي عّبأه علي بن أبي طالب بالبرنامج، فقال : اتركوا قيادة الجيش لي،

وهنا بدأ نجم مالك الأشتر يسطع في العالم الإسلامي، وهو جندي من جنود علي. وقائد جيش الروم هو رئيس الوزراء الرومي واسمه هامان، الذي كان قائداً حربياً باسلاً وداهيةً سياسيةً عجيبة ـ فاجتمعت فيه الخصلتين ـ.

ففوض أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد في اليرموك قيادة الجيش لمالك الأشتر، فقام مالك بالخطوة مقابل هذا الجيش الجبار، الخطوة التي أحجم عنها خالد ابن الوليد الذي يسمونه سيف الله المسلول! وانكفأ أبو عبيدة أيضاً، فخرج مالك الأشتر: ادعوا قيادة الجيش للمبارزة.

لاحظ البرنامج الذي أودعه له أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ : صارع هذا الرئيس فلم يقتله، ولو قتله لربما لم تنجح الخطة، ضربه ضربة على عاتقه، فلا هو ميت ولا هو حي! فأخذ يفر فراراً من المعركة، وسبَّب هزيمة نفسية للجيش الرومي كله، وهنا يكمن عنصر الذكاء . وبفضل الله، كُتب النصر للمسلمين في أكبر معركة خاضوها، وهي اليرموك، بتدبير علي ابن أبي طالب عليه السلام وبتنفيذ مالك الأشتر[1].

نذكر لكم هذه النكتة بعد جمع القصاصات، حتى أنني دعوت الكثير من المحققين لكتابة موسوعة؛ لأن هذه الصفحة مطمورة في كتاب علي عليه السلام، صفحة ذهبية مشرقة، وكتاب علي كله صفحات مشرقة ذهبية، ذكرت أنه يجب أن نميز بين ثلاث حيثيات :

١ـ الحيثية الأولى: أصل تخطيط الفتوحات، هذه مسؤولية رسول الله صلى الله عليه وآله، التي مهد لها قبل علي، وأعطاهم البرنامج في كيفية توسعة رقعة

(١) راجع كتب الفتوح لابن عثم وتاريخ اليعقوبي والبلاذري في معركة اليرموك.

الإسلام، في حياته منذ حرب الخندق، عندما كانوا يضربون الخندق، فأعطاهم الخطة لكنهم لم يعوها، ثم ساءلوا أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام في كيفية تنفيذها وتفاصيلها، وكلها موجودة في كتب التاريخ. فأصل التخطيط مسؤولية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام من بعده.

٢ـ الحيثية الثانية: أما التنفيذ اللا أخلاقي، الهوجائي الذي استبيحت فيه الدماء والفروج والأموال، الكثير من المستشرقين ينددون بالفتوحات من هذه النقطة، فهناك ستار مظلم - والعياذ بالله - بسبب الفتوحات، وبسبب ما مورس من لا أخلاقيات مذكورة في مصادر القوم[1]، والمستشرقون لم يأتوا بها من أنفسهم، بل أتو بها من كتب القوم.

---

(١) نذكر مثالين عن ذلك، ومن شاء التوسع عليه بكتب الفتوحات:
١ـ لما فتح بعض المسلمين بعض مدن فارس كسوس (يقصد مدينة شوشتر الآن) اختصم اهل الكوفة واهل البصرة حتى كاد ان يقع بينهم شيء من المكروه. الفتوح ج١ ص ٢٨٦.
٢ـ ثم نازع رجل من عنز ـ اسمه ضبة بن محزن العنزي ـ ابا موسى الاشعري في الغنائم، فارسله إلى عمر بن الخطاب، لكن عمر عنف العنزي، من دون ان يسأله سبب المنازعة، التي بينه وبين الاشعري، فغضب العنزي واراد الانصاف، فسأل عمر العنزي عن السبب، فقال العنزي: ان ابو موسى اختار ستين غلاماً من ابناء الدهاقين، فاختذهم لنفسه غلمان وخدم، وله جارية يقال لها عقيلة، وهي بالغة الجمال، يغذيها بجفنها الآن عراقاً - يعني غنم ـ، ويعيشها بمثل ذلك، وليس منا يقدر على ذلك، وله خاتمان يختم بهما، فميزان يكتال به لنفسه ويكيل بالآخر لغيره - يعني ينصف الغنائم نصف له ونصف لغيره -، وانه يمنع من غنيمة هرمز بدعوى اعطائهم الامان ضد اللصوص، وقد تكررت هذه الدعوة من ابو موسى الاشعري في عدة مدن، فاخبر عمر ابو موسى وسائله عن ذلك، ومع ذلك ابقاه عمر على عمله.
و اخذ عمر عقيلة منه بثمنها، وكانت عند عمر في بيته إلى ان قتل عنها.
الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٢٨٨-٢٨٩

لا نؤيد المستشرقين فهم يكيدون للإسلام، لكن من الذي مهد ووطأ لهم هذه المكيدة للإسلام، لتشويه الإسلام والقول بأن الإسلام دين سيف انتشر على الدماء؟ ليست سياسة أهل البيت عليهم السلام هذه السياسة، حتى في توسعة الرقعة، فحروب رسول الله صلى الله عليه وآله كلها دفاعية، ليست دفاعية بالمصطلح الفقهي، إنما بالمصطلح القانوني البشري. كما في معركة بدر، لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي بدأ الحرب، هم أغاروا على أموال المسلمين في مكة، بل أغاروا حتى على المدينة، من ثمَّ ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله كي يقتص ويسترجع أمواله، إلى قافلة أبي سفيان، فأتوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله. وكذا في أحد والخندق والأحزاب وحنين، من الواضح أنهم أتوا فيها للحرب، وكل حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت دفاعية.

أمير المؤمنين في الجمل لم يبدأ بالحرب، وفي صفين لم يبدأ بالحرب، وفي النهروان لم يبدأ بالحرب، بل وضع دائماً جسر الحوار، ودعوة أهل البيت دائماً، دعوة الفكر والمنطق والحوار. سيد الشهداء في كربلاء - كما مر بنا - لم يبدأ هو بالحرب، فقد كان يشدد ويؤكد على لغة الحوار وقام بعدد من الخطب.

كان الطرف الآخر في عنجهية عمياوية، وكان سيد الشهداء فاتحاً لباب الخطاب والحوار، فلغة أهل البيت عليهم السلام، ليست لغة العنف، بل هي لغة النموذج الأمثل، جذب النور الأمثل لبقية الأمم لدين الإسلام. لكن هذه الفتوحات وما مورس من لا أخلاقيات بهدف التمتع بالجنس الآخر والأموال والليالي الحمراء، هي أمر آخر، وهذه هي الحيثية الثانية.

يذكر المرحوم الشهيد محمد باقر الصدر في كتابه (فدك)، نقلاً عن

العلامة الأميني في الغدير[1]، قائمة أموال وثروات الصحابة التسعة المبشرين

---

(١) قال الأستاذ آية الله الشيخ محمد سند دام ظله في كتابه «عدالة الصحابة» ص١٣٢: «قال العلاّمة الأميني(الغدير ٨ / ٢٨٢ ـ ٢٨٨.) في جرده لثروات عدّة من الأسماء:
منهم: سعد بن أبي وقّاص؛ قال ابن سعد: ترك سعد يوم مات مائتي ألف وخمسين ألف درهم، ومات في قصره بالعقيق.
وقال المسعودي: بنى داره بالعقيق فرفع سمكها ووسّع فضائها، وجعل أعلاها شرفات. (الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٣ / ١٠٥، مروج الذهب ١ / ٤٣٤).
ومنهم: زيد بن ثابت ؛ قال المسعودي: خلف من الذهب والفضّة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلّف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار(مروج الذهب ١/ ٤٣٤.).
ومنهم: عبد الرحمن بن عوف الزهري؛ قال ابن سعد: ترك عبد الرحمن ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس ترعى بالبقيع، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً، وقال: وكان في ما خلّفه ذهب قطّع بالفؤوس حتّى مجلت أيدي الرجال منه، وترك أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة ثمانون ألفاً.
وقال المسعودي: ابتنى داره ووسّعها، وكان على مربطه مائة فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ بعد وفاته ثُمن ماله أربعة وثمانين ألفاً(الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٣ / ٩٦، مروج الذهب ١/ ٤٣٤، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٤٦، صفة الصفوة ـ لابن الجوزي ـ ١ / ١٣٨، الرياض النضرة ـ لمحبّ الدين الطبري ـ ٢ / ٢٩١).
ومنهم: يعلى بن أُميّة ؛ خلّف خمسمائة ألف دينار وديوناً على الناس وعقارات وغير ذلك من التركة ما قيمته مائة ألف دينار(مروج الذهب ١ / ٤٣٤.).
ومنهم: طلحة بن عبيد الله التيمي؛ ابتنى داراً بالكوفة تعرف بالكناس بدار الطلحتين، وكانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك، وله بناحية سراة أكثر ممّا ذكر، وشيّد داراً بالمدينة وبناها بالآجر والجصّ والساج..
وعن محمّد بن إبراهيم، قال: كان طلحة يغلّ بالعراق ما بين أربعمائة ألف إلى خمسمائة ألف، ويغلّ بالسراة عشرة آلاف دينار أو أكثر أو أقلّ.
وقال سفيان بن عيينة: كان غلّته كلّ يوم ألف وافياً. والوافي وزنه وزن الدينار.
وعن موسى بن طلحة: إنّه ترك ألفي ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وكان ماله قد اغتيل.
وعن إبراهيم بن محمّد بن طلحة: كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك

من النافيّ ثلاثين ألف ألف درهم، ترك من العين ألفي
ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار والباقي عروض.
وعن عمرو بن العاص: إنّ طلحة ترك مائة بهار في كلّ بهار ثلاثة قناطير ذهب، وسمعت أنّ البهار: جلد ثور، وفي لفظ ابن عبد ربّه من حديث الخشني: وجدوا في تركته ثلاثمائة بهار من ذهب وفضّة.
وقال ابن الجوزي: خلّف طلحة ثلاثمائة جمل ذهباً.
وأخرج البلاذري من طريق موسى بن طلحة، قال: أعطى عثمان طلحة في خلافته مائتي ألف دينار، وقال عثمان: ويلي على ابن الحضرمية (يعني طلحة) أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرّض على نفسي(الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٣ / ١٥٨، أنساب الأشراف ٥ / ٧، مروج الذهب ١ / ٤٣٤، العقد الفريد ٢ / ٢٧٩، الرياض النضرة ٢ / ٣٥٨، دول الإسلام ـ للذهبي ـ ١ / ١٨، الخلاصة ـ للخزرجي ـ: ١٥٢).
ومنهم: الزبير بن العوّام؛ خلّف ـ كما في صحيح البخاري ـ إحدى عشرة داراً بالمدينة، ودارين بالبصرة، وداراً بالكوفة، وداراً بمصر، وكان له أربع نسوة فأصاب كلّ امرأة بعد رفع الثلث ألف ألف ومائتا ألف، قال البخاري: فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف، وقال ابن الهائم: بل الصواب أنّ جميع ماله حسبما فرض: تسعة وخمسون ألف ألف وثمانمائة ألف (صحيح البخاري ـ كتاب الجهاد/ باب بركة الغازي في ماله ٥ / ٢١، ذكره شرّاح الصحيح: فتح الباري، إرشاد الساري، عمدة القاري؛ شذرات الذهب ١ / ٤٣، وفي تاريخ ابن كثير ٧ / ٢٤٩ قيّدها بالدرهم.
ولاحظ: الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٣ / ٧٧، ومروج الذهب ١ / ٤٣٤.).
ومنهم: عثمان بن عفّان ؛ قال محمّد بن ربيعة: رأيت على عثمان مطرف خزّ ثمنه مائة دينار، فقال: هذا لنائلة كسوتها إيّاه، فأنا ألبسه أسرّها به..
وقال أبو عامر سليم: رأيت على عثمان برداً ثمنه مائة دينار.
قال البلاذري: كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حليّ وجواهر فأخذ منه عثمان ما حلّى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك وكلّموه فيه بكلام شديد.. وجاء إليه أبو موسى بكيلة ذهب وفضّة فقسّمها بين نسائه وبناته، وأنفق أكثر بيت المال في عمارة ضياعه ودوره.
وقال ابن سعد: كان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وخمسون ومائة ألف دينار، فانتُهبت وذهبت.. وترك ألف بعير بالربذة وصدقات

وغيرهم من الصحابة، ومقادر اكتنازهم الثروة من الفتوحات، هل هذه العدالة التي يطالب بها الإسلام؟

٣- الحيثية الثالثة: هي التي أشرنا إليها النظام البديل، (والبديل ما هو؟) هل البديل فقط أذان يحمل شعائر الإسلام؟ أم طقوس الجماعة؟ هل هذا هو البديل أم أن البديل عدالة حقيقية؟

إذاً ففي الفتوحات ثلاث فصول لا نخلط بينها، وربما أكون أول من فرز هذه الفصول، وقد يكون هناك من قوافل فقهاء وعلماء الشيعة من قام بذلك، ونحن نتعلم على فتات جهودهم، لكننا لم نقف ـ إلى الآن ـ على من فصل في الفتوحات هذه الفصول الثلاثة، أصل تدبير وتخطيط الفتوحات أمر، وتنفيذها اللا أخلاقي أمر آخر، والبديل الذي استبدل كبديل خاوٍ عفن، ولو تحت لباس الإسلام، أمر آخر.

المحاور: قال أحد زعماء حماس في خطاب له: أن مقاومة العدو

ببراديس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي ألف دينار.

وقال المسعودي: بنى في المدينة داراً وشيّدها بالجعر والكلس وجعل أبوابها من الساج والعرعر، واقتنى أموالا وجناناً وعيوناً بالمدينة.

وذكر عبد الله بن عتبة: إنّ عثمان يوم قتل كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلّف خيلا كثيراً وإبلا.

وقال الذهبي: كان قد صار له أموال عظيمة (رضي الله عنه)، وله ألف مملوك (الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ـ ٣ / ٤٠ وص ٥٣، أنساب الأشراف ٣ / ٤، الاستيعاب ـ في ترجمة عثمان ـ ٢ / ٤٧٦، الصواعق المحرقة: ٦٨، السيرة الحلبية ٢ / ٨٧، مروج الذهب ١ / ٤٣٣، دول الإسلام ١ / ١٢.).. ».

الصهيوني بالبندقية والممانعة لاينفي ضرورة كون الحكم في داخل سوريا يبنى على الديمقراطية والشورى .

الشيخ السند: فمابالكم رفعتم ذريعة الفتوحات وحروب الردة لنفي ضرورة الديمقراطية والشورى في تأسيس بنيان الحكم الداخلي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وأقصيتهم شور أهل بيت نبيكم عليهم السلام فكيف شورى والمشيرون غيب. ولماذا جعلتم الفتوحات ذريعة لتغطية دمويات حكم الخلافة والحكم الاموي .

ثم إنَّ الفتوحات كما رصدتها قصاصات كتب الطبري وفتوحات البلدان كلها في القادسية ونهاوند واليرموك وجلولاء وقنسرين التي هزم فيها حكم كسرى والروم كلها كانت بتدبير مفصلي ومركزي من علي عليه السلام وشيعته من الصحابة والتابعين وألم يروي ابن سعد في الطبقات وهو من أدرك القرن الثالث وغيره بطرق مستفيضة عن عمر لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن علي عليه السلام أليس من أعضل المعضلات إدارة الفتوحات.

المحاور: قال أحد أئمة المساجد: إنّ المقاومةَ لإسرائيل فخارٌ عظيم لحزب الله وهو باب الجهاد العظيم ، لكن موقفه من مايجري في سوريا كحوادث شبيحا الدموية تقف قِبال كل ذلك وتغطي عليه ولاتبرر . وقال : إن وقوفنا بجنب المقاومة لا تعني تنازلنا عن إعتقادنا إن أكفأ حاكم عرفه التاريخ هو عمر.

الشيخ السند: فما بال الحوادث الدموية شبيحاً التي جرت على بيت فاطمة عليها السلام، لاتقف أمام مايعرف بالفتوحات وكيف التبرير مع إن الفتوحات كما سبق هي من تدبير علي عليه السلام وشيعته من الصحابة والتابعين بنصوص التاريخ

المتفرقة المغيّبة عن أذهان المسلمين .

وأما أكفأ حاكم فكيف نجمعها مع إقراره في المصادر المستفيضة لدى الفريقين وراجع ما جمعه الأميني في كتابهِ الغدير وغيره من المصادر قول عمر لا أبقانيّ اللهُ لمعضلةٍ ليس لها أبو الحَسن عليه السلام، أليس أكبر المعضلات على عمر نفس الخلافة وإدارة الحكم للدولة وأنشطتها الضخمة التي لم يتسنّى لعمر أن يدخل في تجربةٍ سابقة لتصبح لديه حنكة في إتقانها. بل سل بدراً وسل أُحداً وسل الأحزاب وسل خيبر كيف أنهزم وصاحبه وبقية الصحابة عن معالجة وإدارة الحدث ، فهل تبقى معضلة أكبر من إدارة الحكم والأحداث الكبيرة ويقوى عليها دون أبو الحسن عليه السلام، فمن أكفأ حاكم عرفه التاريخ؟.

المحاور: ذكر البعض في الجدل المحتدم حول مظلومية الزهراء ـ لعن الله ظالميها ـ إنّ:

ـ لطم العين: لا أصل له إلاّ في كتاب الأنوار القدسية!

ـ نبوت المسمار :ضعيف ورد في مؤتمر علماء بغداد و الخلافة والإمامة.!

ـ ضرب العضد :ورد في كتاب سليم و الإحتجاج و إرشاد القلوب.

ـ لطم الخد : في أمالي الصدوق و إرشاد القلوب.

ما تقييمكم لهذا المدعى؟

الشيخ السند: المصادر عند العامة مستفيضة فضلاً عن الخاصة ، وقد جرت محاولات في عدة كتب اخيرة ألفت ولكنها لم تستقصي كل الممكن، فمن باب المثال روى الذهبي في ميزان الإعتدال في ترجمة راوي في أوائل القرن الثاني ، إنه روى إن عمر رفس فاطمة فاسقطت محسنا ، ومثلاً روى

السمهودي وهذه الرواية مستفيضة عند الفريقين إنّ النبيﷺ أشار إلى أصحاب الكساء فاطمة وعلي والحسن والحسينعليهم السلام وقال مخاطباً إياهم إنكم قتلى و مصارعكم شتى ، وقد وجدت لها طرق ومصادر عديدة عند كل من الفريقين ففاطمة تقتل بقول وأخبار رسول اللهﷺ فتموت بالقتل ولها مصرع قتل ومصرعها يختلف عن مصرع قتل علي ومصرع أبنيها ولايخفى أن التعبير بالمصرع مع التعبير بالقتل يشير إلى شراسة طريقة القتل لامجرد القتل، وهذا يشهد إلى شراسة ماجرى عليها من ضربات وهجمات شرسة عنيفة أدت إلى سراية آثارها إلى قتلهاعليها السلام، فهذا بيان إجمالي في الحديث المستفيض النبوي فخد تفاصيلها المعتضدة من قصاصات كثيرة متناثرة من مصادر عديدة أخرى، تتعاضد وتتشاهد ومعدل وأعتبار مجموعها يختلف عن قيمتها منفردة، ولايقتصر على قيمتها في الصناعة الإستدلالية.

المحاور: شيخنا الجليل ما هو تقييمكم الإجمالي لشخصية عمر أو عمرو بن علي بن أبي طالب، حيث سمعت بعض العلماء يصفه بالخسيس الخذول!، حيث رفض نصرة الحسينعليه السلام وبعد سماعه نبأ قتل الحسينعليه السلام قال أنا الغلام الحازم (أي لعدم خروجي معه وقتلي بين يديه)، ولو خرجت معهم لذهبت في المعركة وقتلت ، إذن جون عبد الحسين أشرف وأفضل من أبن علي بن ابي طالبعليه السلام؟

الشيخ السند: الفضائل عديدة ، والإمتحانات كثيرة، وقد ينجح شخص في إمتحان كبير، ويفشل في آخر كبير ايضاً، أو متوسط وليس ذلك حسماً نهائياً وقد أطلق الوحي الرؤيائي على ولد يعقوب الأسباط والكواكب رغم إقدامهم على قتل يوسف وجعل من نسل أحدهم الأنبياء

وهو لاوي، مما يدلل على تعدد جهات الإمتحانات والفضائل، وهذا مما يفتح للإنسان الحذر وعدم الإغترار من جهة الحصول على فضيلة أو حسب، ومن جهة أخرى عدم الأياس لعدم الحصول على منقبة، أن باب الإصلاح والتكامل مفتوح دائماً فهو دوماً بين الخوف الحذر والرجاء، الأمل سبيل التكامل فالنتيجة أنه شخص غير ممدوح من جهة وممدوح من جهات أُخرى.

المحاور: شيخنا الفَقِيه ... نريد توضيح عقائدي منكم لهذه العبارة: (بيمنه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء) في حق الإمام؟

الشيخ السند: من الواضح إن الحكيم لايفعل شيئاً بلا غاية ولا هدف، وإلاّ كان فعله عبثاً ولعباً، وتنّزه الباري وتعالى عن ذلك، والهدف والغاية ليست لحاجة له جلّ جلاله فيها، بل هي ظهور لعظمته وتجلي لكبريائه، ماخلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون، ومن جانب آخر بيّن القرآن إنه تعالى قد سخّر كثير مما خلق للإنسان من السماء والأرض والكواكب ووو...، ومن جانب ثالث فقد بيّن القرآن إنّ أعبد وأعرف وأطهر وأطوع الناس لله تعالى هم أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عن الرجس اهل البيت عليهم السلام، ومن ثَمَ يتبّين إنّ غاية الخلق من العبادة والمعرفة إنما يتم ويتحقق بصورته الكاملة التامة إنما هو بأهل البيت عليهم السلام، فصح إنّ غاية المنظومة في الخلقة والمخلوقات إنما هي بأهل البيت عليهم السلام فلولاهم لما خلق الجن والإنس ولما خلق ماسخّر للإنسان.

المحاور: ما هو السر في دفن العباس في قبره الآن؟. هل لبيان فضله؟، أوهناك أمر من السماء بذلك ؟

الشيخ السند: لا ريب إن دفن السجادعليه السلام عمه أبي الفضل العباسعليه السلام في موضع قتله الفعلي ليس صدفة وإتفاق أو عفوية ، بل هو تقدير وأمر إلهي ليصبح مناراً لأجيال كل المؤمنين لاحقاً، حتى أجيال العلماء والأولياء، والمغزى بحسب الظاهر هو ماورد في زيارته من مناقبه وأولها وأعظمها هو مبالغته في الإنقياد للإمام المعصومعليه السلام، والتبعية والتسليم له وتفانيه في الوفاء له والمبالغة في النصيحة وإسداء العون والنصرة النابع ذلك كله من بصيرة بموقع الإمام المعصومعليه السلام، فكان أبو الفضل العباسعليه السلام قدوة لكل موالي للأئمةعليهم السلام في كيفية الولاء والتبعية والنصرة للأئمةعليهم السلام، والمنقبة الثانية لأبي الفضلعليه السلام التي حازها هو ماذكر في زيارته على لسان المعصومعليه السلام، من كونه صُلب الإستقامة والمقاومة بدون أي وهن ولا تضعضع ولا ضعف ، بل كان في قمة عنفوان الصمود بل أعلى مراتب حيوية الإندفاع والمثابرة والإنطلاق، فلم يسبب ويحدث لدى قيادته وإمامه المعصومعليه السلام أي وهن ولا تضعيف، بل كان بركان نشاطه سبباً للانتعاش المفعم بالأمل والقوة والقدرة للحسينعليه السلام، والمنقبة الثالثة التي جعله الله قدوة للشيعة الخُلص والأولياء الكُمّل، هو طيرانه من حضيض تعلقات النفس والأنانيّة والأنويّة ولوازمها وتداعياته إلى التحرر والإنطلاق إلى أُوج علو الروح والنور ، فكان طيّار محمد وآل مُحَمَّدعليهم السلام في نهج ومنهاج الإيمان ، بينما كان جعفر طيّار محمد وآل مُحَمَّدعليهم السلام في الاسلام ، وهذه ميزة لأبي الفضلعليه السلام إمتاز بها أي كان جعفر الطيار قدوة الطيران في سماء ومدرسة الإسلام في الفداء والتضحية، طيراناً من حضيض النفس إلى أُوج علو الروح في منهاج الإسلام، وقد كان ذلك سبب إنتصار المسلمين في الحروب ، بعد ذلك إمام الروم ودولة كسرى لما سطّر لهم من دروس في آلية الإندفاع التضحوي

الفدائي، بينما كان أبي الفضل العباس عليه السلام طيّاراً في سماء ومدرسة الإيمان والطيران من الحضيض إلى الأُج في منهاج الإيمان للمؤمنين، فكان سبباً لإنتصار الإيمان في سُوح المواجهات مع الظلم والنفاق في الإصلاح الداخلي لبنيان الإسلام الذي هو أهم من التوسع الخارجي لقشر بنيانه، فمن وصل أبي الفضل كجعفر عليه السلام إلى هذا المقام في عقيدة الإيمان وهو مقام الطيّار الذي ورد عن اهل البيت عليهم السلام إن الإنسان يسائل عنه في جملة الإعتقادات الإيمانية يوم لقاء الله تعالى ومن ثم تكرر عن النبي صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام قولهم ومنا طيّار هذه الأمة على حذو قولهم ومنا مهدي هذه الأمة.

المحاور: شيخنا الجَلِيل ما رأيكم في نظرية التضخم لتراث عاشوراء أعني إنّ الذوق الشيعي له أثره البارز والواضح في تضخم تراث عاشوراء. كعدد قتلى جيش أبن سعد بكل هجمة من آل البيت عليهم السلام أو إنّ الحسين عليه السلام يقدّم فرسهُ على نفسهِ ويمتنع الفرس عن شرب الماء وبالتالي لم يشرب الماء الحسين عليه السلام، أو إنّ أم وهب تَقتِل برمي رأس ولدها عدداً من الجيش أو إنّ الأسد يأتي إلى زيارة مضجع الحسين عليه السلام ليلة الحادي عشر وغيرها مما وردنا من تاريخ عاشوراء.

فالشيعة على مرِّ القرون حالوا إثراء قضية عاشوراء بالفن والذوق!. فما هو تعليقك.

الشيخ السند: المهم في تحري هذه الاقوال والوقائع نفياً وإثباتاً، هو التحري والتتبع والإستقصاء، فإن مصادر واقعة كربلاء وحادثة عاشوراء:

١ ـ ليست كما يظن وينساق الكثير مصادرها تاريخية بحتة ، بل هناك مصادر حديثية من الفريقين بل وقرآنية أيضاً، سواء بحسب التأويل أو النزول

والتنزيل، ومع هذه السعة للمصادر يصعب إستقصاءها بهذه السرعة وحسم النتائج، بل يجد المتتبع الفاحص إن روايات الفروع في الأبواب المختلفة بمناسبة وأُخرى تتعرض للقطات من حادثة عاشوراء، لاتجدها في مصادر أُخرى، لاسيما وإن عدسة المعصوم عليه السلام التي هي عدسة من علم لدني مرتبط بآليات ملكوتية لرصد الوقائع مالاترصده إنتباه الحواس البشرية بقوتها المحدودة في قدرة الإحاطة، كما يرصد القرآن كثير من الوقائع التاريخية وحوادث سير الأنبياء والأوصياء والأولياء بلقطات وقصاصات لم ترصدها كتب التاريخ، ولا حواس البشر، بل وكذلك رصد القرآن والحديث النبوي وحديث المعصومين من آله كثير من مشاهد سيرة النبي صلى الله عليه وآله، وحوادث صدر تاريخ الإسلام لم يعلم بها المسلمون الصدر الأول آنذاك، فضلاً عن أجيال المسلمين اللاّحقة، ولقد وجدت مثلاً لقطات وقصاصات في أحاديث كتاب كامل الزيارات لزعيم الطائفة في زمانه الشيخ الأجل المتقدم أبن قولويه أُستاذ الشيخ المفيد في الفقه والحديث، لاتوجد في مصادر أخرى ، وينذر تعرض الخطباء الأجلاّء لها.

٢ ـ إنَّ واقعة كربلاء من الحوادث الحسّاسة في المشهد الإسلامي، من القرن الأول، وإستمراراً قرناً بعد قرن إلى يومنا هذا، ولم يَخلُ قرن عن تأليفات من أرباب المقاتل تتناقلها الأمة جيلاً بعد جيل، فليس هناك إنقطاع وإرسال في تلقي أحداث عاشوراء على النحو الأجمالي.

٣ ـ لابدَّ من الألتفات إلى الحدث والمشهد بطبيعته المادي ، فضلاً عن الأحاسيس الروحية والأمواج النفسانية والخواطر القلبية، لايمكن رصدها والإحاطة بها من قبل مراسل خبري تاريخي ، ولامراسلين كثر، وذلك لأن كل

شخص هو بنفسه حدث وأحداث ومشهد ومشاهد، ولا يحيط بها تماماً الملكان الكاتبان الحافظان، فضلاً عن البشر كما ورد في بيانات القرآن و أهل البيت عليهم السلام، فكيف تتوقع من عدم تعرض راوي تاريخي للحدث والمشهد نفي زاوية وزوايا من الحدث، وهو لايستطيع رصد كل ذلك في شخص، فضلاً عن أشخاص بالعشرات والمئات والآلاف.

٤ ـ إنَّه دائما هناك مشهد مادي في الحدث وفيه مشهد نفساني أخلاقي أيضاً، ومشهد روحي ثالث، ومشهد رابع عقلي وقلبي وفكري، ومشهد خامس غير مرئي غيبي عن إدراك البشر، يتدخل في الحدث والمشهد، لان كل حدث ليس مفوضاً كله للبشر ولا هو قدر الجائي جبري على البشر، بل هم أمر بين أمرين إختيار بين تقدير وقضاء، آليات الغيب والسماء غير مرئية، وبين آليات يقوم بها البشر، ومن ثم نلاحظ إن القرآن في أي حدث ومشهد يوازن بين رصد والإحاطة، بين المشهد المرئي الحسي والذي لا يحيط به كله البشر كما مرَّ، وبين المشهد الغير مرئي الغيبي الذي يتدخل في رسم الأحداث ومصير المشهد ، فلاحظ كلام القرآن حول واقعة بدر وأُحد والأحزاب وخيبر ووو . . . ، يوازن ويركز على كل من الجانبين.

٥ ـ إنَّ عامل الإخفاء والتعتيم والتكتم على الحقائق قد مارسته الحكومات المعادية لاهل البيت عليهم السلام، بدءاً من السقيفة ثم الأمويّة والعباسية وإلى يومنا هذا من الحكومات المعاصرة التي يزعجها شعار الحق والعدالة والحرية الذي يرفعه اهل البيت عليهم السلام، فكل هذه الإمتداد والقدرات وظفت لإماتة أوراق ومستندات حقائق الأحداث والمشاهد في صدر الإسلام وكربلاء، فهاهو اليوم نشاهد كيف يقلبون الحقيقة راساً على عقب ويجعلون

من صدام بطل المقابر الجماعية إلى شهيد الأمة، وإن المقابر هي من فعل خصوم صدام، فكيف بك بما مر في عصور لم تكن آليات وأجهزة إعلام ورصد كالموجود اليوم، فالمنهج بدل أن يقال عن التضخيم يجب أن ينتبه إلى عوامل التعتيم.

٦ ـ ومن كل ذلك ههنا مقترح لإنشاء موسوعة الكترونية حاسوبية تجمع فيها آلاف المصادر المختصة بعاشوراء من الفريقين، فضلاً عن مصادر الأمم والملل الأخرى التي تتحدث عن واقعة كربلاء، ولقد أنبرت بحمد الله بعض المؤسسات لإقامة هذا المشروع، كي يكون البحث مستنداً معلوماتياً وثائقياً.

٧ ـ كما إن من اللازم رصد وجدولة المصادر في مشجرة ضخمة وقوائم مطولة ومقسمة بما يسمى ببليوغرافيا، كي يكون التتبع منظوميّاً بنظم وقواعد علمية في البحث تخضع لدقة في الإستنتاج، ونكون بذلك قد خدمنا الحقيقة والحق.

المحاور: أحتمل إنّ إستئذان أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في القتال من الحسين عليه السلام مرتبط بما ذكر في باب الجهاد من إنّ المبارزة مكروهة بدن إذن الامام ، أو محرمة فماذا تقول ؟

الشيخ السند: بل عموما خطة الحرب والمواجهة، كانت حرجة حساسة وتتطلب حسابات كثيرة ليستثمر العدد القليل لصمود أطول قبال جيش جرار ، فإنّ تضاعف عدد جيش العدو في كربلا على جيش الدين أضغاف ماكانت النسبة في بدر، فمن ثم كان الوضع شديد التعقيد والخطط التي إستحدثها الحسين عليه السلام هي التي اطالت ساعات المقاومة

منهكة العدو عن الوصول إلى مرامه إلاّ بخسائر كبيرة في صفوفه، فلم يبق بيت من معسكر الشاميين في الكوفة إلاّ وفيه ناعية، وهذا يبيّن مدى عظمة التدبير والإداره للأزمة والمواجهة التي قام بها الحسين عليه السلام، سواء من ناحية معنوية وأخلاقية وروحية وبناء عقلاني بل رباني، وترسيم سياسي وعسكري وتنظيمي وأمني وتخطيطي لمابعد الحدث، من شأن الأسرة النبوية ودورها النضالي الإعلامي والمقاوم السياسي ومواصلة التحرك الشيعي إستمراراً على الدرب، إذ الطريق والمسير متواصل في مشروع أهل البيت عليهم السلام، ولا يقتصر نظر الحسين عليه السلام على الحدث الراهن بل تدوام الحراك لإقامة المشروع الألهي، فجملة من تدابير الحسين عليه السلام الأساسية كانت متعلقة وتصب لما بعد الحدث الجلل، وكيف ينبغي رعاية إدارة الأمور إستباقاً وهذا الذي جعل الأحداث تترى على يزيد والأمويين، إرباكاً لهم وزوال حكمهم إلى المروانيين، فلم تهدأ لهم الأوضاع والأمور ولم يستتب لهم الحال لبقاء وإستقرار قدرة حكمهم وملكهم، فاللازم قراءة أحداث كربلا وتدابيره عليه السلام متموجة تداعياته بما بعدها من الأحداث كي تتضح حقيقة قدرة تخطيطه عليه السلام، لتقويض الفتنة الأموية المتولدة من التأسيس السقيفي، وهو بمثابة تقويض لدعامة سقيفية، نعم إجتثاث الشجرة الملعونة في القرآن، يتطلب نظاماً ومنظومة تدابير ثاقبة الرؤية والمعرفة العلمية بالمستقبل وتداعياته.

المحاور: قيل أن دم الحسين عليه السلام لم تسقط منه قطرة إلى الأرض، ولو سقطت منه قطرة واحدة لساخت الأرض بأهلها. فهل من تعليق حول ماذكر وهل هناك رواية أطلعتم عليها بهذا الخصوص؟ لكم مني خالص الشكر والأمتنان.

الشيخ السند: قد ذكر في جملة المصادر كالإرشاد للمفيد، وفي مثير الأحزان لأبن نما الحلي، قول الباقر عليه السلام فلم تسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض. والبحار عن اللهوف او الملهوف لابن طاووس، ذكر الرواية أيضاً، وفي العوالم ايضا عنه، والسيد محسن الأمين في لواعج الأشجان والظاهر أنه عينة تسكن الخلد ، والذي قد ورد في بعض زياراته عليه السلام تخليداً وأما أنّ دمه الشريف ودم علي الأكبر والأصغر قد صبغت به تربة كربلا بعد إضطجاعهم التراب وورد تفاصيل كثيرة، يجدها المتتبع في كتب الفريقين الحديثية والتاريخية حول إسرار دمه الزاكي، ففي بعضها أنّ النبي صلى الله عليه وآله جمعه في قارورة كما شاهده بعض أزواجه أو ذويه أو أصحابه وغير ذلك كثير.

المحاور: مولانا الأجل أدامكم الله عزاً للإسلام والمسلمين، وصلتني هذهِ الرواية مع سؤال عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنَّ للحسين في بواطن المؤمنين معرفة مكتومة»**، فماذا يفهم من هذا الحديث؟

وفقكم الله لكل خير...

الشيخ السند: نظير هذا الحديث ماورد عنه صلى الله عليه وآله وعنهم عليهم السلام، إنّ لقتل الحسين عليه السلام حرارة في قلوب المؤمنين لاتبرد أبداً، وفي نقل آخر لا تطفأ أبداً، وهناك نقل ثالث ما مضمونه، حتى ينتقم الله بإستئصال الجور وببسط العدل، وفي الحقيقة إنّ كلاً من الأنوار الخمسة لأهل الكساء والتسعة من ولدهم ، ظهور أكمل لصفة كمال في الفطرة الإنسانية التي هي فطرة الله، وحينئذ فكل من هذه الأنوار تناغم تحريك وحراك صفة مدفونة مخزونة في أصل خلقة فطرة كل إنسان، وسبب لإستخراج وإستثارة تلك الصفة

الفضيلّية المودعة في فطرة كل إنسان، فلولا مجيئ ذلك المثال والمثل والآية الألهية المودعة في هذه الأنوار لما تم إنماء وتنمية وترقية وتربية وزرع تلك الصفة الفضيلّية في أفراد البشر، فالتنظير الفكري بمجرده لايوجب إستثارة الفطرة وتفتقها وخروج المخزون من الطاقات، وكمون الكمالات المبطنة في غور طبقات أعماق قابليات ذات كل فرد، فمن ثم الفطرة التي لم تتلوث ولم يتم دسها ولا قبرها بغطاء مستفحل لا محالة تتناغم وتتفاعل مع الكمال المتجسد في كل معصوم عليهم السلام، ومن ذلك إباء الظلم ورفض الطغيان ومقاومة العدوان ومواجهة التفرعن لدى المستكبرين ليعودوا إلى عبودية ربوبية إله العالمين، هذا النور الذي تجّلى ناصعاً وهاجّاً في سيد الشهداء عليه السلام، هو وقاد وزناد قادح في إشعال حراك كل فطرة سليمة، لاسيما التي لدى المؤمنين ولذلك يظل هذا الشهاب السماوي نيراً خاطفاً للقلوب حتى تدكك حصون كل ظلم في الأرض، وتهدم حصون كل جور في البلاد، ويقصم ظهر كل مستكبر في الأرجاء.

المحاور: سمعت من أحد خطباء المنبر حديث مروي عن علي عليه السلام قال: الغدر مع أهل الغدر وفاء لله والوفاء مع أهل الغدر غدر لله.

والسؤال: ما مدى صحة هذا الحديث؟

وبفرض صحته عن مولانا الإمام علي عليه السلام، ما الذي منع مسلم إبن عقيل أنْ يغدر بعبيد الله إبن زياد في منزل هانئ إبن عروة؟؟

الشيخ السند: وَرَدَ في قصار كلمات أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

مع أنه ورد التأكيد منهم عليهم السلام بالوفاء بالعهد الأمر الشديد الغليظ فقد

قال عليه السلام في عهده لواليه مالك الأشتر على مصر: فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله عَزَّ وَجَلَّ شيء الناس أشد عليه إجتماعاً مع تفريق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي وقد جعل الله عهده أمناً افضاه بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره.

فالأصل في العهود الوفاء لا النكث إلا أنَّ لذلك شروط:

١ – أنْ يكون مورد العهد ومتعلقه مورد مباح وحلال وحق وأما ما كان باطلًا في نفسه أو غيّاً أو ظلماً وجوراً فلا يجوز إنشاء العهد والإلتزام به فضلًا عن الوفاء به فالمؤمنون عند شروطهم إلا شرطاً خالف الكتاب والسنة أو كان في معصية الله فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وهذا مايغفل عنه كثير من المؤمنين عندما يلتزم وظيفة أو منصب فتراه يلتزم بالقانون الوضعي الجائر في تعامله مع المؤمنين بذريعة الوفاء بتعهد الوظيفة والعمل.

وعليه ففي مثل هذه الموارد يكون الوفاء ـ مع أهل الغدر أو العدوان والظلم والجور وأهل الباطل ـ غدر عند الله بالعهد الإلهي الذي تعهد العبد في اقراره بالتوحيد والرسالة والولاية بإلتزام طاعة الله ورسوله ووصيه فوق طاعة كل مخلوق كما يكون الغدر ـ مع أهل الغدر والطغيان والإستكبار والزيغ ـ وفاء بعهد الله بإلتزام طاعته و أوامره وإجتناب نواهيه.

ومن هذا الباب ورد عنه صلى الله عليه وآله وعنهم عليهم السلام أن الحرب خدعة أي في حالة المواجهة وعدوان العدو ليس له عليك من إلتزام والحال أن العدو الجائر متعدّي يريد تجاوز الحدود بقدر ماهو متعدي ومتجاوز لا في الجانب الآخر الذي هو منضبط فيه ومتقيد بالموازين إذ لا تعميم في الأحكام بل هي مقيدة محدودة.

وأما موقف مسلم بن عقيل فليس لكون بن زياد ذو حرمة وهو الغاشم السفاك للدماء الباطش بالأبرياء الفتاك منتهك الحرمات بل لأن مسلم بن عقيل ممثل وسفير عن الحسين عليه السلام الذي هو من أصحاب الكساء وأهل البيت عليهم السلام والخمسة هؤلاء في طور التأسيس والتأصيل فلا يصح منهم التمسك بالأعذار المحقة ولو في مواردها الحقة لأن ذلك عند عموم الناس ينطبع لهم أنه الأصل والقاعدة لا إنه إستثناء وتخصيص بخصوص ضابطة وقيود فيؤدي إلى إنتشار ذلك في كل موارد التعامل أفراد المجتمع فيما بينهم ولاتقوم للمجتمع القطري أو الأقليمي أو الدولي قوام ولا قائمة ولذلك ترك الأخذ بالرخصة والرخص امير المؤمنين ع في كثير من الموارد لئلا يجترئ الناس على التساهل وتضيع الحدود الأولية والأصلية وهذه التفاصيل في الحكم والأقسام مطردة على الصعيد الفردي والسياسي الإجتماعي والعلاقات الدولية.

المحاور: ما هو رأيكم بأشعار المدّاحين الذي هو مشتمل على لسان الحال، ويمكن لا يكون له واقع و حقيقة) ؟

الشيخ السند: الشعر أو النثر ـ الذي بلسان الحال لا بلسان القال ولابلسان الفعال ـ والنعي والرثاء بهما هو حقيقة وحق، لكن بإرادة المفاد

المطابقي النصي منه بل المفاد الكنائي والتمثيلي منه والتعريض، والثاني حق وواقع وهذا باب استعمله القرآن وهو وحي وحياني ألهي، فإنّ ضرب الأمثال في الكتاب العزيز لا حدّ له وفرة وكثرة مع إنّ المثل لإيراد الأخبار بمفاده المطابقي بل المراد الجدي منه المعنى المبطن والكنائي الذي يغاير المعنى المطابقي لسطح المثل ، بل قد ضرب القرآن للناس من كل مثل، نعم ليس كل القرآن من باب المثل والأمثال كما يتوّهم البعض، بل هو أحد الأبواب الثمانية لأسلوب القرآن، والحكمة في هذا الأسلوب والنمط من الإستعمال أمور كثيرة، منها إنّ كثير من المعاني ليست حسّية مرئية، بل هي من شؤون الروح وحالات النفس والخواطر القلبية وغيرها من الأفعال التي ليست من عالم المادة المحسوسة المرئية المسموعة الملموسة، بل هي من مشهد نفساني ومشهد روحي ومشاهد عقلية ونفحات قلبية وهي أوسع شأناً وأكبر واقعية من العالم المرئي المحسوس، ولابدَّ من الإخبار عنه وإنعكاسه إلى الآخرين، ولايتأتّى إلاّ بأنماط أُخرى ، أحد نماذجها أسلوب المثل والتمثيل ، ولسان الحال يلتقي معه في ذلك.

نعم شرط صحة المثل والتمثيل هو كون المعنى الثاني حقيقة وله واقعية بحسب ظرفه وشأنه وأجواء عالمه، ومتناسباً مع الذي يوصف حاله وقد ورد عنهم عليهم السلام، إنّ لسان الحال أبلغ وأصدق من لسان القال، وذلك لسعة لسان الحال وشموليته بخلاف القال، فالعمدة والمدار والصدق في لسان الحال على واقعية، المعنى الكنائي والمعنى المعرض له وبه.

المحاور: لقد تعلّق أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بإخراج نورالهداية من ظلمات الكسري وإنتهاء نسبهم عليهم السلام الناسوتية أليهم إلى يوم القيامه، فما هو تقييمكم في

ولادة علي الأكبر الأطهر ليلي بنت أبي مرّة سلام الله عليها وهي مشكاة خرجت من قاطبة الملعونة الأمويّة. ولكم جزيل شكروالإمتنان.

علما بإنّ معاوية عليه الهاوية صرّح بفضله وسخائه وشرف نسبه وإستحقاقه للخلافه عند لقائه من المدينة لأن من صلب هاشم وأميّة وهذه القصة معروفة.

الشيخ السند: إنّ الثابت من نسبهم عليهم السلام الطهارة من العهر، وأما الطهارة من الكفر فالمقدار الثابت هو تنقلهم في الأرحام المطهرة والأصلاب الطاهرة، أي نطفتهم ونورهم أينما تنقلت في صلب أو رحم فهي طاهرة من الكفر والشرك، وأما أمهات الأمهات وآبائهن فلايشمله الطهارة الثانية وإن كان مشمولاً بالطهارة الأولى، فيكون السلسلة في الثانية أشبة باللولبية لا التشجير وفروعات الأغصان، ثم إنّ مايذكر من نسب لهم ليس من الضروري واقعيته من جهة الأمومة، كما أُدعيّ في نسب الأم للإمام الصادق عليه السلام، وما أورده بعض الأصحاب من رواية فهي عامية.

المحاور: مقولةٌ : **«كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»** قيل فيها: (إنّها من الأقوال الخاطئة)، ولا يمكن توجيه هذا القول أبداً، لأنَّه يعارض قول المعصومين عليهم السلام، من إنّه: **«لا يوم كيومك يا أبا عبدالله»**، كما يعارض الروايات الواردة في أفضيلة كربلاء على سائر البقاع بما فيها الكعبة المشرفة. أفيدونا برأيكم السديد، مع دعائنا لكم بالعمر المديد لخدمة الإسلام والمسلمين؟

الشيخ السند: إنحصارية عظمة يوم الحسين عليه السلام، وأفضليّة أرض كربلاء على البقاع، أمرٌ ثابتٌ ومسلّم في بياناتِ أهلِ البيت عليهم السلام، إلاّ إنّ المراد من هذه المقولة إن كان نفي هذا الإختصاص فالنفي زائف، إلاّ إنّ

الظاهر هو تثبيت ذلك والإقرار به وتكريسه لا نفيه، لأنَّ المراد إنّ يوم عاشوراء، يوم رائد، وقدوة لكل الأزمان والأوقات، وإنّ على الإنسان معايشة عاشوراء ودروسها كل يوم، ولا يقتصر في التأثر بعاشوراء بقصر ذلك على يوم العاشر من محرم، وهكذا كان حال الأئمةعليهم السلام حيث ورد مثلاً إنّ الصادقعليه السلام إذا ذُكِرَ جدهُ في يوم ما ومصابهُ فلا يُرى ضاحكاً في ذلك اليوم، وكذلك جده السجادعليهما السلام، حيث عاش كل أيامه الشريفة وكأنّ كل يوم يتجدد لديه حدث يوم عاشوراء، وكذلك المراد إنّ كربلا قدوة لكل البقاع والأماكن، إنّها ملحمة مواجهةٌ مع الجور والباطل، لا أن يقتصر مبادئ كربلاء على حين زيارة المؤمن لأرض كربلاء، وينسى ذلك عند رجوعه إلى بلادهِ ، فعاشوراء قدوةٌ، وإمامٌ لكل يوم، وكربلاء قدوةٌ ورائدةٌ لكل بلدٍ في مواجهةِ الجورِ والعدوان.

المحاور: بعض المشايخ كان يقرأ «زيارة عاشوراء» في الأيام التسعة المنصرمة من أيام الحزن والمصاب..

فكان يُبدِل عبارة «اللهم إنّ هذا يومٌ تبرَّكت به بني أُميّة ...» بعبارة «اللَّهُمَّ إنّ يوم عاشوراء يوم تبركت به بني...»

فما رأي سماحتكم هل هذا التصرف جائز؟ وإذا كان كذلك ، فأيّهما الأفضل هكذا تصرف ؟ أم القراءة على نحو الحكاية تعبداً ؟.. وعظّم الله أُجوركم...

الشيخ السند: الصحيح هو الإبدال، لأنّه لا يُشار إلى يومٍ آخر بأنَّه اليوم الذي .... ، بل شخص يوم عاشوراء، الذي فرِحتْ به... فالإبدال هو محافظةٌ على حقيقةِ نص الزيارة.

المحاور: كما تعلمون شيخنا، إنّ لنا في البحرين كتاب يُسمى «المنتخب» او «الفخري» او «الطريحي»، وهو كتاب الشيخ فخر الدين الطريحي، الذي أسماه «المنتخب في جمع المراثي والخطب» يحتوي نعياً لأهل البيت، من تعليقات للشيخ الطريحي نفسه، وأخبار يذكرها عنهم عليهم السلام، وقصائد رثائية، وهذا الكتاب كما تعلمون، اعتاد أن يقرؤه المعزُّون في المآتم والحسينيات بأسلوب ولحن خاص قبل إرتقاء الخطيب المنبر.. ولكن في الآونه الآخيره تراءت للبعض فكرة إستبدال قراءة هذا الكتاب بقراءة زيارة عاشوراء، أو زيارة أمين الله..

فما هو في رأيكم الأولى ..!؟؟

والسؤال الثاني: هناك فرق بين المنهج الفقهي والمنهج التاريخي، ونتيجة الخلط بينهما صار هذا الإلتباس، فصار البعض يسأل عن صحة الروايه في المسائل التاريخيه، وهذا لا وجه له وبيان ذلك إنّ في القضايا الفقهيه يبحث عن المنجزيّة والمعذريّة وإسناد النتيجه إلى الله سبحانه وتعالي، فمالم يكن الدليل حجة او منتهي الى ماهو حجة فلا يصلح للمنجزية والمعذرية ويكون الاسناد، والحال هذه إفتراءٌ على الله تعالي كما قال تعالي قل الله أذن لكم ام على تفترون، هذا في باب الإحكام فلابدَّ أن يكون المستند حجة يصح الإستناد إليه وأمّا في القضايا التاريخيه فلا يراد إثبات منجزيّة أو معذريّة ، لكن لا يعني ذلك عدم ثبوت منهج ومعايير للقضايا التاريخ، هناك فرق بين المنهج الفقهي والمنهج التاريخي، ونتيجة الخلط بينهما صار هذا الإلتباس فصار البعض يسأل عن صحة الروايه في المسائل التاريخيه.

فما هي المعيار والمنهج في الاخذ بالقضايا التاريخية؟

الشيخ السند: ليس المطلوب في مقتل سيد الشهداءعليه السلام وأحداث كربلاء صحة السند، والغالبية من روايات المقتل إلى ما يزيد عن ٩٠٪ ليس بصحيح السند، وفقا للميزان الرجالي، ورواية النطح مثل رواية قتل الشمر لسيد الشهداءعليه السلام، فهي رواية غير صحيحة السند، ولكن ذلك لا يضر بها ولا بصحة نقلها.

قال الشيخ مرتضى الأنصاريقدس سره في التنبيه الرابع من رسالته التسامح في أدلة السنن بعد نقله لعبارة الشهيد الثانيقدس سره الدالة على أن الأكثر يرى جواز العمل بالخبر الضعيف في القصص قال مايلي:

«المراد بالعمل بالخبر الضعيف في القصص والمواعظ، هو نقلها وإستماعها وضبطها في القلب وترتيب الآثار عليها، عدا ما يتعلق بالواجب والحرام ... ويدخل في العمل ـ أي العمل بالخبر الضعيف ـ الإخبار بوقوعها أي الفضائل والمصائب من دون نسبة إلى الحكاية ، على حد الاجتهاد بالأمور المذكورة الواردة بالطرق المعتمدة، كأن يقال: كان أمير المؤمنينعليه السلام فعل كذا وكذا.

الشيخ السند: الميزان في سرد أحداث كربلاء وإستعراضها على المنابر والندوات، هل ينحصر كما يتوهمه البعض؟ بأنه منحصر بالطريق الصحيح والمعتبر، وأما المراسيل في كتب التاريخ بل والمقاتل بل والحديث أيضاً فلا يعبأ ولا يعتنى بها، ولايكترث كما هو الميزان في الاحتجاج بالحجة الشرعية.

وهذا التوهم بمكان من الغفلة والسُبات فإنّه:

١ ـ لو أعتمد مايتوهّم فلابدَّ أنْ نطالب جميع البشرية بإعدام وإبادة كل مصادرها التاريخية، وكذلك مصادر تاريخ الإسلام والنبيصلى الله عليه وآله، وهذا

يُعدُ جنوناً وجهلاً يقطع الأمم عن ماضيها والمعاصر عن تمدن وحضارات الماضي، كما إنّ الدعوة إلى نبذ التراث التاريخي، هو بمثابة قطع صلة الحاضر عن كل مكتسبات وجهود الغابر، وسداً لباب العبرة والإعتبار.

٢ ـ إنّ الحُجيّة والدليل الإثباتي، لا ينحصر ولايقتصر على الطريق الصحيح وخبر الواحد المعتبر، لا في البحث الفقهي، ولا في بحوث العلوم الأخرى، بل هناك الطرق الأخرى أعظم شأناً وإعتبارا من الخبر الواحد الصحيح، فإنّ الخبر المتواتر والمستفيض والموثوق أعلى حجيةً منه، وذلك لقوة درجة الإطمئنان عن الظن المتوفر في خبر الواحد الصحيح والخبر المتواتر والمستفيض والموثوق بصدورهِ، لايعتمد على إنفرادية الخبر وآحاديته، بل يعتمد على تجمع ومجموع الطرق وتراكم عددها من الناحية الكمية ومن الناحية الكيفية، من جهة القرائن والشواهد المتقارنة والمتعاضدة والمتظافرة، وهذه يعطي رصيد في قوة إحتمال الصدق أكثر بكثير من آحادية الخبر الواحد المنفرد، بل إنّ جملة علماء الإماميّة في القرن الثالث والرابع والخامس، جُلّهم لايعتمد على آحادية الخبر الواحد ولو كان صحيحاً، بل يعتمدون على الإستفاضه والتراكم للقرائن وتكثّرها تراكمياً، فلاحظ ماكتبه الشيخ المفيد في الإرشاد من تاريخ المعصومين عليهم السلام، وكذلك الشيخ الطبرسي في كتابه أعلام الورى، وغيرهما في بقية الكتب في تاريخ المعصومين عليهم السلام.

ولا يخفى إنّ مخزون القرائن والشواهد لا يحافظ عليه إلّا بسبر وإستقصاء كل المصادر والكتب، وعلى ضوء المنهج التراكمي والتصاعد الكيفي للدلائل والشواهد والقرائن فإنّه لايُفرّط في أيّة قصاصة، ولايُفرّط بأيّة قرينة، ولايُفرّط بأيّة معطية مهما ضَعُفِت هي في نفسها، لأنَّ القيمة الإستدلاليه لا

تثمنّها ولا توزنها بماهي منفردة فقط، بل بماهي تنضم تراكمياً مع غيرها من عشرات ومئات وآلاف القصاصات والقرائن والمعطيات والدلائل، فإنّ ضعفها بمفردها وإنفرادها لايعني ضعفها منضّمةً ومجتمعةً مع غيرها، وهذه حقيقةٌ واقعيةٌ منهجيةٌ معرفيةٌ منطقيّةٌ تكوينيةٌ قد إنتهجها جميع عقلاء البشر، فإنّك ترى إنّ المحقق الجنائي على صعيد الحوادث الفردية او الحوادث والنزاعات الدولية، لايُفرّط ولايتهاون بأيّة معطية وقصاصة، مهما تضائلت نسبة إحتمال إيصالها للواقع، بل يكترثون ويحافظون ويختزنون كل شاردةٍ وواردةٍ، وكل صغيرةٍ وكبيرةٍ، وكل جليلٍ ودقيقٍ، فإنّها لربما كانت رأس الخيط الذي منه ينفتح باب الحقيقة المجهولة المغمورة، وكم كانت قرينة ضعيفة بمفردها تعاضدت بعد ذلك بعشرات او مئات القرائن الأخرى، فكانت طريقاً مفتاحاً للوصول إلى الحقيقة الواسعة، وعلى ضوء ذلك فإنّ الحفاظ والإحتفاظ بالتراث والكتب تعاهدها بالدراسة والمدارسة والتنقيب والبحث، أمرٌ حضاريٌ تمدنيٌ علميٌ معرفيٌ تحقيقيٌ، وإهمالها ضياعٌ للعلمِ والحقيقة والمعرفة، وتوغّلٌ في الجهالةِ وإبتعاداً عن الوصول إلى الواقعية.

المحاور: أُعتبر عقد القاسم عليه السلام، وكذلك رؤيا زوجة حبيب بن مظاهر الأسدي للزهراء عليها السلام، إنّها من الأكاذيب التي يعلم الخطباء بكونها كذلك، وينبغي التخلص منها؛ أفيدونا برأيكم دفعاً للاختلافِ بين المؤمنين.

الشيخ السند: أما سرد الخطباء لزواج القاسم ونحوها من الأحداث والأمور التي ذكرها أرباب المقاتل القديمة تاريخياً أو التي ألفّها كبار العلماء الفقهاء كالطريحي، فهو إحياءٌ للتراث، ولو أُقتصر في الحفاظ على التراث التاريخي والروائي الحديثي، على ما يصح منفرداً آحاديّاً، وأُبيد وأُتلف التراث

الآخر، لذهب وأُبيد وطُمِسَ المتواتر والمستفيض والموثوق، لأنَّه يتكوّن من القسم الآخر غالباً بتراكم الدلائل والقرائن كمّاً وكيفاً، إلى أن تنصّل إلى ذلك؛ فحذارِ من الإنزلاق وراء هذه الصيحات الغافلة عن حقيقة الأمور، وكم سعت السلطات الأمويّة والعباسية والنواصب إلى يومنا هذا إلى طمس الحقائق وقلبها بجهدٍ جهيد ، فهل نكون شركاء معهم في ضياع الحقائق التى تكتشف من خلال شتات القرائن والشواهد والقصاصات كرأس خيوط تقود الباحث إلى لملمتها، لترتسم لوحة الواقع جليّة، والتكذيب والكذب هو من يتخندق في صف الظالمين لطمس الدلائل، ولو كانت مبعثرة متباعدة في النظرة الأوليه .

وأما طالب الحقيقة والدفاع عن المظلوم المضطهد، من وراء ركام التعتيم ومن وراء حجب وستور عمليات الإخفاء، وكم من حقيقة مغيّبة أُكتشفت من متناثر القصاصات من هنا وهناك وهنالك، فكيف يستهان بالتراث المتراكم، ولذلك لاترى عالم يجرأ يُقدِم على حذف وإبادة رواية ضعيفة في كتاب حديث، ولا كتاب تاريخي مهما كان درجة ضعفها، وليس ذلك إلاّ لأن التراث بتراكمه وتعاضده يقتنصُ منه تمام الحقيقة، شريطة التتبع بلا إنقطاع وبلا إنحسار جيلاً بعد جيل، مع التدبر والتحليل للقرائن والشواهد .

فمن ثَمّ فليعرف الخطباء للمنبر الحسيني، مدى عظمة ما يقومون به من دور في إحياء الحق والحقيقة، ونفض تراب التعتيم، وإزالة ستور الحُجب الذي ضربها الظالمون لإخفاء الحقائق، وهذا يستدعي منهم أيّدهم الله بعونه أن يستقصوا المزيد من المصادر، وأن يحصوا كل شاردة وواردة، كي

تتسع الصورة على أُفقها الواسع أمام البحث والتنقيب، وإلاّ فلو تركوا ذلك فسوف يتخلّون عن أكبر رسالة تحملوا مسؤوليتها أمام مشاغبات المعيقين، وتكذيب المنكرين الجاحدين للحقائق .

كما نتوجه للأخوة المنكرين، بدل إبداء مجرد الإنكار والإستنكار القيام بالكشف كل عام بل كل مناسبة، عن المزيد من الحقائق المنطمسة، والمتستَّر عليها، والمغيّبة تحت ركام من الحجب والبعثرة والتشتيت، فهذا هو البناء الحميد للطريق العلمي، لا السعي لإندثار كل رؤوس خيوط الحقائق.

المحاور: إننا نعيش أيام ذكرى أربعينية الحسين عليه السلام، التي يتوجّه الشيعةُ من كل مكانٍ لزيارةِ المولى أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وإنّ الكثير من المخالفين يسألون، لماذا نزور الإمام الحسين عليه السلام؟

المحاور: المعصومون من أهل البيت هم خلفاءٌ، وهم أئمةٌ، وورد في الرواياتِ، إطلاقُ عنوان الخلفاء وعنوان الأئمة عليهم، لكن ما هو السر في إنّ الشيعة هجرت عنوان الخليفة، ودائماً تطلقُ عليهم عنوان الأئمة؟ فدائماً نقول الإمام علي عليه السلام، ولا نقول الخليفةُ عليٌ عليه السلام، فما هو السر؟

الشيخ السند: زيارة الإمام عليه السلام، هي باب لزيارة الله تعالى ، فالمقصود الأول فيها، هي الحضور عند الله وذلك لأن الإمام خليفة الله أي الآية الكبرى التي يتوجه من خلالها العبد إلى الساحة الربوبية، فهو مجلى الصفات والأسماء الإلهية والأسم الأعظم، وهذا معنى خلافته لله تعالى، وإلاّ فإنّه عَزَّ وَجَلَّ لاينحسر عن شيء كي يخلف مكانه أحد بل خلافة خليفة الله هو مرآتيته التامة للعظمة والبهاء والجمال والجلال الإلهي، وبقية الصفات والأسماء للذات الأزلية وعلى ضوء ذلك فالإمام خليفة الله هو

باب الأبواب للسماء الإلهية وعالم بالأسماء الإلهية كلها فهو جامع لها، وكلما أقترب الإنسان وأي مخلوق منه فهو إقتراب منه تعالى، فالإمام الخليفة قنطرة القناطر، ووسيلة الوسائل إليه تعالى، فمن ثم كانت زيارته هي في الأصل والإساس زياة لله تعالى كما تواتر التنبيه والتنويه على ذلك في جل زيارات المعصومين عليهم السلام وزيارات الحسين عليه السلام، وفي الحقيقة إنّ كل أركان الفروع من العبادات كالصلاة والصوم والحج وغيرها هدفها وغايتها القرب إلى الله تعالى ، وهو ولايته تعالى وهذا القرب بابه الأعظم خليفة الله، فلم تكن الصلاة ولا الحج ولا الصوم خليفة الله، بل قال تعالى على لسان إبراهيم ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾، فذكر في الآية إنّ غاية الحج هو هوي، وإنْ تهوي القلوب وليس الأبدان فقط إلى ذرية إبراهيم عليه السلام، في مكة البيت الحرام فقصد الحج إلى البيت الحرام غايته ولاية محمد وآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وفي الصلاة قوله تعالى وأقم الصلاة لذكري فغايتها ذكره تعالى، بينما وصف القرآن الإمام إنّه خليفة، أي أكبر مظهر لظهوره تعالى، ومن ثم جمع الملائكة كلّهم أجمعون، وجعله القبلة الحقيقية الكبرى للتوجه إليه تعالى، وبعبارةٍ أُخرى إنّ الصلاة وكل العبادات يتم التقرب بها من جهة كونها طاعة وطوع له تعالى، وقد قرّر في كثير من الآيات إنّ طاعته تعالى مقرونة بطاعة رسوله بل وبطاعة أولي الأمر المطهرين من أهل بيته، أصحاب الأمر في ليلة القدر لنزول القرآن المخصصين بمسه في الكتاب المكنون، فكل العبادات غاية غاياتها الطاعة لله تعالى، وبابها طاعة النبي صلى الله عليه وآله، وباب طاعته، طاعة قرباه أهل بيته المطهرين، فتحرّر إن الإمام خليفة الله هو الباب الأعظم للوفادة على الله تعالى وقربه، وإنّ زيارة الإمام

أعظم من زيارة البيت الحرام، بل إنّ غاية زيارة البيت بنص القرآن هو المودّة وهوى القلب لذرية إبراهيم عليه السلام، محمد وآله صلى الله عليه وآله، وإنّ زيارة الإمام وطاعته وولايته هي طاعة الله تعالى وولايته والقرب منه، فزيارة الإمام باب أعظم لزيارتهِ تعالى، أي القرب منه عَزَّ وَجَلَّ.

التعبوية واللغة العالمية في الشعائر:

المحاور: ما معنى الإنتقام في زيارات الائمة عليهم السلام والحسين عليه السلام؟ وهل أخذ الثأر من ثقافات الكراهية والتعبئة المذهبية والشحن الطائفي والإسعار للفتنة بين المسلمين وفيما بين البشر؟

الشيخ السند:

١ ـ الإنتقام في منطق الوحي والحضرة الالهية والقرآن والسنة للنبي صلى الله عليه وآله ليس منبعثها حيوانياً غرائزياً كما في غضب النبي موسى عليه السلام في الآية ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾، وليس لفظ الآية («سكن» عن موسى الغضب) فغضب موسى عليه السلام ليس يسكن ويتحرك غضباً حيوانياً بل يسكت وينطق أي غضب عقلي إلهي يسكت وينطق، كذلك النقمة والإنتقام الإلهي ليس ناشئاً من الغضب الحيواني بل من الغضب العقلي والإلهي الذي ينطق ويسكت، فهو لغاية عقلية وإلهية لتطهير الارض والكون من الارجاس والأنجاس، فالنقمة الإلهية الشفافة المجردة عن الغريزة الحيوانية هي عذاب على الطغاة المعاندين الجاحدين الأرجاس ظاهره من قبله قبلهم العذاب وباطنه باطن غايته الرحمة وهي تطهير الارض والكون منهم.

٢ ـ من ثم الثأر وأخذه يأخذ معنى عقليا والهيا غير المعنى الحيواني

الغرائزي بل ثورانا عقليا وإلهيا ينطق ويسكت لايسكن ويتحرك.

٣ ـ الكراهية والشحذ والتعبئة والشحن موجودة في الرؤية وفي كل مسيرة متوازنة لكن تجاه الباطل وتجاه القبيح وتجاه الخطيئة وتجاه العدوان والظلم والتعدي ليتحقق العدل والقسط ويبزغ الحق والحقيقة ألا ترى ان مواقف الإدانة من منظمة الأمم المتحدة مثلا وبيانات التنديد وأحكام المواجهة تجاه أحداث العالم وأطراف النزاع أكثر من التأييد والدعم والتضامن وليس ذلك إلا لأن الحكمة العقلية تقتضي تطهير الأرض من الجور والعدوان والطغيان ليرجع كل شيئ الى نصابه، وألا ترى كل نظام دولة في أي بلد قائم على وجود وزارة دفاع واندفاع وعسكرة تحشيد وجيش وتجيش وذلك لأجل ردع التجاوز والعدوان والطغيان فثقافة الكراهية والشحن والشحذ والإسعار تمارسها كل الأمم والبشرية لكن تجاه من ولأجل ماذا .. فالمهم تعيين وتحديد الإتجاه والغاية، والحكم يأخذ طابع ذلك بتبعه.

٤ ـ الاعتراف بأن شعائر سيد الشهداء عليه السلام ومراسم شعائر مدرسة الطائفة تشتمل على التعبئة والإسعار والتجييش والتهييج يتدافع ويتناقض مع دعوى ان تلك الشعائر مخدرة ومجمدة عن التحرك والحراك والنشاط وانها تمتص روح الفعالية والإنهاض والنهضة، فهذا اعتراف بأن شعائر الحسين عليه السلام المتداولة إسعار وتعبئة وإلهاب وتجييش واندفاع وأن هذه الحقيقة في الشعائر الحسينية هوية عظيمة تجلجل الوضع الفاسد وتبركن كيان الزيف الجائر وهذا التناقض والتدافع في الإعتراض على الشعائر الحسينية والاعتراف بالحقيقة الناصعة لها مآلا نجده هو الآخر في دعوى أن جملة من هذه الطقوس

مستوردة من المسيحية والبوذية الصينية والهنود والقفقاز والطقوس الآسيوية مع الاعتراض، والطعن بأن هذه المراسم تشوه المذهب وتسيئ اليه وتوجب الوهن والتوهين لإيجابها الانطباع السيئ وتفسير التدافع هو ان هذه الطقوس مع الاعتراف بكونها مستوردة ويمارسها شرق وغرب العالم والشعوب فكيف يجهل العالم معنى ولغة تلك الطقوس وانها ترمز الى اي شيئ وتعطي طابعا سيئا لديه، والحال ان العالم والامم بنفسها تمارسها وتقوم بها لاجل التعبير عن الاستنكار للظلم والجور وابداء المظلومية والاضطهاد فالاعتراف بانها مستوردة وشائعة لدى الشعوب الاخرى يظهر انها لغة عالمية يفهما البشر ويعقلها ولايسيئ تفسيرها.

فهرس الموضوعات

هوية الكتاب ٤

الفصل الأوَّل

إتمام المسافر في مشاهد الأئمة عليهم السلام

إتمام المسافر في مشاهد الأئمة عليهم السلام ٩

تمهيد: ٩

أقوال الأصحاب في التعميم: ٩

أقوال أخرى في التوسعة من جهات أُخرى: ٢٢

ملحق الأقوال: ٢٥

تقريب الأدلّة على التعميم في موضوع التخيير: ٢٦

الوجه الأوّل: اصطياد العموم في الموضوع من الأدلّة: ٢٦

الوجه الثاني: عموم الموضوع لعموم التعليل: ٣٤

فذلكة في التعليل: ٣٧

الوجه الثالث: تعدِّد ألسنة الموضوع للإتمام الواردة في الروايات: ٤٠

الوجه الرابع: التنصيص الخاص على تعميم الإتمام لقبول الأئمة عليهم السلام: ٤٤

تعدّد ألفاظ المتن وتعدّد الطرق: ٤٤

فقه ودلالة الرواية: ٤٦

الوجه الخامس: عموم حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وآله، وحرم أمير المؤمنين عليه السلام للمشاهد المشرفة: ٥٠

الملحق للوجه الأوَّل: لتبيين عموم الموضوع: ٥١

آية بيوت النور: ٥٥

ما ورد من إتمام أمير المؤمنين عليه السلام الصلاة في مسجد براثا أربعة أيّام: ٨٠

ما ورد في فضل النوافل ولو النهارية للمسافر في مسجد الغدير: ٨٣

مؤيّدان أخريان للتعميم: ٨٤

تنبيهات مسألة عموم التخيير وأفضليّة الإتمام في مشاهد الأئمّة عليهم السلام: ٨٥

الفصل الثاني

الحسين عليه السلام نبراس الإصلاح العالمي

الحسين عليه السلام نبراس الإصلاح العالمي ٩١

الشرعية الدولية: ٩١

المدارس والمناهج الإسلامية: ٩٢

نهج الحسين عليه السلام ونهج الخوارج: ٩٤

منهج الإمام الحسين عليه السلام ومنهج الطرف الآخر (المهادنة): ٩٥

ظروف الأنبياء وظروف ﷺ الخاتم وآله: ٩٧

تحسس الشرعية: ٩٩

شرعية علاقتك مع الله: ١٠٠

شرعية علاقتك مع نبيك: ١٠١

شرعية علاقتك مع إمامك: ١٠٣

شرعية علاقتك مع مرجعيتك: ١٠٣

الحساسية حول الإمامة: ١٠٥

التحسس حول شرعية البديل: ١٠٥

مثال على عدم التحسس حول البديل: ١٠٦

موقف المرجعية الدينية وشيعة العراق: ١٠٨

هجوم على الشيعة: ١٠٩

الإصلاح الداخلي أولاً: ١١١

المشكلة في النخبة المثقفة الاسلامية: ١١٢

كيف نكون مبشرين لنهج سيد الشهداء: ١١٣

عهد أمير المؤمنين لمالك الأشتر والأمم المتحدة: ١١٣

الفاتيكان والصحيفة السجادية: ١١٤

الفاتيكان والإمام الحسين عليه السلام: ١١٤

انتشار الثقافة المهدوية: ١١٥

علينا تجسيد أخلاق أهل البيت عليهم السلام في عاشوراء: ١١٦

الفصل الثالث

الحسين عليه السلام حاضر ومستقبل لا ماضٍ فقط

الحسين عليه السلام حاضر ومستقبل لا ماض فقط ١٢١

البكاء على سيد الشهداء عليه السلام: ١٢١

البكاء نوع من الإصرار على مشروع التغيير والإصلاح الشامل: ١٢٣

البكاء عبادة: ١٢٤

فقه الشعائر الدينية: ١٢٦

شعيرة الأذان: ١٢٩

أسرار زيارة الأربعين: ١٣٠

زيارة الأربعين والمراقبة الدولية: ١٣١

زيارة الأربعين والنظام البائد: ١٣٢

المشروع المهدوي قائم بالمشروع الحسيني: ١٣٣

المراقبة الدولية لزيارة الأربعين: ١٣٤

زيارة الأربعين والمدينة الفاضلة: ١٣٥

الحسين عليه السلام أسوة قدماً: ١٣٧

الحسين يربي الأنبياء: ١٣٩

الحسين هو الذي يحكم العراق والبلدان: ١٤٢

الحسين حاكم القلوب: ١٤٢

المشي إلى العبادة عبادة: ١٤٣

حرمة مناسبة وموسم الأربعين: ١٤٣

العلمانية الجديدة وزيارة الحسين عليه السلام: ١٤٥

سر التركيز على زيارة الحسين عليه السلام: ١٤٥

الفرق بين المعسكرين: ١٤٧

طاعة أولي الأمر طاعة الدين: ١٤٩

السر الرابع: زائر الحسين يعيش هم المستضعفين: ١٥١

أرواحكم في الأرواح: ١٥٤

الحسين هو القرآن المتجسد في واقعة كربلاء: ١٥٥

الشعب يريد الحسين: ١٥٧

الإمام الحسين والرجعة: ١٥٨

برنامج المعصوم أمل البشرية: ١٥٩

الإمامة في ذرية الحسين عليه السلام: ١٦١

قبة السماء الحسينية والتربة الروحية: ١٦٢

لماذا لم يخرج الحسين بمفرده: ١٦٣

الحور العين من نور الحسين عليه السلام: ١٦٤

أصحاب الحسين عليه السلام سادة الشهداء: ١٦٦

زوار الحسين عليه السلام ينشغلون بجماله عن الحور العين: ١٦٨

نعم لتسيس الشعائر، لا لتسييس الشعائر: ١٧٠

الجواب الأوَّل: *١٧٠*

الجواب الثاني: *١٧١*

التسييس الإلهي: ١٧٢

الانجذاب الروحي لسيد الشهداء عليه السلام: ١٧٣

إن لقتل الحسين حرارة: ١٧٥

زيارة النساء للأربعين ١٧٧

مشاركة المرأةُ لزيارةِ الأربعين: ١٧٧

الفصل الرابع

قاعدة: في توسعة حريم مواسم الشعائر الدينية زماناً ومكاناً

قاعدة في توسعة حريم مواسم الشعائر الدينية زماناً ومكانا ١٨٥

الحريم الزماني ١٨٧

الأوَّل: باب الحج: ١٨٧

الثاني: في باب الصلاة: ١٨٨

الثالث: موارد متفرقة: ١٨٩

موارد توسعة الحريم المكاني ١٩٣

الوجه الثاني: السيرة العقلائية الممضاة: ١٩٩

الوجه الثالث: ٢٠٠

الوجه الرابع: قاعدة تعدد مراتب المستحبات: ٢٠١

الوجه الخامس: (قاعدة الميسور لا يسقط بالمعسور): ٢٠١

زبد المخاض: المحصلة من الوجوه: ٢٠١

الفصل الخامس

المشي إلى العبادة عبادة

قاعدة: المشي إلى العبادة عبادة ٢٠٥

أدلة القاعدة: ٢٠٨

الطائفة الأولى: ما ورد أن مطلق المشي عبادة: ٢٠٨

الطائفة الثانية: ما ورد في المشي إلى الحج وهي على ألسن: ٢٠٩

ندبية الأحتفاء في المشي: ٢٢٥

الطائفة الثالثة: طائفة من روايات المشي إلى المساجد: ٢٣٢

الطائفة الرابعة: المشي في حاجة المؤمن: ٢٣٣

الطائفة الخامسة روايات (من مشى لصلة رحم ولمطلق الطاعات): ٢٣٤

الطائفة السادسة: من مشى في نية الخبر أو فعل طاعة: ٢٣٥

الطائفة السابعة: روايات استحباب المشي إلى زيارة الحسين عليه السلام: ٢٣٥

بالطائفة الثامنة: ستحباب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً ذهاباً وعوداً: ٢٣٩

الفصل السادس

الحث على زيارة الحسين عليه السلام مع الخوف

رجحان الشعائر الحسينية ولو مع الخوف على النفس ٢٤٥

(الحث على زيارة الحسين عليه السلام مع الخوف) ٢٤٥

من قُتل دون ماله فهو شهيد: ٢٤٦

ومن الروايات الواردة: ٢٤٦

قول الشيخ خضر بن شلال في المقام: ٢٤٧

قول الشيخ المجلسي: ٢٤٧

حثّ رؤساء الشيعة للزيارة: ٢٤٩

دلالة الرواية: ٢٥٠

ثواب القتل والحبس والتنكيل في طريق الزيارة: ٢٥٣

زيارة الحسين عليه السلام حالة التقية: ٢٥٥

تناسب الثواب مع الخوف: ٢٥٥

زيارة الحسين عليه السلام في حالة الخوف: ٢٥٨

زيارة الحسين عليه السلام في حالة الخوف.....٢٥٨

ليست التقية مبرراً لترك زيارة الحسين عليه السلام: ٢٥٩

زيارة النصف من شعبان: ٢٦١

الفرق بين زيارة الحسين عليه السلام وزيارة بقية الأئمة: ٢٦٢

دعاء الإمام الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام: ٢٦٦

التخريج الفقهي لتقديم الزيارة على حفظ النفس: ٢٦٨

الفصل السابع

أثر البكاء على الحسين عليه السلام في تنوير الفكر والمعرفة

أثر البكاء على الحسين عليه السلام في تنوير الفكر والمعرفة ٢٧٣

البكاء في اللغة: ٢٧٣

حقيقة البكاء على الحسين عليه السلام شكوى إلى الله، وليست شكوى من الله: ٢٨٠

البكاء على الحسين عليه السلام خطاب مع الله: ٢٨٠

الصرخة والصيحة والعويل والشهقة أنواع في شعيرة البكاء: ٢٨١

البكاء على الحسين عليه السلام، مناجاة مع الله: ٢٨٢

الفلسفة الكبرى للبكاء: ٢٨٢

العاطفة والبكاء وتنوير الفكر والمعرفة: ٢٩٢

البكاء هو العاطفة وخطورة تأثيرها: ٢٩٥

فلسفة عظمة الثواب للبكاء في الشعائر الحسينية: ٣٠٠

النمط الاول: ٣٠٠

أجوبة الإشكالات السابقة: ٣٠٢

إعتراضات أخرى على البكاء: ٣١١

النمط الثاني: ٣١١

في فضل البكاء: ٣١١

الموقف الصوفي العرفاني المعترض على البكاء والعزاء: ٣١٨

جواب الشبهة والاعتراض: ٣١٨

إعتراض السلفية على البكاء: ٣٢٠

ركنية الحزن والأسى في ماهية الشعائر الحسينية: ٣٢١

جواب الإعتراض: ٣٢٢

امتزاج الحزن عليهم بالإبتهاج بهم: ٣٢٢

الفصل الثامن

قاعدة: تعدد طرق الحكاية والإخبار عن الواقع

قاعدة: تعدد طرق الحكاي والإخبار عن الواقع ٣٣١

في تحرير الواقع والأحداث: لسان الحال. التصوير. التمثيل: ٣٣١

الطريق الأول: دلالة الفعل: ٣٣٢

الطريق الثاني: حجية التقرير: ٣٣٤

الطريق الثالث: الدلالات الالتزامية للكلام: ٣٣٤

الطريق الرابع: إنشاء المعاني في النفس: ٣٣٤

الطريق الخامس: المُجمل والمفصّل: ٣٣٥

الطريق السادس: لسان الحال والتصوير: ٣٣٦

أدلّة واقعية لسان الحال: ٣٣٧

الوجه السابع: النقل بالمعنى ولسان الحال: ٣٤١

الوجه الثامن: الكلام التكويني للأفعال: ٣٤٢

الوجه التاسع: التمثيل والتصوير: ٣٤٥

القرآن والدعوة للإنشاد والشعر في أهل البيت عليهم السلام: ٣٤٩

التصوير: ٣٥٢

الفصل التاسع

تكامل روح المؤمن بأقصى الكمالات عند زيارته لقبر الحسين عليه السلام

تكامل روح المؤمن بأقصى الكمالات عند زيارته لقبر الحسين عليه السلام ٣٥٧

من معاني زيارة الله فوق العرش والكرسي: ٣٦٨

مقارنة بين زيارة خليفة الله، وزيارة بيت الله: ٣٧١

الفصل العاشر

قاعدة عمارة مراقد الأئمة عليهم السلام فريضة شريعة هامّة

عمارة مراقد الأئمة عليهم السلام، فريضة شرعية هامة ٣٧٧

أدلة القاعدة: ٣٧٨

أما الآيات: ٣٧٨

معنى الإلحاد في الآية الشريفة: ٣٨٢

أحكام المسجد الحرام والعتبات المقدسة: ٣٨٣

عمومية هذه الأحكام لكل مساجد المراقد: ٣٨٤

وأما الروايات الدالة على هذه القاعدة: ٣٨٥

أدلة فريضية عمارة مراقد النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته: ٣٨٧

أدلة كون مراقد النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من الأراضي المقدسة ٣٩٣

وأما الروايات: في فريضية عمارة مرقد النبي صلى الله عليه وآله ومراقد أهل بيته عليهم السلام : ٣٩٧

الفصل الحادي عشر

لكل سؤالٍ جواب

لكل سؤال جواب ٤٠٥

الإمام الحسين عليه السلام: ٤٠٥

الشعائر الحسينية: ٤٢١

عاشوراء: ٤٢٧

أقسام الحجج الإلهية: ٤٢٨

القسم الأوَّل: مقام الرسل: ٤٢٨

القسم الثاني: مقام الأنبياء: ٤٢٨

القسم الثالث: مقام الإمامة: ٤٢٨

القسم الرابع: مقام الحجة: ٤٢٩

القسم الخامس: مقام الحكمة والتعليم: ٤٣١

١ - لقمان الحكيم: ٤٣١

مقامات أخرى: ٤٣١

٢ - آسيا بنت مزاحم: ٤٣٢

دور أصحاب القسم الخامس: ٤٣٣

الحكماء الإلهيون والمعلمون في الامة الإسلامية:.....٤٣٦

الحكماء الإلهيون والمعلمون في ذراري أهل البيت عليهم السلام:.....٤٣٧

علي الأكبر: ٤٣٨

البداء في الإمامة: ٤٣٩

زينب ومريم عليهما السلام:.....٤٤٢

زينب وفاطمة عليهما السلام:.....٤٤٣

زينب والحسين عليهما السلام:.....٤٤٤

زينب والسجاد:.....٤٤٦

تميز حركة سيد الشهداء : ٤٤٨

الخنوع أو المواجهة عند المدارس الإسلامية الأخرى:.....٤٤٩

راية ضلال: ٤٥٠

التشابه بين منهج الزيدية ومنهج الخوارج: ٤٥٣

ذكر الأمور السياسية في مأتم اللطم : ٤٥٦

دور أمير المؤمنين عليه السلام في الفتوحات: ٤٥٨

التعبوية واللغة العالمية في الشعائر: ٤٩٦

فهرس الموضوعات.....٤٩٩